



علي عليه السلام

في القرآن والسنة

المقدمة

تأليف
محمد رضا الساعدي


مكتبة الروضة الحيدرية


الغدير
للطباعة والنشر والتوزيع
+ ٩٨ ٩١٢ ٥٥١ ٤٤٣٦



علي

في القرآن والسنة

تأليف

محمد رضا الساعدي



الإهداء

يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجات فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين.

إليك سيدي يا أمير المؤمنين يا باب مدينة علم الرسول ووارث علمه وعلمك علوم الأنبياء من قبله

يا من قرن الله ولايتك بولايته وولاية رسوله

بقوله عز اسمه ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾.

وفرض حبك وقرنه بحب الله ورسوله «يحب الله ورسوله ويحبه الله روسوله»

وجعل طاعتك كطاعته وطاعة رسوله، بقولهﷺ طاعة على طاعتي وطاعتي طاعة الله.

أهديك سيدي بضاعتي المزجاة جهد المستطاع لتقبلها بفصلك وتسقين من حوض الكوثر وأنت ساقيه يوم الورود على الله وتشفع لي عند ربك فإن لك الجاه العظيم عنده ولا يشفعون إلا عن ارتضى وأنت المرتضى.

محمد رضا الساعدي

الكتاب: ....علي في القرآن والسنة (مقدمه)

المؤلف:...................... محمد رضا الساعدي

الناشر: ....دارالهدي

الطبعةالأولي:..............................١٤٢٨هـ ق

الكمية: ٢٠٠٠

الشابك المقدمة:......... ٧ -١٨١-٤٩٧-٩٦٤-٩٧٨

الشابك: .... ٩ -١٧٧-٤٩٧-٩٦٤-٩٧٨

١٤٢٨ هجرية - ٢٠٠٧ ميلادية



جميع الاخبار عن النبي الخاتم ﷺ قد أخبرة به جميع الأنبياء لما لـه الدور العظيم في مسيرة الكيان البشري نحو الحق.

وهذا القانون ينطق على الامامة التي هي المكملة للنبوة في نبوة خاتم الأنبياء قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلَامَ دِينًا﴾.

ولهذا تجد شخصيته الإمامة المتمثلة بعلي في القرآن وعدد الآيات المتحدثة عنه وعن فضائله ما لا تجدها في غيره لما تمثله من أهمية في مسيره الإسلام والحفاظ والبقاء على الدين في سلامه قال رسول الله ﷺ ان القرآن أربعة أرباع فربع فينا أهل البيت خاصة وربع في أعدائنا وربع حلال وحرام وربع فرائض وأحكام وان الله أنزل في علي كرائم القرآن»[١]. وقال ابن عباس نزل في علي أكثر من ثلاثمائة[٢].

وكذلك ما أوردته السنة النبوية في بيان فضائل ومقامات على من ناحية الكم والكيف يتناسب في الأهمية في الدور الخطير لتلك الشخصيته ولهذا تلاحظ ان النبي ﷺ لا يترك مناسبة الأوسلط الاضواء على شخصية الإمام في بدايات البعثة ﷺ من حديث الدار وتنتهي والنبي على فراش الموت حينما قال «أئتوني بدواة وقلم أكتب لكم كتاب لن تضلو بعدي أبداً كل هذا يبين لنا أن لشخصية على المنزلة العظمى والارتباط الوثيق في الدعوة التي بعث بها النبي ﷺ وان من اركان دعوة النبي ﷺ هو بيان مقام على واهل بيته عليهم السلام ولذلك تجد أن أئمة

---

١ ـ شواهد التنزيل ج١ ص٤٢.

٢ ـ ينابيع المودة.



بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

قال تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِؤُواْ نُورَ اللّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[1].

هناك مجموعة من السنن والقوانين الإلهية في الهداية البشرية ومن تلك القوانين هو أقامة الحجة من بني أو رسول أو إمام وان تكون الحجة واضحة لا لبس فيها ولا شبه تقول قاعدة اللطف أن الذي خلق الإنسان القى على عاتقه التكاليف من أجل أن يوصله إلى السعادة والكمال فمن اللطف الإلهي ان يهيء مقدمات هدايته وتربيته وان يضع تحت تصرفه مستلزمات بلوغ ذلك الهدف لانه لو لم يفعل فإن الله أجل من أن يكلف الناس بلوغ مقام السعادة الكبرى وهو معرفته سبحانه وتعالى من دون أن يرشدهم إلى الطريق.

ولهذا ترى جريان المعاجز على أيدي الأنبياء بما أنها علامة وآله لطريقه المستقيم والدالة والعلامة الأخرى التي تكون أكثر انضاحاً في بعض الأحيان من المعاجز هي تنصيص وأخبار النبي السابق على اللاحق وكلما كان للنبي له شدة في التأثير في مسير البشرية كان الأخبار والتنصيص عليه أكثر أهميته ولهذا تجد ان

---

١ ـ التوبة ٣٢ و٣٣.

الكفر لما علمت ما تمثله شخصية علي ودوره في الحفاظ والقيمومة على الأسلام المحمدي حيكت حوله المؤمرات في زمن رسول الله وكان الرسول المدافع الأول عن علي عليه السلام وبعد ان رحل النبي صلى الله عليه وآله كشروا عن اينابهم ووقع الانحراف الخطير في مسيرة الإسلام عند ما عزلوه عن المكان الذي وضعه الله ورسوله فيه لكن الإمام لم يكن تلك الشخصية المحدده بزمن خاص بل شخصيته على باقية ببيضاء الدين ولهذا تجد ان المؤامره على علي عليه السلام وعلى شخصيته تتجدد في كل عصر وبكل صورها من محاولات يائسه وذلك من خلال تحريفهم لمعاني الآيات القرآنية وغيرها من ما لا جدال فيه ان الانحراف والتغير السياسي في التاريخ الإسلامي في بادئ بدء لعب الدور الأكبر في التعتيم على فضائل ومناقب علي عليه السلام وذلك يتعاقب السلطات طيلة القرون وابتداءً بمنع تدوين السنة أو التحدث بها لكي لا يظهر منها شيء وعرضت من ذلك النماذج ثم سار عليه الدور الاموي بزعامه معاوية بن أبي سفيان وكيف استطاع ان يمنع ذكر فضيلة واحده وكما ذكر نفصيله في رسائل أمي بكر الخوارزمي وابن نفطويه كما وصفها ابن قتيبة والإمام الباقر ويتضح الكثير من ذلك في ذكر رسائل معاوية ووصاياه إلى جميع ولاته في كافه الاقطار والزمهم وتشدد عليهم ولم يكتفي بهذا حتى احتضن بعض الصحابة وبعض التابعين ممن باع دينه بثمن بخس أمثال أبي هريرة وعمر بن العاص وعتبه وغيرهم فأسنجابوا لـه بكل ما يرغب بواله بكل ما يرغب بل زادوا باكثر ما يطلب تزلفاً وتضرباً فأغدق عليهم المال اجزيل بل وولاهم المناصب العالية وكما سيتضح لك ذلك جلياً ممن ولاهم من غيرهم من الولاة في الاقطار ورسائله الكثيرة إلى عماله وخاصته وعرضتُ لها نبذة قصيرة حتى الزمهم بتعميمها على

الغراء والكتاب والمحدثين والخطباء حتى صبيه المكاتب ان يلعنوه ويسبوه على المنابر على كثرتها يوم ذلك واكد على الخطباء أن يبدؤ خطبه الجمعه بلعنه وامر الجميع ان يتعقبوا كل من ذكر فضيلة لعلي ان يسجن أو يقتل ويمنع من العطاء أو تهدم داره عليه وبهذا يستمر الحال من بعده إلى خلفاء بني مروان وولاتهم وعرضنا لبعضهم بايجاز من قتل وتشريد لشيعه علي عليه السلام في طول البلاد وعرضها وطمس فضائله وتحريفها والطعن بها وقتل من نقلها على الضنة والتهمه وبهذه الفضائع والجرائم ينتهي العهد الاموي الاسود مثقلاً باوزاره الشنيعة بتحريف السنة النبوية وابدالها بدكتاتورية غاشمة تسحق الاخضر واليابس مليئة بالفسق والفجر، والمجون التي يندي منها جبين المسلم الغيور على إسلامه وعقيدته وينتهى غير مأسوف عليه.

ويأتي العهد العباسي وعرضت لثلاثه من خلفائهم المنصور، والرشيد والمتوكل على سبيل الاستشهاد وان كان الكل سواء وبمثل ما تقدم من الامويين ودلاتهم من تحريف السنة النبوية بكل ما فيها والنصب والعداء لشيعة على واخفاء مناقب أمير المؤمنين وعاقبوا على من يذكر منها حتى اليسير وزادوا على من تقدمهم من الظلم والجود لاهل البيت وتفننوا بالبذخ والترف وتبذير أموال المسلمين وبذلها بسخاء على شهواتهم ومجونهم ومحصرة على قصورهم والمتعاونين معهم من وزراء وولاة وقادة جيوشهم حتى عاشوا في الأرض فسادا وقد نصبوا دعاة ومحدثين وعلماء وحفاظ لاخفاء الشرعية لسلطانهم واغدقوا عليم الأموال الكثيرة والمناصب ومنعوا كل محدث وعالم لا يسير بركب السلطة أو من يشم منه رائحة المخالفة عوقب بأشد العقوبة حتى يقتل أو يسجن ويطرد حتى إمامة الصلاة.

واستطاعوا بذلك فرض المذاهب الأربعة .... وقربوهم وبذلوا الاموال لهم ولطلابهم وحصروا الفتيا والحديث بهم وتخويلهم نصب القضاة وأئمة المساجد واشترطوا ان يذكروا كل ما يرضيهم وينكروا كل ما يخالفهم وتعرضت بإجياز لأئحة المذاهب الأربعة وكيف جائت وكيف صارت وسارت ومن هنا بدء حصر الاجتهاد بهم لا غير ومن هذه ظهر الاجتهاد مقابل للنصوص الثابته وتأويل الظاهر الصريح بما يرغب كل واحد حسب هواه ومزاجه وتغيرت أحكام الشريعة وخاصة بما يتعلق بشيعة أمير المؤمنين وفضائله وغيرها.

ولا اجحف بالقول عليهم ولكن حتمية الامر أنهم تلقوا تلك المصائب والتحريف والتغيير بما ورثوه من السلف السابق وما اخذه الاباء وورثه الابناء ووفق هواهم وتثبيت سلطانهم فعضوا عليه بالنواجذ وحسبوها سنة متبعة وسار عليها من سار واخيرا حصروا القول على الصحاح السنة حتى جعلوها عدلاً للكتاب الكريم واعتمدوا علهيا بما لا يقبل سواها وبوقفه قصيرة معها وملاحظة أصحابها كيف استولى عليهم الموروث من العهد الاموي وما تلقوه وتعلموه من العهد العباسي كما ناقشت اصحابها كيف جمعوها وما جرى بينهم من الحقد والتناقض فيما بينهم كما ظهر في رجال الصحاح الذين وثقوابهم واعتمدوا على اقوالهم ان فيهم من الخوارج وأصحاب البدع والنواصب والمجاهيل والوضاعين وغيرهم مما يفقد الثقة بهم وبمروياتهم.

كالا حضت لبعض أصحاب الرجال من أهل الجرح والتعديل الذين نأمل ان قولهم الفصل وحكمهم العدل ولكن مع الاسف الشديد ان فتحوا الباب على مصراعيه من التعصب المقيت والنصب الشديد مما افقدنا ما نأمله فيهم وكأنهم

خصوصوا كتبهم للطعن برواة فضائل أمير المؤمنين وأهل بينه حتى صححوا بعض الرواة من خصومه حتى من السراق والسكارى وغيرهم ويحذفوا من الحديث الصحيح المتعلق بأمير المؤمنين من اخره حتى بشينه أو يضيفوا إليه جمله مخله يفقد مزيته وان روى في مسانيدهم كاملاً أو يطعن بالراوي وهذا رافض أو فيه تشيع فلا يقبل حديثه أو يتهم بالزندقة أو يغمز فيه بالانحراف حتى وان كان من رجال الصحاح وعرضت امثله لهؤلاء الرجال التي نصت الصحاح على وثاقتهم وقبول رواياتهم كما نسبوا لبعض كبار القوم من ساداتهم وكبتهم المعتبرة إلى الرفض مثل الحاكم في مستدركه على الصحيحين وأبي حجر والنسائي والطبري وغيرهم ربنا احكم بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الحاكمين.

وباختصار التزمت بنقل الحديث في فضائل أمير المؤمنين ومناقبه معتمدا على رواية أهل السنة في كتبهم المعتمد عندهم وتركت الكم الهائل من فضائله من طريق الشيعة ولا حتى بحديث واحد إلا بما يتوافق مع رواية أهل السنة ليتم بذلك التوافق والإجماع والله من وراء القصد.

محمد رضا الساعدي



تمهيد

في منع كتابة سنة رسول الله ﷺ والتحديث بها

الفصل الأول

أهمية سنة النبي ﷺ



بعد الإيمان بالله ورسولـه واليوم الآخر، لابد من معرفة المصدر الذي يأخذ الإنسان منه دينه في أصولـه وأحكامه، حيث أنه سبحانه وتعالى كلف عباده لامتثال معرفة أوامره ونواهيه، فوضع لـهم قوانين وتفاصيل ما حرّم عليهم وما أحل لـهم، ولم يكن أمر من تلك الأوامر إلا وفيه حكم محدود من وجوب أو حرمة أو كراهة أو استحباب أو إباحة.

ولا بد للمسلم أن يستند في امتثال أحكام الله في عباداته ومعاملاته وكل ما يتعلق من أمر دينه ودنياه على مصدر يعتمد عليه ويثق به ولا يكتسب ذلك الحكم صفة الشرعية والانتساب إلى الله تعالى ما لم يكن مستند إلى مصدر التشريع والذي يتمثل في الكتاب الكريم الذي قال الله عز وجل لنبيه عنه: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدىً وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[1].

والسنة النبوية وهي فعل الرسول وتقريره وحديثه ﷺ.

وفي السنة تفصيل لما أجملـه القرآن وشرح لمتشابهه، وأحكام أخرى ليس لـها ذكر في القرآن، تشرحها السنة وتفصلـها.

ولست بصدد استعراض هذه المسائل وتفصيلـها الآن، فقد كفانا ذلك استقرار المسلمين على العمل بالسنة والاعتماد عليها كمصدر ثان للإسلام عملاً بقولـه

(١) النحل: ٨٩.

تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1].

والسنة النبوية الشريفة بعد ثبوت صدورها عنه ﷺ حجة ضرورية من ضروريات الدين، فمن جحدها فقد كفر وكذّب بالدين، وأنكر القرآن الكريم، حيث أننا لم نعرف أن القرآن الكريم هو كتاب الله تعالى إلا من قول النبي ﷺ، فإذا لم يكن قوله حجة فلا أثر للقرآن إذن، وأن لم تكن السنة النبوية حجة فلا معنى لجميع العبادات والأحكام التي جاء تفصيلها من طريق السنة، ووضعت حدودها وشرائطها.

فحجية السنة النبوية من ضروريات الدين بلا أدنى نزاع بين المسلمين[2].

لكن المسلمين واجهوا عقبات كثيرة ومشاكل وعقبات وضعت في طريق الوصول إلى حديث نبيهم وأخذوا معالم دينهم وأحكامه منه !!

عقبات عانى منها علماء المسلمين ما عانوا، ولولاها لما حدث اختلافٌ في المذاهب والمسالك في الأصول والفروع، ولما حدثت في تاريخهم الكثير من الانحرافات، فكانت السبب في مصائبهم وويلاتهم.

وسنوضح بإيجاز الأسباب التي أدت إلى صعوبة تناول سنة النبي ﷺ:

القرآن يثبت حجية السنة

أثبت لنا القرآن الكريم حجية السنة، وألزمنا بأتباعها وحفظها من

---

(١) الحشر: ٧.

(٢) راجع عبد الغني عبد الخالق ـ حجية السنة: ص٢٤٥، وص٣٨٢.

خلال الآيات الكثيرة كقولـه تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ أن الله شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾(١) وقولـه تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأمرِ مِنْكُمْ فإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلى اللهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ (٢).

أمر النبي ﷺ بحفظ السنة:

وقد حث عليها النبي ﷺ كثيراً وأوصى بها، وأمر برواية الحديث عنه وبتدوين حديثه. فقال ﷺ: نضَّر الله أمرأً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره فرب حامل فقه ليس بفقيه ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه. (٣)

وفي لفظ: نضر الله أمرأً سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره(٤).

وكان ﷺ في بعض خطبة التي شحنها بالأحكام من أمر ونهي وبيان، كرر مراراً قولـه: ألا فليبلغ الشاهد الغائب.

وقال: إني أحدثكم الحديث فليحدث الحاضر منكم الغائب(٥). كما هو ظاهر في خطبته في حجة الوداع وفي خطبه يوم الغدير، وهذا كثير في أحاديثه، وسنعرض لبعضها في حينه.

---

(١) الحشر: ٧.

(٢) النساء: ٥٩.

(٣) مسند أحمد ٥: ١٨٣.

(٤) سنن الترمذي ٤: ١٤١. سنن أبي داود ٢: ١٧٩. سنن ابن ماجة ٢٣، ٢٣٦. وقد احصى لـه بسيوني زغلول في موسوعة أطراف الحديث ٤٧ طريقاً.

(٥) مجمع الزوائد ١: ١٣٩. الجامع الصغير ١: ٤٠٤، ح٢٦٤٧.

وقولـه ﷺ: حدثوا عني بما تسمعون[١].

كما أكد كثيراً على لزوم صيانتها من افتراء أو كذب في قول أو عمل فقال ﷺ: إن كذباً عليَّ ليس ككذب على غيري. من كذب علي بني لـه بيت في النار[٢].

وقولـه المشهور: من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار. (متفق عليه).

وفي حديث عن رافع بن خديج قال: مر علينا رسول الله ﷺ يوماً ونحن نتحدث فقال: ما تحدثون؟ فقلنا ما سمعنا منك يا رسول الله. قال: تحدثوا وليتبوأ مقعده من جهنم، ومضى لحاجته وسكت القوم فقال ﷺ: ما شأنهم لا يتحدثون؟ قالوا: الذي سمعناه منك يا رسول الله. قال: إني لم أرد ذلك إنما أردت من تعمد ذلك، فتحدثنا، قال: قلت: يا رسول الله أنا نسمع منك أشياء أفنكتبها؟ قال: اكتبوا ولا حرج [٣].

وقد تنبأ ﷺ بما سيحدث من بعده فحدث أمته في قولـه المشهور فقال: يوشك الرجل متكئاً على أريكته يحدث بحديث من حديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله تعالى، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه. ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله[٤].

---

(١) مجمع الزوائد ١: ١٤٨. المعجم الكبير ٣: ١٨. الجامع الصغير ١: ٥٧١، ح٣٦٩٢. كنز العمال ١٠: ٢٢٣، ح٢٩١٧٨. فيض القدير ٣: ٣٧٧.

(٢) المحلى ٩: ١١١. سبل السلام ٣: ٢٢٣. تذكرة الحفاظ ١: ٣.

(٣) تقييد العلم: ٧٣. الكامل لابن عدي ١: ٣٦ نقلاً عن منع الحديث: ٢٤. الحد الفاصل: ٣٦٩. انظر: تاريخ ابن عساكر ٦٧: ٢٠٣. أدب الإملاء والاستملاء: ١٠. التعديل والتجريح ١: ٢٠.

(٤) سنن ابن ماجة ١: ٦ـ ٧، ح١٢، ح١٣، وص١٠، ح٢١. سنن أبي داود ٢: ٤٤ـ ٤٥، ح٣٠٥٠ وج ٢، ح٤٦٠٤. السنن الكبرى ٩: ٣٣٣٢. سنن الدارقطني ٤: ١٩١. الكفاية في علم الرواية: ٢٣.

وقد حدث ذلك في عهد أبي بكر كما سيأتي.

وكان عبدالله بن عمرو بن العاص يكتب حديث النبي فقالت لـه قريش أتكتب عن رسول الله ﷺ كل ما تسمع وإنما هو بشر يغضب كما يغضب البشر فذكر ذلك النبي فقال لـه ﷺ وهو يشير إلى شفتيه الشريفتين: ((أكتب فو الذي نفسي بيده ما يخرج مما بينهما إلاّ حق))[١].

وقوله ﷺ: الناس لكم تبع، وسيأتيكم أقوام من أقطار الأرض يتفقهون فإذا أتوكم فاستوصوا بهم خيراً وعلموهم مما علمكم الله.[٢].

وشكا إليه صحابي كان يسمع الحديث فلا يحفظه فقال لـه ﷺ: ((استعن بيمينك، وأشار بيده إلى الخط))[٣].

وفي مستدرك الحاكم ١: ٥: وقال (اكتبوا لأبي شاه) وقد طلب أبو شاه أن يكتب لـه خطبته ﷺ بمنى. وأمثال هذا كثير جداً لا مجال لذكره.

وورد عنه قولـه ﷺ في أحاديث: (اكتبوا) كما في سنن الترمذي[٤]

ومثلـه: (قيدوا العلم بالكتاب) كما في مستدرك الحاكم[٥].

⊃

العلل ١: ٩. الأحكام لابن حزم: ١٦١. مسند احمد ٤: ١٣١، وص١٣٢، وج٦: ص٨.

(١) فتح الباري ١: ١٨٥. كنز العمال ١٠: ٢٢٢، ح٢٩١٦٩. المستدرك ١: ١٠٤. مسند احمد ٢: ٢٠٧. سنن الدارمي ١: ١٢٥. سنن أبي داود ٢: ١٢٦.

(٢) كنز العمال ١٠: ٣٠٦، ح٢٩٥٣٤.

(٣) سنن الترمذي ٤: ١٤٦، ح٢٨٠٤. تقييد العلم: ٦٦، ٦٨.

(٤) سنن الترمذي ٤: ١٤٦.

(٥) المستدرك ١: ١٠٦.

والخلاصة: أن تدوين السنة في عهد النبي ﷺ كان أمراً مألوفاً يزاوله بعض من يقدر عليه. وذكر ابن خلدون[1]:

أن الصحابة كلهم لم يكونوا أهل فتيا ولا كان الدين يؤخذ عن جميعهم، وإنما كان ذلك مختصاً بالحاملين للقرآن العارفين بناسخه ومنسوخه، ومتشابهه ومحكمه، وسائر دلالاته، بما تلقوه من النبي ﷺ أو ممن سمعه منهم، ومن عليتهم، وكانوا يسمون لذلك (القراء) لأن العرب كانوا أمة أمية، كما أن الصحابي ليس بوسعه أن يحيط بجميع السنة أي أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته، فمنها ما يغيب عنه فلا يشهده ولا يسمع به بعد ذلك إلا في مناسبة تحدث.

وأيضاً فهم فيما يشهادونه على تفاوت كبير في الحفظ والوعي كما جاء عن البراء بن عازب قال: ما كل الحديث سمعنا من رسول الله ﷺ كان يحدثنا أصحابنا وكنا مشتغلين في رعاية الإبل[2].

وكما جاء عن عمر عن أبي موسى الأشعري أنه لم يعرف مسألة فاعتذر عن جوابها فقال: خفي عليَّ هذا من أمر النبي ﷺ ألهاني الصفق في الأسواق! [3]

كما غاب عن عمر الشيء الكثير من الأحكام والسنن، وذكر له شيخنا الأميني في (الغدير: نوادر الأثر في علم عمر) [4].

(١) تاريخ ابن خلدون ١: ٤٤٦.

(٢) المستدرك ١: ٩٥. التعديل والتجريح ١: ٣٧.

(٣) صحيح البخاري ٨: ١٥٧. صحيح مسلم ٦: ١٧٩. صحيح ابن حبان ١٣: ١٢٣. الأحكام لابن حزم ٢: ٢٤١. وفي الكتاب المصدر انه عير عمر بقوله: وليس لك عمل إلا الصفق بالبقيع نقلاً عن الدر المنثور ٤: ١٧٩. وكنز العمال ٢: ٥٦٨. والغدير ٦: ٣٠٦ وفيه بدل البقيع: البيع.

(٤) الغدير ٦: ٨٣.

وقال ابن حزم: ووجدنا الصاحب من الصحابة ﷺ يبلغه الحديث فيتأول فيه تأويلاً يخرجه به عن ظاهره، ووجدناهم يقرّون ويعترفون بأنهم لم يبلغهم كثير من السنن، وهكذا الحديث المشهور عن أبي هريرة: (أن إخواني من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق). الخ[1].

(١) الأحكام لابن حزم ٢: ١٤٣. مسند أحمد ٢: ٢٤٠. صحيح البخاري ١: ٣٨. وج٣: ص٧٤. وج٨: ص١٥٨. صحيح مسلم ٧: ١٦٦، وص١٦٧. فتح الباري ١٣: ٢٧١. كتاب العلم: ٢٤. السنن الكبرى ٣: ٤٣٩. مسند أبي يعلى ١١: ١٢٢. صحيح ابن حبان ١٦: ١٠٥. تفسير القرطبي ١٣: ٥

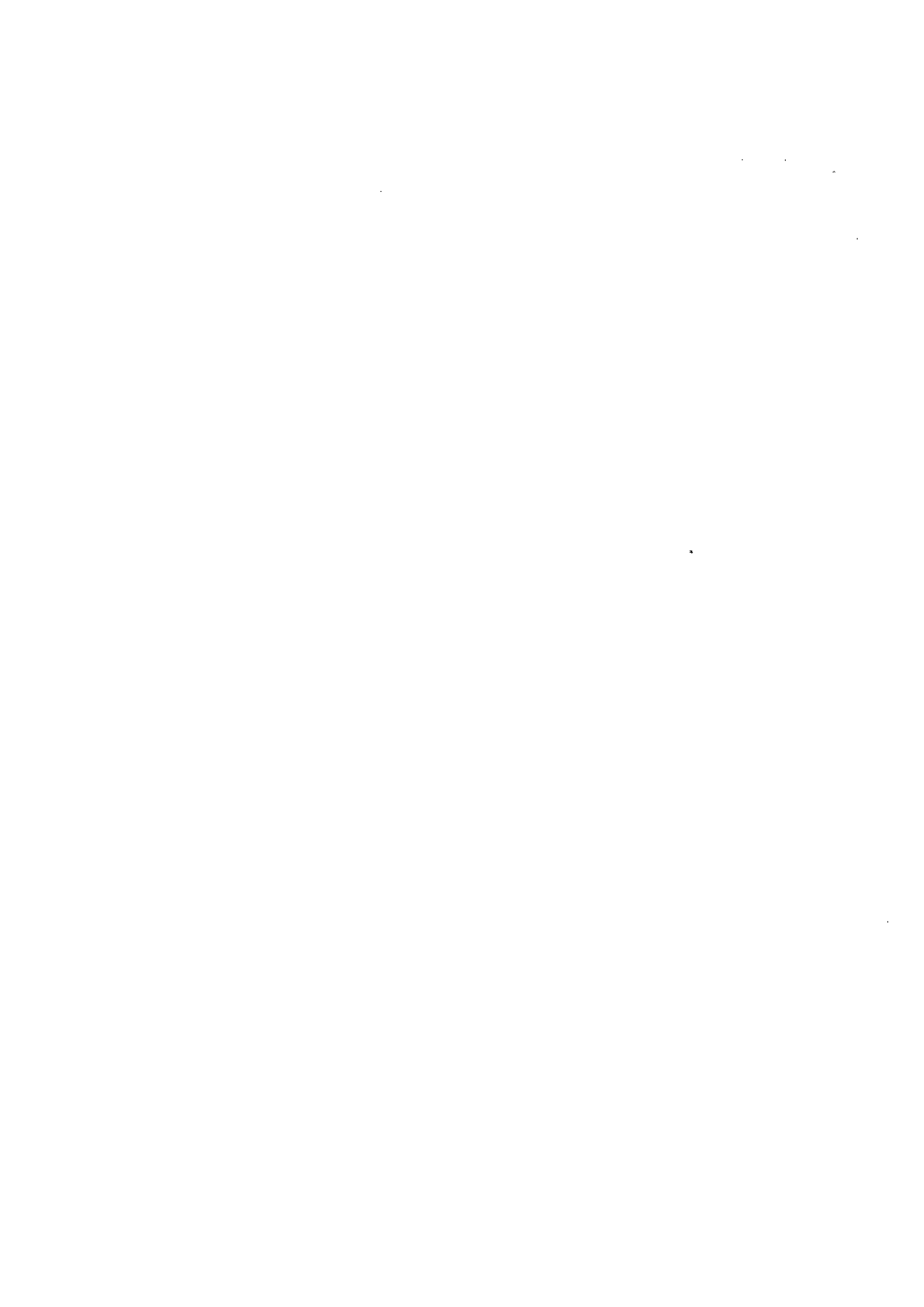




الفصل الثاني

رفضهم لسنة النبي في حياته ﷺ





هذه صورة موجزة لكتابة السنة أو التحدث بها في عهده ﷺ. والأمثلة على ذلك كثيرة، نعرض لواحد منها في آخر لحظات الرسول ﷺ في حالة توديعه الأمة وهو مسجى على فراش الموت.

حديث الدواة وكتابة الكتاب:

لقد دونت هذه القضية أهم مصادر الحديث من الصحاح والمسانيد وغيرها وقد تعرضنا لشطر منها في أحاديث الوصية من كتابنا.

عن صحيح البخاري بعدة طرق ومثلـه صحيح مسلم اختصرها بما يلي:

١ـ عن ابن عباس قال: لما اشتد بالنبيﷺ وجعه قال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده. قال: عمر إن النبيﷺ قد غلبه الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا فاختلفوا وكثر اللغط قال: قوموا عني ولا ينبغي عندي التنازع فخرج ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين كتابه[1].

٢ـ عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتى خضب دمعه الحصباء فقال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه يوم الخميس فقال: ائتوني بكتاب أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً فتنازعوا ولا ينبغي

---

(١) صحيح البخاري ١: ٣٧. الأحكام لابن حزم ٧: ٩٨٤. صحيح مسلم ، وبتر منه قوله: أن الرزية كل الرزية.

عندي تنازع فتقالوا هجر رسول الله ﷺ قال: دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه[١].

٣ـ عن سعيد بن جبير قال: قال ابن عباس: يوم الخميس وما يوم الخميس ثم بكى حتى بلَّ دمعه الحصى قلت يا ابن عباس وما يوم الخميس قال: اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: ائتوني بكتف أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده أبداً فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا: مالـه أهجر استفهموه فقال: ذروني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه[٢].

٤ ـ عن ابن عباس لما حضر رسول الله ﷺ وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال: النبي ﷺ هلم أكتب لكم كتاباً لا تضلوا بعده. فقال: عمر أن النبي ﷺ قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله فاختلف أهل البيت فاختصموا منهم من يقول قربوا يكتب لكم النبي ﷺ كتاباً لن تضلوا بعده ومنهم من يقول: ما قال: عمر فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي ﷺ، قال رسول الله ﷺ قوموا، قال عبيد الله وكان ابن عباس يقول: أن الرزية كل الرزية ـ ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لـهم ذلك الكتاب من اختلافهم ولغطهم[٣].

وفي صحيح مسلم ذكرها بثلاثة طرق احدها عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: يومُ الخميس ما يومُ الخميس، ثم جعل تسيل دموعه حتى رؤيت

(١) صحيح البخاري ٤: ٣١.

(٢) صحيح البخاري ٤: ٦٦، كتاب الجهاد والسير.

(٣) صحيح البخاري ٧: ٩، وج٨: ص١٦١.

على خديه كأنها نظام اللؤلؤ! قال: قال رسول الله ﷺ ايتوني بالكتف والدواة (أو اللوح والدواة) أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً فقالوا: إن رسول الله يهجر[1].

وفي رواية لعمر وصف حالة التشاجر يوم ذاك وأخرجها الطبراني في الأوسط قال: لما مرض النبي ﷺ قال: ائتوني بصحيفة ودواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده أبداً. فقال: النسوة من وراء الستر ألا تسمعون ما يقول رسول الله ﷺ ؟ فقال عمر: فقلت أسكتن إنكن صواحبات يوسف، إذا مرض عصرتنَّ أعينكنَّ، وإذا صح ركبتن عنقه! قال فقال: رسول الله ﷺ: دعوهن فإنهن خير منكم[2].

هذه صورة مختصرة عن حديث الدواة والقلم، وتتضح به شرعية التدوين على عهد رسول الله ﷺ وبطلان رأي من يذهب إلى منعه من قبلـه ﷺ، فالرسالة المحمدية لا يمكن بقاؤها إلا بحفظ السنة وتدوينها وتناقلـها.

وقد اتضح أن نسبة الـهجر إلى رسول الله ﷺ ومنعه من كتابة الكتاب هي من قول عمر بن الخطاب، وإن حاول البخاري تلطيف الكلمة بقولـه قد غلبه الوجع، أو إنه ليهجر استفهموه، فأخرج الكلمة من الخبر إلى الاستفهام خوفاً من فظاعتها وبشاعتها ! ولكن صرح بها مسلم في صحيحه واضحة وغيره من أهل السير.

---

(١) صحيح مسلم ٥: ٧٦.

(٢) المعجم الأوسط ٥: ٢٨٨. وانظر: مجمع الزوائد ٩: ٣٤. كنز العمال ٥: ٦٤٤، ح١٤١٣٣. الطبقات الكبرى ٢: ٢٤٤. نهاية الارب ١٨: ٣٥٧. وصرح في إمتاع الاسماع : ٥٤٦ باسم القائلة وهي زينب بنت جحش وصواحبها.

كما اعتذر عنه بعض المتأخرين بقولـه: إن الرسول ﷺ لم يقصد الجد بقولـه وأراد اختبار القوم، وهو تأويل باهت، إذ من أين عرف ذلك وكأنه كان معهم وعرف أن الرسول ﷺ كان مازحاً بالاختبار، وكأن الحالة ليست حالة احتضار وطلب الوصية للأمة.

ولما شعر بعضهم أن كلمة الـهجر هي الـهذيان والعربدة، وأن عمر نسبها إلى صفوة خلق الله وخاتم أنبيائه وسيد رسلـه ﷺ، تأولـها أو فسرها بغير معناها أو أسقطها من الحديث، وبعضهم حذف اسم عمر ولم يصرح به حتى جاء ابن أبي الحديد قائلاً وهذا الكلام ـ يعني أن الرجل ليهجر ـ وإن كان ظاهره منكر، فلـه عندنا مخرج وتأويل !!

ونظراً للاختصار نحيل على نقضها مفصلاً بما أجاب به سيدنا الشريف المرتضى في كتابه الشافي، وتلميذه زعيم الطائفة الشيخ الطوسي في تلخيص الشافي، وسيدنا شرف الدين في كتابه المراجعات والنص والاجتهاد والسيد علي الشهرستاني في كتابه منع التدوين ومقالـه (السنة بعد الرسول) في تراثنا العدد ٥٣.

ومهما يكن من أمرٍ، فإنها كلمة قاسية وجرأة بالغة، تكاد السماوات تبكي دماً على مقام الرسول الأمين ﷺ ظلامته من أمته، وهو يلفظ أنفاسه الشريفة الأخيرة مؤدياً أمانته، مودعاً سنته عند الأخيار من أهل بيته عليهم السلام، وموصياً بهم: ((إني خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي)).

وكما تبين من موقف عمر الخشن وإصراره على منع النبي ﷺ من الكتابة وإسكاته النسوة بالزجر، وكثرة اللغط الذي دار بين الحاضرين حتى طردهم النبي روحي فداه، وأمرهم بالخروج من بيته، بسبب تلك القسوة التي كسر

بها خاطره الشريف !! إنها والله رزية تثير الدهشة والاستغراب ! كأنهم لم يسمعوا قولـه تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللهَ إِنَّ اللهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ * مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ * وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ﴾[2].

وقولـه تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * وَ مَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلا مَا تُؤْمِنُونَ * وَ لا بِقَوْلِ كَاهِنٍ قَلِيلا مَا تَذَكَّرُونَ * تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[3].

ولا نستبعد ذلك من عمر فقد نقل لنا المؤرخون صوراً متعددة من أسلوب الخليفة، حتى جاء في شرح النهج: انه كان في أخلاق عمر وألفاظه جفاء وعنجهية ظاهره[4]. ثم قال: وإنه كان شديد الغلظة، وعر الجانب، خشن الملمس، دائم العبوس، وكان يعتقد أن ذلك هو الفضيلة وأن خلافه نقص[5].

ولكن هيهات هيهات أن يغيب عن بال عمر ما كان يقصده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في لحظاته الأخيرة من التأكيد بالوصية على أمير المؤمنين عليه السلام، بل عرف ما يريد وأبى ذلك ليتم لـه ما يريد، ولكل امرئ ما نوى !

وقد صرح أبو حامد الغزالي بقولـه: ولما مات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: قبل وفاته ائتوني بدواة وبياض لأزيل عنكم إشكال الأمر وأذكر لكم من المستحق لها

---

(١) الحشر: ٧.

(٢) التكوير: ١٩ ـ ٢٢.

(٣) الحاقة: ٤٠ ـ ٤٣

(٤) شرح نهج البلاغة ١: ١٨٣. مكاتيب الرسول ٣: ٧٢٣.

(٥) شرح نهج البلاغة ٦: ٣٢٧.

(الخلافة) بعدي. قال عمر: دعوا الرجل فإنه يهجر!! [(١)].

وقد صرح الخليفة بعد حين واعترف بذلك في كلام دار بينه وبين ابن عباس في محاورات عديدة قال في واحدة منها: ولقد أراد رسول الله في مرضه أن يصرح باسمه ـ أي باسم علي ـ فمنعته...الخ!! [(٢)].

ومن تدبر واقعة السقيفة وما جرى فيها من أحداث مؤلمة وإرهاصات مؤسفة، وافقنا بالرأي وظهرت لـه أسباب المنع من كتابة الوصية، ومن أجل هذا استمر منع كتابة السنة أو التحدث بها في طيلة خلافة الثلاثة!

ونعرض لذلك بنماذج لكل واحد منهم كما نعرض لفترة عهد الإمام أمير المؤمنين عليه السلام التي أعادت الحياة للسنة النبوية ورفعت الحصار عنها، فتبدد خطر ضياعها ونسيانها، إذ هي أمانة الرسالة عندهم للأجيال القادمة.

نسبتهم النهي عن كتابة السنة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم

ومن الواضح أيضاً أن نسبة النهي إلى الرسول من المكذوبات في تلك الظروف السياسية التي دعت الخلفاء لأن يمنعوا الصحابة من كتابة السنة والتحدث بها، فنسبوا النهي إلى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واختلق البعض الأحاديث المكذوبة عليه ونسبوها عن لسان أبي سعيد، وآزرهم أمثال أبي هريرة وغيره. مثلاً نسبوا إلى أبي سعيد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: لا تكتبوا عني شيئاً إلا القرآن فمن كتب عني شيئاً غير القرآن فليمحه[(٣)].

---

(١) سر العالمين. ط. مصر.

(٢) شرح نهج البلاغة ١٢: ٢١.

(٣) سنن الدارمي ١: ١١٩، المستدرك ١: ١٢٧، الإصابة ١: ٤٦، مسند احمد ٣: ١٢، صحيح مسلم ٨:

وفي رواية أخرى عنه بصيغة الجمع فقال: استأذنّا رسول الله ﷺ فأبى أن يأذن لنا(١).

ونسبوا لزيد بن ثابت أنه قال: إن رسول الله ﷺ أمرنا أن لا نكتب شيئاً من حديثه فمحاه(٢).

وعن أبي هريرة قال: كنا قعوداً نكتب ما نسمع من النبي فخرج علينا فقال: ما هذا تكتبون فقلنا ما نسمع منك. فقال أكتاب مع كتاب الله؟ فقلنا: ما نسمع ، فقال: اكتبوا كتاب الله إمحضوا كتاب الله أكتابٌ مع كتاب الله؟ إمحضوا كتاب الله أو خلصوه. قال: فجمعنا ما كتبنا في صعيد واحد ثم أحرقناه بالنار... الخ. الحديث(٣).

والأحاديث في هذا الخصوص كثيرة لا حاجة لإيرادها ومناقشة أسانيدها.

والسبب في اختلاقها ونسبتها لبعض الصحابة واضح، لكي يعذروهم ومن يسير على هذا النهج في الأجيال القادمة، ويعطوا لفعلهم واجتهاداتهم الشرعية ولو كانت مخالفة للنصوص، ويستحلوا التأويلات المخالفة للظاهر، والعمل بالرأي، والاستحسان أو القياس، إن اقتضى الأمر.

منع تدوين سنة النبي ﷺ في عهد أبي بكر

ذكر الذهبي قال: إن الصديق جمع الناس بعد وفاة نبيهم، فقال: إنكم تحدثون

⊃

٢٢٨. السنن الكبرى ٥: ١٠.

(١) سنن الدارمي ١: ١١٩.

(٢) مكاتيب الرسول ١: ٥٢٨. سنن أبي داود ٢: ١٧٦. جامع بيان العلم ١: ٦٣. تقييد العلم: ٣٥.

(٣) مسند أحمد ٣: ١٢.

الناس عن رسول الله ﷺ أحاديث تختلفون فيها والناس بعدكم أشد اختلافاً فلا تحدثوا عن رسول الله ﷺ شيئاً ! فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله فاستحلوا حلالـه وحرموا حرامه(١).

وذكر أيضاً فقال: قالت عائشة جمع أبي الحديث عن رسول الله ﷺ وكانت خمسمائة حديث فبات ليلته يتقلب كثيراً، قالت فغمني فقلت: اتتقلب لشكوى أو لشيء بلغك؟ فلما أصبح، قال: أي: بنيَّه هلمي الأحاديث التي عندك، فجئته بها فدعا بنار فحرقها ! فقلت: لِمَ أحرقتها ؟ قال: خشيت أن أموت وهي عندي فيكون فيها أحاديث عن رجل قد ائتمنته ووثقت به ولم يكن كما حدثني فأكون قد نقلت ذلك(٢).

ولسائل أن يسأل: ما هو هدف أبي بكر من قرار المنع من الحديث والاكتفاء بالقرآن وحده، وهل من صلاحيات الخليفة أن يوقف السنة؟ وهل أمرَ الرسول ﷺ بترك سننه من بعده للضياع والحرق والإتلاف؟ أو أمر بحفضها وتبليغها للأجيال القادمة؟ وهو خاتم الأنبياء، وسننه خاتمة السنن إلى يوم القيامة ؟!

ومن نظر بتأمل لحديث أبي بكر الذي تعلل به وجعلـه السبب في المنع يكشف لنا أنه من التنبؤ الصريح للصادق الأمين الذي لا ينطق عن الـهوى، وأخبر به قبل وقوعه وحذر منه الأمة في قولـه ﷺ: يوشك الرجل متكئاً على أريكته يحدث بحديث من حديثي فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله تعالى، فما وجدنا

---

(١) تذكرة الحفاظ ١: ٢.

(٢) تذكرة الحفاظ ١: ٥.

فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه. ألا وإن ما حرم رسول الله مثل ما حرم الله. وقد تقدم.

منع تدوين سنة النبي ﷺ في عهد عمر:

واستمر الحال في منع تدوين السنة في عهد عمر، وأضاف الحبس والتهديد بالطرد، وذكر الدكتور طه حسين أن عمر كان يشتد على من أكثر الحديث عن النبي ﷺ وربما ضربهم بدرته كما فعل مع أبي هريرة وأنذره بالنفي عن المدينة إلى قومه في اليمن إن عاد إلى الحديث[١].

وروي أن عمر في بادئ الأمر أراد أن يكتب السنن فاستفتى أصحاب النبي ﷺ في ذلك فأشاروا عليه بأن يكتبها، ثم بدا أن لا يكتبها ثم بعث إلى الأمصار من كان عنده شيء فليمحه[٢].

وفي حديث لمالك بن أنس أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب هذه الأحاديث أو كتبها ثم قال: لا كتاب مع كتاب الله[٣].

غير أن بعض الصحابة لم يستجب للأمر واستمر متخفياً بتدوين الحديث والسنن بما سمعوه من النبي ﷺ رغم التهديد والحبس، فبلغ عمر أخبارهم فقام فيهم خطيباً، فقال: (إنه قد بلغني إذا قد ظهر في أيديكم كتب فأحبها إلى الله أعدلها وأقومها فلا يبقين أحد عنده كتاباً إلاّ أتاني به فأرى فيه رأي. فظنوا أنه

---

(١) أضواء على السنة المحمدية: ١١.
(٢) كنز العمال ١٠: ٢٩٢، ح٢٩٤٧٦. جامع بيان العلم ١: ٧٨. مكاتيب الرسول ١: ٤٨٦.
(٣) النص والاجتهاد: ١٤٠، مكاتيب الرسول ١: ٤٨٦، كنز العمال ١٠: ٢٩٢، ح٢٩٤٧٥.

يريد أن ينظر فيها ويقومها على أمر لا يكون فيه اختلاف فأتوه بها فأحرقها بالنار)[١].

وروي عن قرظة بن كعب أنه قال: لما سيرنا عمر إلى العراق مشى معنا عمر إلى صرار، ثم قال: أتدرون لِمَ شيعتكم؟ قلنا أردت أن تشيعنا وتكرمنا، قال: إن مع ذلك لحاجة، إنكم تأتون أهل قرية لـهم دوي بالقرآن كدوي النحل. فلا تصدونهم بالأحاديث عن رسول الله وأنا شريككم، قال قرضة: فما حدثت بعده عن رسول الله.

وفي رواية أخرى فلما قدم قرضة قالوا: حدِثنا، فقال: نهانا عمر[٢]. وهناك جماعة من الصحابة أمثال قرضة امتنعوا عن نشر السنة أو التحدث بها تمشياً لأوامر السلطة[٣].

وذكر الذهبي أن عمر حبس ثلاثة من الصحابة: ابن مسعود، وأبا الدرداء وأبا مسعود الأنصاري، فقال: قد أكثرتم الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم[٤].

كما ذكروا لثلاثة غيرهم وهم أبو ذر وعبد الله بن حذيفة وعقبة بن عامر[٥]

---

(١) الطبقات الكبرى ٥: ١٨٨. تقييد العلم ١: ٧٨. سير أعلام النبلاء ٥: ٥٩.

(٢) الرسائل ١: ١١. وأخرجها ابن عبد البر بثلاث أسانيد في جامع بيان العلم ٢: ١٤٧. والخطيب البغدادي في شرف أصحاب الحديث: ٨٨. وتذكرة الحفاظ ١: ٤، ٥.

(٣) سنن الدارمي ١: ٨٤.

(٤) تذكرة الحفاظ ١: ٧.

(٥) كتاب المجروحين ١: ٣٥.

كما منع أبا هريرة[١] وأبا موسى الأشعري[٢].

وجاء عن أبي ذر أنه كان جالساً عند الجمرة الوسطى وقد اجتمع الناس يستفتونه فأتاه رجل[٣] فوقف عليه ثم قال: ألم تنه عن الفتيا؟ فرفع رأسه إليه فقال: أرقيب أنت عليَّ لو وضعتم الصمصامة على هذه ـ وأشار إلى قفاه ـ ثم ظننت أني أنفذ كلمة سمعتها من رسول الله[٤] قبل أن تجيزوا علي لأنفذتها[٥].

وذكر الشهرستاني في (منع الحديث) أن الخليفة ترك أبا هريرة صاحب آل ٥٣٧٤ حديثاً مطلق العنان دون حبس ولا ضرب ولا تعزير، بل اكتفى بتهديده وإبعاده، ثم جوز لـه التحديث دون غيره.. الخ.

٢ ـ وأخرج الحاكم في المستدرك، عن سعد بن إبراهيم عن أبيه: أن عمر بن الخطاب قال لأبي مسعود ولأبي الدرداء ولأبي ذر: ما هذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحسبه حبسهم بالمدينة حتى أصيب[٦].

وأحاديث النهي عن الكتابة أو التحدث بالسنة كثيرة لا مجال لذكرها، وما يظهر الباحث من الأحاديث السابقة للخليفتين أن الأصل الإباحة في التدوين

(١) المحدث الفاضل: ٥٥٤. البداية والنهاية ٨: ١٠٦.
(٢) البداية والنهاية ٨: ١٠٧. مستدرك الحاكم ١: ١٢٥.
(٣) قيل انه: مروان.
(٤) صحيح البخاري ١: ٢٥. ومثلـه الطبقات الكبرى ٢: ٣٥٤. تاريخ ابن عساكر ٦٦: ١٩٤. سير أعلام النبلاء ٢: ٦٤.
(٥) سنن الدارمي ١: ١٣٧. فتح الباري ١: ١٤٨.
(٦) المستدرك ١: ١١٠.

وأحاديث النهي التي تقدمت ونسبت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم عن لسان بعض الصحابة مختلقة عليه صلى الله عليه وآله وسلم ومخالفة للأحاديث الصحيحة الأمر بالتدوين ومعارضته لـها فليس لـها أي اعتبار لا سنة ولا دلالة، ولا تضاهيها في الكثرة والصحة.

كما أن في حديث أبي بكر الذي جمع فيه خمسمائة حديث وتدوينه في كتاب، دليلاً على أنه لم يعرف في الأصل إلا الإباحة، وإلا كيف ساغ لـه جمعها؟! وأنه أحرقها لا لورود نهي في الأصل وإنما تعلل لخشية الوهم فيها.

وكذا الحال في حديث عمر لما أراد أن يكتب السنن، فاستفتى أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك فأشاروا عليه بأن يكتبها، ثم بدا لـه أن لا يكتبها...

فهذا كافٍ في إثبات عدم ورود نهي عن تدوين السنة، وإلا لما همَّ عمر بكتابتها واستشار الصحابة فأجمعوا على كتابتها ! فهذا رأي ارتأه عمر ولم ينسبوه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم أو أنه اجتهاد منه وأن كان مخالفاً للنصوص الصريحة وما أكثر تلك الاجتهادات من الخليفة عمر الذي اشتهر بها وعرفت عنه وتعرض لذكرها سيدنا شرف الدين في كتابه النص والاجتهاد، والشيخ الأميني في الغدير وغيرهما.

ويقول خالد محمد خالد في كتابه (الديموقراطية):

(ترك عمر بن الخطاب النصوص الدينية المقدمة من القرآن والسنة عند ما دعته المصلحة لذلك)[١].

ويقول الأستاذ خالد محمد خالد: تعرض لـه ـ يعني عمر ـ قضية يفتي وبعد حين تعرض لـه قضية مماثلة لتلك فيفتي فيها فتوى مغايرة فإذا سأل عن سر هذا

(١) الديموقراطية: ١٥٥، نقلاً عن منع الحديث: ١٥٣.

التفاوت قال: ذاك على ما قضينا وهذا على ما نقضي[١].

وفي مسائل أخرى قالها بلفظ تلك ما قضينا يؤمئذ وهذه على ما قضينا الآن، نقل عن سنن الدارمي، وسنن الدارقطني[٢] واللفظ لـه وسنن البيهقي[٣] ج٦: ص٢٥٥ وج١٠، ص١٢٠.

وعن سعيد بن المسيب قال ان عمر سأل النبي ﷺ كيف قسم الجد فقال ﷺ ما سؤلك عن ذلك يا عمر اني اضنك تموت قبل ان تعلم ذلك فمات قبل ان يعلم ذلك . نقل عن الطبراني في الأوسط ج٤، ص٢٩٥ ومجمع الزوائد ج٤، ٢٢٧ وكنز العمال ج١١، ٥٨ نقل منع التدوين ص٢١٥.

وعن عبيد السلمان: لقد حفظت لعمر بن الخطاب في الحد مائة قضية مختلفة[٤].

وقال ابن أبي الحديد: كان (عمر) مجتهداً يعمل بالقياس والاستحسان والمصالح المرسلة ويرى تخصيص عمومات النص بالآراء وبالاستنباط من أصول تقتضي خلاف ما يقتضيه عموم النص، ويكيد خصمه ويأمر أمراءه بالكيد والحيلة، ويؤدب بالدرة والسوط من يتغلب على ظنه أنه يستوجب ذلك، ويصفح عن آخرين قد اجترموا ما يستحقون به التأديب، كل ذلك بقوة اجتهاده وما

---

(١) بين يدي عمر: ١٣٤.

(٢) سنن الدارمي ١: ١٦٢. سنن الدار قطني ٤: ٨٨.

(٣) سنن البيهقي ٦: ٢٥٥، وج١٠: ١٢٠.

(٤) المصنف ٧: ٣٦٢. موسوعة عمر بن الخطاب: ٥٣. وسنن البيهقي ٦: ٢٤٥. فتح الباري ٢: ٢١. شرح الزرقاني ٣: ١٤٢.

يؤدي إليه نظره[١].

وقال أيضاً: وكان عمر يفتي كثيراً بالحكم ثم ينقضه ويفتي بضده وخلافه[٢].

وحدث حفص بن عمر قال: كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا كثر عليه الخصوم صرفهم إلى زيد بن ثابت فلقي رجلاً ممن صرفه إلى زيد فقال: له ما صنعت فقال: قضى عليٌ يا أمير المؤمنين، فقال: لو كنت أنا لقضيت لك قال: فما يمنعك وأنت أولى بالأمر.

قال: لو كنت أردك إلى كتاب الله أو سنة نبيه فعلت ولكني أنا أردك إلى رأي والرأي مشير[٣].

ومما يثير الاستغراب أن العلة التي تمسكوا بها من منع التدوين أو رواية الحديث خشية أن يشغلهم ذلك عن القرآن كما انشغل أهل الكتاب بكتب أخبارهم عن كتاب ربهم[٤].

وفي نفس الوقت نجد الأوامر تصدر عنه بخلاف ذلك فمثلاً يكتب عمر بن الخطاب إلى أبي موسى الأشعري عامله على البصرة (أن مر من قبلك بتعليم العربية فإنها تدل على صواب الكلام، ومرهم برواية الشعر فإنه يدل على معالي

(١) شرح نهج البلاغة ١٠: ٢١٣.

(٢) شرح نهج البلاغة ١: ١٨١. السنن الكبرى ٤: ٧٢.

(٣) تاريخ المدينة (النميري) ٢: ٦٩٣. وفي قضية ثانية وقد نص فيها أمير المؤمنين فأجاب بنفس الجواب.

(٤) سنن الدارمي ١: ٤٧٥. تقييد العلم: ٣٥. جامع بيان العلم: ١٧٩. أصول الحديث: ١٥٤ ـ ١٥٨. علوم الحديث ومصطلحه: ٣٠.

الأخلاق)[١].

فما أدري أن الحديث النبوي لا يدل على صواب فهم القرآن ومعرفة الأحكام والسنن ومعالي الأخلاق، وأيهما أشغل للناس عن القرآن ومعرفته رواية الحديث أم رواية الشعر؟.

ثم أن العلة التي احتج بها المانعون من تدوين الحديث وهي ـ خشية أن يشغلـهم عن القرآن ـ باطلة؛ فنحن نعلم جيداً أن فهم القرآن متوقف على السنة، فلا يمكن معرفة الأحكام في القرآن الكريم إلا بالسنة لقولـه تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[٢] فحجية السنة النبوية من ضروريات الدين بلا أدنى نزاع بين المسلمين بل هي بديهة لا تخفى، والقرآن الكريم يثبت حجية السنة ويلزم حفظها واتباعها. ولعل هذا من الواضحات أن السنة تدعو إلى القرآن ثم ان السنة تدعو إلى القران باتباع أمره ونهيه وتحذر من تركه ومخالفته ـ وهذا واضح ـ فليست بشاغلة عن القرآن ولا لقارئ القرآن عنها غنى.

وقد ورد عن الصحابي عمران بن حصين انه كان جالساً ذات يوم ومعه أصحابه فقال لـه رجل: لا تحدثونا إلا بالقرآن، فقال عمر: أدنه فدنا منه، فقال لـه: أرأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن أكنت تجد فيه صلاة الظهر أربعاً وصلاة العصر أربعا والمغرب ثلاثاً تقرأ في اثنتين. أرأيت لو وكلت أنت وأصحابك إلى القرآن أكنت تجد الطواف سبعاً والطواف بالصفا والمروة، ثم قال: أي قوم

---

(١) كنز العمال ١٠: ٣٠٠، ح ٢٩٥١٠.

(٢) النحل: ٤٤.

خذوا عنّا فإنكم والله أن لا تفعلوا لتضلن [١].

وقد ورد عن التابعي أيوب السختياني انه كان يقول: (إذا حدثت الرجل بالسنة فقال: دعنا من هذا وحدثنا من القرآن فاعلم أنه ضال مضل) [٢].

والنتيجة: أن هذه الأمور تثير استفهامات عديدة، أهو مجرد تناقض بين قولين، أو اجتهادات جديدة، أو تضارب صريح يخفي ورائه أهدافاً، أو أن الحكام كانوا يريدون إباحة التدوين لأنفسهم دون غيرهم، أي يريدون تثبيت ما يرتضونه وترك ما لا يرتضونه لتثبيت سلطتهم، كما مر عن عمر بن الخطاب عندما صد النبي ﷺ عن الكتاب واعترف بالسبب أخيراً كما تقدم أو التعتيم على السنة التي خصصت علياً بالوصية والولاية بعد رسول الله وفضائله الكثيرة التي رفعت منزلته عن كل الصحابة.

منع تدوين سنة النبي ﷺ في عهد عثمان:

لقد أقر عثمان سيرة من قبله حيث قال: على المنبر لا يحل لأحد يروي حديث لم يسمع به في عهد أبي بكر وعمر [٣].

فلم يحرق من كتب الحديث ولا تتبع كتابه ورواته حتى وجد أبو هريرة وكعب الأحبار وأضرابهم في عهده خاصة ما لم يحلما ببعضه في عهد عمر وكان

---

(١) الكفاية في علم الرواية: ٣٠ ـ ٣١. جامع بيان العلم: ٤٢٩ باختصار، وذكر حديث عمران بن حصين صاحب منع الحديث: ٢٣، نقلاً عن البخاري ٧: ١٥٧.

(٢) الكفاية في علم الرواية: ٣١. الطبقات الكبرى ٧: ١٨٤، وفيها عن أبي قلابة.

(٣) الطبقات الكبرى ٢: ٣٣٦، وعنه في السنة قبل التدوين: ٩٧. تاريخ ابن عساكر ٣٩: ١٨٠.

هذا في النصف الأول من خلافته، وفي النصف الثاني اختل النظام وقويت المعارضة لـه، وزادت الفتن من أمثال أم المؤمنين عائشة وطلحة والزبير وعمرو بن العاص، وغيرهم من الصحابة والتابعين، والتفت عليه بنو أبيه من الأمويين، وانشغلوا بجمع الثروات وتعاطى الملذات فلم يبق محظوراً لمن أراد رواية سنة الرسول ﷺ من الصحابة، ورووا الشيء الكثير فيما يروق لـهم تقرباً للسلطة وتثبيتاً لـه، فظهر الاختلاق جلياً والتناقض بينهم فيما يرويه كل واحد حسب هواه.

عمل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لتدوين السنة وتعميمها:

الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام هو أول حاكم يدعو إلى كتابة السنة، ويحث الكتّاب أن يكتبوا ما يحدثهم به ويمليه، وينشر لـهم الأحاديث النبوية التي كانت ممنوعة طيلة ربع قرن.

وفي نفس الوقت يسد الأبواب على الكذابين والمشبوهين، فلا يجدون تحت سلطانه متنفساً فأما أن يستقيموا ويسكتوا، وإن ضاق عليهم فيفرون إلى الشام حيث معاوية المساند على ما تعودوا عليه، ويشتري منهم دينهم بما يطمعون به من دنياه، وسنعرض لبعضهم في ذكر معاوية.

وقد عرف منهج الإمام عليه السلام في التعامل مع السنة رواية وتدويناً حيث كانت عنده في المكان الذي وضعها الله ورسولـه ﷺ فهي حاكمة غير محكومة لا تنسخها مصلحة أينما كانت والمصلحة كل المصلحة تحكيمها واتباعها وانها متبوعة غير تابعة لاجتهاد أو قياس.

وهاهو يشرحها لنا ببليغ قولـه عليه السلام فيقول: **...وخلف نبيكم فيكم ما خلفتْ الأنبياء في أممها، إذ لم يتركوهم هملاً بغير طريق واضح ولا علم قائم، كتاب ربكم**

فيكم مبيناً حلاله وحرامه، وفرائضه وفضائله، وناسخه ومنسوخه ورخصه وعزائمه، وخاصه وعامه، وعبره وأمثاله ومرسله ومحدوده ومحكمه ومتشابهه مفسراً مجمله ومبيناً غوامضه بين مأخوذ ميثاق علمه وموسع على العباد في جهله. وبين مثبت في الكتاب فرضه، ومعلوم في السنة نسخه، وواجب في السنة أخذه، ومرخص في الكتاب تركه، وبين واجب بوقته وزائل في مستقبله ومباين بين محارمه، من كبير أوعد عليه نيرانه، أو صغير أرصد له غفرانه. وبين مقبول في أدناه موسع في أقصاه[١].

وكان يؤكد على السنة ويأمر أصحابه بتدارس الحديث فكان يوصيهم بقوله: تزاوروا وتدارسوا الحديث ولا تتركوه يدرس[٢].

وخطب الناس مرة فقال: قيدوا العلم قيدوا العلم مرتين [٣] اكتبوه واحفظوه لئلا يدرس. وقال: أيضاً (من يشتري مني علماً بدرهم) ؟! قال: أبو خثيمة: يعني يشتري صحيفة بدرهم يكتب فيها العلم. فاشترى الحارث صحفاً بدرهم ثم جاء بها علياً عليه السلام فكتب له علماً كثيراً [٤] وكان يكتب الحديث ويأمر بكتابته أيضاً [٥].

وله عليه السلام خطب عديدة ورسائل في حفظ السنة لا مجال لذكرها.

---

(١) نهج البلاغة ١: ٢٦. بحار الأنوار ٨٩: ٣٣.

(٢) كنز العمال ١٠: ٣٠٤، ح٢٩٥٢٢.

(٣) مكاتيب الرسول ١: ٣٧٧. كتاب العلم: ٣٤.

(٤) الطبقات الكبرى ٦: ١٦٨. تقييد العلم: ٨٩.

(٥) سير أعلام النبلاء ٣: ٣٥٤.

وذكر لـه صائب عبد الحميد جماعة من الكتاب وعدهم في مقالة (تاريخ السنة النبوية) في مجلـة تراثنا عدد ٤٥.

كما أنه كان عليه السلام كاتباً للحديث بين يدي النبي وقد اشتهر عنه (صحيفة علي) التي كتبها من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكان يحملـها معه في قائم سيفه، وذكرها البخاري ومسلم وأصحاب السنن بطرق شتى[١]، فلم تكن هي كل ما كتبه علي من حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل كان لـه صحف أخرى غير هذه، وكان لـه كتاب كبير ليس فيه إلا أحاديث الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعرف بـ(كتاب علي) هو غير تلك الصحيفة التي اختلفوا في حجمها [٢].

والصحيفة هذه مشهورة وأنبائها لا تكاد تخلو منها واحدة من كتب الحديث والسنن ونقلوا منها نصوصاً متفرقة بعضها أشبه بعناوين لما تحويه وبعضها فيه تفصيل. وقد جمع ابن حجر كثيراً مما نقل عن تلك الصحيفة وقال: الجمع بين هذه الأحاديث أن الصحيفة كانت واحدة وكان جميع ذلك مكتوباً فيها ونقل كل واحد من الرواة عنه ما حفظه [٣].

وجمع الدكتور رفعت فوزي ما نقل عن هذه الصحيفة في كتب الحديث السنية في كتاب أسماه: صحيفة علي بن أبي طالب عن رسول الله ـ دراسة توثيقية فقهية ـ وطبع هذا الكتاب سنة ١٤٠٦ هـ

---

(١) صحيح البخاري باب كتابة العلم، سنن ابن ماجة ٢: ٨٨٧، ح٢٦٥٨.

(٢) السنة النبوية / صائب عبد الحميد: مجلة تراثنا، العدد: ٥٢.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري١: ١٦٦. إرشاد الساري ١: ٣٥٨. سنن ابن ماجة ٢: ٨٨٧، ح٢٦٥٨.

وأصبح كتاب علي علماً يتكرر في أحاديث أهل البيت: كتاب كبير يحتفظون به ويتوارثونه ونقل أن الصحيفة التي كانت في قائم سيف النبي ﷺ.

فيها بعض السنن ثم صارت عند علي عليه السلام. وذكرها البخاري وغيره كما تقدم. وأخبر أحمد بن حنبل أن كتاباً كهذا كان عند الحسن بن علي عليه السلام يرجع إليه [1] وسيأتي عن توارث أئمة أهل البيت: علوم جدهم ﷺ عند ذكر الإمام الصادق عليه السلام في هذه المقدمة.

القصاصون في عهد الإمام علي عليه السلام:

لما كانت هذه الحرفة تستدرج أصحابها أحيانًا نحو الكذب والسخرية والأساطير فكانت ممنوعة في الإسلام وأول ما ظهرت في عهد عمر بن الخطاب حين أصدر مرسوماً لتميم الداري بالجلوس في المسجد للقصة فكان تميم أول قاص مأذون في الإسلام، وهو رجل نصراني صاحب قصة (الجساسة)[2] وتميم هذا هو الذي ابتدأ فاستأذن عمر أن يقص فأذن لـه بعد أن رده أولاً إذ كان عمر يمنع من القصص ويكذب محترفيها حتى أقنعه [3] فكان يقوم في المسجد كل جمعة، فلما جاء عثمان طلب منه أن يزيده لأن موقفاً واحداً في الأسبوع لا يكفيه ! فزاده عثمان يوماً !

وفي تلك الفترة كان خيار الصحابة وأولي السابقة والجهاد يمنعون من

---

(١) كتاب العلل ومعرفة الرجال ١: ٣٤٦، والجامع في العلل ١: ٣٧.

(٢) صحيح مسلم٨: ٢٠٤. مسند أحمد ٦: ٣٧٣.

(٣) انظر ترجمته في الاستيعاب، وأسد الغابة، والإصابة، وسير أعلام النبلاء.

التحدث بحديث سيد المرسلين ﷺ ومواعظه وحكمه ويحبس البعض منهم.

وقد ثبت أن القصّ قد انتشر أواخر عهد عثمان وبرز قصاصون يقصون في المساجد حتى طردهم الإمام علي عليه السلام كما أثبته المروزي (١)

كما اثبت ذلك بوضوح محمد أبو زهرة (٢) فقال: ظهر القصص في عهد عثمان رضي الله عنه وكرهه الإمام علي عليه السلام حتى أخرج القصاصين من المسجد لما كانوا يضعون في أذهان الناس من خرافات وأساطير بعضها مأخوذ من الديانات السابقة، بعد أن دخلها التحريف وعراها التغيير.

وسيأتي الحديث عن نشر السنة والتحدث بها في عهد الإمام علي عليه السلام عند ذكر الآيات الكريمة: ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾(٣) ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾(٤)، ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا...﴾(٥).

منع تدوين السنة في عهد معاوية:

كان معاوية أيضاً ممن يمنع من حديث رسول الله ﷺ هو وأمراؤه كما يظهر مما أخرجه الحاكم (٦) من قول عبد الله بن عمرو بن العاص لما قال: لـه نوف أنت أحق بالحديث مني أنت صاحب رسول الله ﷺ إن هؤلاء قد منعونا

---

(١) كنز العمال ١٠: ٢٨١، ح ٢٩٤٤٩، ومثله الغزالي في كيف نتعامل مع القرآن: ٦٧.

(٢) المذاهب الإسلامية: ٢.

(٣) الحاقة: ١٢.

(٤) الرعد: ٤٣.

(٥) فاطر: ٣٢.

(٦) الحاكم في المستدرك ٤: ٤٨٦.

عن الحديث يعني الأمراء.

وجاء في حديث أن معاوية أرسل إلى عبد الله بن عمر، فقال: لئن بلغني أنك تحدث لأضربن عنقك [(١)].

كما منع من ذي قبل الصحابي الجليل أبا ذر الغفاري، وأخرجه من الشام في قصة مشهورة وتناقلها عامة المؤرخين ومثله عن أبي الدرداء وقوله المشهور والله لا أساكنك بأرض أنت فيها أقول: قال رسول الله ﷺ، فتقولون: قال معاوية[(٢)].

وقوله فيما أخرجه أحمد [(٣)] من طريق عبد الله بن عامر، قال: سمعت معاوية يحدث وهو يقول: إياكم وأحاديث رسول الله إلاّ حديثاً كان على عهد عمر!

ونرى معاوية في نفس الوقت الذي يمنع فيه التحديث عن رسول الله ﷺ يفسح المجال لأبي هريرة وسمرة وعروة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة وأضرابهم باختلاق الأحاديث عن رسول الله ﷺ ورواية أخبار قبيحة في علي تقتضي الطعن فيه والبراءة منه وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله فاختلقوا له ما أرضاه... [(٤)].

ولم يبالي بجريمة الكذب على الله ورسوله، كما أنه لم يتورع عن ارتكاب

---

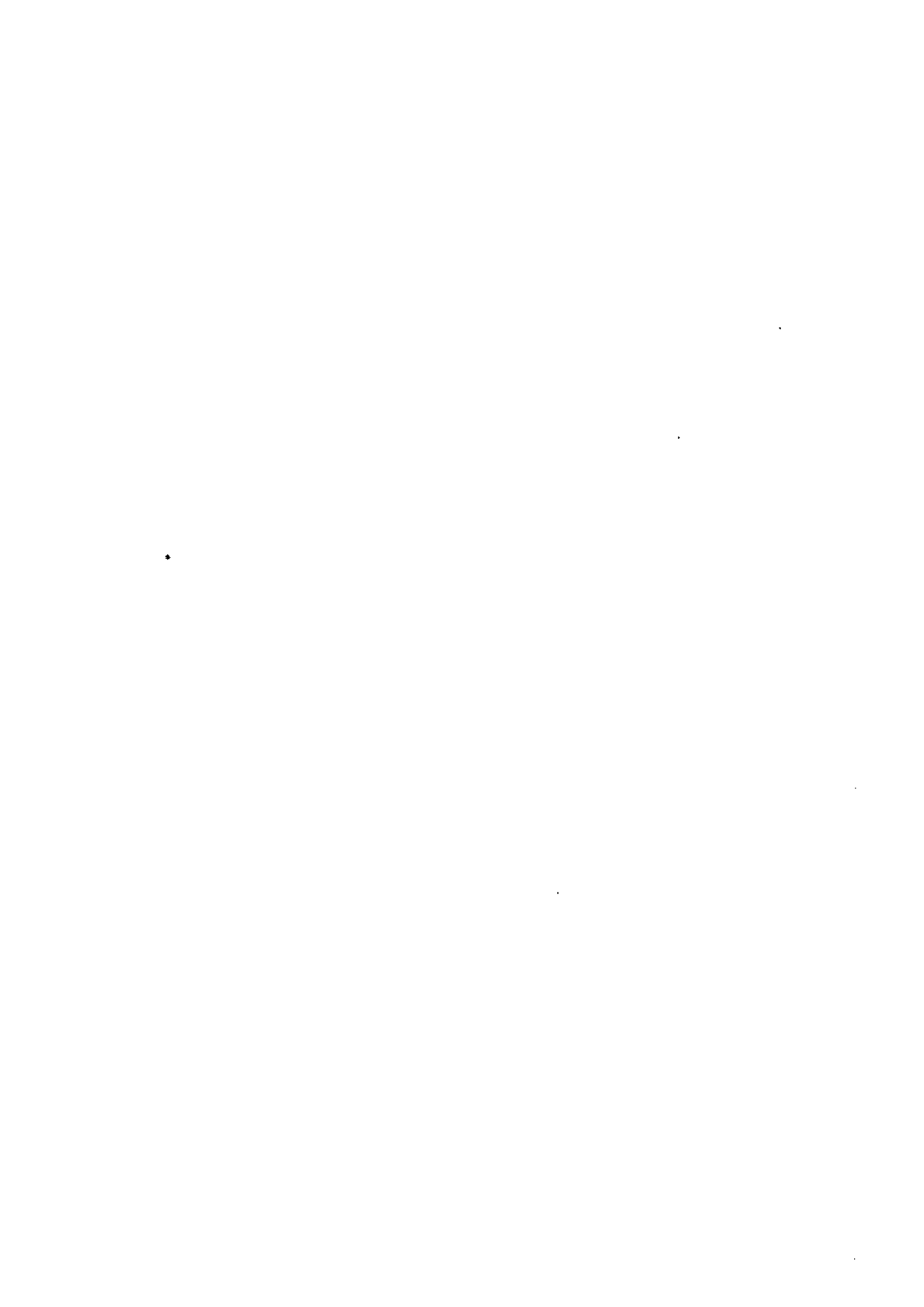
(١) كتاب صفين: ٢٢٠. الغدير ١٠: ٣٥٢.

(٢) موطأ مالك ٢: ٦٣٤. سنن البيهقي ٥: ٢٨٠.

(٣) مسند أحمد ٤: ٩٩.

(٤) تفصيله في شرح النهج ١: ٣٥٨.

جرائم بخيار الصحابة وكبار المسلمين وعلى الظنة والتهمة يسلب الأموال ويهتك الأعراض ويسبي النساء ويهدم الدور ويلقي الجثث في الطرقات والقتل حتى في المساجد وغيرها الكثير من الجرائم والموبقات التي لا أستطيع تفصيلها وليس لي من الوقت ما يتسع لنشر تلك الصحائف السود وذكر الفظائع المؤلمة، وقد سجلها التاريخ عليه ومضى مثقلاً بأوزاره ولابد من عرض يسير لتحليل نفسيته بعض الشيء وما يهمنا بقدر ما يتعلق بتغييره لأحكام الله والتلاعب بسنة رسول الله ﷺ وتحريف فضائل أمير المؤمنين ﷺ ومناقبه وأبدلها بشتمه ولعنه على المنابر، وقتل شيعته ومحبيه وإخفاء ذكره.





الفصل الثالث

أضواء على العهد الأموي





قادة المشركين يتسلطون على الأمة الإسلامية:

لابد هنا من وقفة قصيرة لنتعرف على نفسية معاوية وحقده وحسده على البيت الـهاشمي ابتداء بالرسول ﷺ ورسالته، وانتهاء بعلي وأبنائه وشيعته ومحبيه، ولا يسع المجال لتفصيل ما جرى في العهد السفياني والمرواني من الشجرة الملعونة.

وباختصار إن معاوية ما كان يحلم يوماً مابتلك العظمة ويتسنم عرش الخلافة الإسلامية لقد كان صعلوكاً ذليلاً تحت عزة الإسلام ووسم هو وأبوه وحزبهم من أبناء عمومته بالطلقاء ودخلوا فيه وقلوبهم مملوءة بالحقد على الإسلام ويتربصون الفرص لمحو سطوره وقلع جذروه، ولم تتغير نفسياتهم بعد دخولـهم في الإسلام. فليس بمستغرب من معاوية تلك المقابلة التي قابل بها علياً لأنه وريث ذلك العداء المتأصل بين بني هاشم وبني أمية فتلك عداوة جوهرية ذاتية يصعب تحويلـها وتناسيها، إذ لم تكن وليدة يوم أو صدفة، وإنما كان عناداً وحقداً وزاده منذ فرق بينهما الإسلام ويوم كان أبوه قائداً لجيش الكفرة ويشن الغارة تلو الغارة على جيوش المسلمين وهمه القضاء على الرسالة التي جاء بها محمد ﷺ وجاء تفصيل ذلك من عامة المؤرخين وأصحاب السير ولم ينس أيام علي وبطولته في تلك المواقف إذ قتل في يوم واحد أخوه وجده وخالـه وأبناء

عمومته بسيف علي وبعد دخولـه في الإسلام خوفا لم يستطع أن يتفوه ببنت شفه لأنهم كفره وبقيادة الرسول وليس من الـهين السكوت عليه ثم صار يرى علياً خليفة للمسلمين وأمير المؤمنين وتجتمع الأمة على بيعته ويعزل الطغاة من ولاة وقضاة في أكثر المدن من الذين لا يطمئن بدينهم ولا يثق بنزاهتهم وعدلـهم ومعاوية حتما سيكون منهم بل أولهم.

كما أنه لا يجهل مكانه علي عليه السلام ومنزلته في الإسلام وهو أول القوم إسلاماً وأقدمهم إيماناً وأفضلـهم بعد الرسول وأقربهم منه كما يعلم جيداً أن علياً قد طبعت نفسه على العدل والمساوات بين الأمة ولا تأخذه في الله لومة لائم فلا يستطيع معاوية أن يعمل في عهده ويرضخ للعدل ويستسلم للواقع وهو المعزول الأول.

كما أن علياً عليه السلام يعرف معاوية وعلى أي طابع طبعت نفسه وعلى أي حقد يكنه وحسد يخفيه وهو أدرى بحركاته وما يهدف إليه في تخطيطه عندما يحتضن الدجالين وذوى الضمائر الرخيصة الذين يحاولون دائماً الوصول إلى غاياتهم بكل وسيلة ويجمع علماء السوء ووعاظ السلاطين يوازرونه في نشر الحكايات المفتعلة ويستعمل المرتزقة لوضع الأحاديث على لسان صاحب الرسالـة بما يرغب به ويتطلبه ظرفه للوصول إلى السلطة، كما وصفه أمير المؤمنين عليه السلام بقولـه ولكن يكتب معاوية ما شاء بما شاء لنفسه ولأصحابه ويسمي نفسه بما شاء وأصحابه(١).

وكلمة الجاحظ حول معاوية وقول النقيب أن معاوية من أهل النار لا

---

(١) كتاب صفين: ٥٨٤، وشرح النهج ١: ٢٣٣.

لمخالفة علياً ولا بمحاربته إياه ولكن عقيدته لم تكن صحيحة ولا إيمانه حقاً وكان من رؤوس المنافقين هو وأبوه ولم يسلم قلبه قط وإنما أسلم لسانه وكان يذكر من حديث معاوية ومن فلتات قولـه وما حفظ عنه من كلام يقتضي فساد العقيدة شيئاً كثيراً... الخ[١].

وخير شاهد على ذلك المغيرة لما دخل الكوفة طلب من معاوية ترك إيذاء بني هاشم لأنها أبقى لذكره فأجابه معاوية: هيهات هيهات أي ذكر أرجو بقاءه ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل فما أن عدا أن هلك حتى هلك ذكره إلا أن يقول قائل أبو بكر. ثم ملك أخو عدي فاجتهد وشمر عشر سنين فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره إلا أن يقول: قائل عمر. وإن ابن أبي كبشة (يعني به النبي ﷺ) ليصاح به كل يوم خمس مرات أشهد أن محمداً رسول الله، فأي عمل يبقى وأي ذكر يدوم بعد هذا لا أباً لك ! لا والله إلا دفناً دفنا[٢].

ولأبي سفيان قولـه المشهور: فوالذي يحلف به أبو سفيان لا جنة ولا نار[٣].

وقول أبي سفيان أيضاً مخاطباً عثمان: يا عثمان أن الأمر أمر عالمية والملك ملك جاهلية، فاجعل أوتاد الأرض بني أمية[٤].

---

(١) شرح النهج ٢: ٥٧٢، وص٥٨٩.

(٢) المسترشد للطبري: ١٧٤. منع التدوين: ٣٨٨. مروج الذهب ٢: ٣٤١، كما ذكر عثمان أيضاً. الموفقيات: ٥٧٦. شرح النهج ١: ٤٦٢. النصائح الكافية: ١١٦.

(٣) كما في منع تدوين الحديث: ٣٥٢، نقلاً عن الاستيعاب ٤ : ٦٧٩. الأغاني ٦: ٣٥٦. مروج الذهب ٢ : ٣٤٣. شرح النهج ٢ : ٤٥.

(٤) وبألفاظ أخر: الأغاني٦: ٣٥٥. تهذيب تاريخ أبي عساكر٦: ٤٠٩.

وروى عنه أنه ركل قبر حمزة وضربه برجلــه وقال: يا أبا عمارة أن الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف صار في يد غلماننا يتلاعبون به [١]!

ولــه قول آخر لما سمع المؤذن يقول: أشهد أن محمداً رسول الله (قال): لله أبوك يا ابن عبدالله لقد كنت عالي الــهمة، ما رضيت لنفسك إلا أن تقرن اسمك باسم رب العالمين[٢].

---

(١) شرح النهج١٦: ١٣٦. مروج الذهب٣: ٤٥٤ النصائح الكافية: ١١٦. شرح النهج٩: ٢٣٨ وقد تكررت في ص٤٥ من الكتاب.

(٢) شرح النهج١٠: ١٠١.

شخصية معاوية ونفسيته:

لقد كان معاوية صاحب نفسية معقدة يستولي عليها الحقد الدفين والحسد القديم والعداء المتأصل، كما كان يغمز عليه من نسبه في أمه هند وعيّر بذلك كثيراً واشتهر به[١]، ويعاب عليه مواقف بيته في الإسلام فيسمع الكثير من الصحابة يذكرونه بأقوال الرسول فيه وأهلـه وأنهم من الطلقاء ـ كما سيأتي ـ ، ويسمع بأذنه ما خاطبه به بعض الصحابة ورؤساء القبائل والكثير من المهاجرين

(١) ذكر ابن الجوزي في التذكرة قول الإمام الحسن بن علي عليه السلام عير معاوية في كلام دار بينهما (وقد علمت الفراش الذي ولدت عليه. الخ)، قال: ابن الجوزي قال: الأصمعي والكلبي في المثالب أن معنى قول الإمام الحسن لمعاوية: أن معاوية كان يقال: أنه من أربعة من قريش عمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي ومسافر بن عمر والعباس بن عبد المطلب وهؤلاء كانوا ندماء أبي سفيان وكان منهم من يتهم بهذا فأما عمارة كان من اجمل رجالات قريش وأما مسافر فقال: الكلبي عامة الناس على أن معاوية منه لأنه كان أشد الناس حبا لهند.. الخ.

وذكر الزمخشري في ربيع الأبرار باب القربات والأنساب، أن معاوية يعزى إلى أربعة: مسافر وعمارة والعباس وإلى صباح مغن لعمارة، وكان صباح عسيفا لأبي سفيان شابا فدعته هند إليها فغشيها... الخ.

ومثلـه ابن أبي الحديد ١: ٣٣٦. تحقيق محمد أبو الفضل، وزاد في قولـه: وكانت هند تذكر في مكة بفجور وعهر... الخ.

كما ذكر الزمخشري في المصدر السابق وقالوا إن عتبة بن أبي سفيان من الصباح أيضاً وقالوا إنها كرهت أن تدعه في منزلـها فخرجت إلى أجياد فوضعته هناك وفي هذا يقول: حسان أيام المهاجاة بين المشركين والمسلمين: لمن الصبي بجانب البطحاء في الترب ملقى غير ذي مهدِ... الخ.

وذكر ابن الجوزي عن هشام الكلبي قال: وكانت هند من المغيلمات، وكانت تميل إلى السودان من الرجال، فكانت إذا ولدت ولداً أسود قتلته ! ثم ذكر محاورة بين يزيد بن معاوية وبين إسحاق بن طابه، فلم يفهمها يزيد ولكن معاوية فهمها، ثم بعد ذلك قال: معاوية ليزيد: أما علمت أن بعض قريش في الجاهلية يزعمون أني للعباس. باختصار كما عيره زياد بن أبيه مجيئاً معاوية عن تعييره بأمه سمية فقال: لـه وأما تعييرك لي بسميه فإن كنت ابن سمية فأنت ابن جماعة ! (شرح النهج: ٤: ٦٨).

والأنصار بعدم لياقتهم للخلافة وأنه لا يجوز لـهم ذلك.

وزاده تعقيداً بيعة المسلمين لعلي عليه السلام، وما يمتاز به أمير المؤمنين عليه السلام من الفضائل والمناقب والمواقف البطولية في جميع حروب النبي صلى الله عليه وآله وسلم فكان عليه السلام ابن بجدتها وصاحب راية النصر بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وقد أشار إلى ذلك أمير المؤمنين عليه السلام في إحدى رسائلـه إلى معاوية قائلاً: فإن ما أتيت به من ضلالك[١] ليس ببعيد الشبه مما أتى به أهلك وقومك الذين حملـهم الكفر وتمني الأباطيل على حسد محمد صلى الله عليه وآله وسلم، حتى صرعوا مصارعهم حيث علمت، لم يمنعوا حريماً ولم يدفعوا عظيماً، وأنا صاحبهم في تلك المواطن، الصالي بحربهم والغالي لحدهم والقائل لرؤوسهم ورؤوس الضلالة، والمتبع إن شاء الله خلفهم بسلفهم، فبئس الخلف خلف اتبع سلفاً محلـه ومحطه النار[٢].

وضل معاوية حاقداً على علي وبني هاشم ومحبيه، كما وصفه أمير المؤمنين عليه السلام بقولـه: والله لو ود معاوية أنه ما بقى من بني هاشم نافخ ضرمة نار، إلا طعن في بطنه، إطفاء لنور الله، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولوكره الكافرون[٣].

لذلك حاول معاوية أن يضفي الشرعية لسلطانه وملكه باسم الدين، والقضاء على فضائل علي عليه السلام ومناقبه بكل ما استطاع من مكر وخداع وقتل وتعذيب وترغيب وتوعيد، وأنفق على ذلك الكثير من أموال المسلمين فاشترى بها دهاة

---

(١) يشير عليه السلام بخدعته إلى ما ادعاه بقتل عثمان وامتناعه عن البيعة لـه، وسنعرض لـه فيما يأتي إن شاء الله تعالى.

(٢) شرح النهج ٤: ٥٠.

(٣) مروج الذهب٣: ٢٨.

الرجال، ومنّاهم بالإمرة والقضاء والتقريب منه، وصانع الرؤساء، وداهن أعداءه، وتظاهر بالحلم والإغضاء عن بعض خصومه من غير بني هاشم. ولما تم لـه الملك، ظهر مكره وما تخفيه سريرته، فشمخ بأنفه تعالياً،كما جاء عنه في خطبته لما دخل الكوفة حيث قال: إني والله ما قاتلتكم لتصلوا أو لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا إنكم لتفعلون ذلك، وإنما قاتلتكم لأتأمر عليكم، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون(١).

بغض بني أمية لعلي عليه السلام:

ليس بغريب من معاوية ذاك البغض والعداء لعلي عليه السلام، فإنه وريث ذلك البيت الأموي. وحقد بني أمية على بني هاشم عامة ليس وليد صدفة أو نزاع قبلي، فهو متأصل في نفوسهم ويرثه الأبناء عن آبائهم منذ القدم في زمن الجاهلية، وظهر ذلك العداء جلياً في بدء الإسلام، حتى أن تكذيبهم للرسالة والوقوف ضدها والسخرية منها وحربهم لها لم يكن الا لكون الرسول الكريم من بني هاشم، ولا يسعني تفصيل ذلك، فقد تضمنته كتب التاريخ والسير، وقد خصص المقريزي كتاب لذلك أسماه (النزاع والتخاصم بين بني أمية وبني هاشم).

كما أشار إليه الرسول في أحاديث كثيرة أعرض لبعضها: ـ

عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إن أهل بيتي سيلقون من بعدي من أمتي قتلاً وتشريدا، وإن أشدّ قومنا لنا بغضاً بنو أمية وبنو المغيرة وبنو مخزوم(٢).

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٧٠. وابن كثير ٨: ١٣١. وشرح النهج ٤: ١٦. المعرفة والرجال للبسوي ٣: ٣١٨.

(٢) مستدرك الحاكم ٤: ٤٨٧. وكنز العمال ٦: ٦٨.

والحديث جاء بطرق عديدة مع اختلاف في بعض ألفاظه، وذكره جمع من أصحاب الصحاح والسنن[١] وسنعرض لـه في ذكر أهل البيت عليهم السلام.

وذكر الزمخشري في الكشاف في قولـه تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا﴾، عن عمر بن الخطاب: هم الأفجران من قريش، بنو المغيرة وبنو أمية، فأما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر، وأما بنو أمية فمتعوا حتى حين.

وذكر ذلك أيضا السيوطي في الدر المنثور في تفسير الآية وقال: أخرجه البخاري في تاريخه وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه . ومثلـه عن علي كما في كنز العمال[٢]، قال: أخرجه أبن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والطبراني في الجامع الأوسط وذكره في الدر المنثور في تفسير الآية.

وحديث: (إذا بلغت بنو أمية أربعين اتخذوا...)[٣].

ولقد لعن رسول الله أبو سفيان في مناسبات حتى قال: اللهم العن أبا سفيان وصفوان بن أمية والحارث بن هاشم[٤].

وذكر ابن حجر انه ﷺ قال: شر قبائل العرب بنو أمية وبنو حنيفة وثقيف[٥].

---

(١) كما ذكره ابن ماجة في سننه ٢: ٥١٧. وابن حجر في الصواعق: ٢٣٧. والسيرة لابن دحلان بهامش ٣: ١٨٩. ابن الصباغ في الفصول المهمة: ١٥٥. الطبري في ذخائر العقبى: ١٧.

(٢) كنز العمال ١: ٢٥٢.

(٣) فضائل الخمسة: ٣٠٥.

(٤) تفسير الطبري: ٤: ٥٨. وأخرجه الترمذي في جامعه كما في نيل الأوطار للشوكاني: ٢: ٣٩٨ الغدير: ١٠: ٨١.

(٥) تطهير الجنان: ٣٠ وص ١٤٣.

وقال ﷺ في الحديث الصحيح الذي رواه الحاكم حيث قال: عن أبي برزة أنه قال: كان أبغض الاحياء أو الناس إلى الرسول الله ﷺ بنو أمية.

ومن دقائق النص الأول اقرانه ﷺ بني أمية ببني حنيفة، وبنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب[1].

وقول أمير المؤمنين: لكل أمة آفة، وآفة هذه الأمة بنو أمية [2].

فليس بمستغرب من معاوية وأبناء بني مروان أن يقاتلوا أمير المؤمنين عليه السلام ويقتلوا اتباعه ويشردوهم .

وقد سعى معاوية لإخفاء فضائل الإمام علي عليه السلام، وابتدع لعنه على المنابر طيلة العهد الأموي.

وصرحت بذلك أم الخير بنت الحريش إذ تقول: إنها إحن بدرية، وأحقاد جاهلية، وضغائن أحدية، وثب لـها معاوية حين الغفلة ليدرك ثار بني عبد شمس [3].

كما لم ينس معاوية ثأره بقتل أخيه حنظلة بن أبي سفيان وجده لامه عتبة بن ربيعة وخالـه الوليد بن عتبة وأبناء عمه العاص بن سعيد بن العاص بن أمية وعقبة بن أبي معيط بن عمر بن أمية[4]، لكنّه لا يستطيع التصريح بذلك؛ لأنه لايخفى على المسلمين أنهم كانوا وثنيين مشركين حاربوا رسول الله، وقاتلـهم علي عليه السلام على ذلك، فذاقوا وبال أمرهم.

---

(١) خلافة الرسول بين النص والشورى: ٦٣.

(٢) كنز العمال ٦: ٩١ ولأبي مسعود مثلـه كنز العمال ٧: ١٤٢.

(٣) بلاغات النساء: ٣٦. العقد الفريد ١: ١٣٢ نهاية الإرب ٧: ٢٤١ صبح الأعشى ١: ٢٤٨.

(٤) في المستدرك ٤: ٤٨٠ . مجمع الزوائد ١٠: ٧١ . فضائل الخمسة: ٣٠٥

لكن معاوية وبمكره وخداعه استطاع أن يطلب ثارهم بخلاف هند التي أظهرت يوم أحد ما تكنه من حقد وعداء يوم دخلت الميدان ومثلت بحمزة بن عبد المطلب ولاكت كبده تشفياً لحقدها الخ... .

وفي خطبة طويلة لمحمد بن الحنفية يوم سمع عبد الله بن الزبير ينال من علي عليه السلام ويشتمه قال: ... والله ما يشتم علياً إلا كافر يُسِرُّ شتمَ رسول الله ويخاف أن يبوح به فيكنّي بشتم علي عليه السلام... .

ولما قتل الإمام السبط الحسين بن علي، دعا عبيد الله بن زياد عبد الملك بن الحرث السلمي وبعثه إلى المدينة ليبشر عمر بن سعيد، فدخل السلمي على عمر فقال: ما وراءك؟. قال: ما سر الأمير ! قتل الحسين بن علي. فقال: ناد بقتله. فناديت فلم أسمع والله واعية قط مثل واعية نساء بني هاشم في دورهن على الحسين، فقام عمر وضحك واستشهد ببيت، ثم قال عمر: هذه واعية بواعية عثمان ثم صعد المنبر... الخ[1].

وفي مثالب ابن عبيدة قال: ثم أومئ إلى القبر الشريف وقال: يا محمد يوم بيوم بدر ! وأنكر عليه قوم من الأنصار.

كما ظهر على يزيد بن معاوية يوم دخول سبايا آل محمد ومعهم رأس الحسين بن علي، فأظهر الشماتة والتشفي من رسول الله مخاطباً أسلافه بأبياته المشهورة: ليت أشياخي ببدر شهدوا[2] ... .

---

(١) الطبري ٦: ٢٦٨. ابن الأثير في الكامل ٤: ٣٩.

(٢) وذكرها في الغدير: ٨ وغيرهم.

مواقف معاوية وأبيه من الإسلام:

لا أظن أن معاوية بعد أن تسلط على الخلافة الإسلامية قد تناسى كل شيء من مواقف آبائه وأهل بيته من الإسلام وعدائهم للنبي ﷺ وحروبهم لـه وشن الغارات على المسلمين، وكيف أذلـهم الله ووقعوا في الفخ فدخلوا في الإسلام كرها وخوفا من الموت المحتم، حتى صار طليق وابن طليق، فلا يصلح للخلافة أو الإمارة، فلم يحسن إسلامه وأبيه قط، كما ظهر الشيء الكثير من فلتات أبي سفيان التي تكشف ما انطبعت عليه نفسه من أمور أخفاها خوفا من قوة الإسلام والمسلمين. وقد نقل أصحاب السير وبعض المؤرخين ما يعسر علينا ذكره، واليك بعض الأمثلة.

عندما ولي عثمان الخلافة دخل عليه أبو سفيان فقال: يا معشر بني أمية، إن الخلافة صارت في تيم وعدى حتى طمعت فيها، وقد صارت إليكم، فتلقفوها بينكم تلقف الصبيّ الكرة، فوالله ما من جنّة ولا نار. فصاح به عثمان(١).

وفي لفظ الطبري(٢): يا بني عبد مناف، تلقفوها تلقف الكرة، فما هنا لا جنة ولا نار.

وفي رواية أخرى: دخل أبو سفيان على عثمان بعد أن كف بصره فقال: هل علينا من عين؟. قالوا: لا. فقال: يا عثمان، إن الأمر أمر عالمية، والملك ملك

---

(١) الأغاني ٦: ٣٥٥ والاستيعاب: ٦٩ راجع تفصيلـه في النزاع والتخاصم: ٢٠. مروج الذهب ٢: ٣٤٣. شرح النهج ٢: ٤٥.

(٢) في تاريخه ١١: ٣٥٧.

جاهلية، فاجعل أوتاد الأرض بني أمية[١].

وقد وقف أبو سفيان على قبر حمزة عليه السلام وضربه برجله وقال: ياأبا عمارة، إن الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمس صار في يد غلماننا اليوم يتلعبون به[٢].

وروي: لما خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى حنين وكان قد خرج رجال من مكة على غير دين ينظرون على من تكون الدائرة فيصيبون من الغنائم، منهم أبو سفيان ومعاوية، وظهر منهما ما يكنّانه من الحقد على المسلمين[٣].

لذلك لم ينس بعض الصحابة تلك المواقف المخزية من معاوية وأبيه، فما كانوا ينظرون إلى أبي سفيان ولا يقاعدونه على ما رواه مسلم: إن أبا سفيان أتى على سلمان وصهيب وبلال في نفر فقالوا: والله ما أخذت سيوف الله من عنق عدو الله مأخذها...الحديث[٤].

صور لإسلام أبي سفيان ومعاوية:

لقد كان من خبر أبي سفيان في فتح مكة ما ذكره ابن هشام[٥] وغيره: أن النبيّ لما قرب من مكة ركب العباس بغلة النبي وخرج بطلب أحدا يرسله إلى قريش ليأتوا إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيستأمنوه، فأدرك ثلاثة من قريش فيهم أبو سفيان

---

(١) الأغاني ٦: ٣٢٣، وفي تهذيب ابن عساكر ٦: ٤٠٩ عن أنس مثله. تاريخ ابن عساكر ٦: ٤٠٧.

(٢) شرح النهج ٤: ٥١.

(٣) راجع سيرة بن هشام ٤: ٧٢ والطبري ٣: ١٢٨ . البداية والنهاية ٤: ٣٧٧. السيرة النبوية٣: ٦٢٥. سبل الهدى والرشاد ٥: ٣١٤.

(٤) صحيح مسلم ٧: ١٧٣ وفي تراجمهم من سير أعلام النبلاء ٢: ١٥، والاستيعاب ٢: ٦٢٩.

(٥) سيرة ابن هشام ٤: ٣: ٣٢. الاستيعاب ٢: ١٦٧.

خرجوا يتجسسون فقال العباس لأبي سفيان: والله لئن ظفر بك ليضربن عنقك فاردفه خلفه وأخذه إلى رسول الله ﷺ ليستأمن لـه، فقال لـه رسول الله ﷺ: ويحك يا أبا سفيان ألم يأنَ لك أن تعلم أنه لا إلـه إلاّ الله؟ قال: بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك والله لقد ظننت أن لو كان مع الله إلـه غيره لقد أغنى شيئاً بعد قال: ويحك يا أبا سفيان ألم يأنَ لك أن تعلم أني رسول الله قال: بأبي وأمي أنت ما أحلمك وأكرمك وأوصلك أما هذه والله فإن في النفس حتى الآن منها شيء فقال لـه العباس: ويحك أسلم قبل أن تضرب عنقك فتشهد وأسلم... ودخل رسول الله مكة وجاء حتى قام على باب الكعبة وقال بعد خطبته لقريش: يا معشر قريش ما ترون أني فاعل فيكم قالوا: خيراً أخٍ كريم وابن أخٍ كريم قال: فاذهبوا فأنتم الطلقاء[1].

ومن قول لـه لما سمع المؤذن يقول: (أشهد أن محمداً رسول الله)، قال: لله أبوك يا ابن عبدالله لقد كنت عالي الـهمة، ما رضيت لنفسك إلا أن تقرن اسمك باسم رب العالمين[2].

أما معاوية فليس إسلامه ببعيد عن إسلام أبيه،فلما رأى أن أباه أقبل يسلم خاطبه بقولـه:

يـا صـخر لا تسـلمن يوما فتفضحنا	بعـد الذيـن بـبدر اصـبحوا مـزقا
خـالي وعمـي وعـم الأم ثالــثهم	وحـنظل الخـير قـد أهدى لنا الارقا

(١) وهذا القول وأن كان في حينه منحة عطف وتكرم إلا أنه صار بعد ذلك عارا لـهم ولأولادهم يعيرهم به العرب.

(٢) شرح النهج ١٠: ١٠١.

لا تركــــنن إلى أمـــر تقلدنـــا والراقصـات بـه في مكـة الخـرقا
فالمـوت أهـون من قـول العداة لنا عـاد ابن حرب عن العزى إذا فرقا[١]

وذكرنا سابقا ما قاله معاوية للمغيرة بن شعبة في حديث دار بينهما:... ملك أخو تيم فعدل وفعل ما فعل، فما أن عدا أن هلك حتى هلك ذكره إلا أن يقول قائل أبو بكر، ثم ملك أخو عدي فاجتهد وشمر عشر سنين، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره إلا أن يقول قائل عمر، وإن ابن أبي كبشة ـ يعني به النبي ﷺ ـ ليصاح به كل يوم خمس مرات أشهد أن محمداً رسول الله. فأي عمل يبقى وأي ذكر يدوم بعد هذا لا أباً لك! لا والله إلا دفناً دفنا[٢].

عن عمر أنه قال: هذا الأمر في أهل بدر ما بقي منهم أحد، ثم في أهل أحد، ثم في كذا وكذا، وليس فيها لطليق ولا لولد طليق ولا لمسلمة الفتح شيء[٣].

بعض أقوال الرسول ﷺ في معاوية

إن الأحاديث في ذم معاوية كثيرة تضمنتها كتب السير والتاريخ وتعرض لها الشيخ الأميني في الغدير بجزئيه التاسع والعاشر ومحمد بن عقيل في كتابه النصائح الكافية لمن يتولى معاوية، وغيرهما، وإليك نزر منها:

---

(١) رواه الزبير بن بكار في المفاخرات، وشرح النهج ٢: ١٠٢، وتذكرة سبط بن الجوزي: ١١٥ وجمهرة الخطب ٢: ١٢ مع اختلاف في الأبيات كما ذكرها الأميني في الغدير ١٠: ١٦٨.

(٢) الموفقيات للزبير بن بكار: ٥٧٦. مروج الذهب ٣: ٤٥٤. النصائح الكافية: ٦١٦. شرح النهج ٩: ٢٣٨.

(٣) أخرجه الثلاثة: أسد الغابة ٤: ٣٨٧. الطبقات الكبرى ٣: ٢٤٨، نقلاً عن سبعة من السلف.

حديث: إن معاوية صعلوك لا مال له:

لقد حرف الرافعي هذا الحديث وأوله حسبما ترتئيه نزعته فقال: إنه ليس معاوية بن أبي سفيان الذي ولي الخلافة بل هو آخر[1]. إلا إن النووي قال: وهذا غلط صريح، وقد صرح باسم معاوية بن أبي سفيان واثبتته الصحاح[2]، فلا مجال لهذا التحريف والتأويل.

حديث: اللهم اركسهما في الفتنة ركسا:

وخرج رسول الله ﷺ في سفرة فسمع رجلين يتغنيان وأحدهما يجيب الآخر فقال النبي ﷺ: انظروا من هما. فقالوا: معاوية وعمرو بن العاص، فرفع رسول الله يديه فقال: اللهم اركسهما في الفتنة ركساً، ودُعَّهما إلى النار دعا[3]. وفي لفظ لابن عباس: اللهم اركسهما في الفتنة ركساً.

ولما جاء الحديث بطرق عديدة ولم يجدوا في سنده مغمزاً قام أحمد في مسنده بحذف اسميهما وقال: (فلان وفلان) كما هي العادة عندهم في أكثر الأحاديث تحفظاً على كرامة ابن هند وابن النابغة. وجاء غيره متحفظاً عليهما أكثر، فدلس في الحديث وحسب أن ادعائه ينطلي، فتصرف في الحديث وقال: ليس المقصود به

---

(١) الإصابة ٣: ٤٩٨.

(٢) كما في صحيح مسلم ٤: ١٩٥، وأبو داود في السنن ١: ٣٥٩، والنسائي في سننه ٦: ٢٠٨ والطيالسي في مسنده: ٢٢٨ والبيهقي في السنن الكبرى ٧: ٤٧١.

(٣) مسند أحمد ٤: ٤٢١ ولم يصرح باسمهما وصرح باسمهما نصر في كتاب صفين ٢٤٦ والنصائح الكافية ٥٩ والسيوطي في اللآليء في باب مناقب سائر الصحابة وأشار إلى الحديث لسان العرب ٧: ١٩٥وج٩: ٤٣٩، ومجمع الزوائد ٨: ١٢١.

معاوية بن أبي سفيان ولا عمرو بن العاص، وإنما المقصود معاوية بن أبي رافع، وعمرو بن رفاعة، والسيوطي في اللالئ أيضاً حاول ذلك وجاء بشيء جديد فذكر الحديث بطريق آخر عن سيف بن عمر محاولا أضعاف سند الحديث تحفظا على منزلة الرجلين، متناسيا الطرق الصحيحة للحديث.

حديث لا يجتمعان على خير أبداً!

وفي حديث أن رسول الله ﷺ رآهما في غزوة تبوك يسيران وهما يتحدثان فالتفت إلى أصحابه فقال: إذا رأيتموهما اجتمعا، ففرقوا بينهما؛ فانهما لا يجتمعان على خير أبداً.

واشتهرا بذلك حتى أن بعض الصحابة ممن سمع قول الرسول هذا احتج به، فهذا عبادة بن الصامت لما بعث إليه معاوية يستنصره في حرب علي عليه السلام جاء وجلس بين عمرو ومعاوية وحدثهما بالحديث[1].

ومثلـه زيد بن أرقم عندما رآهما مجتمعين رمى بنفسه وجلس بينهما وحدثهما بالحديث[2].

وروى المتقي قال: روى مسنداً عن شداد بن آوس أنه دخل على معاوية وهو جالس وعمرو بن العاص على فراشه فجلس بينهما وقال: هل تدريان ما يجلسني بينكما؟، لأني سمعت رسول الله ﷺ يقول الحديث[3].

---

(١) العقد الفريد ٤: ٣٤٥.

(٢) وقعة صفين: ٢٤٧.

(٣) كنز العمال ٦: ٨٨ مع اختلاف ببعض اللفظ، وقال: أخرجه ابن عساكر، ومجمع الزوائد ٧: ٢٤٨ وقال: أخرجه الطبراني.

حديث: اللهم العن القائد والسائق والراكب:

وجاء الحديث بعدة طرق وألفاظ متقاربة، فعن علي بن الأقمر قال: ... عن عبد الله بن عمر قال: خرج رسول الله ﷺ من فج فنظر إلى أبي سفيان وهو راكب ومعاوية وأخوه أحدهما قائد والآخر سائق فنظر إليهم رسول الله ﷺ وقال: اللهم لعن القائد والسائق والراكب. قلنا: أنت سمعت رسول الله؟!. قال: نعم، وإلا فصمتا أذناي كما عميت عيناي[1].

وعن البراء بن عازب في موقف آخر قال: أقبل أبو سفيان ومعه معاوية، فقال رسول الله ﷺ: اللهم العن التابع والمتبوع اللهم عليك بالأقيعس، فقال ابن البراء لأبيه من الأقيعس: فقال معاوية[2].

كما احتج بالحديث الإمام الحسن بن علي ﷺ في حديث طويل مخاطباً معاوية، وكذلك محمد بن أبي بكر في كتاب أرسلـه إلى معاوية ذكّره بالحديث[3].

حديث: إذا رأيتم معاوية على منبري:

أخرج نصر بن مزاحم[4] وابن عدي والعقيلي والخطيب والمناوي من طريق أبي سعيد الخدري وعبد الله بن مسعود مرفوعاً إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه.

---

(١) وقعة صفين: ٢٤٧، وراجع الطبري ١١: ٣٥٧، وابن أبي الحديد شرح النهج ٢: ١٠٣، وسبط بن الجوزي في التذكرة: ١١٥، وقال: أنه في يوم الأحزاب.

(٢) كتاب صفين: ٢٤٤.

(٣) نقلا عن الغدير ١٠: ١٣٦.

(٤) كتاب صفين: ٢٤٣. تاريخ الطبري: ١١. تاريخ الخطيب ١٢: ١٨١، شرح النهج ١: ٣٤٨، كنوز الدقائق للمناوي ١٠. اللئالىء المصنوعة ١: ٤٢٤. تهذيب التهذيب ٢: ٤٢٨، وكنوز الحقائق: ٩.

وذكر البلاذري عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه. فتركوا أمره فلم يفلحوا ولم ينجحوا[١].

وقال أيضاً عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً من الأنصار أراد قتل معاوية، فقلنا لـه لا تسل السيف في عهد عمر حتى نكتب إليه. قال: إنّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: إذا رأيتم معاوية يخطب على الأعواد فاقتلوه. قالوا: ونحن سمعناه ولكن لا نفعل حتى نكتب إلى عمر. فكتبوا إليه فلم يأتهم جواب حتى مات. ورجال سنده من رجال الصحاح.

وعن أبي سعيد الخدري أيضاً بلفظ (فارجموه)[٢]

وعن زر عن عبد الله مرفوعاً: إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه[٣] وسنده صحيح.

وباختصار: أن الحديث لـه طرق كثيرة صحيحة لا غمز لأحد فيها مهما حاول، غير أن ابن كثير والسيوطي في لئالئه ذكرا بعض الطرق وضعّفاها، فلم تسمح لـهم العصبية الأموية بذكر الطرق الصحيحة للحديث حيث اخرج البلاذري في تاريخه الحديث بغير تلكم الطرق التي ضعفاها، وسكتوا عن الاسانيد الصحيحة حفظاً لكرامة ابن هند آكلة الاكباد.

وجاء آخر يتبع خطاها مموها فقال: من روى (فاقتلوه) بالموحدة أي (فاقبلوه).

---

(١) نقلاً عن الغدير ١٠: ١٤٣.

(٢) تهذيب التهذيب ٧: ٣٢٤، وبطريق آخر في ميزان الاعتدال ٢: ١٢٨.

(٣) تهذيب التهذيب ٥: ١١٠ وج ٨: ٧٤.

وتبعهم ثالث ولم يرق لـه ذلك التمويه فوضع رواية في أن معاوية في الحديث غير معاوية بن أبي سفيان.

وقال السيوطي في اللئاليء بعد ذكر تلك الرواية: قال ابن عساكر: هذا تأويل بعيد والله اعلم[١].

حديث: يموت على غير ملتي!

أخرج الحافظ البلاذري: في تاريخه الكبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: كنت جالساً عند النبي ﷺ فقال: يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت يوم يموت على غير ملتي. قال: وتركت أبي يلبس ثيابه فخشيت أن يطلع فطلع معاوية.

وذكره بطريق آخر، وإن تكلموا في الطريق الأول الذي فيه ليث وهو من رجال مسلم ووثقه ابن معين كما افاده الشوكاني، لكن ضعفوه لاختلاط وقع لـه في آخر أمره، لكن الوهم في الطريق الأول يرتفع بالطريق الثاني للحديث وليس فيه ليث، فالسند متين[٢].

وفي لفظ آخر يطلع عليكم من هذا الفج رجل يموت حين يموت على غير سنتي[٣].

---

(١) اللئاليء المصنوعة ١: ٤٢٥

(٢) العتب الجميل: ٨٦ وذكر متن الحديث في تاريخ الطبري ١١: ٣٥٧.

(٣) نصر بن مزاحم كتاب صغيره: ٢٤٧.

والأحاديث في هذا المضمار كثيرة لا يسع المجال لذكرها واكتفي بهذه النماذج وسيأتي بعضها في ذكر بني أمية عامة.

كما ذكروا ان يحيي بن عبدالحميد كان يقول: (مات معاوية على غير ملة الإسلام)[1].

(١) تاريخ بغداد ١٤: ١٧٦، سير أعلام النبلاء ١٠: ٥٣٣.

من خطب أمير المؤمنين عليه السلام ورسائله إلى معاوية

ولن يغيب عن بال معاوية أيضاً خطب أمير المؤمنين عليه السلام ورسائله الكثيرة التي فضحه بها وأزال الستر عن خدعه وبوائقه، وظلت عالقة في أذان من سامعيها من مهاجرين وأنصار وجل الصحابة ورؤساء القبائل، يتناقلونها في مجالسهم، وسارت بها الركبان وعمّت البلدان، وهي كثيرة جدا وفي مناسبات عديدة، فأعرض لموجز منها باختصار: ـ

١ ـ من كتاب لمولانا أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية، قال فيه عليه السلام: أتاني كتابك، كتاب امرئ ليس له بصر يهديه، ولا قائد يرشده، دعاه الهوى فأجابه، وقاده الضلال فاتبعه ـ إلى أن يقول عليه السلام ـ : وأما شرفي في الإسلام وقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وموضعي من قريش، فلعمري لو استطعت دفعه لدفعته[1].

٢ـ ومن كلام له عليه السلام يخاطب معاوية: أما بعد، فإن مساويك مع علم الله تعالى فيك قد حالت بينك وبين أن يصلح لك أمرك وأن يرعوي قلبك، يابن صخر اللعين، زعمت أن يزن الجبال حلمك، ويفصل بين أهل الشك علمك!، وأنت الجلف المنافق الأغلف القلب القليل العقل الجبان الرذل[2].

٣ـ لما دعاه معاوية إلى التحكيم قال عليه السلام: ...ثم انك قد دعوتني إلى حكم القرآن وقد علمت أن لست من أهل القرآن، ولا حكمه تريد، والله المستعان[3].

---

(١) العقد الفريد ٢: ٢٣٣. الكامل للمبرد ١: ١٥٧. كتاب صفين: ٦٤. الإمامة والسياسة ١: ٧٧. شرح النهج ١: ٢٥٢، وج ٣: ٣٠٢.

(٢) شرح النهج ٣: ٤١١، وج ٤: ٥١.

(٣) كتاب صفين: ٥٥٦. نهج البلاغة ٢: ٥٦. وشرح النهج ١: ١٨٨.

٤ـ ومن كلام لـه عليه السلام: أما بعد فانّا كنّا نحن وأنتم على ما ذكرت من الألفة والجماعة، ففرق بيننا وبينكم أمس، إنّا آمنّا وكفرتم، واليوم إنّا استقمنا وفتنتم، وما أسلم مسلمكم إلا كرها، بعد أن كان أنف الإسلام كلـه لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حزبا ـ إلى أن يقول عليه السلام ـ : وعندي السيف الذي أعضضته بجدك وخالك وأخيك[1] في مقام واحد... الخ الخطبة[2].

٥ ـ من كتاب لـه عليه السلام أتي به معاوية: وأما قولك أنا بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل، فلعمري إنا بنو أب واحد، ولكن ليس أمية كهاشم، ولا حرب كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبي طالب، ولا المهاجر كالطليق، ولا الصريح كاللصيق، ولا المحق كالمبطل، ولا المؤمن كالمدغل، ولبئس الخلف خلف يتبع سلفاً هوى في نار جهنم[3].

٦ ـ من كتاب لـه عليه السلام مجيبا معاوية: وما أنت والفاضل والمفضول، والسائس والمسوس، وما للطلقاء وأبناء الطلقاء والتمييز بين المهاجرين الأولين وترتيب درجاتهم وتعريف طبقاتهم؟ ...الخ[4].

إلى هنا أكتفي بهذا القدر، وكتبه عليه السلام كثيرة، كما أن لـه خطب مطولة في هذا المضمار تركناها خشية التطويل.

---

(١) يقصد بأخيه حنظلة بن أبي سفيان، وجده لأمه عتبة بن ربيعة، وخالـه الوليد بن عتبة، وأبناء عمه العاص بن سعيد وغيرهم.

(٢) نهج البلاغة ٢: ١٢٤.

(٣) نهج البلاغة ٣: ٤٢٣.

(٤) نهج البلاغة ٢: ٣٠، صبح الأعشى ١: ٢٢٩، نهاية الارب ٧: ٣٢٣.

كما أن لـه عليه السلام كتب أخرى قد أرسلها إلى جماعات من الولاة وبعث أيضاً إلى بعض الأمصار يحذرهم من مكر معاوية مصرحا فيها بخروجه عن الإسلام والميل إلى الباطل طالبا للخلافة بالزور والبهتان والمكر والغدر والرشاء والإغراء. وهي أيضاً كثيرة أختصرها بما يلي:

١ـ من كتاب لـه عليه السلام إلى عمرو بن العاص: أما بعد، فإنك تركت مروءتك لامرئ فاسق مهتوك ستره يشين الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بخلطته، فصار قلبك لقلبه تبعا كما قيل (وافق شن طبقه)، فسلبك دينك وأمانتك ودنياك وآخرتك....

٢- ومن كتاب لـه عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر وأهل مصر: إياكم ودعوة الكذّاب ابن هند، وتأملوا واعلموا أنه لا سواء إمام الهدى وإمام الردى ووصي النبيّ وعدو النبيّ، جعلنا الله وإياكم ممن يحب ويرضى[1].

٣- ومن كتاب آخر لـه عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر بعد ما بعث إليه معاوية وعمرو فقال عليه السلام: قد قرأت كتاب الفاجر بن الفاجر معاوية، والفاجر بن الكافر عمرو، المتحابين في عمل المعصية، والمتوافقين المرتشين في الحكومة، المنكرين في الدنيا قد استمتعوا بخلاقهم كما استمتع الذين من قبلهم بخلاقهم، فلا يضرنك إرعادهما وإبراقهما[2].

٤- وكتب عليه السلام إلى أهل العراق: فايقظوا رحمكم الله نائمكم، واجتمعوا على حقكم، وتجردوا لحرب عدوكم، قد ابدت الرعدة عن الصريح، وبان الصبح لذي عيين، إنما تقاتلون الطلقاء وأبناء الطلقاء وأولي الجفاء ومن أسلم كرها وكان

(١) شرح النهج ٢: ٢٦. جمهرة الرسائل ١: ٥٤١.
(٢) تاريخ الطبري ٦: ٥٨. شرح النهج ٢: ٣٢.

لرسول الله ﷺ كلـه حربا، أعداء الله والسنة والقرآن، وأهل الأحزاب والبدع والأحداث، ومن كانت بوائقه تتقى وكان على الإسلام مخوفا، أكلة الرشا وعبدة الدنيا، لقد أنهي إلي أن أبن النابغة لم يبايع معاوية حتى اعطاه، وشرط عليه أن يعطيه إتاوة هي أعظم مما في يديه من سلطانه، ألا صفرت يد هذا البائع دينه بالدنيا، وتربت يد هذا المشتري نصرة غادر فاسق بأموال المسلمين، وإن منهم لمن قد شرب فيكم الخمر وجلد حدا في الإسلام(١) يعرف بالفساد في الدنيا والفعل السيئ، وإن فيهم من لم يسلم حتى رضخ لـه على الإسلام رضيخة(٢)، فهؤلاء قادة القوم ومن تركت ذكر مساويه من قادتهم مثل من ذكرت منهم بل هو شر واضر، وهؤلاء الذين ذكرت لو ولوا عليكم لأظهروا فيكم الكبر والفخر والفجور والتسلط بجبروته، والتطاول بالغضب، والفساد في الأرض، ولا تبعوا الـهوى وما حكموا بالرشاد ـ إلى أن يقول عليه السلام ـ : والله لو لقيتهم فردا وهم ملء الأرض ما باليت ولا استوحشت، وإني من ضلالتهم التي هم فيها والـهدى الذي نحن عليه لعلي ثقة وبيّنة ويقين وبصيرة، وإنّي إلى لقاء ربي لمشتاق ولحسن ثوابه لمنتظر ولكن أسفا يعتريني وحزنا يخامرني أن يلي أمر هذه الأمة سفهاؤها وفجارها، فيتخذوا مال الله دولا، وعباد الله خولاً، والصالحين حربا، والقاسطين حزبا...(٣).

٥- ومن جواب لكتاب معاوية قال عليه السلام: ... فاني لو قتلت في ذات الله وحييت، ثم قتلت ثم حييت، سبعين مرة لم ارجع عن الشدّة في ذات الله والجهاد

---

(١) يعني الوليد بن عقبة.

(٢) يعني معاوية، راجع جمهرة الرسائل ١: ٥٥١.

(٣) الإمامة والسياسة ١: ١١٢، شرح النهج ٢: ٣٧.

لأعداء الله[١].

٦- ومن خطبة لـه عليه السلام لما رفع أهل الشام المصاحف: ...عباد الله، إني أحق من أجاب إلى كتاب الله، ولكن معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط وحبيب بن سلمة وابن أبي سرح ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إني اعرف بهم منكم، صحبتهم أطفالا وصحبتهم رجالا فكانوا شر أطفال وشر رجال، إنها كلمة حق يراد بها الباطل، إنهم والله ما رفعوها إنهم يعرفونها ويعملون بها ولكنّها الخديعة والوهن والمكيدة، اعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة، فقد بلغ الحق مقطعه، ولم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا[٢].

وهناك خطب ورسائل لكبار الصحابة من المهاجرين والأنصار والحريصين على مصلحة الإسلام واتباع الحق ومجانبة الباطل والضلال يقولون فيها لمعاوية: إنك قد حاربت إمام زمانك الذي بايعه جمهور المسلمين، وفرقت كلمتهم، واظهرت الضلال والفساد في الأرض، وأنت طليق وابن طليق ولا تصح لك الخلافة. وقال بعضهم: فإنما أنت وثن ابن وثن فلا يحل لك الخلافة في الإسلام... الخ. أمثال قيس بن سعد أمير الخزرج، وأبي أيوب الأنصاري، وابن عباس، ومحمد بن أبي بكر، وعمار بن ياسر، وعبد الله بن بديل، وسعيد بن قيس، ومالك الأشتر، وهاشم بن عتبة المرقال، وغيرهم كثير، ولا يسعنا ذكر أقوالـهم وخطبهم وقد نقلـها شيخنا الأميني في الغدير[٣].

---

(١) شرح نهج البلاغة ١٥: ١٢٣.

(٢) كتاب صفين ص٥٦٠، تاريخ الطبري ٦: ٢٧، الكامل للمبرد ٣: ١٣٦.

(٣) الغدير ١٠: ١٥٧.

شراء معاوية للضمائر!

وهكذا يعرض معاوية عما مر من تحذير النبي ﷺ وأقوال الإمام والصحابة، ويدير ظهره ويصم أذنيه، وينحرف عن المثل العليا للسنّة النبويّة ويغير السيرة اجتماعياً وسياسياً ودينياً.

وقد جاء عن ابن أبي الحديد(١): إن معاوية مطعون في دينه عند شيوخنا رحمهم الله، يرمى بالزندقة. ثم قال: ما رواه أصحابنا في كتبهم الكلامية عنه من الإلحاد والتعرض لرسول الله ﷺ وما تظاهر به من الجبر والإرجاء ولو لم يكن شيء من ذلك لكان في محاربته الإمام ما يكفي في فساد حالـه لا سيما على قواعد أصحابنا وكونهم بالكبيرة الواحدة يقطعون على المصير إلى النار والخلود فيها أن لم تكفرها التوبة

واعتذر لمعاوية الأستاذ عبد الحسيب طه المدرس في كلية الأدب العربي بمصر في كتاب (أدب الشيعة: ٣٠) وبرر مواقفه قائلاً: ولعل معاوية ـ كساسة اليوم ـ قد علم إن الدعاية من أشد أسلحة الحرب مضاء وأبلغها نفاذاً فاستعمل هذا السلاح ليصرف الناس عن آل البيت ويحول قلوبهم عنهم، وفي هذا دوام ملكه، فاستحل سياسياً ما حرمه الدين، ووضع لمن بعده شرعة السباب لـهذا البيت الكريم، فاستعملـها خلفاء بني أمية...الخ.

وذكر معاوية في مجلس عبد الرزاق فقال: لا تقذروا مجلسنا بذكر أولاد أبي

(١) شرح النهج ١: ٢٤٩.

سفيان[١].

واستعمل معاوية شراء الضمائر من رؤساء العشائر وقادة العساكر بالرشوة تارة والإغراء أخرى، وبذّر أموال المسلمين على ضعاف النفوس والمرتزقة ممن هان عليه دينه وباع آخرته بدنياه.

وإليك أمثلة لذلك: فقد احتال معاوية على قائد جيش الإمام الحسن عليه السلام وهو عبيد الله بن العباس، وأرسل إليه في الليل قائلاً لـه: إن الحسن قد راسلني في الصلح، فإن دخلت في طاعتي الآن كنت متبوعا، وإلا دخلت وأنت تابع، ولك إن جئتني الآن أعطيك ألف ألف درهم يعجل في هذا الوقت النصف، فإذا دخلت الكوفة النصف الآخر[٢].

وأغدق العطاء على الرؤساء، فمالوا إليه. مثل الحتات بن يزيد المجاشعي وفد على معاوية في جماعة من الرؤساء، فاعطى كل منهم مائة ألف واعطى الحتات سبعين ألفا، فلما رجعوا وكانوا ببعض الطريق أخبر بعضهم بعضا بجائزته، فرجع الحتات إلى معاوية يعاتبه فقال لـه فيما قال: مالك خسست بي دون القوم؟. فقال: اشتريت من القوم دينهم ووكلتك إلى دنيك ورأيك في عثمان فقال: وأنا فاشتر مني ديني. فأمر لـه بتمام جائزته[٣].

وجاءه وفد ومعهم ابن المغيرة فقال لأبي المغيرة سرا: بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم؟.قال: بثلاثين ألفا (وقيل أربعمائة ألف). فقال: لقد هان عليهم

(١) سير أعلام النبلاء ٩: ٥٧٠. معجم البلدان ٣: ٢٤٩.
(٢) مقاتل الطالبيين: ٥٠، وص: ٦٥.
(٣) تاريخ الطبري ٦: ١٣٥. ابن الأثير ٣: ٢٠١.

دينهم(١).

ولما أحسّ معاوية المعارضة من عبد الرحمن بن خالد بن الوليد -في قصة طويلة- أمر ابن اثال النصراني أن يحتال في قتله، وضمن له أن يضع عنه خراجه ما عاش، وأن يولّيه خراج حمص... فوفى معاوية بما ضمن له... الخبر(٢).

وأرسل معاوية إلى جعدة بنت الاشعث بن قيس الكندي، زوجة الإمام الحسن بن علي عليهما السلام: إنك إن احتلت في قتل الحسن وجهت إليك بمائة ألف درهم وزوجتك يزيد. فكان ذلك الذي بعثها على سمه، فلما مات وفى لها معاوية بالمال، وأرسل إليها: إنا نحب حياة يزيد، ولولا ذلك لوفينا لك بتزويجه(٣).

واحتال معاوية على قتل مالك الأشتر، فدس إلى دهقان، بالقرب من العريش، فرغّبه وقال له: أترك خراجك لعشرين سنة فاحتل في سم الأشتر. فسقاه سما بالعسل - في خبر طويل - ولما بلغ معاوية ذلك قال: كلمته المشهورة (أن لله جنودا من عسل)(٤).

واغتال سعدا، وعبد الرحمن بن أبي بكر، وغيرهم من خيار الصحابة وكبار التابعين عندما شم منهم المعارضة لسلطته أو إنكارهم على جرائمه، ولا يسعنا التفصيل.

---

(١) باختصار من الطبري ٦: ١٦٩. ابن الأثير ٣: ٢١٤.

(٢) الطبري ٦: ١٦٨ وابن الأثير ٣: ١٩٥ وأسد الغابة ٣: ٨٩ والاستيعاب.

(٣) المسعودي مروج الذهب بهامش الكامل ٦: ٥٥. وقريب منه في مقاتل الطالبيين: ٧٣ وذكر اغتيال الإمام الحسن بالسم من قبل معاوية في ترجمته من الاستيعاب وسبط ابن الجوزي في التذكرة في ترجمته. وابن عساكر ٤: ٢٦٤ وغيرهم.

(٤) تاريخ الطبري ٦: ٥٤. ابن الأثير ٣: ١٥٢.

وعند ما أراد البيعة لابنه يزيد الفاسق الفاجر استعاد تلك الحيل، ولم يزل يروض الناس لبيعته سبع سنين، يشاور، ويعطي الأقارب، ويدني الأباعد[١]، كما عمل في تشييد الملك لنفسه في بادئ أمره، ففي كلتا الحالتين كان يغري بالإمرة والمال، وأن أعينته الحيلة لم يتورع عن أي شيء، حتى القتل والاغتيال[٢] وما أكثر من قتل.

وقد استعمل الاكراه والتهديد مع جماعات كثيرة، وهذا ما أثبته المؤرخون من أن معاوية كان يهدد من خالف البيعة، ويجزل عطاء من بايع[٣].

ومنه ما أعطى سعيد بن عثمان بن عفان لموافقته لبيعة يزيد حيث قال لـه معاوية: لك خراسان. قال سعيد: وما خراسان؟. قال: انها لك طعمة وصلة رحم. فخرج راضيا وهو يقول ابياتا...[٤].

وكذلك أرسل إلى عبد الله بن عمر ـ عندما أراد البيعة ليزيد ـ مائة ألف درهم فقبلها، فلما ذكر البيعة ليزيد قال ابن عمر: هذا أراد أن ديني إذن علي لرخيص[٥].

وبهذا وأمثالـه يظهر التناقض في قول عبد الله بن عمر، إذ انه قبل هذه الرشوة لما حجّ معاوية وحاول أخذ البيعة من أهل مكة والمدينة ليزيد .

---

(١) ويقرب منه في الكامل ٣: ٥٠٨.

(٢) العقد الفريد ٣: ١٢٩.

(٣) العقد الفريد ٤: ٣٦٨ و٣٧٤.

(٤) الإمامة والسياسة: ١٥٧.

(٥) باختصار من الطبري ٦: ١٦٩. وابن الأثير ٣: ٢١٤. وابن كثير ٩: ٥. والسيرة الحلبية ١: ٢٩٦ مثلـه ولم يذكر وقتها. الطبقات لابن سعد ٤: ١٨٢.

قال عبد الله بن عمر: نبايع من يلعب بالقرود والكلاب، ويشرب الخمر ويظهر الفسوق؟ ما حجتنا عند الله[١].

والعجيب من هذا المغفل البليد، الذي امتنع من بيعة أمير المؤمنين، وعرف عنه بغضه – وقد انتهره أمير المؤمنين في رواية قال عليه السلام له فيها: قم يا أحمق ما أنت وهذا الكلام[٢]– وبعد ذلك بايع معاوية، ثم بايع يزيد من أجل تلك الرشوة، واختلق أحاديث تبرر له تلك البيعة، كما جرى في وقعة الحرة، وبلغ من السذاجة أن احتقره الحجاج عندما أراد البيعة فمد الحجاج له رجله فصفق عليها[٣].

وباختصار فقد استجاب لمعاوية من الصحابة والتابعين ضعاف النفوس وهواة الأمرة والمال، ومسايرة السلطة بكل ما أرادته.

وسخرهم معاوية للقضاء على المعارضة، باختلاق الأحاديث، وطمس فضائل الإمام علي عليه السلام ومناقبه، والفتك بمن يروي له ذلك. فروى ابن أبي الحديد[٤] عن أبي جعفر الإسكافي قال: أن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي تقتضي الطعن فيه والبراءة منه، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله، فاختلقوا له ما أرضاه، منهم أبو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير وغيرهم.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٢٨.

(٢) جواهر الأخبار في ذيل البحر الزخار ٥: ٧١.

(٣) نقلاً عن الغدير في الجزأين السابع والعاشر.

(٤) شرح النهج ١: ٣٥٨.

وذكر أمثلة لكل وأحد مما اختلقه ولما بلغ معاوية ما اختلق أبو هريرة اجازه واكرمه وولاه المدينة.

وذكر أيضاً أن معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروى أن هذه الآية نزلت في علي عليه السلام ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾[1] وأن الآية الثانية نزلت في ابن ملجم قاتل أمير المؤمنين: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ﴾[2] فلم يقبل، فبذل لـه مائتي ألف درهم فلم يقبل، فبذل لـه أربعمائة ألف درهم فقبل[3].

---

(١) البقرة: ٢٠١.

(٢) البقرة: ٢٠٤.

(٣) شرح النهج ١: ٣٥٨، وص ٣٦١.

أخذ معاوية البيعة ليزيد !

وبعد أن عظمت شوكة معاوية وامتد سلطانه فكثر بطشه وفتكه وتلاعب بالأحكام وحرف الكلم عن مواضعه فتتبع رجال الفكر وخيار الأمة وقتل الآلاف الأبرياء وبذّر أموال المسلمين بالرشوة وشراء الضمائر الرخيصة لتدعيم سلطانه وقلب الحقائق وطمس فضائل ومناقب أمير المؤمنين وأهل بيته وسبهم ولعنهم ومتابعة من يشم منه الميل إليهم أو الاقتراب منهم بكل ما يستطيعه من قتل أو اغتيال أو دس السم والخروج عن ابسط المفاهيم الإسلامية والإنسانية.

وقد مهد معاوية بهذه الأمور لولاية العهد وتنصيب ابنه يزيد (وهو الفاسق الفاجر الذي لا يختلف اثنان في إجرامه وكفره)، وهو الشاب المأبون[١] المستهتر الذي اباح الخمرة والزنا وحطّ بكرامة الخلافة إلى مجالسة المغنيات وعقد حلقات الشرب في مجلس الحكم والبلاط الإسلامي والبس الكلاب والقرود جلاجل من الذهب في الوقت الذي يعيش فيه مئات المسلمين الم الجوع والحرمان[٢].

فلعمري أصبح خليفة للمسلمين يجب طاعته واماما لا يجوز الخروج عليه ومن خرج عليه مات ميتة جاهلية. ولا أريد في هذه العجالـة سرد جرائمه وفسقه، ولا أتعرض للتمويه الذي ابتليت به هذه الأمة المسكينة من تنصيب هكذا خليفة، بل اختصر الحديث على شهادة الوفد الذي بعثه كبار الصحابة ورؤساء وأشراف المدينة ليتعرفوا على خليفتهم الجديد ويخبروا الأمة بسيرته.

---

(١) كما وصفه عبد الملك تاريخ ابن كثير ٩: ٦٤.

(٢) الثائر الأول في الإسلام لمحمد عبد الباقي: ٧٩.

وقعة الحرة وكربلاء

أرسل أهل المدينة جماعة منهم عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة وعبد الله ابن عمر المخزومي والمنذر بن الزبير وآخرين كثيرين، فلما قدموا على يزيد اكرمهم واحسن إليهم وأعظم جوائزهم وشاهدوا افعالـه ثم انصرفوا من عنده وقدموا المدينة كلـهم إلا المنذر، فلما قدم الوفد قاموا فيهم فاظهروا شتم يزيد ولعنه (ومن جملة ما قالوا): أنا قدمنا من عند رجل ليس لـه دين، يشرب الخمر ويعزف بالطنابير ويضرب عنده الفتيان ويلعب بالكلاب ويسامر الحراب (وهم اللصوص) والفتيان وأنا نشهد أنا قد خلعناه... فتابعهم الناس[١].

وقال عبد الله بن حنظلة ذلك الصحابي العظيم ـ الذي قتل يوم الحرة ـ : يا قوم، اتقوا الله وحده لا شريك لـه، فوالله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نرمى بالحجارة من السماء، إن رجلاً ينكح الأمهات والبنات والأخوات ويشرب الخمر ويدع الصلاة، والله لو لم يكن معي أحد من الناس لا بليت لله فيه بلاء حسناً[٢].

ولما قدم المدينة أتاه الناس فقالوا: ما وراءك؟. قال: أتيتكم من عند رجل والله لو لم أجد سوى بني هؤلاء لجاهدته بهم[٣].

وقال المنذر بن الزبير لمّا قدم المدينة: أن يزيد قد اجازني بمائة ألف، ولا

---

(١) تاريخ الطبري ٧: ٤. الكامل لابن الأثير ٤: ٤٥. تاريخ ابن كثير ٨: ٢١٦. فتح الباري ١٣: ٥٩ وغيرهم.

(٢) تاريخ ابن عساكر ٧: ٣٧٢. تاريخ الخلفاء: ١٦٥.

(٣) تاريخ ابن عساكر ٧: ٣٧٢. ابن الأثير ٤: ٤٥. الإصابة ٢: ٢٩٩.

يمنعني ما صنع بي أن أخبركم خبره، والله أنه ليشرب الخمر، والله أنه ليسكر حتى يدع الصلاة...[١].

وقد يطول الحديث في نقل أقوال رجال الوفد. والخلاصة إن تلك البيعة هي إحدى سيئات معاوية وموبقاته وعلى كره من أهل الحل والعقد ـ مع انهم يزعمون ان الخليفة انما ينصّب من قبل أهل الحل والعقد ـ و المهاجرين والأنصار وإنكار اعيان الصحابة وعامة المسلمين، كما جاء عن الحسن البصري قولـه[٢]: أربع خصال كن في معاوية، لو لم يكن فيه منهن إلا واحدة لكانت موبقة:

إنتزاءه على هذه الأمة بالسفهاء حتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذوي الفضيلة،

واستخلافه ابنه بعده سكيرا خميرا يلبس الحرير ويضرب بالطنابير،

وادعائه زيادا وقد قال رسول الله ﷺ: (الولد للفراش وللعاهر الحجر)

وقتلـه حجرا، وويلا لـه من حجر وأصحاب حجر قالـها مرتين.

حقا انها من اكبر الموبقات وأعظم المنكرات استخلافه لنغلـه يزيد وهو يعلم بليله ونهاره جيدا، فتراه لما اشتد به المرض دعا ابنه يزيد وقال: يا بني أني قد كفيتك الرحلة والترحال ووطأت لك الأمور وأخضعت لك رقاب العرب وجمعت لك ما لم يجمعه أحد[٣].

وأخرج ابن أبي خيثمة أن معاوية لما احتضر دعا يزيد فقال لـه: إن لك من

---

(١) كامل ابن الأثير ٤: ٤٥. تاريخ ابن كثير ٨: ٢١٦.

(٢) تاريخ ابن عساكر ٢: ٣٨٤. تاريخ الطبري ٦: ١٥٧. ابن الأثير ٤: ٢٠٩. تاريخ ابن كثير ٨: ١٣٠. محاضرات الراغب ٢: ٢١٤. النجوم الزاهرة ١: ١٤١، المنتظم ٥: ٢٤٣.

(٣) تاريخ ابن خلدون ٣: ٢٢.

أهل المدينة يوماً، فإن فعلوا فارمهم بمسلم ابن عقبة فاني قد عرفت نصيحته. فلما ولي يزيد وفد عليه عبد الله بن حنظلة وجماعة فاكرمهم وأجازهم، فرجع فحرض الناس على يزيد وعابه ودعاهم إلى خلع يزيد فأجابوا، فبلغ ذلك يزيد فجهز إليهم مسلم بجيش فدخل المدينة فكان ما كان من فضائح ومذابح وارتكاب جرائم أجمع المؤرخون على استنكارها.

فقد اباح مسلم بن عقبة المدينة ثلاثة أيام لجنده يقتلون أهلها ويسلبون أموالهم، وقتل ثمانون من أصحاب الرسول[1]، والباقون منهم أخذت عليهم البيعة ليزيد، بيعة عبودية واسترقاق.

كما قتل فيها سبعمائة رجل من حملة القرآن، وألف وسبعمائة من بقايا المهاجرين والأنصار، وعشرة آلاف من أوساط الناس سوى النساء والصبيان[2]، وافتض فيها نحو ألف بكر وحبلت ألف امرأة في تلك الايام من غير زوج[3].

وهكذا يأتي الدور ليزيد الخمور والفجور ليشفي غليل آبائه وأحقاد أجداده من علي وأبنائه الأطهار فقام بما تبكي له السماء دماً وتهتز الأرض أسفا، قتْله سليل النبوة الحسين السبط، حسين التضحية والإباء، وقتل أبنائه واخوته وأبناء عمومته وصحبه الأمجاد، ولم يكتفي حتى مثل بهم وهم صرعى بأرض كربلاء، وسحق أجسادهم الطاهرة بخيول مرتزقته، وحمل رؤوسهم مع حريم الرسالة سبايا إلى طاغية الشام. وسنتعرض لتلك الواقعة في اجتهادات ابن تيمية.

---

(1) كما ذكر أسمائهم كما في أنساب الأشراف ٥: ٤٢. الاستيعاب ١: ٢٥٨. ابن كثير ٨: ٢٢١ الإصابة ٣: ٤٧٣. وفاء الوفاء ١: ٩٣.

(2) البداية والنهاية ١٠: ٢٢ والدولة الإسلامية للخربوطي: ٢٠٥.

(3) تاريخ ابن كثير ٨: ٢٢١. الإتحاف: ٢٢. وفاء الوفاء ١: ٨٨. تاريخ الخلفاء: ١٩٥. الإمامة والسياسة: ٢٠٩، ٢٢٠. العقد الفريد ٥: ١٢٨. الجوهر الثمين: ٧٨.

الخلافة في عهد عبد الله بن الزبير

ونعرض باختصار لدور عبد الله بن الزبير الذي كان يضمر العداء لأهل البيت كما جاء عنه مخاطباً به ابن عباس: إني لأكتم بغضكم أهل هذا البيت منذ أربعين سنة!! وجمع منهم ما يزيد على أربعة وعشرين من بني هاشم وأراد إحراقهم بالنار في حجرة زمزم في قصة طويلة[١].

وبلغ به الصلف والحقد إلى درجة قال عنه ابن أبي الحديد: وكان عبد الله بن الزبير يبغض علياً عليه السلام وينتقصه وينال من عرضه[٢].

وروى عمر بن شبية وابن الكلبي والواقدي وغيرهم من رواة السير أنه مكث أيام ادعائه الخلافة أربعين جمعة لا يصلي فيها على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وقال: لا يمنعني من ذكره إلا أن تشمخ رجال بأنافها. وفي رواية ثانية يقول: إن لـه أهيل سوء ينغضون رؤسهم عند ذكره[٣].

وقال اليعقوبي: تحامل عبد الله بن الزبير على بني هاشم تحاملا شديدا واظهر لهم العداوة والبغضاء حتى بلغ ذلك منه أن يترك الصلاة على محمد صلى الله عليه وآله وسلم في خطبته فقيل لـه: لِمَ تركت الصلاة على النبي؟. فقال: أنه لـه أهيل سوء يشرأبون لذكره ويرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به[٤].

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٦٢.
(٢) شرح النهج ١: ٣٥٨.
(٣) شرح النهج ١: ٣٥٨.
(٤) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٦١.

ولما كان النزاع بين مروان بن الحكم وهو بالشام وعبد الله بن الزبير وهو بمكة انطلق جماعة إلى الصحابي ابن برزة الأسلمي فقالوا: يا أبا برزة ألا ترى ما وقع فيه الناس فقال: إني احتسب عند الله أني أصبحت ساخطا على احياء قريش أن ذاك الذي بالشام والله لا يقاتل إلا على الدنيا وأن الذي بمكة والله لا يقاتل إلا على الدنيا(١).

الخلافة في عهد أبناء مروان

ويأتي الآن الغصن الخبيث من الشجرة الملعونة دور أبناء مروان وآل الحكم يفتح الباب على مصراعيه سائرا على ما ارتكبه أسلافه وخطط لـه أسياده من الفوضى والاستبداد ونشر البدع والضلال والعداء لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وسبه ولعنه على المنابر وقتل محبيه واتباعه ومن يروي لـه فضيلة أو منقبة في كل ما ملكوا من البلاد ومتجاهرا بكل رذيلة من قتل الأبرياء من الصحابة وشرب الخمور وهتك الأعراض وسحق القيم وتحريف الشريعة بما يرغبون وأسكتوا كل صوت معارض لـهم وعاثوا في الأرض فسادا وطغوا في البلاد، ولا غرابة في ذلك فهم الذين حاربوا الإسلام وسخروا من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم واستهزءوا به وتجسسوا عليه للمشركين ومنافقي قريش فنفى الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أجدادهم إلى الطائف تطهيرا للبلاد المقدسة وحرم النبي من أرجاسهم وأدناسهم ووصمهم باللعنات وحذر الأمة منهم وأنهم الشجرة الملعونة أصحاب مكر وخداع هم ومن في صلبهم.

---

(١) صحيح البخاري: باب ٢٠، ح٦٦٩٥.

وبعد غياب الرسول ﷺ وفقده أرجعهم عثمان إلى المدينة متحديا ابا بكر وعمر حيث انهما وفي عهدهما رفضا وساطته في إرجاعهم ونهروه ورفضوه في قصة طويلة، كما استنكر الصحابة على عثمان إرجاعهم ولم يكتفي عثمان بذلك حتى اغدق عليهم الأموال الكثيرة والاقطاع وولاهم المناصب تمهيدا لحكمهم واستلام الأمور من بعده[1].

وما أن سنحت الفرصة لـهم وتسلطوا على الخلافة عاثوا في الأرض فسادا وطغوا في البلاد، ولا يخفى حالـهم على من تتبع سيرتهم وسلوك ولاتهم في كافة كتب التاريخ والسير وسنعرض بامثلة موجزة لبعضهم.

ولا ننسى ما أشار إليه الكتاب الكريم فيهم وأخبر به رسول الله الأمين وما حذّر به الأمة منهم بوصايا عديدة وأحاديث كثيرة ولنعرض لكم بعضها كشاهد حال:

روي: أن مروان أقبل يوماً فوجد رجلاً واضعا وجهه على القبر فأخذ مروان برقبته ثم قال: هل تدري ما تصنع؟. فاقبل عليه فإذا هو أبو أيوب الأنصاري فقال: نعم إني لم آت الحجر إنما جئت رسول الله ﷺ ولم آت الحجر سمعت رسول الله ﷺ يقول: لا تبكوا على الدين إذا وليه أهلـه ولكن ابكوا على الدين إذا وليه غير أهلـه[2].

---

(١) كان ذلك أحد الأسباب في مقتل عثمان والفتنة كما نقل ابن قتيبة وابن عبد ربه والذهبي وغيرهم قالوا: ومما نقم الناس على عثمان أن اوى طريد النبي ﷺ الحكم ولم يؤه أبو بكر وعمر وإعطاءه مائة ألف. راجع المعارف لابن قتيبة: ٨٨. العقد الفريد ٢: ٢٦١، محاضرات الراغب ٢: ٢١٢، مرآة الجنان لليافعي ١: ٨٥ نقلا عن الذهبي.

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤: ٥١٥ والذهبي وغيرهما بطرق أخرى.

وذكر أصحاب السير والتراجم واللفظ لابن حجر في الاستيعاب قال: أخرج رسول الله ﷺ الحكم من المدينة وطرده عنها إلى الطائف وخرج معه ابنه مروان، واختلف في السبب الموجب لنفي رسول الله إياه وربما لاسباب عديدة وتناقلها أصحاب السير فقيل كان يتحيل ويستخفي ويتسمع ما يسره رسول الله ﷺ إلى كبار أصحابه في مشركي قريش وسائر كفار المنافقين فكان يفشي ذلك.

وذكروا أن النبي ﷺ كان إذا مشى يتكفأ وكان الحكم يحكيه فالتفت النبي يوماً فرآه يفعل ذلك فقال ﷺ فكذلك فلتكن فكان الحكم مختلجا يرتعش من يومئذ فعيره عبد الرحمن بن حسان بن ثابت فقال في عبد الرحمن بن الحكم يهجوه:

إن اللعين أبوك فارم عظامه   أن ترم ترم مخلجا مجنونا
يمسي خميص البطن من عمل التقى   ويظل من عمل الخبيث بطينا(١)

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: يدخل عليكم رجل لعين. وكنت تركت عمرا يلبس ثيابه ليقبل إلى رسول الله فلم أزل مشفقا أن يكون أول من يدخل فدخل الحكم بن العاص(٢).

وذكر البلاذري عن عمر بن مرة قال: استأذن الحكم على رسول الله ﷺ فعرف صوته فقال: ائذنوا له لعنه الله وعلى من يخرج من صلبه إلا المؤمنين وقليل ما هم ذو مكر وخديعة يشرفون في الدنيا ويضعون في الآخرة يعطون الدنيا

---

(١) الاستيعاب ١: ١١٨، أسد الغابة ٢: ٣٤.
(٢) الاستيعاب ١: ١١٩ وذكره في تطهير الجنان هامش الصواعق: ١٤٤ بتغيير.

وما لـهم في الآخرة من خلاق[١].

أن لعن النبي ﷺ للحكم وولده مشهور وجاء بطرق كثيرة فاختصره عن عبد الله بن الزبير ومحمد بن كعب القرضي وغيرهم. ومن حديث طويل عن عائشة قالت فيه: ... ولكن رسول الله ﷺ لعن أبا مروان ومروان في صلبه فمروان فضض من لعنة الله. وفي لفظ قالت: لكن رسول الله ﷺ لعن اباك وأنت في صلبه فأنت فضفض من لعنة الله. وفي لفظ الزمخشري في الفائق فأنت فضاضة[٢]لعنة الله ولعنة رسولـه[٣].

وأخرج الطبراني وابن عساكر والدارقطني في الافراد من حديث طويل حتى قال: بعد أن لعنه رسول الله ﷺ، ثم قال: أن هذا سيخالف كتاب الله وسنة نبيه وسيخرج من صلبه فتن يبلغ دخانها السماء. فقال ناس من القوم: هو أقل وأذل من أن يكون هذا منه. قال: بلى وبعضكم من شيعته[٤].

وأخرج ابن مردويه عن أبي عثمان النهدي قال مروان لما بايع ليزيد بن معاوية سنة أبي بكر وعمر (إلى آخر الحديث السابق عن عائشة) إلى أن قال:

---

(١) البلاذري في الأنساب ٥: ١٢٦. والحاكم في المستدرك ٤: ٤٨١. وصححه والواقدي كما في السيرة الحلبية ١: ٣٣٧. ابن حجر في الصواعق ١٠٨. السيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه ٦: ٩٠، نقلا عن أبي يعلى، والطبراني، والحاكم، والبيهقي، وابن عساكر وذكره الدميري في حياة الحيوان ٢: ٢٩٩.

(٢) ذكر الزمخشري: افتظنت الكرش إذا اعتصر ماؤها، كأنه عصارة قذرة من اللعنة.

(٣) مستدرك الحاكم ٤: ٤٨١، أسد الغابة ٢: ٣٤، نهاية بن الأثير، الصواعق لابن حجر: ١٠٨ ارشاد الساري للقسطلاني ٧: ٣٢٥. السيرة الحلبية ١: ٣٣٧. سيرة بن دحلان ٢: ٢٤٥ وكذا جل المفسرين عند تفسير الآية ـ والذي قال: لوالديه (اف لكما).

(٤) كنز العمال ٦: ٣٩.

فسمعت ذلك عائشة فقالت: انها لم تنزل في عبد الرحمن (بن أبي بكر) ولكن نزلت في أبيه ﴿لا تُطِعْ كُلَّ حَلافٍ مَّهِينٍ * هَمَّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيمٍ﴾[1].

الوزغ ابن الوزغ:

وقد كان لا يولد في المدينة ولد الا اتي به إلى النبي ﷺ فأدخل مروان بن الحكم على النبي ﷺ فقال: هو الوزغ بن الوزغ الملعون بن الملعون[2].

ولعل معاوية أشار إليه بقولـه لمروان (يا ابن الوزغ لست هناك) فيما ذكره ابن أبي الحديد[3].

ومن حديث عن جبير بن مطعم قال: كنا مع رسول الله فمر الحكم بن أبي العاص فقال النبي ﷺ: ويل لأمتي مما في صلب هذا[4].

وذكر ابن أبي الحديد نقلا عن الاستيعاب أنه: نظر علي يوماً إلى مروان فقال لـه: ويل لك وويل لامة محمد ﷺ منك ومن بيتك إذا شاب صدغاك[5]. وفي لفظ ابن كثير: ويلك وويل امة محمد منك ومن بنيك[6]. ورواها ابن عساكر بلفظ

---

(1) راجع الدر المنثور ٦: ٤١ وص٢٥١. السيرة الحلبية ١: ٣٣٧. فتح القدير الشوكاني ٥: ٢٦٣. تفسير الآلوسي ٢٩. سيره بن دحلان ١: ٢٤٥.

(2) مستدرك الحاكم ٤: ٤٧٩. وابن حجر في الصواعق: ١٠٨. والحلبي في السيرة١: ٣٣٧. والدميرى في حياة الحيوان ٢: ٣٩٩.

(3) شرح النهج ٢: ٥٦

(4) أسد الغابة ٢: ٣٤، الإصابة ١: ٣٤٦. السيرة الحلبية ١: ٣٣٧. كنز العمال ٦: ٤٠.

(5) شرح النهج ٢: ٥٥.

(6) أسد الغابة ٤: ٣٤٨

آخر كما في كنز العمال[١].

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في بيعة مروان: لا حاجة لي في بيعته، إنها كف يهودية، لو بايعني بيده لغدر بسبته، أما إن لـه إمرة كلعقة الكلب أنفه، وهو أبو الاكبش الأربعة[٢]، وستلقى الأمة منه ومن ولده يوماً أحمر.

قال ابن أبي الحديد في الشرح: قد روي هذا الخبر من طرق كثيرة ورويت فيه زيادة[٣]. ولم يذكرها صاحب النهج وهي قولـه عليه السلام في مروان: يحمل راية الضلالة بعدما يشيب صدغاه وإن لـه إمرة.. الحديث.

هذه الزيادة أخذها ابن أبي الحديد من ابن سعد قال: قال علي بن أبي طالب يوماً ونظر إليه: ليحملن راية ضلالة بعد ما يشيب صدغاه ولـه إمرة كلحسة الكلب أنفه[٤].

وهذا الحديث كما ترى غير ما في النهج وليس كما حسبه ابن أبي الحديد زيادة كما لا توجد تلك الزيادة في رواية السبط أيضاً في تذكرته[٥].

ومن طريق أبي يحي قال: كنت بين الحسن والحسين ومروان يتسابان فجعل الحسن يسكت الحسين فقال: أهل بيت ملعونون فغضب الحسن وقال: قلت أهل

---

(١) كنز العمال ٦: ٩١. وذكر في وضوء النبي: ١٨٧ في تبرير لعن النبي لـهم.

(٢) هم بنو عبد الملك الوليد، سليمان، يزيد، وهشام كذا فسره الناس وعند ابن أبي الحديد هم اولاد مروان عبد الملك الخ.

(٣) شرح النهج ٢: ٥٣.

(٤) الطبقات لابن سعد ٥: ٣٠ ط ليدن.

(٥) تذكرة سبط بن الجوزى: ٤٥.

بيت ملعونون فوالله لقد لعنك الله وأنت في صلب ابيك[١]. ولـه مشاجرات كثيرة مع الحسن والحسين عليهما السلام قد يطول المقام بذكرها، وقد عرف عن هذا الخبيث مروان أنه فاحشا متفحشا كما وصفه اسامة بن زيد[٢].

ولا يخفى على أحد عداء مروان وأبنائه لأهل بيت العصمة والطهارة واغتنامه الفرص لايذائهم، قال ابن عساكر: أبى مروان أن يدفن الحسن في حجرة رسول الله ﷺ وقال: ما كنت لأدع ابن أبي تراب يدفن مع رسول الله ﷺ وقد دفن عثمان بالبقيع ومروان يومئذ معزول يريد أن يرضي معاوية بذلك فلم يزل عدوا لبني هاشم حتى مات[٣].

فلا غرابة منه فإنه تربى في أحضان من عادى رسول الله وانتهج على ما سن لـه من العداء لعلي وأبنائه حتى اعتاد على سب علي عليه السلام كلما صعد المنبر ايام خلافته وأوصى بها عمالـه واستمر على ذلك حتى أصبح ذلك من مستلزمات السياسة الأموية ولابد لـهم منها كما في قول مروان: ما كان أدفع عن عثمان من علي. فقيل لـه: فما لكم تسبّونه؟. قال: لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك.

---

(١) مجمع الزوائد ١٠: ٧٢ وذكره السيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه ٦: ٩٠.

(٢) الاستيعاب بترجمة اسامة.

(٣) تاريخ ابن عساكر ٤: ٢٢٧.

الشجرة الملعونة في القرآن !

إن حديث الشجرة الملعونة جاء عن رسول الله ﷺ في مناسبات عدة، فعن عائشة إنها قالت لمروان سمعت رسول الله ﷺ يقول لأبيك وجدك (أبي العاص بن أمية): إنكم الشجرة الملعونة في القرآن[1] .

وكذلك جاء ضمن أحاديث الرؤيا.

رؤيا رسول الله في بني أمية:

إن حديث رؤيا رسول الله ﷺ وتفسير الشجرة الملعونة ببني أمية جاء بطرق عديدة اختصرها بما يلي:

➢ عن يعلى بن مرة قال: قال رسول الله ﷺ: رأيت بني أمية على منابر الأرض وسيملكونكم فتجدونهم أرباب سوء. واهتم (واغتم) رسول الله ﷺ لذلك فأنزل الله: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا... ﴾الآية، سورة الاسراء.

➢ عن علي بن الحسين أن رسول الله أصبح وهو مهموم فقيل: ما لك يا رسول الله؟. فقال: إني أريت في المنام كأن بني أمية يتعاورون منبري هذا. فقيل: يا رسول الله لا تهتم فإنها دنيا تنالهم. فأنزل الله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا...﴾ الآية.

ومثله عن سعيد بن المسيب كما أخرجه ابن أبي حاتم والبيهقي وابن عساكر.

---

(١) السيوطي الدر المنثور ٤: ١٩١. والحلبي في السيرة ١: ٣٣٧. والشوكاني في تفسيره ٣: ٢٣١ والآلوسي في تفسيره ١٥: ١٠٧. والقرطبي في تفسيره ١٠: ٢٨٦ باختلاف يسير في بعض اللفظ.

➢ وأخرج الطبري والقرطبي وغيرهما عن سهل ابن سعد قال: رأى رسول الله ﷺ بني أمية ينزون على منبره نزوَ القرود فساءه ذلك فما استجمع ضاحكا حتى مات، وأنزل الله الآية: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ﴾[1] الآية.

ومثله عن أبي هريرة في لفظ الحاكم والبيهقي في الدلائل وابن عساكر وأبي يعلى.

➢ وروى القرطبي والنيسابوري عن ابن عباس أن الشجرة الملعونة هم بنو أمية.

➢ وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عمر أن النبي ﷺ قال: رأيت ولد الحكم بن العاص على المنابر كأنهم القرود. فانزل الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلاَّ فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ﴾ يعني الحكم وولده.

ومصادر الأحاديث التي تثبت هذا المعنى كثيرة[2].

ولأهل السنة أقوال مفصلة في تفسير هذه الآية اختصرها بذكر قول الالوسي في تفسيره حيث قال: ومعنى جعل ذلك فتنة للناس جعلـه بلاء ومختبراً وبذلك فسره ابن المسيب، وكان هذا بالنسبة إلى خلفائهم الذين فعلوا ما فعلوا وعدلوا عن سنن الحق وما عدلوا وما بعده بالنسبة إلى ما عدا خلفاءهم منهم ممن كان عندهم عاملا وللخبائث عاملا أو ممن كان اعوانهم كيف ما كان. ويحتمل أن يكون المراد ما جعلنا خلافتهم وما جعلنا أنفسهم إلا فتنة وفيه من المبالغة في

---

(١) الإسراء: ٦٠.

(٢) كما في تفسير الطبري ١٥: ٧٧ وتاريخه ١١: ٣٥٦، مستدرك الحاكم ٤: ٥٥، تفسير القرطبي ١٠: ٢٨٣ وص ٢٨٦، تاريخ الخطيب ٨: ٢٨ و ٩: ٤٤، وتفسير النيسابوري ١٥: ٥٥، النزاع والتخاصم للمقريزي ٥٢، أسد الغابة ٣: ١٤، تطهير الجنان بهامش الصواعق: ١٤٨، الخصائص الكبرى ٢: ١١٨، الدر المنثور ٤: ١٩١، كنز العمال ٦: ٩٠، تفسير الخازن ٣: ١٧٧، تفسير الشوكاني ٣: ٢٣٠.

ذمهم ما فيه، وجعل ضمير (تخوفهم) على هذا لما كان لـه أولاداً أو شجرة باعتبار أن المراد بها بنو أمية ولعنهم لما صدر منهم من استباحة الدماء المعصومة أو الفروج المحصنة وأخذ الأموال من غير حلـها ومنع الحقوق عن أهلـها وتبديل الأحكام والحكم بغير ما أنزل الله تبارك وتعالى على نبيه عليه الصلاة والسلام إلى غير ذلك من القبائح العظام والمخازي الجسام التي لا تكاد تنسى ما دامت الليالي والأيام وجاء لعنهم في القرآن أما على الخصوص كما زعمه الشيعة أو على العموم كما نقول فقد قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾[1]، وقال عز وجل: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُوْلَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ﴾[2] إلى آيات أخر، ودخولـهم في عموم ذلك يكاد يكون دخولاً أولياً... إلى أخر كلامه[3].

إذا بلغت بنو أمية ثلاثين رجلا ،

وجاء الحديث بطرق كثيرة وألفاظ متقاربة واليك حديث أبي ذر ﷺ بصورتيه :

١ـ عن أبي ذر ﷺ إذا بلغت بنو أمية أربعين اتخذوا عباد الله خولاً ومال الله نحلاً وكتاب الله دغلا[4].

(١) الأحزاب: ٥٧.
(٢) محمد: ٢٢ ـ ٢٣.
(٣) تفسير الآلوسي ١٥: ١٠٧.
(٤) مستدرك الحاكم ٤: ٤٧٩ وأخرجه ابن عساكر كما في كنز العمال ٦: ٣٩. دلائل النبوة ٦: ٥٠٧، مجمع الزوائد ٥: ٥٤٣ ولغيره النزاع والتخاصم ٥٢، الخصائص الكبرى ٢: ١١٨.

٢ـ وعن أبي ذر رضي الله عنه مرفوعاً إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا مال الله دولا وعباد الله خولاً ودين الله دغلا. قال حلام بن جفال: فأنكر على أبي ذر فشهد علي بن أبي طالب عليه السلام وقال: أني سمعت رسول الله يقول: ما أظلت الخضراء ولا أقلت الغبراء على ذي لـهجة اصدق من أبي ذر وأشهد أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قالـه[1].

كما ذكره أمير المؤمنين في بعض رسائلـه إلى معاوية وقد تقدم. كما استشهد به معاوية عند ابن عباس واعترفوا به وذكره ابن حجر قال: أن مروان دخل على معاوية في حاجة وقال: أن مؤنتي عظيمة، أصبحت أبا عشرة واخا عشرة وعم عشرة. ثم ذهب فقال معاوية لابن عباس وكان جالساً معه على سريره: انشدك بالله يا ابن عباس أما تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: إذا بلغ بنو أبي الحكم ثلاثين رجلاً اتخذوا آيات الله بينهم دولا وعباد الله خولاً وكتابه دخلا، وإذا بلغوا سبعة وأربعمائة كان هلاكهم أسرع من كذا؟. قال: اللهم نعم[2].

ونقلت كتب السير أن عمر كان قد قال للمغيرة بن شعبة وكان أعور: أما والله ليعورن بنو أمية هذا الدين كما أعورت عينك ثم لتعمينه حتى لا يدري أين يذهب ولا أين يجيء[3].

---

(١) مستدرك الحاكم ٤: ٤٨٠، وصححه هو والذهبي كما أخرجه أحمد وابن عساكر وابو يعلى والطبراني والدارقطني من طريق أبي سعيد وأبي ذر وابن عباس ومعاوية وأبي هريرة كما في كنز العمال ٦: ٣٩ و٩٠.

(٢) تطهير الجنان هامش الصواعق: ١٤٧.

(٣) شرح النهج عن الموفقيات للزبير بن بكار.

حديث أغلمة قريش وتنبؤ الرسول بعهد السفهاء:

إن حديث أغلمة قريش جاء بصيغ عديدة والمعنى سواء، ففي لفظ البخاري قوله ﷺ: هلكة أمتي (أو أن فساد أمتي) على يدي غلمة من قريش(١).

وفي لفظ الحاكم قوله ﷺ: هلاك هذه الأمة على يد أغلمة من قريش(٢).

وفي لفظ أحمد قوله ﷺ: ان هلاك أمتي أو فساد أمتي رؤوس أمراء أغيلمة سفهاء من قريش(٣).

وحقاً لرسول الله أن يحذر الأمة من عهد هؤلاء الأغلمة السفهاء بأحاديث ونصوص كثيرة، منها:

قوله ﷺ لكعب بن عجرة: أعاذك الله يا كعب من إمارة السفهاء. قال: وما إمارة السفهاء يا رسول الله؟:

قال: أمراء يكونون بعدي لا يهدون بهديي ولا يستنون بسنتي فمن صدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فأولئك ليسوا مني ولست منهم ولا يردون على حوضي ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فاولئك مني وأنا منهم

---

(١) البخاري الفتن باب ١: ٦٦٩٥ و١٤٦٥، والمعجم الصغير للطبراني: ٢٠٠ والحاكم في المستدرك ٤: ٤٧٠ والذهبي في تلخيص المستدرك، فتح الباري ١٣: ٧: ٨، ومما يثير الدهشة أن تجد هذه الأحاديث واكثر منها في آل أبي سفيان وال مروان كما هو واضح غير أن ابن كثير في البداية ٦: ٢٥٥ جعلها تحت عنوان: (أخباره ﷺ لما وقع من الفتن من بني هاشم بعد موته) علماً أنه وضعها وفق ترتيبه التاريخي في أحداث العهد الأموي، ولعل المتهم في هذا ناسخ أموي الهوى غاضه ذكر بني أمية في هذا العنوان فقلبه على بني هاشم نقلا عن صائب عبد الحميد: ١٧٩.

(٢) مستدرك الحاكم ٤: ٤٧٩. والمعجم الصغير للطبراني: ٢٠٠

(٣) مسند أحمد ٢: ٢٩٩،: ٣٠٤،: ٣٢٨ وص ٥٢٠.

وسيردون حوضي[1].

وفي لفظ آخر قولـه ﷺ: أسمعوا، هل سمعتم، إنه سيكون بعدي أمراء فمن دخل عليهم فصدقهم بكذبهم وأعانهم على ظلمهم فليس مني ولست منه وليس بوارد علي الحوض ومن لم يدخل عليهم ولم يصدقهم بكذبهم ولم يعنهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه وسيرد على الحوض[2].

وفي لفظ: ألا إنه سيكون بعدي أمراء يكذبون ويظلمون فمن صدقهم بكذبهم ومالأهم على ظلمهم فليس مني ولا أنا منه، ومن لم يصدقهم بكذبهم ولم يمالئهم على ظلمهم فهو مني وأنا منه[3].

وفي لفظ عند أحمد: سيكون أمراء بعدي يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون[4].

وهذا تنبؤ منه ﷺ الصادق الأمين الذي لا ينطق عن الـهوى أن هو إلا وحي يوحى بعهد هؤلاء الأغلمة السفهاء عهد هلاك أمته ودور الفساد والانحراف، ومنهم بدأت الفتن والضلال وعليهم عادت، كما نرى الولاة يوم ذاك من طريد لعين إلى وزغ مثلـه، ومن فاسق مهتوك بنص الذكر الحكيم إلى طليق منافق، ومن شاب نزق إلى خليع يرقص بين غلمانه وجواريه إلى متجاهر بشرب الخمر وزانيا بالأمهات والبنات إلى أغلمة سفهاء يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون... .

---

(١) مستدرك الحاكم ٤: ٤٢٢.

(٢) تاريخ الخطيب ٢: ١٠٧، ٥: ٣٦٢.

(٣) مسند أحمد ٤: ٢٦٧.

(٤) مسند أحمد ١: ٤٥٦.

تبرير أعمال الخلفاء

والأدهى والأمر مايستشفه الباحث من سيرة هؤلاء حيث انهم كانوا يرون الخلافة ملكا يتوارثونه بينهم وسياسة زمنية، فلا يبالي أحدهم بإبطال شيء منها أو تبديلـه بآخر حسبما تقتضيه ضروفه الخاصة وتستدعيه أحوالـه، وليس لحكم السماء وزنا ولشرعة خاتم الأنبياء قيمة ولنواميس الدين الحنيف أي اعتبار وأهمية عندهم خاصة بعد ما حصلوا على تسهيلات كثيرة من المحدثين تضفي عليهم غطاءا شرعيا وتبرر أعمالـهم وتخدر أفكار البسطاء المساكين وتسكت اصوات المعارضين وذلك باختلاق أحاديث كثيرة عن سيد المرسلين ﷺ تأمر الناس بالخضوع لمثل هؤلاء الأئمة بكل ما يقولون، وتأمرهم بالسكوت عن كل ما يفعلون، ومن خرج عليهم فهو كافر فاجر يجب قتلـه وأن مات فسوف يموت ميتة جاهلية، وان الإمام لا يخلع بفسق ولا ينتقد بفاحشة مبينة ولا يعاب بجهل ولا يؤاخذ بعثرة ولا يشترط فيه أي من الملكات الكريمة والصفات الحميدة ولـه العتبى في كل ذلك وليس عليه من عتب.

والأحاديث في هذا الشان كثيرة استوفيت القول فيها في مبحث شروط الإمام من كتابنا هذا فراجع.

وإليك نماذج منها:

١ـ رووا ان رسول الله ﷺ قال: يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجال قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان أنس. قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟. قال: تسمع وتطيع للأمير وأن

ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع[1].

٢ـ ورووا ان سلمة بن يزيد سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن قامت علينا أمراء يسألوننا حقهم ويمنعوننا حقنا فما تأمرنا؟. قال: فأعرض عنه رسول الله ثم سأله فقال: اسمعوا واطيعوا فانما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم[2].

وخلاصة تلك الروايات الكثيرة: ما ذكره النووي في هامش ارشاد الساري في ذيل الأحاديث المذكورة عن صحيح مسلم قال: ومعنى الحديث: (لا تنازعوا ولاة الأمور في ولايتهم ولا تعترضوا عليهم إلا أن تروا منهم منكرا محققا تعلمونه من قواعد الإسلام فإذا رأيتم ذلك فانكروه عليهم وقولوا بالحق حيثما كنتم) واما الخروج عليهم وقتالهم فحرام باجماع المسلمين وأن كانوا فسقة ظالمين، وقد تظاهرت الأحاديث بمعنى ما ذكرته، وأجمع أهل السنة أنه لا ينعزل السلطان بالفسق... ـ إلى أن قال ـ فلو طرء على الخليفة فسق قال بعضهم: يجب خلعه إلا أن تترتب عليه فتنة وحرب. وقال جماهير أهل السنة من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين: لا ينعزل بالفسق والظلم وتعطيل الحقوق ولا يخلع ولا يجوز الخروج عليه بذلك بل يجب وعظه وتخويفه[3]. تعالوا على الإسلام نبكي ونلطم !

﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ الله فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[4].

---

(١) صحيح مسلم ٢: ١١٩، سنن البيهقي ٢: ١٥٧.

(٢) صحيح مسلم ٢: ١٢٢، سنن البيهقي ٨: ١٥٨.

(٣) ارشاد الساري ٨: ٣٦.

(٤) المائدة: ٤٤.

وبهذا ابتعدوا عن الثقلين الذي خلفهما رسول الله بقوله: خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وانهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض... الخ الحديث وسيأتي.

وبهذا سادت الفوضى وعم الفساد في جميع البلاد وحرفت الشريعة وبدّلت بالبدع والضلال، وبهذا انتهكت الأعراض وسفكت دماء الالاف من الأبرياء، وقتل الكثير من الصحابة وكبار التابعين من المعارضين لهم، وابيح حرم الرسول في المدينة وسيلت الدماء في مسجده في وقعة الحرة، واحرق البيت الحرام رميا بالمنجنيق في وقعة ابن الزبير، إلى غير ذلك مما امتلأت به كتب التاريخ والسير والحديث ويصعب علينا عدها وتعدادها.

والذي يهمنا في هذه العجالة ما يتعلق بتحجيمهم لمعارضة أهل البيت، وقتل اتباعهم وتشريدهم وتشويه مكانتهم، وإخفاء الكثير من فضائلهم ومناقبهم وخاصة زعيمهم أمير المؤمنين على بن أبي طالب عليه السلام وأبدلوها بأحاديث مختلقة وموضوعة، وتحكموا ببعضها بالاجتهاد الزائف والتأويل حسب مذاق مرتزقتهم من المحدثين والوعاض ممن يلهثون وراء المال والجاه والمناصب والتقرب للسلطة فباعوا آخرتهم بثمن بخس وذلك هو الخسران المبين.

ومهما يكن من كل ذلك فلا يخفى ـ على من نبذ التقليد الأعمى وتجرد عن العصبية ـ ما اطلوه بغلاف ذهبي باسم الخلافة الإسلامية وتدرعوا باسم خليفة المسلمين وأمير المؤمنين، وتستروا عن بعض المظاهر بإقامة الصلاة، وما جمعوه من ثروات باسم الزكاة حتى ولو للخمور والشهوات، وما سعوا اليه من توسيع سلطانهم وبسط نفوذهم باسم الجهاد للسيطرة على العباد، وما حاولوه من أن لا تتجاوز هذه الأموال الطائلة البلاط وقصور الشهوات وتنحصر في أبنائهم والخاصة

من أتباعهم من المتعاونين معهم والسائرين في ركابهم من الوزراء والولاة والعمال وكبار القضاة. ولتوضيح هذه الأمور نعرض اليسير من سلوك بعضهم لا على حد الإحصاء لجرائمهم ومنكراتهم أو الاستقصاء لمجونهم ولـهوهم ولا محاسبتهم على تبذير أموال المسلمين على بذخهم وسرفهم ولا على تسلسل توليهم الخلافة فما نشير إليه في هذه العجالة النزر اليسير.

حتى برروا لهم ان الخليفة لا حساب عليه ولا عقاب [١].

(١) دليل المتحرين ١٠٩، عن فيض القدير ٢: ٤١٩.

خلافة عبد الملك بن مروان

عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص ابن أمية وامه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاص، وكان جده المغيرة من أشد الناس عداء لرسول الله ﷺ ولـه معه حكايات، فظفر به ﷺ في خروجه لغزوة حمراء الاسد فأمر بضرب عنقه[١].

وقال ابن كثير: أن المغيرة جد عبد الملك لامه هو الذي جدع انف حمزة بن عبد المطلب يوم أُحد[٢].

وتولى عبد الملك الخلافة بعهد من أبيه مروان سنة ٦٥ وتوفي سنة ٨٦. وكان قبل ولايته يجالس العلماء ويحفظ الحديث ويتعبد ولما افضى الأمر إليه كان المصحف بيده فاغلقه وقال: هذا آخر العهد بك أو هذا فراق بيني وبينك[٣].

وكانت أول بادرة صدرت منه وتعتبر منهاجا لسيرته أنه رفض الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقال: لا يأمرني أحد بتقوى الله إلا ضربت عنقه.

ولـه إقدام على سفك الدماء، فلما قالت لـه أم الدرداء بلغني أنك شربت الطلى بعد العبادة والنسك؟!. فقال: أي والله والدماء أيضاً شربتها[٤].

وحج عبد الملك سنة ٧٥ وخطب فهدد الناس وخوفهم وسنتعرض لذلك في فصل قادم.

---

(١) السيرة لابن حزم: ١٧٥.

(٢) تاريخ ابن كثير ٩: ٦٣.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٨٤. تاريخ ابن كثير ٩: ٦٣.

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ٨٤.

توليته للحجاج الثقفي:

وعبد الملك هو الذي أمر بحمل الإمام زين العابدين عليه السلام مقيدا من المدينة إلى الشام[١]. وهو الذي سلط الحجّاج بن يوسف الثقفي على رقاب المسلمين عندما ولّاه على الحجاز والعراق، والحجّاج ذلك الطاغية الخبيث الذي اذاق الأمة أنواع العذاب، وقد اتخذ ذلك السجن المكشوف الذي يضم بين جدرانه عدداً لا يقل عن مائة وعشرين الفا بين رجل وامرأة يلاقون فيه حرارة الشمس وألم الجوع والسياط، واتخذ في معاملة الناس أقسى ما يتصور من القسوة والشدة، فهو يسل سيفه أنى شاء وكيف شاء، ولـه أساليب في إنزال العذاب والعقوبة بمن يظفر به، وهي كثيرة ومشهورة[٢].

وهو الذي أرسلـه عبد الملك على الجيش لحرب ابن الزبير فكان الحجاج يرمي الكعبة بالمنجنيق[٣].

وقومه يرمون من جبل أبي قبيس ويرتجزون:

خطـــارة مـــثل الفنـــيق المـــزبد   أرمـــى بهـــا اعـــواد هـــذا المســـجد

فجاءت صاعقة فاحرقتهم فامتنعوا عن الرمي فابتكر لـهم خديعة[٤].

---

(١) حلية الأولياء ٣: ١٣٥.

(٢) وأخرج الترمذي وابن عساكر من طريق هشام بن حسان أنه قال: أحصي ما قتل الحجاج صبرا فوجد مائة وعشرون الفا. (صحيح الترمذي ٩: ٦٤، ابن عساكر ٤: ٨٠، تيسير الوصول ٤: ٣٦). ووجد في سجنه ثمانون ألف منهم ثلاثون ألف امرأة. (ابن عساكر ٤: ٨٠، المستطرف ١: ٦٦).

(٣) شفاء الغرام للقاضي تقي الدين المكي ١: ١٦٩.

(٤) وذكرها في الإمام الصادق والمذاهب الأربعة وعنه ذكرت الترجمة ١: ١١٠.

ولم يزل يخدعهم حتى عادوا فرموا[١].

كفر الحجاج وإلحاده:

وكان عبدالملك يشجع الحجاج ويشد ازره ولا يسمع عليه أي شكاية أو إستغاثة، وهذا من الأمور التي استدل بها على جرأة عبد الملك على سفك الدماء فرغم علمه بجور الحجّاج وتعسفه ورغم ما كانت تصلـه من شكايات واخبار نجد عبد الملك يشجع الحجاج ويوصي ولي العهد برعايته وإكرامه[٢].

وقد استدل العلماء على كفر الحجاج وإلحاده وطعنه بالرسول ﷺ والرسالة، واليك نماذج من تلك الأدلة:

فقد جاء من طريق سفيان الثوري عن سلمة بن كهيل قال: اختلفت أنا وذر المرهبي[٣] في الحجاج فقال: مؤمن. وقلت: كافر.

قال الحاكم: وبيان صحته ما أطلق فيه مجاهد بن جبير عنه فيما حدثناه... عن الأعمش قال: والله لقد سمعت الحجاج بن يوسف يقول: يا عجباً من عبد هذيل ـ يعني عبد الله بن مسعود ـ يزعم أنه يقرأ قرآنا من عند الله:

والله ما هو إلا رجز من رجز الأعراب، والله لو ادركت عبد هذيل لضربت عنقه. وزاد ابن عساكر ولأخلين منها المصحف ولو بضلع خنزير[٤].

---

(١) تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤: ٥٠.

(٢) السيوطي: ٨٥.

(٣) كان من عباد أهل الكوفة أحد رجال الصحاح الستة.

(٤) مستدرك الحاكم ٣: ٥٥٦، تاريخ ابن عساكر ٤: ٦٩.

وقال ابن عساكر[١]: اختلف رجلان فقال أحدهما: أن الحجاج كافر وقال الآخر: مؤمن ضال فسألا الشعبي فقال لـهما: أنه مؤمن بالجبت والطاغوت كافر بالله العظيم.

ومن خطبة للحجاج : اتقوا الله ما استطعتم فليس فيها مثوبة، واسمعوا واطيعوا لأمير المؤمنين عبد الملك فإنها المثوبة. والله لو أمرت الناس أن يخرجوا من باب من ابواب المسجد فخرجوا من باب آخر لحلت إلي دمائهم وأموالـهم[٢].

وقد تنبأ الرسول ﷺ بهذا العهد فعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: في ثقيف كذاب ومبيرا[٣].

واطبق الناس سلفاً وخلفا على أن المبير هو: الحجاج، كما أشار إليه أمير المؤمنين في بعض خطبه، وقالت لـه أسماء بنت أبي بكر: أنت المبير الذي أخبرنا به رسول الله ﷺ [٤].

وقال الجاحظ: خطب الحجاج بالكوفة فذكر الذين يزورون قبر رسول الله ﷺ بالمدينة فقال: تباً لـهم انما يطوفون بأعواد ورمة بالية، هلا طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك، ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسولـه[٥].

ومثلـه ما جاء في رسالته إلى عبد الملك قولـه أن خليفة الرجل في أهلـه

---

(١) تاريخ ابن عساكر ٤: ٨٠.

(٢) تاريخ ابن عساكر ٦٩.

(٣) صحيح الترمذي ٩: ٦٤ وج ١٣: ٢٩٤، مسند أحمد ٢: ٩١، تاريخ ابن عساكر ٤: ٥٠.

(٤) تهذيب التهذيب ٢: ٢١١ تهذيب تاريخ ابن عساكر ٤: ٥٣.

(٥) النصائح لابن عقيل: ٨١.

أكرم عليه من رسولــه إليهم وكذلك الخلفاء يا أمير المؤمنين أعلى منزلة من المرسلين[١].

وعن ابن عساكر قال: وسئل عنه واصل بن عبد الاعلى فقال: فسألوني عن الشيخ الكافر. وقال: القاسم بن مخيمرة كان الحجاج ينتقص من الإسلام. وقال: عاصم بن أبي النجود ما بقيت لله تعالى حرمة إلا وقد انتهكها الحجاج. وقال طاووس: عجبت لاخواننا من أهل العراق يسمون الحجاج مؤمنا. وقال الاجهوري: وقد اختار الإمام محمد بن عرفة والمحققون من اتباعه كفر الحجاج[٢].

وجاء عن عمر بن عبد العزيز قولــه: لو جائت كل أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم[٣].

وسئل الحسن البصري عن عبد الملك فقال: ما أقول في رجل الحجاج سيئة من سيئاته[٤].

وروى ابن أبي الحديد: كان الحجاج لعنه الله يلعن علياً عليه السلام ويأمر بلعنه. وقال لـه متعرض به يوماً وهو راكب: أيها الأمير أن أهلي عقوني فسموني علياً، فغيّر اسمي وصلني بما أتبلّغ به، فانّي فقير. فقال: للطيف ما توصلت به، قد سميتك كذا ووليتك العمل الفلاني فاشخص إليه[٥].

(١) البداية والنهاية ٩: ١٣٧ وقريب منه تهذيب ابن عساكر ٤: ٧٢.
(٢) الاتحاف: ٢٢.
(٣) الكامل لابن الأثير ٤: ٢٣٦: ٢٧١.
(٤) تاريخ أبي الفداء: ٢٠٩.
(٥) شرح النهج ١: ٣٥٦.

ولم يأت أحد من الولاة بمثل ما جاء به الحجاج من قتل وتشريد لشيعة علي عليه السلام ومطاردتهم وتتبع آثارهم وطمس فضائل أمير المؤمنين ومعاقبة من يروي لـه منها شيء، وجرائمه كثيرة لا يستوعبها هذا المختصر وسيأتي بعضها خلال الابحاث.

وما رواه المسعودي يبين بعض ما يتقرب به الناس للحجاج، فروى المسعودي ان الحجاج قال يوما لعبد الله بن هاني وهو رجل من اود (حي في اليمن) وكان شريفا في قومه، وقد شهد مع الحجاج مشاهده كلـها، وشهد معه تحريق البيت الحرام، وكان من انصاره واتباعه، فقال لـه: والله ما كافأناك بعد. ثم أرسل إلى اسماء بن خارجة وكان من فزاره أن زوج عبد الله بن هاني ابنتك. فقال: لا والله ولا كرامة فدعا لـه بالسياط.... .

ثم بعث إلى سعيد بن قيس الـهمداني رئيس اليمامة أن زوج عبد الله بن هاني. قال: ومن أود والله لا ازوجه ولا كرامة. قال: هاتوا السيف. فقال: دعني اشاور أهلي. فشاورهم فقالوا: زوجه لا يقتلك هذا الفاسق. فزوجه فقال لـه الحجاج: يا عبد الله قد زوجتك بنت سيد بني فزارة وابنة سيد همدان وعظيم كهلان وما اود هناك. فقال: لا تقل اصلح الله الأمير ذلك، فإن لنا مناقب ما هي لاحد من العرب. قال: وما هذه المناقب؟. قال: ما سب أمير المؤمنين عثمان في ناد لنا قط. قال: هذه والله منقبة. قال: وشهد منا صفين مع أمير المؤمنين معاوية سبعون رجلاً وما شهدها مع أبي تراب منا إلا رجلاً واحد وكان والله ما علمته إلا رجل سوء. قال: وهذه والله منقبة. قال: وما منا أحد تزوج امرأة تحب أبا تراب وتتولاه. قال: وهذه والله منقبة. قال: وما منا امرأة إلا نذرت أن قتل

الحسين إلا تنحر عشر جزائر لـها ففعلت. قال: وهذه والله منقبة. قال: وما منا رجل عرض عليه شتم أبي تراب ولعنه إلا فعل وقال: أزيدكم ابنيه الحسن والحسين وأمهما فاطمة. قال: وهذه والله منقبة. قال: وما أحد من العرب لـه من الملاحة والصباحة ما لنا. فضحك الحجاج وقال: أما هذه يا أبا هاني فدعها. وكان عبد الله دميما شديد لادمة مجذور مائل الشدق أحول قبيح الوجه شديد الحول(١).

وأرسل الحجاج إلى محمد بن القاسم الثقفي أن ادع عطية فإن لعن علي بن أبي طالب والا فاضربه أربع مائة سوط واحلق رأسه ولحيته. فدعاه فأقرأه كتاب الحجاج، فابى عطية أن يفعل، فضربه أربع مائة سوط وحلق رأسه ولحيته(٢).

وروى الذهبي عن حجر المدري ما موجزه قال: قال علي بن أبي طالب كيف بك يا حجر إذا أمرت أن تلعني؟. قلت: أو كائن ذلك؟. قال: نعم. قلت: كيف اصنع ؟. قال: العني ولا تبرأ مني. قال: فأمره محمد بن يوسف أخو الحجاج أن يلعن علياً فقال: أن الأمير أمرني أن العن علياً فالعنوه لعنه الله. فما فطن لـها إلا رجل(٣).

---

(١) مروج الذهب ٣: ١٤٤ وابن أبي الحديد ١: ٣٥٧. وبتحقيق أبو الفضل ٤: ٦١.

(٢) الطبقات في ترجمة عطية ٦: ٢١٢. الطبري ٢: ٩٤: ٢٤. تهذيب التهذيب ٧: ٢٤٤. وفي تقريب التهذيب. ومثلـه تهذيب التهذيب ٢: ٢١١. البداية والنهاية ٩: ١٣٩. تهذيب ابن عساكر ٤: ٨٣.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ٤: ٥١ ترجمة محمد بن يوسف وذكرها الحاكم في المستدرك ٢: ٣٥٨ ونسبها إلى أحمد بن إبراهيم خليفة بني أمية.

خلافة الوليد بن عبد الملك

وأقر الوليد بن عبد الملك في خلافته الحجاج على ولايته، وقتل آلاف الأبرياء، وقام الوليد بدس السم للإمام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام ويقال: هشام بن عبد الملك بامر من الوليد ولـه تفصيل آخر...[1].

وروى أهل السير أن الوليد كان مستهترا بأحكام الشريعة، غير مبال بما تفعلـه عمّالـه من المنكرات وحتى وزراؤه والمقربون عنده وهو في شغل عنهم بلذاته ومجونه، وقد عرف بنصبه العداء لأمير المؤمنين عليه السلام وتتبع محبيه بالقتل والسجن والتشريد، وكان يتجاهر بسبه ولعنه حتى أنه ذكر علياً عليه السلام فقال: (لعنه لله) بالجر كان لصا ابن لص.

فعجب الناس من لحنه فيما لا يلحن فيه أحد ومن نسبته اللصوصية لعلي وقالوا ما تدري أيهما اعجب وكان الوليد لحانا[2].

وفي أيامه قتل سعيد بن جبير لحبه وشدة موالاته لعلي، قتلـه الحجاج سنة ٩٥، وكان سعيد قد هرب من الحجاج إلى أذربيجان ومنها توجه إلى مكة مستجير بالله ولائذا في حرمه فكتب الحجاج إلى الوليد أن جماعة من التابعين قد التجئوا إلى مكة فكتب الوليد إلى عامل مكة خالد القسري يأمره بحملـهم إلى

---

(١) ذكر ذلك جماعة من الحفاظ والمؤرخين كالفرقاني في تاريخه وابن حجر في صواعقه وابن الصباغ في الفصول المهمة وابن جرير في دلائل الإمامة وروضة الواعظين في ذكر ترجمته عليه السلام وغيرهم الكثير مما لا يترك مجال للشك في ذلك.

(٢)) شرح النهج ١: ٢٥٦ وفي ط محمد أبو الفضل ٤: ٥٧.

الحجاج وكانوا خمسة سعيد بن جبير وعطاء ومجاهد وطلق بن حبيب وعمر بن دينار، ولما دخل سعيد على الحجاج دارت بينهما محاورة... وأسمعه الحجاج كلاما شائنا ثم سألـه عن عبد الملك فقال سعيد: تسألني عن امرأ أنت واحد من ذنوبه. وأمر الحجاج بقتلـه فقال سعيد: أشهد أن لا إلـه إلا الله وحده لا شريك لـه استحفظكها يا حجاج حتى ألقاك يوم القيامة، ولما قتل هلل رأسه ثلاثا افصح بمرة والتبس عقل الحجاج يومئذ وجعل يقول: قيدونا قيدونا. فظنوها قيود سعيد التي في رجليه فأخذوها من رجليه بعد أن قطعوا رجليه من ساقيه، وكان الحجاج إذا نام يتنبه مرعوبا ويقول: مالي ولسعيد بن جبير[1]. ولم يبق الحجاج بعد ذلك إلا اياما. وواقعة سعيد ذكرها أصحاب السير باكثر من ذلك تفصيلا.

---

(١) تاريخ ابن خلدون ٣: ٦٥ والطبري ٨: ٩٥.

خلافة عمر بن عبد العزيز

عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم ولي العهد من سليمان بن عبدالملك سنة ٩٩، ومدة خلافته سنتين وخمسة أشهر وخمسة أيام، وكان أبوه عبد العزيز ولي عهد مروان بعد أخيه عبد الملك ولكنه مات قبلـه.

وقد وجد الناس ـ والحق يقال ـ في عهد عمر عدلاً فقدوه زماناً، واستراحوا في أيامه مما كانوا يتحملونه من ظلم وتعسف وجور في الحكم واستبداد في الأمر من حكام سبقوه وهم لا يتقيدون بقانون سماوي أو وضعي أو سنة نبوية أو عدل في الرعية ولا ينظرون إلا لأنفسهم وأنصارهم فيستأثرون بما يجبونه من أموال ينفقونه بينهم لشهواتهم ومجونهم.

ولما كان الخراج في عهدهم من أعظم المشاكل التي تواجهها الأمة لسوء تصرف العمال وجشع الولاة، والجباية غير محدودة ولا مقررة بل يعود الأمر إلى العمال أنفسهم فهم يقررون ما أرادوا فيظلمون العباد ويخربون البلاد، فان عمر بن عبد العزيز عالج هذه المشكلة وذلك بتدوين الخراج كما يظهر من كتبه إلى عمالـه، وذكروا صورة لعاملـه على الكوفة[1].

كما عالج مشكلة السب والشتم لعلي عليه السلام الذي اعتادوا عليه طيلة الخلافة الأموية فأمر جميع ولاته بتركه وأبدلـه بأن تقرأ آية: ﴿إِنَّ اللهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾[2] الآية فحل هذا الفعل عند عامة الناس محلا حسناً واكثروا مدحه

---

(١) الكامل لابن الأثير ٥: ٢٩ والطبري ٨: ١٣٩.

(٢) النحل: ٩٠.

لذلك[١]. وقد عامل العلويين معاملة حسنة وفرق بينهم أموال كثيرة وكتب إلى عماله بذلك حتى قال في أحد رسائله إلى عماله في المدينة: فطالما تخطتهم حقوقهم والسلام[٢].

ولـه في ذلك قصص وأحاديث كثيرة مشهورة بين المؤرخين.

وصعب على الأمويين ترك هذه البدعة التي تعودوا عليها من السب والشتم فحاولوا اعادتها بعده، كما ثقل على الأمويين ما قام به من أعمال صالحة بين الأمة ومعالجته مشاكل المجتمع وتحديده من تصرفاتهم في البذخ والمجون والاستهتار فتآمروا عليه وقيل أنه مات بالسم من بني أمية خوفا من إن امتدت أيامه أن يخرج الأمر منهم ولا يعهد لاحد منهم فعاجلوه[٣].

---

(١) ابن الأثير ٥: ٢٠.

(٢) مروج الذهب ٣: ١٩٤.

(٣) الاناقة في مآثر الخلافة ١: ١٤٢.

الخليفة يزيد بن عبد الملك

يزيد بن عبد الملك بن مروان تولى الحكم بعد عمر بن عبد العزيز سنة ١٠١، وأراد أن يسير بسيرة عمر بن عبد العزيز، فشق ذلك على الأمويين وقرناء السوء واعوان الظلم والاستبداد ودعاة الباطل فأتوا إليه باربعين شيخا شهدوا لـه أنه ما على الخلفاء من حساب ولا عذاب[١]، وكان كلامهم موافقا لـهواه فخدعوه بذلك فانخدع بهم فانهمك في اللذات واللهو والطرب ولم يراقب الله ولم يخشه[٢]، وترك التظاهر بالإسلام والقرآن والسنة جانبا، وعادت الأمور إلى وضعها قبل عمر، وعادت مشكلة الخراج من جديد بالسلب والنهب، وعزل جميع عمّال عمر، وكتب إلى عمالـه: أما بعد فإن عمر بن عبد العزيز كان مغرورا فدعوا ما كنتم تعرفون من عهده ...الخ[٣].

قال ابن الأثير: وعمّه يزيد بن الوليد إلى كل ما صنعه عمر مما لم يوافق هواه فرده ولم يخف شناعة عاجلـه ولا اثما عاجلا... الخ[٤].

والخلاصة: فإن يزيد هذا هو الخليفة للمسلمين وأمير المؤمنين مع جميع الفوارق، وكان يزيد صاحب لـهو ولذة، وهو صاحب حبابة وسلامة، وهما جاريتان وكان مشغوفا بهما، وماتت حبابة فمات بعدها بيسير أسفا عليها، وكان

---

(١) ابن كثير ٩: ٢٥٢ وفيض القدير ٢: ٤١٩.

(٢) النجوم العوالي ٣: ٢٠٩.

(٣) العقد الفريد ٣: ١٨٠.

(٤) الكامل ٥: ٢٢.

قد تركها اياما لم يدفنها لعدم استطاعته فراقها، فعوتب على ذلك، فدفنها ويقال: أنه نبشها بعد الدفن حتى شاهدها[١].

ولو رجعنا إلى كتب السير والقصص وما يجري فيها في سهراته وناديه وأمثالـه من خلفاء لبكينا على الإسلام أسفا وخجلا.

(١) الاناقة في مأثر الخلافة ١: ١٤٦ والبدء التاريخ ٣: ٤٨.

الخليفة هشام بن عبد الملك بن مروان

هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم تولى الخلافة بعهد من أخيه يزيد بن عبد الملك سنة ١٠٥.

وكان هشام يعد من دهاة بني أمية وقرنوه بمعاوية وعبد الملك، وقد عرف بالغلظة وخشونة الطبع وشدة البخل وسوء المجالسة وكان أحول.

وكان شديد البغض للعلويين عامّة ولأهل البيت خاصة، وحاول الانتقام منهم والانتقاص منهم كلما أمكنته الفرصة في طيلة خلافته، ولا يسع المجال لعرض ذلك. ولـه قصة مشهورة مع الإمام زين العابدين، وذلك عندما أراد هشام إستلام الحجر فلم يفسح لـه مجال، ولما جاء الإمام زين العابدين فسح لـه، فتنكر هشام للامام خجلا ممن كان معه وسئل عنه، فأجابه الفرزدق بالقصيدة المشهورة ومطلعها:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته... الخ

فحبس الفرزدق لذلك !

واستدعى هشام الإمام الباقر وولده الإمام جعفر الصادق إلى دمشق وجرت لـه معهمَ محاورات عديدة تناقلتها كتب السير والتاريخ.

وفي ثورة زيد بن علي المعروفة اتضح عداء هشام وبغضه لأهل البيت، وباختصار لما أرسل على زيد بن علي ودخل عليه فسلم عليه بالأمرة فلم يرد السلام إهانة لـه واغلظ في الكلام معه ولم يفسح لـه في المجلس.

فغضب زيد وقال: السلام عليك يا احول اذ لم تر نفسك أهلا لـهذه الاسم. فغضب هشام وجرت بينهما محاورة حادة كان نصيب هشام فيها الفشل فخرج

زيد وهو يقول: (ما كره قوم حر السيف إلا ذلوا).

وأمر هشام برده وقال لـه: اذكر حوائجك، فقال زيد: أما وأنت الناظر في أمور المسلمين فلا . وخرج من عنده وقال: من احب الحياة ذل[1].

ومضى زيد إلى الكوفة وقام بثورة كبيرة مشهورة كانت فيها مختلف الطاقات ممن كان ينقم على الأمويين في جرائمهم واستبدادهم في الحكم والتعسف في الرعية والابتعاد عن الدين واحكام الشرعية، وكانت تلك ثاني ثورة اهمية وقوة بعد ثورة الإمام الحسين في كربلاء.

وبعد شهادته رضي الله عنه صلب جسده عريانا منكوسا بامر من هشام وبقى الجسد مصلوبا أربع سنين ونسجت العنكبوت على عورته[2].

ثم أمر هشام بارسال الرأس إلى حنظلة بن صفوان عاملـه على مصر فأمر حنظلة بتعليقه وأن يطاف به[3].

وبقى جسده مصلوبا إلى أيام الوليد بن يزيد وأقاموا حراسا عليه... الخ.

---

(١) راجع تاريخ الطبري ٨ حوادث سنة ١٢١ وابن عساكر ٦: ٢٢.

(٢) تاريخ الخميس ٢: ٣٢٠.

(٣) النجوم الزاهرة ١: ٢٨١.

خلافة الوليد بن يزيد بن عبد الملك

الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان ولي الأمر بعد هشام بعهد من يزيد بن عبد الملك سنة ١٢٥. وقال ابن حزم: وكان الوليد فاسقا خليعا ماجنا[١].

وقال ابن فضل الله في المسالك: الوليد بن يزيد فرعون ذلك العصر الذاهب، يأتي يوم القيامة فيورد قومه النار ويرديهم العار وبئس الورد المورود، رشق المصحف بالسهام ولم يخش الاثام.

وقال القلقشندي: وكان مصروف الـهمة إلى اللهو والأكل والشرب وسماع الغناء[٢].

وقال ابن كثير: كان هذا الرجل متجاهرا بالفواحش، مصرا عليها، منتهكا محارم الله عز وجل، لا يتحاشى من معصية، وربما اتهمه بعضهم بالزندقة والانحلال.

ولما ولّي هشام اكرم ابن أخيه الوليد حتى ظهر عليه أمر الشراب وخلطاء السوء ومجالس اللهو... .

وقال هشام للوليد: ويحك، والله ما أدري أعلى دين الإسلام أنت أم لا، فإنك لم تدع شيئاً من المنكرات إلا أثبته غير متحاش ولا متستر. فكتب إليه:

يــا أيهــا الســائل عــن ديننــا دیــني عــلى ديــن أبي شــاكر[٣]

---

(١) السيرة: ٢٦٢.

(٢) الاناقة في مأثر الخلافة ١: ١٥٦.

(٣) تاريخ ابن كثير ١٠: ٢ و٦.

وابو شاكر هو مسلمة بن هشام بن عبد الملك.

وكانت لـه جرأة عظيمة على انتهاك حرمة الإسلام، فمن ذاك أنه كان يستهدف المصحف الشريف يرميه بسهامه غير مبال ثم يخاطبه قائلا:

تهـــدد كـــل جـــبار عنـــيد فهـــا انـــا ذاك جـــبار عنـــيد
إذا مـــا جئـــت ربـــك يـــوم حشـــر فقـــل يـــا رب خـــرقني الولـــيد[١]

وكتب إليه عامله على خراسان بتردي الأوضاع وحدوث ثورات فأجابه: أني مشغول بالعريض ومعبد وابن أبي عائشة. وهم المغنون الذين أحضرهم عنده[٢].

واشتدت النقمة على الوليد خليفة المسلمين المستهتر الخليع، وبلغ من فسقه وفجوره أن ثار الناس عليه بقيادة ابن عمه يزيد ابن الوليد.

وقال لـه يزيد ابن عنبسة: ما ننقم عليك في أنفسنا ولكن ننقم عليك انتهاك حرم الله وشرب الخمر ونكاح أمهات اولاد أبيك واستخفافك بأمر الله[٣].

وذكر الذهبي أحاديث عن رسول الله تنهى عن التسمية باسم الوليد، وجاء في بعضها سيكون في هذه الأمة فرعون يقال لـه الوليد[٤].

وبهذا اترك الحديث والصحائف السود لاولئك الخلفاء وما لـهم من أعمال

---

(١) البدء والتاريخ للمقدسي ٣: ٥٣. تاريخ الخميس ٢: ٣٢٠. ابن الأثير ٥: ١٣٧. الحور العين لابن نشوان: ١٩٠، وغيرهم.

(٢) البدء والتاريخ ٣: ٥٣.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ٥: ١٧٨.

(٤) ابن كثير ١٠: ٦. تاريخ الإسلام للذهبي ٥: ١٧٣.

منكره وجرائم لا توصف ومخازي تشمئز منها النفس ويقف القلم عندها خجلا، واترك الحديث أيضاً عن بقية خلفائهم وما قدمناه من هذه النماذج يكفينا ويعطي العبرة والذكرى لمن يتذكر ويخشى الله بموالاة هؤلاء والدفاع عنهم وتبرير جرائمهم وربما يمنحهم الجنّة والغفران.

كما لم أتعرض لذكر ولاتهم الذين نصبوهم في الأمصار على رقاب المسلمين، ولـهم من المنكرات ومجالس الغانيات والـهوى والطرب وسواء المعاملة للامة المظلومة ومخالفة الكتاب الكريم والسنة النبوية وابسط مفاهيم الإسلام ما زاد على اسيادهم وما يعسر علينا ذكره.





الفصل الرابع

ثورة العباسيين والإطاحة بالأمويين





ثورة الدعوة إلى الرضا من آل محمد ﷺ :

وهكذا ينتهي دور السلطة الأموية من آل أبي سفيان وآل مروان غير مأسوف عليه بكل ما فيه من قتل وتشريد وخنق الحريات الدينية والسياسية والاجتماعية وانحراف عن الدين واستهانة برجال الأمة ومحاربة لأهل البيت وتبذير أموال المسلمين على الملذات والشهوات وتسليط الفسقة من الولاة على طول البلاد وعرضها، مما أدّى إلى اشتداد إنكار الناس على تلك السياسة المنحرفة وذلك النظام الجائر الذي لا يعرف العدل ولا عهد للمسلمين به من قبل، ولم يغب عن بال الأمة وكبار الرؤساء نهضة الحسين بن علي ﷺ في واقعة كربلاء وما جرى فيها على أهل البيت، فكانت بمثابة صرخة مدويّة هزّت مضاجع أمية، وكانت بركان بلاء ونقمة عليهم، وكانت ثورة الحسين ﷺ شعلة هداية لدعاة الحق والثائرين يستنيرون بها إلى الدعوة الصالحة والإطاحة بالمفسدين المستبدين، كما اعقبتها سلسلة ثورات دموية لا مجال لذكرها، فأضعفت النظام وضعضعت أركانه ومهدت الطريق للثورة عليهم، حيث طال عهدهم الجائر وثقلوا على الأمة حتى نفذ الصبر وسخط عليهم الكثير من المسلمين في كافة الأقطار وحتى عواصم ملكهم، فتآلفت الجمعيات السرية للانقلاب عليهم وإبدالـها بخلافة إسلامية من آل محمد ﷺ الذين يرونهم دعاة الحق وأئمة الصدق وسلالة النبوة ومعدن العلم والفضل والشرف.

فكان هدفها الأول تحقيق ثورة إسلامية إصلاحية، ونقل الحكم من بني أمية التي اعتبروها عدوة للإسلام من البداية إلى النهاية.

وكان العباسيون في طليعة وأنصار العلويين واشد حماسا، وكان شعار ثورتهم باسم العلويين والمطالبة بحقوقهم ورفع الظلم والجور عنهم.

وكان لمحمد بن عبد الله بن الحسن نشاط سياسي في ذلك العهد وبويع لـه في المؤتمر الأول الذي عقده الـهاشميون وجمع كثير من العباسين والعلويين وأول من بايعه السفاح وأخوه المنصور.

وباختصار فقد اندلعت نيران الثورة وهتافات الثوار بالدعوة إلى آل محمد ﷺ والعلويين، ووقعت الواقعة بأمية، ودارت بهم الدوائر فزال ملكهم وأراح الله العباد والبلاد منهم، وتطلع المسلمون إلى العهد الجديد الذي يأملون به انتشار العدل في الرعية وتطهير البلاد من الفساد، لا سيما إذا قام على رأس الدولة الجديدة زعيم علوي لا شك في حقه بالخلافة، فانتحل العباسيون أحقيتهم بالأمر وأنهم من آل محمد وأهلـه الادنون.

ولا حاجة لذكر الأسباب والخدع التي تغلبوا بها على الموقف وما جرت من حوادث، فخلاصة الأمر دارت عجلة الزمن وتغلبوا بها وانتقل الأمر إلى بني العباس الذين تشبثوا بانطباق اسم آل محمد عليهم دون غيرهم تمويها على الرأي العام، وبويع السفاح فكان عهد ثورة وقد شغل الناس بمطاردة الأمويين وتتبع البقية منهم، واستطاع السفاح بمهارة فائقة وبمعاونة المنصور ومكره وخداعه الذي اشتهر به أن يظهر للناس من عطفهم على أبناء عمهم وعدم التعرض لـهم واشراكهم في الأمر فيما بعد ليجلب قلوب الأمة التي ترى أن الحق لـهم دون

غيرهم والتظاهر بأخذ الثأر من قتلة الحسين عليه السلام وغير ذلك من الأساليب .

وقد قام السفاح بالأمر واظهر العدل والمساواة والعمل بكتاب الله وسنة نبيه كما في أول خطبة لـه قولـه أيها الناس لكم ذمة الله تبارك وتعالى وذمة رسولـه وذمة العباس علينا أن نحكم فيكم بما أنزل الله ونعمل فيكم بكتاب الله ونسير في العامة والخاصة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وآله... الخ[1]، ثم ذكر اعمال بني أمية وما ارتكبوه في الأمة[2].

ولما استجابت الأمصار لـهم وتم زوال الدولة الأموية وتربعوا على دكّة الحكم حصل ذلك التبدل السريع والتحول الغريب، فاظهروا العداء لأهل البيت، واصبح العلويون يطاردون من قبل الدولة بلا ذنب إلا إنهم المرشحون للخلافة واليهم تتجه الأنظار وعليهم تحوم الآمال، فهم أهل الزعامة الدينية والحق الشرعي، وقد سبق الاعتراف من العباسين لـهم بذلك، فحقا أنه تحول غريب ولكنه الملك والملك عقيم. ولم تطل أيام السفاح وهي أربع سنوات وتسعة أشهر.

---

(١) الكامل ٥: ١٩٧.

(٢) أسد حيدر: ٣٥٢

المنصور العباسي

وقد تولى الخلافة بعهد من أخيه السفاح، والمنصور ذلك الداهية الذي اعطته التجارب دروسا من التيقظ وجعلته يحذر أشد الحذر حتى من اقرب الناس إليه، فقد قام المنصور والدولة لم ترتكز دعائمها على أسس قوية فهي مهددة من نواح شتى، فالعلويون يرون العباسين دعاتهم وأنصار دعوتهم والأمة متجهة بانظارها إليهم، وقادة الثورة يرون أن قيام العباسيين بالأمر كحكومة مؤقتة يستطيعون أن يحولوا الأمر عنهم متى شاءوا وحتى يتم القضاء على الأمويين وأتباعهم خصوصا بعد أن سمعوا فتوى علماء المدينة بأن بيعة العباسين غير صحيحة، ومن هذا و ذاك من الأمور التي لن تغيب عن بال المنصور فتكدر عيشه، وأهم شيء عنده أمر العلويين وفي طليعتهم الإمام جعفر بن محمد الصادق فكان يحذر منه أشد الحذر ويحاول زوال تلك العقبات بكل حيلة ولا يقف عند حد، وهو لا ينسى أيامه الماضية يوم كان جوّالا خائفا ولا ينسى ضرب السياط وظلمة السجن في العهد الأموي، ولا ينسى استعطاف الناس عليه بمدح آل محمد ﷺ واستجلاب القلوب بذكر فضائلهم ومناقبهم، ولا تنمحي صورة ذلك عن مخيلته فهي أمامه ومعه، والان وقد أصبح أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وتجيء له الأموال من الشرق والغرب وتحوط به الآلاف من الجنود والحرس ومع ذلك كان في حذر من اقل واهمة يتخيل بها زوال ملكه، فحصّنه بالسيف والقهر، وجعل بينه وبين الخطر سورا من اشلاء الأبرياء وبحرا من الدماء التي حرمها الله، وقد اتخذ طبيبا نصرانيا يستعين به على قتل من لا يود أن يتظاهر في قتله، فكان يدس السم بالدواء

مثل الخصيب النصراني[١].

وهناك أنواع من ألوان العذاب الذي كان يعذب به لمن وقع تحت قبضته كوضع الأحياء في البناء وغيرها ممن يطول ذكره، وبعد أن سلبت الرحمة والعطف من قلبه كان يقف أمام تلك المشاهد المحزنة موقف طاغية جبار لا تؤلمه مناظر البؤس أو تزعجه مواقف الشقاء.

وبعد أن أحكم سيطرته على البلاد تنكر للعلويين الذين رفع شعار دولتهم بالأمس ورفع الظلم عنهم، فاصبحوا من ألدّ أعداءه، ولا يرى لملكه بقاء أن بقي منهم أحد في الوجود، وكان الفتك بهم شغلـه الشاغل لا يتوقف في تنفيذ أرادته مهما كلفه الأمر.

ومثال لذلك: قال لـه عمه عبد الصمد بن علي: لقد هجمت بالعقوبة حتى كأنك لم تسمع بالعفو. فقال: لأن بني مروان لم تبل رممهم وآل أبي طالب لم تغمد سيوفهم، ونحن بين قوم قد راونا سوقة واليوم خلفاء فليس تتمهد هيبتنا في صدورهم إلا بنسيان العفو واستعمال القوة[٢].

وقد عارض العلويون المنصور معارضة شديدة لقسوته وجوره واستهانته بحقوق الأمة وتغيير المفاهيم الإسلامية والتهاون بالأحكام الشرعية وهتك الحرمات وتبذير أموال المسلمين على الشهوات والملذات ولم يقف عند حد حتى امتلأت السجون منهم ودفن سادتهم أحياء، وكمثال على ذلك:

---

(١) راجع الطبري ٧: ٣٠٩.

(٢) تاريخ الخلفاء: ١٠٤.

روى أبو الفرج: أن المنصور قال لمحمد بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب: أنت الديباج الأصفر. قال: نعم. قال: أما والله لأقتلنك قتلة ما قتلها أحد من أهل بيتك. ثم أمر بأسطوانة ففرغت ثم أدخل فيها فبنيت عليه وهو حي[1].

وكان المنصور قد عجز عن جلبهم إليه واستخدامهم في دولته ليأمن جانبهم ويمضي في حكمه بدون معارض له أو مستنكر لأعماله، حيث ان العلويين وطاعة للامام الصادق عليه السلام زعيم أهل البيت في عصره اثروا الانفصال عن النظام الظالم وعدم الركون اليه.

وبما أن المنصور يعرف مكانة الإمام الصادق ويعلم جيداً منزلته عند عامة الناس ومن العلويين خاصة فصار يحسب له ألف حساب ويهمه أمره ويخشاه وهو على حذر دائم منه، ولأنه عاشره من ذي قبل وتعرف على مقامه ومنزلته العلمية ومكانته الاجتماعية فحاول اغرائه بالمال الكثير كما اغرى غيره وقدم له افخر الهدايا ومن ثم استدعاه لعدة مرات ووضعه تحت الاقامة الجبرية مراقبا تصرفاته، وبين حين وآخر يطلب منه الزيارة ليظهر للناس ذلك. ولما عجز عن كل حيلة عمد إلى سم الإمام الصادق عليه السلام فقضى عليه.

أما بالنسبة للعلويين في عهده وما نالهم من بطشه وجرمه فقد تكفلتها كتب التاريخ والسير عامة وخصصها آخرون بمؤلفات مستقلة لما ارتكبه المنصور وأبنائه مما يعجز عنه القلم وينفر منها القلب ويحتار فيها الفكر واعرض ليسير الأمثلة من ذلك.

---

(١) الطبري ٩: ١٩٨ ومقاتل الطالبيين.

ففي دخولـه إلى المدينة مارا بها للحج، وما الحج أراد ولكنه أراد أن يشرف بنفسه على مهمة الفتك بآل محمد ﷺ والقضاء عليهم، وسجن رباح يمتلئ منهم، فأمر بالقبض على من بقي منهم وشرطته وقواده يظهر عليهم الغضب والعنف ويأتون بأبناء علي واحد بعد واحد ويدعونهم في السجن بأشد ما يتصور من القسوة، ثم اصدر أمره بحملـهم من المدينة إلى العراق بعد أن أثقلوا بالحديد وضربوا بالسياط وهو مطرب لنغمة السلاسل وانين المعذبين، فسار ذلك الموكب في شوارع المدينة محاطا بالجند وهو يسرع الخطى من المدينة إلى الكوفة إلى مقرهم الأخير فاودعوا ذلك السجن المظلم الذي لا يعرف فيه الليل من النهار، لقد أودعهم المنصور في بطن الأرض، وفعل بهم ما لا يفعل الحيوان المفترس بفريسته وعاملـهم باقسى ما يتصور من الشدة، وكان الواحد إذا مات من شدة العذاب بقيت جثته ما بينهم وهم صابرون محتسبون يتلون الكتاب ويقيمون الصلاة ولا يعرفون أوقاتها وكانت خاتمة مطافهم أن هدم السجن فماتوا تحت انقاضه[١].

ولم يقف عند هذا الحد فقد اصدر مرسوم من بغداد إلى مصر بأن لا يقبل علوي ضيعة ولا يركب فرسا ولا يسافر من الفسطاط وإلى طرف من اطرافها، وأن يمنعوا من اتخاذ العبيد إلا العبد الواحد وأن كانت بين علوي وبين أحد من الناس خصومة فلا يقبل قول العلوي ويقبل قول خصمه بدون بيّنة[٢].

---

(١) مروج الذهب ٣: ٥٩٩ وابن الأثير ٤: ٣٧١ مع اختلاف نقلاً عن الإمام الصادق لأسد حيدر ١: ٤٤.

(٢) الولاة ــ القضاة الكندي: ١٩٨.

وقال المنصور يوماً لعبد الرحمن الافريقي: كيف سلطاني من سلطان بني أمية؟. فقال عبد الرحمن: ما رأيت في سلطانهم شيئاً من الجور إلا رايته في سلطانك[١].

وقصة ذلك الرجل الذي يطوف حول البيت ويشكو إلى الله من تدهور الأمور وضياع الحق والمنصور يسمع، ولما استدعاه شرح لـه من المعانات والطمع والجشع من الجباة والظلم والجور من الولاة ـ وهي طويلة[٢] ـ ما يعطينا صورة لما جرى في زمن المنصور من اشاعة الظلم والفساد.

(١) تاريخ الخلفاء: ١٠٥ وله زيادة أخرى اشتكى فيها منه ومن عماله وحراسه. تاريخ بغداد ١٠: ٢١٥

(٢) تاريخ ابن الساعي: ١٩.

هارون الرشيد

لم يخف حال الرشيد على أحد بما بناه من سجون رهيبة في أنحاء شتى من البلاد وقد ملئها من العلويين واتباعهم ممن يشم منه رائحة التشيع والمولاة لعلي، ودفن الآلاف وهم أحياء، وجلب سيدهم الإمام موسى بن جعفر عليه السلام إلى بغداد وجعلـه تحت الإقامة الجبرية وتحت المراقبة، ثم سجنه في عدة مناطق، ينقلـه من سجن إلى سجن، وآخرها دس إليه السم فقضى في السجن وأخرج منه ميتا عليه السلام، وحاول الرشيد التعتيم على تجهيزه ودفنه والقصة مشهورة.

وذكر صاحب مقاتل الطالبيين جماعة من سادة بني هاشم الذين قضى عليهم سجنا وتشريدا وقتلا.

وأوصى جميع عمالـه بتضييق الخناق عليهم، وعدم السماح بذكر فضائل أمير المؤمنين عليه السلام، وأمر عاملـه على المدينة بأن يضمن العلويون بعضهم بعضا وكانوا يعرضون على السلطات كل يوم فمن غاب عنهم عوقب وكانت هذه الأوامر من المهدي والـهادي من قبلـه.

ولما قام يحيى ابن عبد الله بن الحسن بثورة في الديلم وقد قويت شوكته هناك، احتال الرشيد عليه بإعطائه الأمان ونقضه بعد ذلك فسجنه وضيق عليه إلى أن مات في السجن، ووجد جسده معلقا قد سمرت يداه.

وكان كتاب الأمان فيه شروط وأيمان مغلظة فلما أراد الرشيد ابطالـه سئل محمد بن الحسن الشيباني صاحب أبي حنيفة فقال: هذا أمان صحيح ودمه حرام!!. فدفع الكتاب إلى الحسن بن زياد فقال بصوت ضعيف: أمان. فدخل أبو البختري

وهب بن وهب القاضي وأخرج من خفه سكينا فقطع الكتاب من غير أن يسئل عنه وقال: هذا أمان مفسوخ وكتاب فاسد ودمه في عنقي[١]. وفي لسان الميزان فقال الرشيد عند صدور هذه الفتيا: أنت قاضي القضاة وأنت اعلم بذلك[٢]. واجازه الرشيد بألف ألف وستمائة ألف درهم.

وما فعله الرشيد من نقضه للأمان يوضح لنا غدر الرشيد وعدم التزامه بالعهود والمواثيق، كما يوضح لنا حالة علماء السوء والقضاة بمؤازرة السلطة الجائرة وتغيير الأحكام وكل القيم من أجل التقرب إليها وكسب المال منها.وجاء في مقاتل الطالبيين الشيء الكثير من هذه القصص المؤلمة.

ولما سمع الرشيد أن الشاعر منصور النميري انشاء أبيات منها:

آل النبي ومن يحبهم   يتظامنون مخافة القتل
أمن النصارى واليهود ومن   في أمة التوحيد في أزل

فغضب الرشيد وأرسل إليه من يقتله فوجده ميتا فقال: لقد هممت أن أخرج لسانه من قفاه. وأراد أن ينبش عظامه فيحرقها ولكنه لم يفعل[٣].

وليس بغريب منه ذلك فقد قطعوا لسان ابن قرايا لأنه يمدح آل محمد ﷺ[٤].

وبلغ من حقد الرشيد وبغضه أن ثقل عليه أن يكون علي بن أبي طالب رابع

---

(١) مفتاح السعادة لأحمد بن مصطفى بطاش كبرى زاده ٢: ١١٠.
(٢) لسان الميزان ٢: ٢٣٤.
(٣) زهر الأدب ٣: ٧٠.
(٤) باختصار من شذرات الذهب ٤: ٢٤٦.

الخلفاء. قال: أبو معاوية دخلت على هارون الرشيد فقال لي: يا أبا معاوية هممت بمن اثبت خلافة علي فعلت به وفعلت. قال أبو معاوية: فسكت فقال لي: تكلم. قلت: أن اذنت لي تكلمت. قال: تكلم. قلت: يا أمير المؤمنين قالت تيم منا خليفة رسول الله وقالت عدي منا خليفة رسول الله وقالت بنو أمية منا خليفة الخلفاء فاين حظكم يا بني هاشم من الخلافة؟ والله ما حظكم إلا بابن أبي طالب[1].

ودخل رجل على الرشيد فقال: لقد هجوت الرافضة. قال: هات. فأنشد:

رغماً وشمساء زيتوناً ومظلمة   من أن تنالوا من الشيخين طغيانا

قال الرشيد: فسره لي. قال: لا ولكن أنت وجيشك اجهد من أن تدري ما أقول. قال: والله ما أدري ما هو وأجازه. ولاشك أن هذا التشجيع لهذا التافه من الخليفة وأثره في نفوس الآخرين مما يدفع الشعراء يمدحون العباسيين ويضعون من العلويين طلبا صلة الملوك طالما كان صرف أموال المسلمين بغير حساب.

وقد وقع من هذا الشيء الكثير وفي قصص لا يسعها هذا المختصر خاصة وقد صدر من عامة خلفائهم ما يطول ذكره وهذا بشار بن برد المعروف بالزندقة والإلحاد يقف أمام الخليفة العباسي فينشده:

أنّى يكون وليس ذاك بكائن   لبني البنات وراثة الأعمام

فيجيزه المهدي بسبعين ألف درهم.

وهو أنه المهدي قال لشريك القاضي: ما تقول في علي بن أبي طالب؟. قال: ما قال جدك العباس وعبدالله. قال: وما قالا فيه؟. قال: فأما العباس فمات وعلي

---

(١) تاريخ بغداد ٥: ٢٤٤ ومثله لشريك القاضي مع المهدي أيضاً تاريخ بغداد ٩: ٢٩٢.

عنده أفضل الصحابة، وكان يرى كبراء المهاجرين يسألونه عما ينزل من النوازل وما احتاج هو عليه السلام إلى أحد حتى لحق بالله، وأما عبدالله فإنه كان يضرب بين يديه بسيفين، وكان في حروبه رأساً منيعاً وقائداً مطاعاً، فلو كانت امامته على جور كان أول من يقعد عنها أبوك لعلمه بدين الله وفقهه في أحكام الله. فسكت المهدي ولم يمض بعد هذا المجلس إلا قليلا حتى عزل شريك.

جوائز المهدي العباسي:

ويدخل مروان بن حفص على المهدي فينشده قصيدة يتعرض فيها لآل علي عليه السلام فيقول:

هل تطمعون من السماء نجومها ... بأكفكم أو تسترون هلالها

أو تدفعون مقالة من ربكم ... جبريل بلغها النبي فقالها

شهدت من الأنفال أخر آية ... بتراثهم فأردتم أبطالها[1]

فترى المهدي يتزاحف من صدر مصلاه حتى صار على البساط اعجابا بما سمع وتقديرا لهذا الشاعر ثم قال له: كم بيت؟. قال: مائة بيت. فأمر له بمائة ألف درهم[2].

إذن: بربك ما حال الرعاع وذوي الحاجة أو الضمائر الرخيصة الذين باعوها بأبخس الاثمان عند مشاهدة هذا التشجيع واغداق الأموال.

ولم ينحصر هذا التفريط على الشعراء فحسب فنجد الهدايا الثمينة والتحف

---

(١) يعني بذلك بنو علي وبني العباس والآية: ﴿وَأُوْلُواْ الأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ﴾ الآية.

(٢) الخطيب ١٣: ١٤٤.

على المغنين والأموال الكثيرة، حتى ان بعض المغنين الذي كان يغني لسيده أو ربت أبناً لـه أربعين ألف دينار. وكان للمغنين والمخنثين سوق رائجة وبضاعة رابحة عند خلفاء المسلمين وأمراء المؤمنين، فإن الرشيد جعل للمغنين مراتب وطبقات، حتى أن للرشيد جارية تسمى (هيلانة) لـها منزلة عنده، فلما ماتت رثاها بابيات كما رثاها بعض الشعراء تبعا لرغبته فاجاز بعضهم أربعين ألف دينار[1].

وبالغ الرشيد في البذخ والترف وتفنن في حياته حتى تجاوز الحد إلى الاسراف والتبذير بأموال الأمة المسكينة، وبلغت مظاهر الحياة عنده إلى غايتها، فكان في داره من الجواري والخصايا وخدمهن وخدم زوجته وأخوانه أربعة آلاف جارية، وحضرن عنده يوماً فغنته المطربات منهن فطرب لـهن جدا وأمر بمال فنثر عليهن، وكان حاصل كل واحدة منهن ثلاثة آلاف[2].

وغنى لـه مسكين المدني فاطربه فأمر لـه بأربعة آلاف دينار[3].

واضحكه ابن مريم فاعطاه ألف دينار . وكانت زوجته زبيده لا تستطيع أن تقوم لكثرة ما عليها من المجوهرات والحلل، وقد سلكت في صرف الأموال طريقة الرشيد فكانت تستهين بالأموال ولا تحسب لـها أي حساب ولـها معه قصة[4].

واشترى الرشيد من مسلم العراقى درة بسبعين ألف دينار واشترى فص ياقوت أحمر بثمانين ألف دينار وكان وزنه مثقالا ونصف وكانت بيده سبحة فيها

---

(١) تاريخ ابن كثير: ١٦٥.

(٢) تاريخ ابن كثير ١٠: ٢٢٠.

(٣) مروج الذهب ٣: ٢٧٩.

(٤) البداية والنهاية ١: ٢١٩.

مائة حبة كل حبة اشتريت بمائة ألف دينار.

وهكذا كانت الأموال تنفق في البذخ والاسراف وهي محصورة في طبقة خاصة من الناس . وقد استغل الولاة هذه الفرصة فجمعوا الأموال الطائلة وبنوا الاملاك ومثلـهم الأمراء ومن سار في ركاب الدولة.

واتخذوا الاسرّة الذهبية المرصعة بالجواهر، والحصر المنسوجة بالذهب المكللة بالدر والياقوت[1].

كما كان شغف نسائهم بالتفنن في ألوان الزينة ما يبعث على العجب والاستغراب، واتخذن من الاملاك ما كانت وارداته أكثر من ألف ألف وستمائة الف دينار، هذا في الوقت الذي نجد رجال الأمة وصلحائها والاحرار من ابناءها يتجرعون غصص الحاجة والفقر كما كان نصيب اكثرهم الخوف والتشريد والقتل والتعذيب، وتفنن الطغاة في اتخاذ مجالس اللهو وتباروا في اقتناء المغنيات وتنافسوا في شرائها باغلى الاثمان، فكانت بيوت الخلفاء مجلس للغناء والشراب يتبارى فيها المغنون في اطراب الخلفاء.

ويشهد الله انّي لا أريد الحديث عن امثال هذه المخازي والمجون والاستهتار بالفسق والفجور والانحراف عن ابسط المفاهيم الإسلامية والخلافة التي تزعموها، وأن تعرضت لنبذة منها فإنما اعرضها لمن تولاهم وساندهم وسايرهم بهذا الإنحراف ونسب لـهم الإيمان ودافع عنهم بالتأويل والتلفيق حتى قال: لا يجوز الخروج على مثل هؤلاء كما تقدم آنفا ومن خرج عليهم فسوف يموت ميتة

---

(١) ابن خلدون ٥: ١٠٦.

جاهلية وإلى غير ذلك.

وقد احتفظت كتب التاريخ والأدب والقصص بالشيء الكثير الذي يعسر جمعه عنهم ومن ولاتهم المستبدين وأبنائهم المستهترين والذين تزعموا بعد الخلافة الإسلامية، وكان معظمهم يحسن الغناء جيدا ويعرف أصولـه ويبتكر الحانا يغنيها هو أو يلقيها على جواريه أو على المغنين. وكان إبراهيم بن المهدي اخو الرشيد قد بلغ منزلة في الغناء وعرف بشيخ المغنين، وكانت علية بنت المهدي تغني احسن الغناء وكان اخوها يعقوب يزمر لـها. (١)

وكان الرشيد يعلم بذلك وقد غنت جارية ذات يوم:

يـا مـوريَ الـزند قـد أعيت قوادحُه ... أقـبس إذا شـئت مـن قلـبي بمقباس

مـا أقـبح الـناس في عـيني وأسمجهم ... إذا نظـرت فـلم أبصـرك في الـناس

فأراد الرشيد أن يعرف لمن اللحن فاسرّت اليه الجارية انه لعلية اخته. وروى أبو الفرج عن أحمد بن زيد قال: حدثني أبي قال: كنا عند المنتصر فغناه منان لحنا من الرمل الثاني: يا ربة المنزل بالبرك، وربة السلطان والملك، تحرجي بالله من قتلنا لسنا من الديلم والترك، فضحكت فقال لي: مم ضحكت؟. قلت: من شرف هذا القائل وشرف من عمل اللحن فيه وشرف مستمعه. قال: وما ذاك؟. قلت: الشعر فيه للرشيد والغناء لعلية بنت المهدي وأمير المؤمنين مستمعه(٢).

وكان اهتمام الرشيد في الغناء والمغنيين عظيماً، فقد قرّب منهم عدداً وافراً وأجزل العطاء عليهم، وكان يجمعهم في مجلس واحد ويقترح عليهم في الاصوات

(١) كما في الأغاني ٩: ٨٤.

(٢) المصدر السابق.

ليطرب فمن أطربه نال أسنى الجوائز وأعظم الـهباة[١].

وقد اختار لـه إسحاق الموصلي من الغناء مائة صوت وقد عرفت بالاصوات المائة المختارة، ووضع أبو الفرج الاصفهاني فيها كتاب الأغاني.[٢]

ولا حاجه إلى تفصيل ذلك فقد تكفلتها كتب التاريخ والسير والقصص. كما لا أريد الخوض في المزيد من فسقهم وفجورهم والتلاعب بامور الدين ومخالفة الشريعة وقد جعل الرشيد من دولته امبراطورية مستبدة تسحق كل معارض ومنتقد لـها مهما كان وأنى يكون.

---

(١) مروج الذهب ٣: ٢٧٨.

(٢) الأغاني ١: ١.

المتوكل العباسي

المتوكل العباسي ولد سنة ٢٠٧ وقتل سنة ٢٤٧ . بويع للخلافة بعد أخيه الواثق وكانت مدة خلافته أربع عشر سنة .

وعرف المتوكل ببغضه الشديد لأهل البيت عليهم السلام ومطاردته لمحبيهم وقتل زعمائهم، وكان مصير من أتهم بميلـه للعلويين القتل أو السجن المؤبد حتى الموت أو الخنق للخلاص منه.

وظهر النصب في عصره بأجلى صورة، وانتشر بغض أهل البيت عليهم السلام في أيامه حتى عمم في الأقطار، وتقرب الكثير إلى المتوكل بذمهم طلبا لرفده وطمعا في صلته وجوائزه، وسار على ذلك كافة ولاته في الأمصار، فإن واليه على مصر: يزيد بن عبد الله التركي يتبع الموالين لأهل البيت بكل اذى كما حمل جماعة منهم الى العراق فذكر الكندي[1] أن يزيد التركي أمر بضرب جندي ـ في شيء ما ـ عشرة درر فتوسل الجندي إلى يزيد بحق الحسن والحسن أن يعفو عنه فزاده ثلاثين درة ورفع أمره إلى المتوكل في العراق فورد أمر المتوكل بضرب الجندي مائة سوط وحملـه للعراق.

حتى كان أخص الناس بالمتوكل وأقربهم عنده من اشتهر بالنصب والعداء لأهل البيت أمثال علي بن الجهم الشامي[2] وعمر بن فروخ الرحجي وابو السمط من ولد مروان بن أبي حفص من موالي بني أمية وغيرهم الكثير من هذا النمط.

---

(١) في كتابه الولاة والقضاة.

(٢) راجع ما ترجمناه في النواصب في رجال الصحاح.

ومدحه أبو السمط مروان بن أبي الجنوب بابيات يذم فيها العلويين منها:

لكمـــو تـــراث محمـــد وبعـــد لكـــم الظلامـــه

يـــرجوا الـــتراث بـــنو البـــنا ت ومـــالـهم فـــيها قلامـــه

ما للـــذين تنحلـــوا ميرا ثكـــم إلا النـــدامـــة

فيخلع عليه أربع خلع وينثر ثلاثة آلاف دينار ويأمر بالتقاطها ويعطيه عشرة آلاف درهم ويعقد لـه على ولاية البحرين واليمامة . ويقصده مرة أخرى بقصيده يذم فيها آل محمد ﷺ وشيعتهم فينثر عليه عشرة آلاف درهم(١).

وأمثال هذا الشاعر كثير من الذين دفعهم الطمع والرغبة في المال والتقرب إلى السلطة وأن غضب الله عليهم.

ومما يدلل على بغضه لعلي وآل بيته أن نصر بن علي الجهضمي حدث بحديث عن النبي ﷺ انه أخذ بيد الحسن والحسين وقال: من احبني وهذين أباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة. فأمر المتوكل بضربه ألف سوط إلى أن كلمة جعفر بن عبد الواحد بأن نصرا لم يكن شيعياً وإنما هو من أهل السنة فضربه خمسمائة سوط وعفى عن الباقي(٢) .

وكان من جملة ندمائه عبادة المخنث وكان يشد على بطنه تحت ثيابه وسادة ويكشف عن رأسه وهو أصلع ويرقص بين يدي المتوكل ويقول: قد أقبل الأصلع البطين خليفة المسلمين. يحكى بذلك علياً عليه السلام ويسخر منه، والمتوكل يشرب ويضحك. ففعل ذلك يوماً والمنتصر حاضرا فأوما إلى عبادة يهدده فسكت خوفا

(١) الكامل لابن الأثير ٧: ٣٨.

(٢) الخطيب في تاريخه ٢: ٢٦١.

منه فقال المتوكل: ما حالك؟. فقام وأخبره فقال المنتصر: يا أمير المؤمنين أن الذي يحكيه هذا الكلب ويضحك منه الناس هو ابن عمك وشيخ أهل بيتك وبه فخرك فكل أنت لحمه إذا شئت ولا تطعم هذا الكلب وأمثالـه منه. فقال: المتوكل للمغنيين غنوا جميعا:

غـــار الفـــتى لابـــن عمـــه رأس الفـــتى في حـــرامه[1]

وذكرها ابن خلدون بلفظ أخر وأضاف قول المنتصر: فيستخف المتوكل به ويشتمه ويأمر وزيره عبيد الله بصفعه ويتهدده بالقتل ويصرح بخلعه عن ولاية العهد[2].

وقد عرف عن المتوكل أنه لا يأنس إلا بالتنقص من علي عليه السلام والحط من كرامته، وكان يقصد من يبلغه عنه أنه يتولى علياً وأهل بيته فيأخذ مالـه ويهدر دمه... الخ[3].

وهكذا يستمر بغضه ونصبه لعلي وأبنائه في طيلة عهده حتى ذكر ابن الأثير قال: وفي هذه السنة أمر المتوكل بهدم قبر الحسين بن علي وهدم ما حولـه من المنازل والدور وأن يبذر ويسقى موضع قبره وأن يمنع الناس من اتيانه فنادى بالناس في تلك الناحية من وجدناه عند قبره بعد ثلاث حبسناه في المطبق[4]

(١) الكامل لابن الأثير ٧: ١٨.

(٢) العبر ٣: ٥٩٢.

(٣) النجوم الزاهرة ٢: ٣٢٥.

(٤) سجن رهيب.

فهرب الناس وتركوا زيارته وخرب وزرع[١]. ومثلـه الطبري في حوادث تلك السنة .

ولقد هجاه الكثير من الشعراء على هذه الشنيعة ومما قيل فيه عند هدم قبر الحسين بن علي عليه السلام:

تـالله أن كانـت أمـية قـد أتـت قـتل ابـن بنـت نبـيها مظلومـا

فلقـد اتـاه بـنو أبـيه بمـثلـه هـذا لعمـرك قـبره مهدومـا

أسـفوا عـلى أن لا يكونـوا شـاركوا في قـتلـه فتتـبعوه رمـيما

وباختصار فإن الخليفة لم يختلف عن جده وآبائه في التفنن بأنواع التنعم في البذخ والتبذير، وكان يمرح في انسه في لياليه الخضراء بين رقص جواريه وغلمانه ونغم عيدانه ومجونه حتى اشتهر عنه انه لم يكن من كتّابه وقادته من يوصف بجود أو فضل أو يتعالى عن مجون وطرب[٢] فكان واتباعه منهمكين في اللذات والشراب[٣] فمرحا للمسلمين بهذا الخليفة.

وحتى كان بنان وزنان لا يفارقانه هذا يضرب وذاك يزمر[٤].

ولم يفارق لذاته وشرابه حتى في آخر لحظة من حياته، فقد قتل بين الناي والعود وهو ثمل من الشراب حيث اعد المنتصر جماعة من الاتراك... وقتلوا

---

(١) في حوادث سنة ٢٣٦.

(٢) مروج الذهب ٤: ٤٧.

(٣) تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٣٧.

(٤) ثمار القلوب للثعالبي: ١٣٤.

المتوكل والقى الفتح بن خاقان نفسه عليه ليقيه فقتلوه معه[1] في قصة طويلة.

ورثاه البحتري في قصيدة يقول فيها:

هكــذا فلــتكن مــنايا الكــرام   بــين نــاي ومزمــر ومــدام

بــين كأســين أورثــاه جمــيعاً   كــأس لذاتــه وكــأس الحمــام

لم يــذل نفســه رســول المــنايا   بصــنوف الأوجــاع والأســقام

...الخ

ولم استطع استيعاب ما جرى من الخلفاء وولاتهم في العهدين الأموي والعباسي على أهل البيت طوال القرون، فذكرت منه أمثلة من قيامهم بلعنهم على المنابر، وابلاغ رعاياهم بالتبري منهم، وترك رواية أحاديث الرسول ﷺ عنهم وفيهم، وإخفاء فضائلهم ومنزلتهم، ومنع الموالاة لهم بأنواع الاذى والمحن من تشريد وتبعيد وقتل وابادة وغير ذلك، واختصرت بذكر نماذج من ذلك.

(١) العبر لابن خلدون ٣: ٥٩٢ وغيره.





الفصل الخامس

السقيفة وتوارث الخلافة





الانقلاب على آل الرسول ﷺ:

إن أول خلافة وبيعة وقعت بعد وفاة الرسول ﷺ مباشرة هو ما دبره وخطط لـه عمر بن الخطاب يوم كان الرسول ﷺ مسجّى ـ روحي فداه ـ بين أهلـه وعشيرته وأراد أن يوصي بوصيته فصدّه عن ذلك بقولـه المشهور: أن النبي ليهجر وحسبنا كتاب الله.

ولما لم يدفن الرسول بعد فوجئ الجميع بما سعى لـه الخليفة لتلك البيعة واستعان باثنين، ولم يحضر معه من أعيان الصحابة وبني هاشم كافة ولا من أهل الحل والعقد وانتهى الأمر في سقيفة بني ساعدة، وبعد العنف والاكراه من عمر ومن انظم إليه وبعد ما جرى من تسابب وتلاكم بينهم وحيل تمت البيعة لأبي بكر، وفصّلت ما جرى في ذلك اليوم من الأحداث والوقائع في كتابنا هذا في ذكر السقيفة فلا حاجة للتكرار والحديث ذو شجون، وخير من وصف تلك البيعة ووضح حقيقتها باجمال أبو بكر بقولـه: أن بيعتي كانت فلتة وقى الله شرها... الخ[1]. كما اعترف بذلك أيضاً المخطط الأول عمر بن الخطاب بعد فوات الاوان بقولـه: أن بيعة أبي بكر كانت فلتة وقى الله شرها، وفي لفظ: ومن عاد إليها

---

(١) شرح النهج ١: ١٣٢، وج ٢: ١٩٠ أنساب الأشراف للبلاذري ١: ٥٩٠ وغيرهم.

فاقتلوه أو لمثلـها فاقتلوه[١].

وهكذا تسير الأمور بتلك البيعة التي أوجدت الاختلاف بين المسلمين ولا زلنا نعاني منها حتى اليوم وسار عليها من سار، ويأتي من بعدهم من يعتذ بالتأويل ويبرر المواقف المؤلمة ويسن لـها النظام الجديد، كما ذكره قاضي القضاة وابو يعلى الفراء قال: وانها (الخلافة) تثبت بالقهر والغلبة، ولا تفتقر إلى العقد، ومن غلب عليهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين فلا يحل لاحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يبت ولا يراه اماما برا كان أو فاجرا فهو أمير المؤمنين[٢]. وقد جاء عن الإمام أحمد: (الإمامة لمن غلب) واحتج لذلك بأن ابن عمر صلى بأهل المدينة في زمن الحرة وقال: فنحن مع من غلب[٣].

وجاء بمثلـه لتبرير تلك الأحداث عن عبد الله بن عمر في بيعته ليزيد الفسق والفجور[٤] في واقعة الحرة الشهيرة التي سفكت فيها دماء الآلاف من الصحابة والتابعين والقراء وانتهكت فيها الأعراض وأبيحت مدينة الرسول ثلاثة أيام (ومر ذكرها).

---

(١) صحيح البخاري كتاب الحدود ٨: ٢٦، وشرح النهج ١: ١٢٣ وج ٢: ٢٣ و٢٦ و٢٩ بتحقيق أبو الفضل، والسيرة لابن هشام ٤: ٢٢٦، النهاية لابن الأثير ٣: ٤٦٦ تاريخ الطبري ٣: ٢٠٥، الكامل ٢: ٣٢٧، الصواعق ٥: ٨، تاج العروس ١: ٥٦٨، لسان العرب ١: ٣٧١، تاريخ الخلفاء للسيوطي ٦٧، السيرة الحلبية ٣: ٣٦٠ وص ٣٦٣.

(٢) في احكامه: ٧ ، ١١.

(٣) الأحكام السلطانية: ٢٠ مأثر الاناقة ١: ٥٨، شرح المقاصد ٥: ٢٣٣.

(٤) صحيح مسلم ١: ٢٠ ـ ٢٢، كتاب الامارة. وسنن البيهقي ٨: ١٥٨.

وذكر النووي في شرحه[١] أيضاً أقوالاً عديدة وكذلك البيهقي[٢] والباقلاني[٣] وقال الماوردي: اختلف العلماء في عدد من تنعقد بيعته... وفصل الأقوال[٤].

والخلاصة: لا أزيد في البحث على ما سبق ذكره مفصلا.

وبعد مضي حولين وفي اثناء احتضار الخليفة الأول حيث كان يغمى عليه بين حين وآخر يأمر عثمان بكتابة وصيته بالخلافة لعمر بن الخطاب. وعند سماع الوصية هذه يعترض عليه جماعة[٥] ومنهم الزبير بقوله: ماذا تقول لربك إذا

(١) النووي في شرح صحيح مسلم ١٢: ٢٢٩.

(٢) السنن للبيهقي ٨: ١٥٨.

(٣) التمهيد: ١٨٦.

(٤) في الأحكام السلطانية: ٤، ومثله القرطبي في تفسيره ١: ٢٣٠ وابن العربي المالكي في شرح صحيح الترمذي ١٣: ٢٢٩ ومثله إمام الحرمين الجويني في الارشاد: ٤٢٤ باب الاختيار وذكرنا أقوالهم فيما تقدم.

(٥) كما في الخراج: ١١ فقال الناس اتستخلف علينا فظا غليظا لو قد ملكنا كان افظ واغلظ. وقال ابن سعد في الطبقات ٣: ١٩٩ وسمع بعض أصحاب النبي ﷺ فقال قائل منهم: ما أنت قائل لربك إذا سألك عن استخلافك لعمر علينا وقد ترى غلظه. وفي لفظ ابن أبي شيبة في المصنف فقال الناس: تستخلف علينا فظا غليظا ولو قد ولينا كان افظ واغلظ فما تقول لربك إذا لقيته...الخ. وذكر في الفائق للزمخشري: ودخل عليه بعض المهاجرين فقال له: اتستخلف علينا عمر وقد عتا علينا ولا سلطان له ولو ملكنا كان اعتى واعتى فكيف تقول لله إذا لقيته؟. نقلا عن العبقات ٣: ٢٩٨ ـ ٣٠٣ .كما اعترض غير الزبير بلفظة أخرى الكامل ٢: ٤٢٥. وذكر ابن قتيبة في الإمامة والسياسة: ١٩، فدخل عليه (أبو بكر) المهاجرون والأنصار حين بلغهم انه استخلف عمر فقالوا نراك استخلفت علينا عمر وقد عرفته وعلمت بوائقه فينا وأنت بين أظهرنا فكيف اذا وليت عنا وروى السيوطي تاريخ الخلفاء : ٨٢، عن أسماء بنت عميس قالت دخل طلحة بن عبيدالله على أبي بكر فقال استخلفت على الناس عمراً وقد رأيت ما يلقى منه الناس وأنت معه فكيف اذا خل

قدمت عليه وقد وليت على الأمة فظا غليظا. فلم يلتفت للاعتراضات وتذهب ادرج الرياح وينتهي الأمر، ويأتي الخليفة الثاني ويصف عهده الإمام علي عليه السلام بقولـه في خطبته: فصيرها (أي الخلافة) في حوزة خشناء، يكثر العثار فيها والاعتذار منها، فصاحبها كراكب الصعبة أن اشنق لـها خرم وأن اسلس لـها تقحم، فمنى الناس لعمر الله بتخبط وشماس... الخ. ويأتي عمر للأمة بنظام جديد في اختيار الخليفة وهو الشورى.

مبدأ الشورى المزعوم:

ومهما قيل فيها وتعددت مفاهيمها فلم يحدثنا التاريخ أو التفسير أو الفقه السياسي عن شيء ورد عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ان يوكل أمر اختيار الخليفة إلى الشورى، بل ثبت العكس وقد رفض كل شرط بهذا الخصوص في حياته ومما يشهد بذلك انه صلى الله عليه وآله وسلم لما عرض الإسلام على القبائل فاشترط عليه بعضهم أن يؤازره بشرط أن يكون الأمر لـهم من بعده ولو ببعض الشيء[1]، فرفض أي شرط رغم تلك الظروف الصعبة قائلاً: أن الأمر لله يضعه حيث شاء. وعرضت أمثلة أخرى من أقوالـه في ذكر الوصية، وقد اثبت لنا أصحاب التاريخ والحديث بلا خلاف بينهم واتفقوا على أن ذلك المبدء أو النظام الجديد (اختيار الخليفة بالشورى) قد سنه

⊃

بهم وأنت لاق ربك ويقرب ما في تاريخ الخميس ٢: ٢٤١، وابن سعد في الطبقات ٣: ١٩٩ بلفظ سمع أصحاب النبي وفي مصنف بن أبي شيبة والزمخشري في الفائق.

(١) قول بني عامر بن صعصعة سيرة ابن هشام ٢: ٣٢، الروض الانف ١ ص ٢٦٤ بهجة المحافل لعماد الدين العامري ١: ١٢٨، السيرة الحلبية ٢: ٣ سيرة زيني دحلان بهامش ١ص٣٠٢، حياة محمد لـهيكل ص١٥٢.

عمر بن الخطاب قبل وفاته وليس لـه قبل هذا التاريخ اثر، كما لم يعمل به أحد من بعده، ولو فكرنا قليلا بهذه الشورى وكيف صارت وأي شورى كانت، وهي محاطة بشروط دكتاتورية عجيبة لا مجال للمناقشة فيها :

١ ـ انها شورى بين ستة لا غير يعينهم الخليفة وحده دون الأمة.

٢ ـ أن يكون الخليفة المنتخب من هؤلاء الستة لا غيرهم.

٣ـ إذا اتفق اثنان على رجل واثنان على آخر رجحت الكفة التي فيها عبد الرحمن بن عوف أحد الستة وأن لم يسلّم الباقون ضربت اعناقهم.

٤ ـ إذا اتفق أكثر الستة على رجل وعارض الباقون ضربت اعناقهم.

٥ـ ألا تزيد مدة التشاور على ثلاثة أيام وإلا ضربت اعناق الستة باجمعهم.

٦ـ يتولى صهيب الرومي مراقبة ذلك في خمسين رجلاً من حملة السيوف على رأسهم أبو طلحة الأنصاري.

فالحق أن هذا النظام لم يترك الأمر للامة لتنظر وتعمل بمبدأ الشورى كشورى، بل هو نظام سنه الخليفة بهواه ومنحه سمة الأمر النافذ فلا محيد عنه ولا تغير فيه، فلا يمكن لصورة كهذه أن تسمى شورى بين المسلمين ولا بين أهل الحل والعقد.

ولسائل ان يقول للخليفة: ما هو المسوغ الشرعي لقتل المعترض أو المعترضين اجمع؟ وما هي الصفة الذي يمتاز بها عبد الرحمن عن أصحابه حتى يمنح حق (الفيتو)؟ وما هو السبب بتحديد العدد بالستة هؤلاء مع وجود كبار الصحابة مثل ابن عباس وعمار و... وبهذا وغيره طعنت الشورى وعطلت ولم يعمل بها أحد بعده.

وتذمر منها أمير المؤمنين عليه السلام في أحد خطبه (الشقشقية) بقولـه: فيا لله

وللشورى... ثم استشهد بالابيات:

فان كنت بالقربى ملكت أمورهم ... فغيرك أولى بالنبي واقرب

وان كنت بالشورى حججت ... فكيف بهذا والمشيرون غيب

تولي عثمان الخلافة

وباختصار وبعد تلك الشورى استقل عثمان منصب الخلافة غير أنه كان ضعيف الإرادة فاستغله قومه من بني أمية وسيطروا على كافة البلاد كما وصفه أمير المؤمنين من خطبة بقوله ﷺ : وقامت معه بنو أبيه يخضمون مال الله خضم الإبل نبتة الربيع... الخ. فنصبهم ولاة في الأقطار ومستشارين له وعمال، وهم ما بين طريد منبوذ أو وزغ ملعون أو صبي نزق، ومنحهم الحصانة، واقطعهم الاملاك، ووهبهم الأموال الطائلة، كما وصفهم عمر بن الخطاب بقوله: وقد تجاهروا بالفسق والفجور وشرب الخمور ولم تبقى رذيلة إلا ارتكبت ولا حرمة للإسلام إلا انتهكت حتى كثرت شكوى الأقطار عليهم والتذمر منهم وبلغوا الخليفة بذلك، ثم جاءته الوفود بين حين وآخر فرفض أن يستجيب للوفود أو يعتذر منهم بل حاسب بعضهم ووبخهم وهددهم وضرب بعضهم مثل عمار بن ياسر ففتقوا بطنه وكسروا أضلاعه ورموه في الطريق ومثله عبد الله بن مسعود وغيرهم من أصدقائه القداما وكذا صهره عبد الرحمن بن عوف الذي رشحه ونفى أبا ذر إلى الشام ثم الربذة وغيرهم فتقاطرت الوفود عليه وهو مصرّ على ذلك حتى عطّل الحدود عن بعض اقاربه فجرى ما جرى من وقائع مؤلمة واحداث مؤسفة كثيرة

ولا زلنا نعاني منها حتى اليوم بالنقد اللاذع والاستنكار الصارخ لتصرفات الخلافة الإسلامية من اعدائنا وما احدثته من فتن وانشقاق بين صفوف المسلمين.

وتجتمع الوفود مع المعارضين من الصحابة من أهل المدينة ويقتل الخليفة في داره ويمنع من تجهيزه إلا خلسة في الليل وتفر منه أمية ومن ساندها(١).

(١) راجع تفصيل ذلك في عامة التواريخ وقد جمع تلك الأحداث ونقل الأقوال بتفاصيلها شيخنا الأميني في غديره.

بيعة الإمام علي عليه السلام

وبعد مقتل عثمان اجتمعت الأمة من مهاجرين وأنصار وعامة الصحابة والوفود التي قدمت وترشح الإمام للبيعة مطبقة عليه بصورة لم يسبق لـها مثيل لبيعة وقعت لا من قبل ولا بعد. ولكنه يعتذر حتى حاصروه في داره وأخرجوه إلى المسجد وتمت البيعة هناك من عامة المهاجرين والأنصار والصحابة وعامة الناس إلا النفر القليل من الموتورين من بني أمية ومرتزقتهم واستغل معاوية تلك الأحداث فاستقل بالشام وأعلن التمرد وخرج عما اجتمع عليه المسلمين كافة طمعا بالمنصب وحبا للرئاسة متعللا بأمور واهية ومستجمعا أذناب أمية المنكوبة والفارة إليه. وقد قدمنا تفصيلا لنفسية معاوية وحقده القديم على أمير المؤمنين ولنعرض الآن بإيجاز كيف حصل على الخلافة. وموه على العامة بالاستقلال بالبيعة.

اغتصاب معاوية للبيعة:

تقدم تحليل نفسية معاوية وحقده على بني هاشم عامة وعلى علي خاصة، وذكرنا أسباب حب معاوية للرئاسة وطمعه فيها مهما كلف الأمر، وازداد حقده وعناده بعد مقتل عثمان والإجماع الذي امتاز به أمير المؤمنين ببيعته التي عمت الأقطار، فاعلن معاوية العصيان والتخلف عن البيعة، متعللا ـ مكرا وخداعا ـ بقتل عثمان ومطالبته بدمه، واحتج عليه الإمام برسائل كثيرة مصرحا فيها أنه بريء من كل ما وقع وأنه دافع عن عثمان بما يستطيع ولكن زمرة بني أمية الذين حولـه تجاهلوا كل الاعتراضات طمعا بالرياسة فكانت السبب في مقتلـه، ثم حتى لو كان كما تزعم معاذ الله فما أنت وذاك؟.

وألخص تلك الرسائل بذكر رسالة واحدة بعثها عليه السلام مع جرير البجلي جاء فيها: فانّ بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام، لأنه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد... إلى أن يقول عليه السلام: وإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعة ردوه إلى ما خرج عنه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا.

فادخل فيما دخل فيه المسلمون، فإن احب الأمور إلى قبولك العافية إلا أن تتعرض للبلاء، فإن تعرضت لـه قاتلتك واستعنت بالله عليك، وقد اكثرت في قتلة عثمان، فإن أنت رجعت عن رايك وخلافك ودخلت فيما دخل فيه المسلمون ثم حاكمت القوم إلي حملتك واياهم على كتاب الله، واما تلك[١] التي تريدها فهي خدعة الصبي عن اللبن . واعلم إنك من الطلقاء الذين لا تحل لـهم الخلافة ولا تعقد معهم الإمامة ولا يدخلون في الشورى وقد بعثت إليك واليا من قبلي جرير بن عبد الله البجلي وهو من أهل الإيمان والـهجرة فبايعه ولا قوة إلا بالله.

فلما قدم جرير على معاوية بكتاب أمير المؤمنين وأبطأ عليه معاوية برأيه استحثه جرير بالبيعة فقال لـه معاوية: يا جرير أن البيعة ليست بخلسة وانه أمر لـه ما بعده فابلعني ريقي.

ودعى أهل ثقته فاستشارهم فقال لـه أخوه عتبة: استعن على هذا الأمر بعمرو بن العاص فإنّه من قد عرفت. فكتب معاوية إلى عمرو بن العاص وهو

(١) أي الخدعة التي تعلل بها معاوية وهي أن يدفع لـه قتلة عثمان.

بفلسطين ثم طلب حضوره وأمّلـه أن يعطيه ولاية مصر أن تم لـه الأمر[١].

ثم كتب معاوية إلى طلحة والزبير يحرضهما على القيام على علي (فرق تسد) وان هما اخذا العراق وهما أولى به سيسندهما، ودارت بينهما رسائل كثيرة لا يسع المقام ذكرها[٢].

غير أن جرير البجلي طال عليه الوقت فالحّ على معاوية بالجواب فقال معاوية لجرير: إني قد رأيت رأيا. قال جرير: هات. قال: أكتب إلى علي أن يجعل لي الشام ومصر جباية فإن حضرته الوفاة لم يجعل لاحد من بعده في عنقي بيعة، وأسلّم إليه هذا الأمر واكتب إليه بالخلافة . قال جرير: أكتب ما شئت. فكتب إلى علي عليه السلام يسألـه ذلك فلما أتى علياً كتاب معاوية عرف انها الخدعة منه وكتب إلى جرير بن عبد الله:

اما بعد فإن معاوية إنما أراد بما طلب ألا يكون لي في عنقه بيعة وأن يختار من أمره ما احب وأراد أن يريثك ويبطئك حتى يذوق أهل الشام، وقد كان المغيرة بن شعبة أشار عليّ وأنا بالمدينة أن استعملـه على الشام فابيت عليه ذلك[٣]، ولم يكن الله ليراني أن اتخذ المضلين عضدا فإن بايعك الرجل

(١) وفي بعض كتب عمرو إلى معاوية قد اشترط عليه ولاية مصر كما في كتاب سابق لأمير المؤمنين.

(٢) راجع الغدير ١٠: ٣١٦.

(٣) ومن جملة قول المغيرة اترك معاوية على الشام حتى تأخذ البيعة منه ومن أهل الشام ثم نعزلـه فرفض الإمام ذلك فولى المغيرة ينشد ابيات منها:

نصحت علياً في ابن هند نصيحة ... فردت فلم يسمع لهـا الدهـر

كما في مروج الذهب ٢: ١٦، تاريخ الطبري ٥: ١٦٠، ابن كثير ٨: ١٢٨، الاستيعاب ١: ٢٥١، تاريخ أبي الفداء ١: ١٧٢، ولابن عباس مثل قول المغيرة ورفضه الإمام ودارت محاورة بينهما.

والا فاقبل والسلام[1].

ومن هذا يتضح أن معاوية طمع في المنصب من أول يومه ولم يكن في وسعه غير التحايل والتعلل بتسليمه قتلـه عثمان كما اقترحه عليه اعوانه وخططوا لـه مثل عمرو بن العاص وجماعة من بني أمية وليشركهم في الأمر أن تم لـهم ويعيدوها كما كانت في أيام عثمان.

البيعة ليزيد:

تقدم القول كيف كان معاوية يروّض الناس لسبع سنين ليعقد البيعة لنغلـه يزيد، وذكرنا شراءه الضمائر، وذكر ابن عبد البر أن معاوية لما أراد البيعة ليزيد خطب أهل الشام وقال لـهم: يا أهل الشام قد كبر سني وقرب أجلي وقد أردت أن اعقد لرجل يكون نظاما لكم، إنما أنا رجل منكم، فاروني رايكم. فاصفقوا واجتمعوا وقالوا: رضينا عبدالرحمن بن خالد. فشق ذلك على معاوية واسرها في نفسه، ثم أوعز إلى طبيب كان عنده يهوديا اختصه لـهذه الاغراض وللقضاء على من لا يريد التظاهر بقتلـه، فدس السم لعبد الرحمن بن خالد[2] . وذكرها الطبري فقال: وأمر ابن اثال النصراني أن يحتال في قتلـه فقتلـه وتخلص منه[3].

وذكر أبو الفرج قال: وأراد معاوية البيعة لابنه يزيد، فلم يكن شيء اثقل عليه من أمر الحسن بن علي وسعد بن أبي وقاص فدس إليهما سما فماتا منه[4].

---

(١) كتاب صفين: ٣٨ و٥٨، الإمامة والسياسة ١: ٨٢، شرح النهج ١: ١٣٦ وص ٢٤٩ وص٢٥١.

(٢) الاستيعاب ٢: ٣٩٦ بترجمة عبد الرحمن وأسد الغابة ٣: ٢٨٩.

(٣) الطبري ٦: ١٢٨. وابن الأثير ٣: ١٩٥.

(٤) مقاتل الطالبيين: ٤٣، ويقرب منه ما في أنساب الأشراف١: ١٠٤ وابن أبي الحديد٤: ١١.

وهكذا يتخلص من المعارضين لـه ولبيعة يزيد وتقدم الحديث.

وكتب معاوية إلى زياد وهو بالبصرة: أن المغيرة قد دعا أهل الكوفة إلى البيعة ليزيد بولاية العهد بعدي، وليس المغيرة باحق بابن اخيك منك، فإذا وصل إليك كتابي فادع الناس من قبلك إلى مثل ما دعاهم إليه المغيرة وخذ عليهم البيعة ليزيد.فلما قرأ زياد الكتاب دعا برجل من أصحابه يثق بفضلـه وفهمه فقال: أني أريد ان ائتمنك على ما لم أئتمن عليه بطون الصحائف، إيتِ معاوية فقل: يا أمير المؤمنين أن كتابك ورد علي بكذا، فما تقول للناس إذا دعوناهم إلى بيعة يزيد وهو يلعب بالكلاب والقرود ويلبس المصبغ ويدمن الشراب ويمشي على الدفون وبحضرتهم الحسين بن علي وعبد الله بن العباس وعبد الله بن الزبير وعبد الله بن عمر ولكن تأمره أن يتخلق بأخلاقهم حولا أو حولين فعسانا أن نموه على الناس. فلما بلغها الرسول قال معاوية: ويلي على ابن عبيد، والله لقد بلغني أن الحادي حدا لـه (أن الأمير بعد زياد) والله لأردنه إلى أمّه سمية وأبيه عبيد[١].

ومثلـه أن معاوية كتب إلى مروان (وكان واليه على المدينة) أن يذكر بيعة يزيد لـهم فأبى ذلك وأبته قريش وكتب إلى معاوية: أن قومك قد أبوا حاجتك إلى بيعة ابنك فأرني رأيك. فعزلـه معاوية عن عملـه[٢].

وتستمر رسائل معاوية بهذا المضمون إلى ولاته ويمنيهم بالإمرة والمناصب أن ساعدوه على البيعة وعمالـه ورؤساء العشائر ويغدق الأموال الطائلة عليهم كما مر.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٦١.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ١٤٤ واورد المسعودي باختصار مع اختلاف في الجواب:. ١. وتاريخ الطبري ٥: ٣٠٢ والكامل ٣: ٥٠٥ بمعناه.

وآخر الأمر يعهد لـه بولاية العهد رغم العقبات التي مرت، فكان ما حدث من يزيد من جرائم كثيرة لا مجال لذكرها وواقعة الحرة وواقعة الطف وما جرى فيهما يغنينا عن ذكر غيرهما في بيان جرائم يزيد بن معاوية، وقد تقدم ذكرهما.

توارث الخلافة في السفيانيين والمروانيين

وهكذا ينتهي العهد السفياني بتوريثهم الخلافة الإسلامية لـهؤلاء، ويتبعه العهد المرواني، ويأتي العهد العباسي بمثلـهما، واعرض لبعض النماذج للعهدين وكيف تتم التولية المخالفة لمباديء الإسلام الاولية، فكانت تتم بالترغيب والترهيب والرشوة والاغراء، فذكر ابن كثير قال: حج عبد الملك في سنة٧٥ وخطب الناس بخطبة قال فيها: أنه كان من قبلي من الخلفاء يأكلون ويؤكلون، واني والله لا أدري ادواء هذه الأمة إلا بالسيف؟ ولست بالخليفة المستضعف ـ يعني عثمان ـ ولا الخليفة المداهن ـ يعني معاوية ـ ولا الخليفة المأبون ـ يعني يزيد ـ أيها الناس أنا نحتمل منكم ما لم يكن عقد راية أو وثوب على منبر، هذا عمر بن سعيد[١] حقه حقه قرابته وابنه قال براسه هكذا فقلنا بسيفنا هكذا وأن الجامعة التي خلعها من عنقه عندي، وقد اعطيت إليه عهدا أن لا اضعها في رأس أحد إلا اخرجتها الصعداء فليبغ الشاهد الغائب[٢].

ولما حضرت الوفاة عبد الملك أوصى ولده الوليد في أخذ البيعة لـه بالسيف وقال وهو في أخر ساعة من الدنيا: يا وليد حضر الوداع وذهب الخداع وحل

(١) وذكر سبب قتلـه تهذيب التهذيب ٧: ٣٧. وفي عقد الفريد (المأمون).

(٢) تاريخ ابن كثير ٩: ٦٤.

القضاء. فبكى الوليد فقال عبد الملك: لا تعصر عينيك كما تعصر الأمة الوكاء إذا انا متّ فغسلني وكفني وصلي علي وسلمني إلى عمر بن عبد العزيز يدلني في حفرتي واخرج أنت للناس، والبس لـهم جلد نمر، واقعد على المنبر، وادع الناس إلى بيعتك فمن قال بوجهه كذا فقل لـه بالسيف كذا، وتنكر للصديق والقريب، واسمع للبعيد، واوصيك بالحجّاج خيرا[١].

ولما مات يزيد بن الوليد وكان مولاه فطن وهو الموكل بخاتم الخلافة قد افتعل عهدا على لسان يزيد بن الوليد لإبراهيم بن الوليد ودعى ناسا فشهدوا عليه زورا[٢].

ولما أراد عبد الملك أن يبايع لولده الوليد ثم من بعده لسليمان بن عبد الملك امتنع سعيد بن المسيب أن يبايع، فأمر به هشام فضربه ستين سوطا والبسه ثيابا من شعر واركبه جملا وطاف به المدينة وذلك سنة ٨٥. ولما بلغ عبدالملك ذلك لام هشاما وكتب لـه: إنا نعلم إن سعيدا ليس عنده شقاق وقال ما ينبغى لـه إلا أن يبايع وإن لم يبايع ضربت عنقه أو خليت سبيلـه[٣].

وفي عهد السفاح ولي عمه داود بن علي بن عبد الله بن العباس على المدينة وضم إليه مكة واليمن واليمامة، ولما دخل المدينة هدد الناس وتوعدهم وقال في خطبته: أيها الناس اغركم الامهال حتى حسبتموه الاهمال، هيهات منكم، وكيف بكم والسوط كفي والسيف مشهر واستشهدا بابيات... الخ.

وامتنع أحد القضاة من البيعة للخليفة المقتدر وقال: هو صبي ولا تصح

---

(١) الإمامة والسياسة ٢: ٧٤.

(٢) العقد الفريد ٣: ١٩٤.

(٣) تاريخ الإسلام للذهبي ٣: ٣١٠. تاريخ ابن كثير ٩: ٦٠.

مبايعته. فحكموا عليه بالقتل وذبح امام الملأ[1].

ولا حاجة للمزيد من هذا، ومن راجع كتب التراجم والرجال وجد الكثير واضعاف ما ذكرنا . وبهذا وأمثالـه من الاساليب فخذ صورة من هذه النماذج وكيفية أخذ البيعة من الناس للخليفة الجديد الذي يتولى ادارة شؤون الأمة، فهل للامة اختيار في الانتخاب؟ أم انها مرغمة وليس لـها أي رأي ولا يحق لـها الاعتراض على شيء من ذلك والمعارض يقتل والممتنع يرغم؟ فهل تصح مثل هذه البيعة التي سنها نظامها؟.

وهل يصح أن يسمى من يتسلط بمثل هذه الدكتاتورية بأمير المؤمنين وخليفة المسلمين ونأتمر بامره وننتهي بنهيه وقولـه مقبول ورايه مطاع؟.

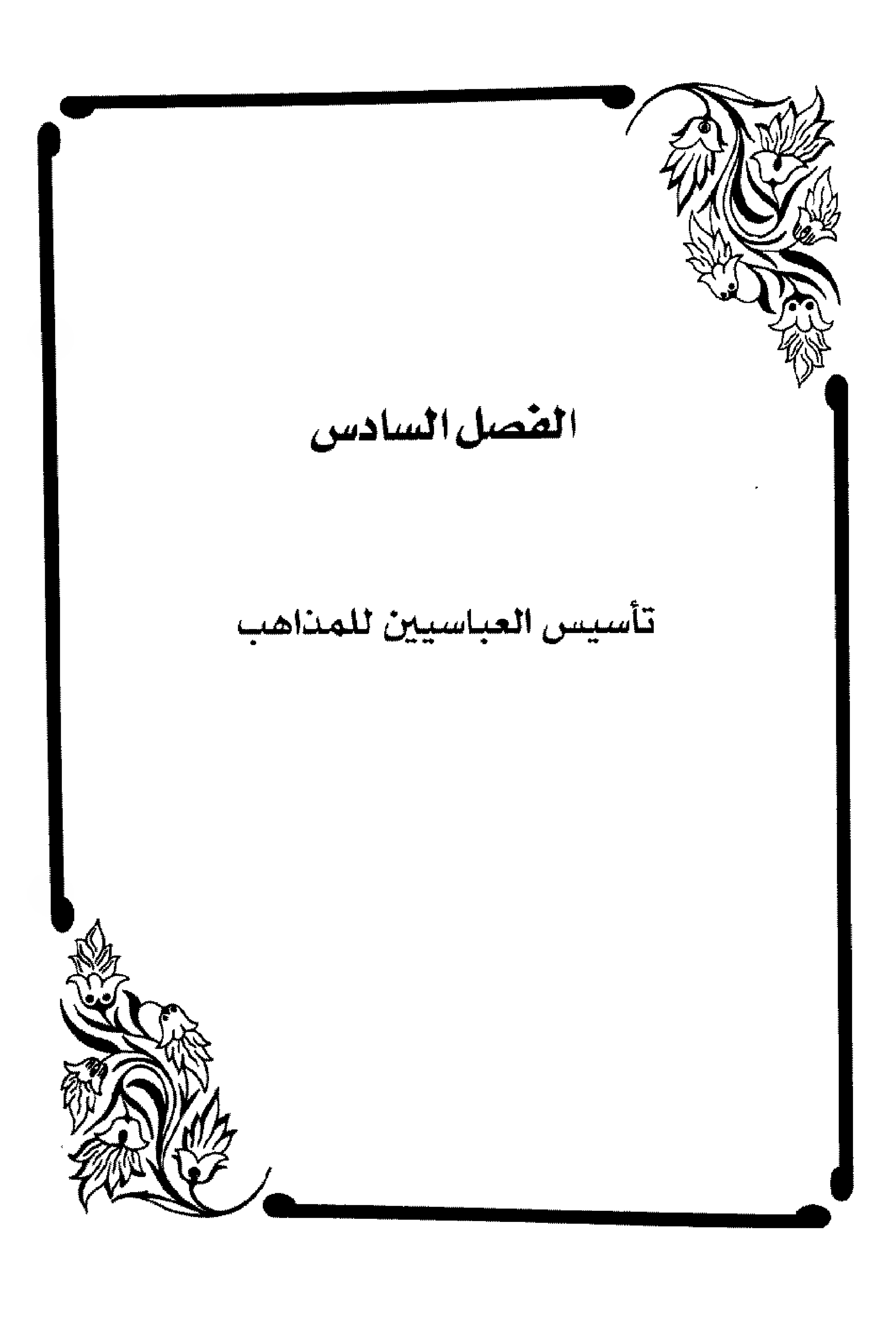
أنا لا أدري ولعل هناك من يدري.

فقد توضح لنا من هذه النماذج أن توارث الخلافة الأموية والعباسية وكما جرت سيرتهم وسار عليها من سار أن يرثها الولد عن أبيه أو الاخ عن أخيه، وانها ملك لـهم يتوارثونها حتى مع عدم اللياقة أو الأهلية للوارث من صبيان ومتجاهرين بالفسق والمنكرات أو من عرف باللهو والمجون، فهي محصورة بينهم، وليس لأهل الحل والعقد كما زعموا ولا بشورى كما أوصى بها عمر، وانما هي عهد ملكي كما في النظام الملكي في هذه العصور، غير أن العهدين اضافوا الاكراه في البيعة وللمعارض القتل والتعذيب أو التشريد والتبعيد.

---

(١) نقلا عن الإمام الصادق والمذاهب الأربعة: ٢٥٩.





الفصل السادس

تأسيس العباسيين للمذاهب



دهاء المنصور العباسي:

إن للدولة العباسية حلم تسعى لتحقيقه بجهود مكثفة دعما لنفوذها وصيانة لسلطانها وهو إسباغ ابراد القداسة والشرعية عليها، والتظاهر بتعاليم الدين الحنيف واتباع علماء الدين، وإبرازها بشكل يقضي على المعارضين لسياستهم التي انحرفت عن أهدافها بعد تسلمهم زمام الأمور.

والعباسيون يريدون بذلك أن ينظر الناس إليهم كخلفاء الرسول وأمناء على شريعته ونظامه وأنهم ظل الله في أرضه ورعاة عباده بالرغم من عدم توفر الصفات التي تؤهلـهم لان يكونوا بهذا المنصب.

فكان المنصور ذاك الداهية المخادع هو أول من ابرز هذه، وقد أعلن ذلك على المنبر يوم عرفة لينشرها على عامة الأقطار فقال في خطبته: أيها الناس إنما أنا سلطان الله في أرضه، أسوسكم بتوفيقه وتسديده، وأنا خازن على فيئه واعمل بمشيئته واقسمه بإرادته وأعطيه بإذنه ... الخ[1].

وهذه اللهجة وإن كانت لـهجة خادعة ومغالطة ماكرة فقد حاول أن يسيطر بها على أفكار البسطاء ليخنق قوة المعارضة التي تؤدي بسلطانه إلى الانهيار، وليستغل تلك الاستعدادات التي في نفوس علماء السوء لمناصرة الخلافة المزعومة

---

(١) مروج الذهب ٣: ٢٠٧.

ويربط بين وجوده ووجودهم.

وبعد أن تعرفنا على هدف الثوار في النهضة التي أطاحت بالحكم الأموي فانهم يطلبون إقامة دولة تحكم بكتاب الله وسنة رسولـه ﷺ .

وإن الاتجاه العام وهتافات الثوار والبيان الأول لتلك الثورة إنه يتزعمها رجل من أهل البيت دون غيرهم، فحاول المنصور جاهدا تغيير هذا الاتجاه بكل ما يستطيع، كما ادعى أنه من أهل البيت وتجب طاعته وهو أولى بأخذ ثارات العلويين من الأمويين.

وبهذا وغيره تمكن من وضع الطابع الشرعي للدولة ليكسب لنفسه الثقة ولأحفاده من بعده السلطة ووراثة النبي ﷺ، واستدراج البسطاء بأساليب التمويه والخداع من السهولة بمكان ولكن من العسير عليه أن يخدع ذوي الأفكار الواسعة وأصحاب العقائد الراسخة، لذلك كان يحسب لـهم ألف حساب؛ لأنه يريد أن يتربع على دست الحكم ويصبح خليفة للمسلمين وأميرا للمؤمنين، وبهذا يلزمه العمل بكتاب الله وسنة رسولـه وأن ينصح للمسلمين ما استطاع لذلك سبيلا، فإمرة المسلمين ليست بالأمر الـهين فيستطيع كل شخص أن يتلقب بها، وإنما هي تحمل الاعباء الثقال والعناء المتواصل والجهد كل الجهد في إقرار العدل ورفع الظلم وإنصاف الضعفاء وتحقيق المساواة بين الناس وفوق هذا كلـه إنصاف الناس من نفسه كانصاف بعضهم من بعض.

والمنصور لم يتصف بشيء من ذلك، فهو ظالم في حكمه جائر على رعيته، وقد استأثر بأموال الأمة وجعل بيت مال المسلمين ملكا لـه ولمرتزقته مع ما عرف عنه بالبخل الشديد، وسيرته تتعارض مع تعاليم الإسلام ومفاهيمه. وتقدم عرض نماذج من سيرته.

فالمنصور لم يزل يقلب وجوه الرأي ويدبر الحيل في القضاء على كافة معارضيه من الذين ناصروه أولاً، وخاصة من بعض العلماء الذين لا يقرون لـه بذلك ولم تنطلي عليهم حيلـه وخداعه وأهمهم الإمام الصادق الذي يخشاه ويفكر في أمره ويقلق بالـه في ليلـه ونهاره ولم يتمكن من القضاء عليه في تلك الظروف كما لم يتمكن من تحصيل التأييد منه وضمه إلى صفوف من ضمهم فيحقق أهدافه ويستريح بالـه. وقد عرف رأى الإمام في الدولة العباسية كرأيه في الدولة الأموية من الظلم في الرعية والاستبداد في الحكم والابتعاد عن مفاهيم الإسلام، وقد نهى عن مؤازرة الدولة الجديد كما نهى عن مؤازرة الدولة المنقرضة، وسنعرض لبعض أقوالـه في ذلك في ترجمته عليه السلام.

فحاول المنصور جاهدا بكل ما يستطيع أن يقرب بعض العلماء ويغدق عليهم الأموال ويمنيهم المناصب والرتب خاصة ممن يشم منهم الميل لـه والاستجابة لتنفيذ رغباته والسير معه وبذلك يحل مشكلته ويتخلص من القلق الذي يعانيه ويضفي الشرعية لسلطته أمام الناس.

فاختص مالك بن أنس وقربه ورفع منزلته ونوه باسمه وحصر الفتوى به وناد مناديه (أن لا يفتينا إلا مالك) كما طلب منه أن يضع كتاباً يكون هو المرجع في الفقه رسميا وشدد بعدم الرجوع لغيره أو الأخذ عن أحد سواه ويقال: انما خص مالكا بذلك دون غيره من علماء المدينة لعلمه بانحراف مالك عن آل علي وأن نزعته أموية[1].

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ٢: ٥٦٨ نقلا عن مالك لأبي زهرة ٦٩ و٧١.

واستمر المنصور في تقديم العلماء واحتضانهم ليسندوا لـه عرشه الذي أصبح مهددا من خطر الدعوة لأهل البيت وقيام الثورات ضده بعدم الاعتراف لـه بأهلية الخلافة وهذه حقيقة أثبتها التاريخ في الأسباب التي دعت السلطة لتأسيس المذاهب ودعم أصحابها. وكمثال واحد لذلك فقد قال رشيد رضا صاحب المنار في تفسيره:

وقد عنى الملوك المستبدون بجذب العلماء بسلاسل الذهب والفضة والرتب والمناصب وكان غيرهم أشد انجذابا، ووضع هؤلاء العلماء الرسميون قاعدة لامرائهم ولأنفسهم هدموا بها القواعد التي قام بها أمر الدين والدنيا في الإسلام، وهي أنه يجوز أن يكون اولياء الأمور فاقدين للشروط الشرعية التي دل على وجوبها واشتراطها الكتاب والسنة وإن صرح بها أئمة الأصول والفقه وقالوا يجوز إذا فقد الحائزون لتلك الشروط.

مثال ذلك أنه يشترط فيهم العلم المعبر عنه بالاجتهاد، وقد صرح هؤلاء بجواز تقليد الجاهل وعدّوه من الضرورة واطلق الكثيرون هذا القول وجرى عليه العمل وذلك من توسيد الأمر إلى غير أهلـه الذي يقرب خطوب ساعة هلاك الأمة ومن علاماتها ذهاب الأمانة وظهور الخيانة، ولا خيانة أشد من توسيد الأمر إلى الجاهلين.

وقال أيضاً: روى مسلم وابو داود حديث ابن عباس: من استعمل عاملا من المسلمين وهو يعلم أن فيهم أولى بذلك منه واعلم بكتاب الله وسنة نبيه فقد خان الله ورسولـه وجميع المسلمين[1].

(١) تفسير المنار ٥: ٢١٥.

ثم قال: ما أفسد على هذه الأمة أمرها وأضاع عليها ملكها إلا جعل طاعة هؤلاء الجبارين الباغين واجبة شرعا على الاطلاق، وجعل التغلب أمراً شرعيا كمبايعة أهل الحل والعقد للامام الحسن، وجعل عهد كل متغلب باغ إلى ولده أو غيره من عصبته حقاً شرعيا واصلا مرعيا لذاته(١).

ولا أريد التفصيل فيما ذكره صاحب المنار حول بيعة أهل الحل والعقد الذي ارتضاها وحسّنها وقام عليها اصلـه وبنائه، وحديثي حول التغلب بالسيف أو بالقهر والاكراه، كما في (الأحكام السلطانية:٢٠) والحديث الذي جاء عن القلقشندي بقولـه : حتى ولو كان فاسقا أو جاهلا . وقدمنا ذكرهما وغيرهما من الأحاديث الموضوعة حول الإمامة أو الخلافة التي هي الاساس والدعم لتبريرها.

وقال الأستاذ عبد المتعال الصعيدي أحد علماء الازهر في كتابه ميدان الإجتهاد : فلما رأى بنو العباس أن وسائلـهم في القهر لا تجديهم أرادوا أن يأتو الناس من باب التعليم، فيتولوا أمره بأنفسهم ليربوا العلماء على الخضوع لـهم، ويملكوهم بالمال من أول أمرهم، وكانت الأمة هي التي تتولى أمر التعليم بعيدا عن الحكومة كما تتولاهم الآن الامم الراقية في اوربا وامريكا، فيقوم في المساجد حرا لا يخضع لحكم ملك أو أمير ويتربى العلماء بين جدرانها احرارا لا يرقبون الا لله في عملـهم ولا يتأثرون بهوى حاكم ولا تلين قناتهم لطاغيه أو ظالم، فأراد بنو العباس أن يقضوا على هذا التقليد الكريم ويتولوا بأنفسهم أمر التعليم بين المسلمين، فاخذوا ينشئون لـه المدارس بدل المساجد، ويحبسون عليها من

---

(١) الخلافة: ٥١ عند نظرية الحكم والادارة في الإسلام: ١٢٦ نقلا عن خلافة الرسول بين الشورى والنص: ٤٥، سلسلة المعارف الإسلامية.

الاوقاف الكثيرة ما يرغب العلماء فيها ويجعل لـهم سلطانا عليهم، واخذت المالك التابعة لـهم تأخذ بهذا في سنتهم، حتى صار التعليم خاضعا للحكومات بعد أن كان أمره بيد الرعية وكان لـهذا اثره في نفوس العلماء فنزلوا على أرادة الملوك ولم تقو نفوسهم على مخالفتهم في رايهم أو توجيه شيء من النصح لـهم.

ثم استمر الأستاذ عبد المتعال في ذكر المدارس التي انشأت ثم ذكر عهد صلاح الدين وما انشأ فيه من المدارس.

ثم قال: وكان صلاح الدين يقصد من هذه المدارس كلـها إلى احياء مذهب أهل السنة والقضاء على مذهب الشيعة الفاطميين الذين كانوا يملكون مصر قبلـه، ورغّب الناس فيها بالاوقاف التي حبسها عليها، فرغبوا فيها واخذوا في تقليدها وهجروا ما عداها من المذاهب.

وان المأمون قد اشتد في امتحان الناس ولزوم اقرار الفقهاء بما يراه، فجعل يرسل لعاملـه الكتب وكانت تزاد شدة وعنفا وتهديد وتوعيدا، وكان من نتائج هذا الامتحان أن اجاب جميع الفقهاء لذلك ولم يمتنع منهم إلا نفر قليل .

وكانت الخطوة الأولى التي خطاها المأمون ليضمن انصياع رعيته بالنحلة التي انتحلـها والراي الذي ارتأه أن دعى الفقهاء والمحدثين إلى أن يقولوا بمقالته في خلق القرآن، وكتبه المطولة مقصورة على التوعيد والعزل عن القضاء، وعدم قبول شهادة من لا يتبع رأي الخليفة بلا تعذيب وتنكيل، فهو يحاول الاصلاح بهذه الأمور وأن تعذر عليه فإنه يستعمل القوة.

وارسل نسخة من الكتاب إلى مصر وكان قاضيها يومئذ هارون بن عبد الله الزهري، فاجاب لذلك كما اجاب الشهود المعتمدون، ومن توقف منهم اسقطت عدالته وابطلت شهادته.

وقد اصدر أمراً عاما يأخذ الناس بالمحنة في كافة ارجاء المملكة الإسلامية، ففي سنة ٢١٨ ذهب المأمون بنفسه إلى دمشق وربما كان في طريقه وهو ذاهب إلى حملته الأخيرة على اسيا الصغرى، وهناك في دمشق اشرف بنفسه على امتحان الفقهاء والعلماء.

كما سارع إسحاق بن إبراهيم إلى بغداد لتنفيذ رغبة المأمون، فاحضر المحدثين والفقهاء والمفتين وانذرهم بالعقوبة الصارمة والعذاب أن لم يقروا بما طلب منهم وينطقوا بما سئلوا أن ينطقوا به ويحكموا بالحكم الذي ارتآه المأمون من دون تردد أو مراجعة، فنطقوا جميعا بما طلب منهم واعلنوا اعتناق المذهب . ويعلل ابن كثير أن اجابتهم كانت مصانعة لانهم كانوا يعزلون من لا يجيب عن وضائفه، وأن كان لـه رزق في بيت المال قطع، وأن كان مفتيا منع من الافتاء، وأن كان شيخ حديث ردع عن الاستماع[1].

وبعد انقراض الدولة العباسية اعتنق مذهب الحنفية سلاطين الاتراك عندما أرادوا انطباق اسم الخلافة الإسلامية عليهم ولان من شروطها أن يكون الخليفة قرشيا طبقا للحديث (الخلافة في قريش) والحنفية لا يشترطون هذا الشرط. وأول من تولى الخلافة الإسلامية من غير قريش السلطان سليم الفاتح وصحح الحنفية هذه الخلافة وحجتهم أن الخليفة يتولى الخلافة بخمسة حقوق:ـ

١ ـ حق السيف.

٢ ـ حق الانتخاب.

---

(١) تاريخ ابن كثير ١٠: ٢٧٣.

٣ ـ حق الوصاية.

٤ ـ حماية الحرمين.

٥ ـ الاحتفاظ بالأمانات وهي المخلفات النبوية المحفوظة في استانة التمدن الإسلامي.

والخلاصة: لو تتبعنا سيرة الملوك والأمراء بما ألزموا به العلماء وطلابهم والقضاة وغيرهم من الذين ساروا على نهج السلطة وما رسمته لـهم لطال بنا الحديث وخرجنا عن الموضوع . وتعرض المرحوم الشيخ أسد حيدر في كتابه الإمام الصادق والمذاهب الأربعة الشيء الكثير من هذا، ومنه أخذت وعليه اعتمدت.

ولأن عامة الخلفاء من العباسيين وغيرهم مع انغماسهم في الشهوات والترف وارتكاب المحرمات الكبار وعظيم الجرائم فانهم يتظاهرون بخدمة العلماء ورؤساء المذاهب، ويتظاهرون بالنزعة الدينية والخلافة الإسلامية، وبهذا تمكنوا من استخدام رجال منهم كوسيلة لتوطيد استبدادهم وذريعة لاخضاع العامة لـهم، بأنهم ملزمون شرعا بطاعة السلطان طاعة عمياء ومهما كان تصرفه لا يجوز الاعتراض عليه.

وكان في تلك العصور للعلماء والمحدثين درجات عالية عند الخلفاء.

ومن المؤسف أنا لم نجد من هؤلاء الذين نالوا رضا الملوك والأمراء واختصوا بقربهم ـ إلا من شذ وندر ـ أي إنكار أو اعتراض على تلك الجرائم والموبقات كما أمرهم الله ورسولـه أو اقل من ذلك بالابتعاد عنهم وعدم مساندتهم حتى لا يستخدموا لمصالحهم الخاصة، فيقيموا منهم جسورا لتحقيق أهدافهم ويستعينوا بهم

على ذلك، فإنهم جبابرة طغاة وظلمة عناة، فلا يصلحون لمركز الولاية على المسلمين وليس لهم كفاءة بصفات الخلافة، ولا قدرة لهم على تنفيذ أحكام الإسلام، فلا تجب طاعتهم بحال، وفي مؤازرتهم ومعاونتهم خروجا عن أمر الله تعالى ومخالفة صريحة لكتابه حيث يقول: ﴿وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾[1] الآية.

---

(١) هود: ١١٣.

انتشار المذاهب

وبهذه الأسباب وعوامل الترغيب والترهيب التي اتخذوها أولئك الأمراء وذووا النفوذ والسلطة أخذت هذه المذاهب بين العامة من الصيت والشهرة ما جعلهم متزاحمين على اعتناقها.

وعلى هذا المنوال سارت جماهير المسلمين بدون دليل أو حرية اختيار، واستطاعت المذاهب الأربعة أن تخطوا إلى ساحة الرقي لأنها موضع عناية الخلفاء المتعاقبين والولاة والقضاة بالرغم مما رافقها من خلافات ومنافرات غير أن عناية السلطة تكسب الشيء لونا من الاعتبار والعظمة حسب نظام السياسة، وذلك أن عوامل الترغيب واداة القوة جعلتها تأخذ بالتوسع والانتشار شيئاً فشيئا ولولا ذلك لما استطاعت البقاء حتى تصبح قادرة على مزاحمة غيرها.

قال المقريزي: فلما كانت سلطنة الظاهر بيرس ولّى بمصر أربعة قضاة وهم شافعي ومالكي وحنفي وحنبلي فاستمر ذلك إلى سنة ٦٦٥ حتى لم يبق في مجموع امصار الإسلام مذهب يعرف من مذاهب أهل الإسلام سوى هذه المذاهب الأربعة... .

وعودي من تمذهب بغيرها وانكر عليها ولم يول قاضي ولا قبلت شهادة أحد ولا قدم للخطابة والإمامة والتدريس أحد ما لم يكن مقلدا لاحد هذه المذاهب، وافتى فقهاء الأمصار في طول هذه المدة بوجوب اتباع هذه المذاهب وتحريم ما عداها.

وفي سنة ٦٤٥ أحضر مدرسو المدرسة المستنصرية إلى دار الوزير فطلب

منهم ألا يذكروا شيئاً من تصانيفهم ولا يلزموا الفقهاء بحفظ شيء منها بل يذكروا كلام الشيوخ السابقين تأدبا معهم وتبركا بهم، فاجاب جمال الدين عبد الرحمن بن الجزوي الحنبلي بالسمع والطاعة، وكذا أيضاً احضروا امام المستعصم واجابوا بالسمع والطاعة ورجعوا عن اعتدادهم بأنفسهم[١]. وبهذا الشكل سارت عوامل انتشار المذاهب مع السياسة جنبا إلى جنب.

وحتى كثر التحول من مذهب إلى مذهب تقرباً للسلطان وطلبا لرفده أو خوفا من بطشها، فتحول كثير من الشافعية إلى الحنفية لاجل الدنيا، وذلك أن الأمير بلبغا الخاصكي الأمير الكبير صاحب النفوذ والصولة كان يتعصب لمذهب أبي حنيفة ويعطي لمن تحول إليه العطاء الجزيل[٢].

وهذا أبو بكر البغدادي الحنبلي تحول شافعيا لاجل الدنيا وولى القضاء، ومثلـه أبو المظفر سبط بن الجوزي، وغيرهم كثير[٣].

وان المعز بادبس حمل جميع أهل افريقية على التمسك بمذهب مالك وترك ما عداه، فرجع أهل افريقيا وأهل الاندلس كلـهم.

وقال ابن حزم : مذهبان انتشرا في مبدأ أمرهما بالرياسة والسلطان: ـ

·مذهب أبي حنيفة فإنه لما ولي أبو يوسف كان لا يولي قاضيا إلا من أصحابه والمنتسبين إليه وإلى مذهبه.

---

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ١٧١: ١.

(٢) شذرات الذهب ٦: ٢١٣.

(٣) شذرات الذهب ٥: ٢٦٧.

.والثاني مذهب مالك عندنا في الاندلس فإن يحيي ابن يحيى كان مكينا عند السلطان مقبولا في القضاء فكان لا يولي قاضيا في أقطار الاندلس إلا بمشورته واختياره ولا يسير إلا بأصحابه والناس سراع إلى الدنيا فاقبلوا على ما يرجون بلوغ أغراضهم(١).

وقال شاه ولي الله الدهلوي : وأي مذهب كان أصحابه مشهورين واسند إليهم القضاء والافتاء واشتهرت تصانيفهم في الناس ودرسوا درسا ظاهرا انتشر في أقطار الأرض، وأي مذهب كان أصحابه خاملين ولم يولوا القضاء والافتاء ولم يرغب فيهم الناس اندرس مذهبهم بعد حين(٢) .

وهذا التعليل قد اجمع عليه الكثير من المؤرخين والعلماء حتى شاع بين الناس القول المعروف (الناس على دين ملوكها).

وفي هذه الظاهرة يقول أمير المؤمنين عليه السلام : مالي لا أعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها في دينها... المعروف فيهم ما عرفوا والمنكر عندهم ما أنكروا مفزعهم في المعضلات إلى أنفسهم وتعويلهم في المبهمات على آرائهم كأن كل امرئ منهم إمام نفسه(٣).

وذكرت الدكتورة نادية العمري(٤): ومما ثبت أن المتأخرين من الفقهاء قد غيروا كثير من الأحكام التي نقلت عن أئمتهم حين دعت الحاجة إلى التغيير كما

---

(١) ابن خلكان ٢: ١١٦ ونفح الطيب ٦: ٢٠.

(٢) حجة الله البالغة للدهلوي ١: ١٥١.

(٣) نهج البلاغة ١: ١٥٦، خطبة: ٨٨.

(٤) في كتابها الاجتهاد في الإسلام: ١٠٤.

فعل الشافعي من قبل حينما انتقل إلى مصر وترك العراق والحجاز فقد غير من مذهبه القديم إلى الجديد وأملى كتاب الأم والرسالة وكما فعل ابن القيم الجوزية[١] .

وبهذه النماذج اكتفي عن التفصيل وكما سيوافينا أمثال هذا خلال البحث.

التعصب للمذاهب

ومما يؤسف لـه إن التعصب للمذاهب بين معتنقيها بلغ حد الغلو والخروج عن تعاليم الإسلام الصحيح، وتغلبت الفكرة القائلة بتحريم تقليد غير المذاهب الأربعة، وتطورت هذه الفكرة بصورة واسعة وازداد نشاطها والسعي إليها، حتى قيل من قلّد غيرها خرج عن الدين الإسلامي وقد تطرق الصادي في حاشيته على تفسير الجلالين إذ يقول ولا يجوز تقليد ما عدا المذاهب الأربعة ولو وافق قول الصحابة والحديث الصحيح والآية فالخارج عن المذاهب الأربعة ضال مضل وربما أداه ذلك للكفر لان الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر[٢] ، والأدهى بل الأمر ما كان من نزاع واحتدام بينهم مما أدى إلى معارك دامية أريقت فيها دماء بريئة ونهب أموال وحرق دور ومعاهد علمية واتهام البعض للبعض الآخر وتكفير قوم لآخرين، حتى قال قائل الحنفية لو كان لي من الأمر لأخذت الجزية من الشافعية[٣] وقال خصمه مثلـه.

---

(١) منع الحديث: ٢٣٩.

(٢) حاشية الصادي على تفسير الجلالين ٣: ١٠، ورده جماعة بهذا القول كما في منع تدوين الحديث: ٢٦٧.

(٣) مرآة الجنان قسم ١: ٨: ٤٤.

فاصبح كل يحتكر الإيمان بالله والتصديق برسولـه ﷺ لأبناء مذهبه وأن الجنة وقف عليه ولا نصيب لأحد فيها معهم.

وقد اندفع المتطرفون من معتنقي المذاهب لبذل جهدهم في جعل رئيس مذهبهم هو المؤسس للعلوم والمرجع الأعلى للتشريع، وأن العلم مقصور عليه والاجتهاد لا يليق إلا به، واستنفذوا كل إمكانياتهم في تصويره بصورة لا تشبهها صورة، فهو ملك بصورة بشر[(١)].

وتمسكوا بأقوال أئمتهم تمسكا جعلـهم يقدمونها على كتاب الله وسنة رسولـه[(٢)]، فكان يقال لـهم : قال رسول الله ﷺ فيقولون: قال فلان[(٣)] (أي رئيس المذهب). ويأنفون أن تنسب إلى أحد من العلماء فضيلة دون إمامهم.

وعلى أي حال فإن تلك الاتجاهات التي سار عليها المتعصبون فيما بينهم.

أما بالنسبة لغيرهم من المذاهب كمذهب أهل البيت وشيعتهم فقد جعلوا منه فريسة ينتابها كل متهور سخيف، ونسبوا إليهم كل ما يشين، وافتعلوا عليهم أمورا كثيرة، وخاصة لما يخص أمير المؤمنين وأهل بيته، فلا تمر فضيلة أو منقبة ولم يستطيعوا طعنها بجرح أو تضعيف إلا واحتالوا في تأويلـها تأويلا باهتا أو فسروها تفسيرا متهافتا ، ولو نظرت بنظرة سطحية إلى أهل الجرح والتعديل أو بعض المحدثين لرأيت العجب العجاب مما يمجه الذوق العربي السليم من قلب الألفاظ وتغيير المعنى وإنكار السنن الصحيحة الثابتة. وعرضت لنماذج من ذلك

(١) أبو حنيفة للمحامي السيد عفيف: ٦.

(٢) هم ذوي الأبصار: ٥١.

(٣) توالي التأسيس للحافظ ابن حجر: ٧٦.

في تعصب أهل الجرح والتعديل والتكتم على فضائل أمير المؤمنين فلا حاجه للتكرار . ولان التعصب هذا قد سيطرت عليه عوامل العاطفة، فحالت بينهم وبين التفكير السليم فيما يكتبون وينقلون، كما أن هناك عوامل أخرى من فرض السلطات لذلك بالقوة والتهديد أو الترغيب والتقريب وكما قيل النفوس مجبولة على حب من احسن إليها.

قال الدكتور تركي: (أما فيما يتعلق بالاستحسان الذي هو طريقة للهرب من القياس لأسباب من التقدير الشخصي، فقد ظهر في القرن الثالث للهجرة على ما ذكره ابن حزم[١] باحتمالات ضعيفة[٢].

كما وقد دفعهم التعصب أو الغلو إلى أنهم إذا وقفوا على آية محكمة أو سنة قائمة أو فريضة عادلة تخالف مذهبهم صاروا يؤولونها على غير حقيقتها ويصرفونها عن ظاهرها إلى ما تقرر عندهم من المذاهب والمشارب، وطفقوا يطعنون على من عمل بفحواها الظاهر ومبناها الباهر، كأن الدين ـ عندهم ـ هو ما جاء عن آبائهم واسلافهم دون ما جاء عن الله تعالى في كتابه أو عن رسول الله ﷺ [٣].

والحيل التي وضعها هؤلاء ـ أبو حنيفة وأصحابه ـ عمدوا إلى السنن فاحتالوا في نقضها فالذي قيل لـهم أنه حرام فاحتالوا فيه حتى احلوه.

وقال أيضاً: أنهم يحتالون لنقص سنن رسول الله ﷺ [٤].

---

(١) مناظرات في الشريعة الإسلامية: ٣٣٣ نقلاً عن منع التدومي: ٢٣٩.

(٢) الوحدة الإسلامية للسيد رشيد رضا: ٤٥.

(٣) الدين الخالص لصديق حسن ٣: ٢٦٣.

(٤) طبقات الحنابلة ١: ١٤٧ وج ٢: ١٥١.

وما أكثر الشواهد التي تدل على خلاف ما يذهبون إليه من الافراط والاندفاع وراء العاطفة والتمسك بأشياء بعيدة عن الصواب فقد كثر الجدل وعظم الخلاف حتى آل بهم التعصب إلى أن أحدهم إذا ورد عليه شيء من الكتاب والسنة على خلاف مذهبه يجتهد في دفعه بكل وسيلة بالتأويلات البعيدة نصرة لمذهبه وقولـه[١] .

وجاء عن الاستاذ رشيد رضا قولـه من المجازفة في القياس والجرأة على الله القول بنسخ مئات الآيات وإبطال اليقين بالظن وترجيح الاجتهاد على النص[٢].

وقال الفخر الرازي[٣] عن أكثر شيوخه في تفسير قولـه تعالى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ﴾، قد شاهدت جماعة من مقلدة الفقهاء وقرأت عليهم آيات كثيرة من كتاب الله في بعض مسائل وكانت مذاهبهم بخلاف تلك الآيات فلم يقبلوها ولم يلتفتوا إليها وبقوا ينظرون إلي كالمتعجب، يعني كيف يمكن العمل بظواهر هذه الآيات مع أن الرواية عن سلفنا وردت على خلافها، ولو تأملت حق التأويل وجدت هذا الداء ساريا في عروق الأكثرية من أهل الدنيا[٤] .

وذكرت الدكتورة نادية العمري في كتابها الاجتهاد في الاسلام: ١٠٤، ومما ثبت ان المتأخرين من الفقهاء قد غيروا كثيراً من الأحكام التي نقلت عن ائمتهم

(١) أبو شامة مختصر المؤمل ١٤: ١٥.
(٢) نقلاً عن منع التدوين: ٢٦٦.
(٣) لم اعثر على هذا القول في تفسير الآية من تفسيره الكبير وربما في موضوع آخر أو في كتبه الأخرى.
(٤) نقلا عن الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ٣: ١٤٥.

حين دعت الحاجة الى التغيير كما فعن الشافعي من قبل حينما انتقل الى مصر وترك العراق والحجاز فقد غير من مذهبه القديم الى الجديد واملى كتاب الأم والرسالة كما فعل ابن القيم الجوزية كما ذكر الذهبي قال ابن الجنيد سمعت يحيي بن معين تحريم النبيذ صحيح ولكن اقف ولا أحرمه فقد شربه قوم صالحون بأحاديث صحاح وحرمه قوم صالحون بأحاديث صحاح(١).

وقد طغى تيار التعصب واستفحل خطر الانقسام والتفوا على صعيد الحقد والخصومة وجعلوا الدين وسيلة للتغلب وطريقا لتأجيج الخصومة فوضعوا أحاديث واختلقوا مناقب ووضعوا بذلك كتبا مليئة بأوهام وخرافات تتعلق بنصرة المذاهب واعلاء كلمتها، والسواد من الأمة تغلبت عليه دعاية العناصر المتداخلة بمعاونة السياسة العمياء. كما سيوافينا خلال البحث امثال هذا كثير.

ومهما كان فقد ارتأيت أن أعرض لكل واحد من رؤساء المذاهب الأربعة نبذة يسيرة من حياته - إذ لا يسع التفصيل ويخرجنا عن الموضوع -لشرح أحوالـهم بما يخص تقريب السلطة لـهم ومؤازرتهم لـها وتنفيذ مهامها واحتضان السلطة لـهم واغداقهم بالمال والمناصب العالية لـهم ولاتباعهم من قضاة ومحدثين وشيوخ.

---

(١) سير أعلام النبلاء ١١: ٨٨

أشهر أئمة المذاهب

مالك بن أنس:

مالك بن أنس ولد في عهد الوليد بن عبد الملك الأموي سنة ٩٣ ووفاته في عهد الرشيد فقد أدرك شطرا من العهد الأموي وشطرا من العهد العباسي، وعاصر منهم السفاح والمنصور والمهدي والهادي وطرفا من عهد الرشيد.

مر مالك في حياته بمرحلتين:

في الأولى اختلف مع السلطة وقيل في أسبابها أقوال عديدة ذكر بعضها في شذرات الذهب.

وقيل أن سبب ضربه بالسياط هو فتواه بما لا يوافق غرض السلطة، وذلك في زمن ولاية جعفر بن سليمان سنة ١٤٦، فإنه جرد مالكا ومده وضربه بالسياط حتى انخلعت كتفاه، وقيل أيضاً أن المنصور قد نهى مالكا عن حديث (ليس على مستكره طلاق) ثم دس إليه من يسأله عنه فحدث به مالك فضربه بالسياط[1].

وأسباب أخرى لا يهمنا ذكرها ونعرض المرحلة الثانية لحياته:

فقد التقى مالك بالمنصور في السنة التي حج فيها المنصور، على ما يرويه ابن قتيبة أن المنصور كتب إلى مالك أن وافي الموسم في العام القابل ان شاء الله فاني خارج إلى الموسم سنة ١٥٣، ولما دخل عليه مالك اعتذر المنصور إليه مما ناله من الضرب والإهانة.

---

(١) الانتقاء لابن عبد البر: ٤٣.

وبهذا يتضح أن هذا الاجتماع هو أول اجتماع بعد ضرب مالك واهانته، ثم أمره أن يضع كتاباً يحمل الناس عليه ويبثه في الأمصار ويأمر الناس بالعمل به وأن لا يقضى بسواه.

فقال مالك: أن أهل العراق لا يرضون علمنا ولا يرون في علمهم رأينا.

فقال أبو جعفر: يحملون عليه ونضرب عليه هاماتهم بالسيف ونقطع طي ظهورهم بالسياط فعجل بذلك وسيأتي المهدي في العام المقبل وقد فرغت من ذلك. ثم أمر لـه بألف دينار عينا ذهبا وكسوة عظيمة ثم أمر لابنه بألف دينار[1]. وجاء من بعده المهدي فكانت منزلته في دولته عظيمة، وقد أمره بأن يضع للناس كتبا يحملـهم عليه بنفس القوة والارغام كما سبق، وكان يحترمه ويجلـه غاية الاجلال ويوصلـه بهدايا جزيلة وعطاء وافر ويقرب مجلسه ويظهر للناس شأنه وعلو منزلته فهابته الناس من أجل هذا .

وطلب المنصور من مالك أن يذهب معه إلى دار السلام وقال لـه : اذهب معي فلا اقدم عليك أحدا . فقال مالك : إن تكن عزيمة من أمير المؤمنين (يعني شيئاً واجبا) فلا سبيل إلى مخالفته وأن تكن غير ذلك فقد قال رسول الله ﷺ: والمدينة خير لـهم لو كانوا يعلمون. فقال لـه المنصور: فلا احمل عليك شيئاً تكرهه ثم أجازه بثلاث صرر كل صرة ألف دينار... الخ.

ودخل مالك بن أنس على المنصور فقال: يا مالك مالي أراك تعتمد على قول ابن عمر دون أصحاب رسول الله... حتى قال: يا مالك عليك بما تعرف أنه الحق عندك ولا تقلدن علياً وابن عباس.

---

(١) مناقب مالك للزاوي: ٢٥.

ويمكن أن تكون كلمة ابن عباس من الزوائد التي الحقت بالعبارة لتبرير موقف المنصور عن النهي عن تقليد علي في الأحكام الشرعية، لأنه بعد أن كان علم علي مفخرة لبني العباس ويجاهرون بفضلــه وبعلمه (في بدء أمرهم) أصبح عند اشتداد ملكهم وقوة سلطانهم لا يرضون أن يروي أحد عن علي وأهل بيته(١).

واحتمل أن النهي عن قول ابن عباس ليس كل أقوال ابن عباس لأن الكثير منها عن علي عليه السلام، وكما عرف انقطاع ابن عباس في العلم و التفسير عن علي عليه السلام. فاستجاب مالك للمنصور ووفى بوعده ولم يروي عن علي عليه السلام في موطأه إلا ثمانية أحاديث.

ولــه ما يتفرد به في مسألة التفضيل بين علي والخلفاء، وسيأتي الحديث عنه، ويقول الأستاذ محمد أبو زهرة: أن مالكا رضي الله عنه يخالف بذلك إمامين آخرين عاصراه أحدهما أسن منه ومات قبلــه وثانيهما اصغر منه وهو تلميذه الشافعي، فإن أبا حنيفة لا يعد علياً كسائر الناس بل يرفعه إلى مرتبة الراشدين من الخلفاء ويقدمه في الترتيب على عثمان رضي الله عنه، والشافعي يعلن محبته لعلي ويحكم على خصومه بأنهم بغاة، ويعتمد في استنباط أحكام البغاة على ما كان يفعلــه علي رضي الله عنه مع الخارجين عليه والذين بغوا على حكمه حتى لقد اتهم بانه شيعي، وحوسب على ذلك وتعرض للتلف، ولكنه كان يذكر مناقب أبي بكر ويفضلــه على علي ولذلك لم يكن رافضيا.

---

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ٢: ٥٠٥.

ورأى مالك عدم ذكر علي في مقام المفضلين، بل كان يقف بعد عثمان ويقول: هنا يتساوى الناس، فما كان علي كسائر الناس، فهل جهل ذلك الإمام الجليل مناقبه وسابقته في الإسلام وجهاده وحسن بلائه ومقامه من النبي ﷺ، لا تظنه أنه جهل شيئاً من ذلك أو أنكره انما هو يعرف علياً ؑ ويعرف مقامه ولكنه عند ما يجيب عن المسألة كان يجيب فيما يتعلق بالخلافة والخلفاء ولعل لجوابه بعض المبررات، وأن كنّا لا نوافقه في جوابه. (ثم يذكر المبررات لقول مالك) ـ إلى أن يقول ـ: وهو في هذا يضرب على نغمه معاوية والأمويين.

ومهما تكن المبررات التي تدفع إلى ذلك الحكم على سيف الإسلام أخي رسول الله وزوج ابنته ومن كانت منه الذرية الطيبة النبوية عليها السلام فإن ذلك الحكم يدل على نزعة أموية[1].

وجاء دور الرشيد فسار على تلك الخطة التي سار عليها آباؤه، فاحتفظ بمكانة مالك وعظمه غاية التعظيم بما يطول ذكره.

ولما قدم الرشيد المدينة جاء إلى منزل مالك بنفسه فأجلسه مالك على منصته التي كان يجلس عليها، وبعد كلام دار بينهما، نزل الرشيد عن المنصة وجلس بين يديه[2].

ومن هذا وذاك وقعت هيبته في نفوس عامة والولاة ورجال الدولة وتلامذته وغيرهم، حتى أنه ليدخل عليه الرجل إلى مجلسه فيلقي السلام فلا يرد عليه أحد إلا همهمة أو إشارة أو يشيرون إليه ان لا يتكلم مهابة واحتراما، ولا يستطيع

---

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ٢: ٥٦٨، نقلاً عن كتاب الإمام مالك لأبي زهرة ٦٩ و٧١.

(٢) الإمامة والسياسة ٢: ١٩٥.

أحد أن يستفهمه أو يدنوا منه وكان على رأسه سودان يأتمرون بأمره فإذا أشار إليهم بإخراج أحد اخرجوه[١].

ووصل من المرتبة في الدولة ان لا يسمح بدخول الوالي عليه ويبقى الوالي واقفا بالباب[٢]، وهذه صورة واضحة للفرق الشاسع بين العهدين، ففي الأول كما قدمناه نراه مغضوبا عليه ويسحب ويجرد من ثيابه ويضرب خمسين سوطا ويهان بين الملا، وفي العهد الثاني يتهيب الوالي أن يدخل عليه.

فهذه تعطينا دروساً في معرفة أغراض السلطة وسياستها مع رجال الأمة فلـها ألوان من المعاملات لمن تريد أن تستخدمهم لإغراضها.

وقد رعت الدولة مالكاً وقربته إذ وجدت منه عوناً ومؤازرة، فقربوه واحسنوا إليه ورفعوا مجلسه ونشروا علمه واجزلوا لـه العطاء وأصاب منهم ثروة طائلة، ومع هذا فهم مدينون لمالك في مؤازرته ومعاونته والركون إليهم، حتى بلغ الحال بمالك ان الولاة كانوا يخشون سطوته والحرس يأتمرون بأمره فيسجن من يريد سجنه وإطلاق من يريد إطلاقه، وكان يحضر عند الوالي فيعرض عليه السجن فيأمر بضرب هذا مائة وهذا مائتين وقطع هذا وصلب ذاك[٣].

---

(١) مناقب مالك للراوي: ١٨ والانتقاء لابن عبد البر ١٢: ١٧: ٢٧٥.

(٢) معجم الأدباء.

(٣) مالك بن أنس لامين الخولي: ٣١٩ نقلاً عن القاضي عياض في الترتيب ١: ٢٧٥.

أسباب انتشار مذهب مالك:

كان الخلفاء من بني العباس ـ الذين عاصرهم مالك ـ يعتمدون كل الاعتماد على ما يفتي به مالك وعمموه على ولاتهم في الأقطار حتى حملوا الناس على الأخذ بأقواله ومناديهم ينادي: (ألا يفتي الناس إلا مالك)[١].

وكان المنصور يعظمه ويوجه الأنظار إليه ويعلن بأن مالكاً هو أعلم الناس كما أن مالكا يعلن بأن المنصور أعلم الناس بالكتاب والسنة.

وكذلك المهدي والهادي والرشيد لحظوه بالعناية والتقدير فتوجهت إليه أنظار الناس خاصة بعد محنته، وطلبوا منه وضع كتاب تقرره الدولة ويحملون الناس عليه بالسيف[٢].

وقد يطول الحديث إذا تعرضنا لعلاقة مالك بالخلفاء والولاة حتى أصبح موضع عنايتهم وأن المنصور يطلب منه مزاملته للحج ويسميه بركن الإسلام وينوط أمر ولاته به كما أمروا عمالهم باستشارته في الأمر وعدم القطع دونه.

فالمنصور يقول لمالك: إن رأيت ريبة من عامل المدينة أو عامل مكة أو أحد عمال الحجاز في ذاتك أو ذات غيرك أو سوء في الرعية فاكتب إلي بذلك أنزل بهم ما يستحقون وقد أكتب إلي عمالي بها أن يسمعوا منك ويطيعون في كل ما تعهد إليهم[٣] وتقدم صنع الرشيد بمالك.

---

(١) تذكرة الحفاظ ١: ٢١٢. المدونة الكبرى ٦: ٤٦٦. تاريخ بغداد ١٠: ٤٣٦.

(٢) الديباج المذهب لابن فرحون: ٢٥. وشرح الموطأ للزرقاني ١: ٨. مع اختلاف يسير.

(٣) مالك للخولي: ٣١٨.

ولذلك نرى أن الولاة كانوا يحترمونه غاية الاحترام ويخشونه كخشيتهم من المنصور فعظمت بذلك منزلته وتقرب الناس إليه وازدحموا على بابه كازدحامهم على أبواب الأمراء.

وبهذه القوة والتهديد انتشر مذهب مالك في الحجاز والعراق ومثله في الأندلس ويعود ذلك إلى ثناء مالك على ملك الأندلس عندما سئل عن سيرة الملك فذكر لـه عنها ما أعجبه فقال مالك: نسأل الله أن يزين حرمنا بملكم فلما بلغ قولـه إلى الملك حمل الناس على مذهبه بالقهر[١] وقد قيل أن سبب انتشار مذهب مالك في الأندلس يعود أمره إلى قوة السلطان فإنه قد حمل أهل مملكته عليه[٢].

وقد كانوا يعملون بمذهب الاوزاعي وكان يحيى بن يحيى الليثي مقدما مكينا عند السلطان فنشر المذهب هناك إذ جعل إليه تعيين القضاة فلم يول إلا من كان على مذهبه حتى اضطر القضاه الذين كانو على غير مذهب مالك أن يلتزموا الفتوى به نظرا لالزام السلطة.

فهذا القاضي منذر بن سعيد البلوطي قاضي الجماعة بقرطبة كان يتفقه بمذهب الظاهري ويقضي بمذهب مالك وأصحابه لأنه الزم بالعمل به من قبل السلطان وقد حمل مذهب مالك في الحجاز فاظهره القاضي إبراهيم المعروف بابن فرحون[٣].

---

(١) ميدان الاجتهاد.

(٢) نفح الطيب ٦: ٤٥.

(٣) نيل الابتهاج بهامش الديباج المذهب: ٢٤.

ويقول المقريزي: ولما ولي المعز باديس حمل جميع أهل أفريقيا وأهل الأندلس على التمسك بمذهب مالك وترك ما عداه فرجع أهل أفريقيا وأهل الأندلس كلهم إلى مذهبه رغبه فيما عند السلطان وحرصا على طلب الدنيا[١].

وهكذا يتم نشر المذهب بتلك الاساليب وفي كافة الأقطار الإسلامية وفي كل زمان على تعاقب الولاة والملوك.

وبعد أن ظهر لنا أن القضاء والافتاء في جميع المدن لا يكون إلا لمن تسمى بمذهب مالك فاضطرت العامة إلى احكامهم وفتاواهم فانتشر المذهب هناك وحضى بالقبول لا بحسب مؤهلاته ومقوماته الروحية وإنما سار على حسب نظام القوة التي اخضعت الناس بدون تبصر كما أن انتشاره بالمغرب هو كذلك رغبة بما عند السلطان وخضوعا لما افترضوه على الناس ولم يكن ثبوته مستقلا بروحانيته عن تأثر السلطة التنفيذية فإن دولة (تاشفين) في الأندلس في القرن الخامس وتولي ثانيهم (علي بن يوسف بن تاشفين) فعظم أمر الفقهاء ولم يكن يقرب منه ويحضى عنده إلا من علم مذهب مالك فنفقت في زمنه كتب المذاهب وعمل بمقتضاها ونبذ ما سواها وكثر ذلك حتى نسي النظر في كتاب الله وحديث الرسول ﷺ فلم يكن أحد يعتني بهما كما يعتني بكتب المذهب المالكي... وما ذاك إلا من اختراع السياسة لامور كان الاصلح للامة أن تتخلى السياسة عن التدخل بمثلها إذ من الصعب على الرعية أن تعرف صلاح أمرها مادام مفروضا عليه أمر معينا من قبل السلطة وهي تجهل ذالك وبهذه المؤثرات انتشر مذهب مالك بصورة

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ٢: ٥١٩.

هائلة كزميله المذهب الحنفي.

وذكر أن السبب لهذه السياسة وتقريب مالك بن أنس والطلب من مالك أن يضع الموطأ بقولـه: (ضعه فما أحد أعلم منك) [١] ولأسباب أخرى أنه كان خوفاً من ازدياد نفوذ الإمام الصادق سياسياً وعلميا إذا كان اجتماع أربعة آلاف راو عنده كل يوم يأخذون عنه العلم لم يكن بالشيء السهل على الخليفة، وأن تقوية هذه الحلقة تعني تضعيف المخطط الحكومي والسياسة العامة للبلاد[٢].

المذهب الحنفي:

الإمام أبو حنيفة النعمان بن ثابت بن زوطي من أهل كابل أو من أهل نسا وكان اسمه عتيك بن زوطره وكان أبوه عبدا مملوكا لرجل من ربيعة من بني تيم بن ثعلبة من فخذ يقال لهم: بني قفل. ولد سنة ٨٠ في نسا وتوفي سنة ١٥٠ في بغداد وقيل غير ذلك ولما كان في بدء دعوة بني العباس النصرة للعلويين ويطالبون بثارات قتلاهم لانهم أبناء عمومتهم واستنكار الطغيان بني أمية وظلمهم وبمخالفتهم للدين وقد حاولوا أن يظهروا بصبغة دينية لدولتهم ونظام الإسلام دستوراً تسير الدولة عليه وكل هذا قبل أن يحكموا السيطرة على البلاد فقربوا العلماء واتصلوا بهم اتصالا وثيقا فبذلوا لهم كل ما في وسعهم من مال كثير وجوائز ومناصب عالية وتقدم تفصيل ذلك.

ولما جعلوا القضاء والافتاء بيد من مال إليهم وتقرب لهم وسايرهم من أهل

---

(١) الأئمة الأربعة (الشرباصي): ٩٢. الإسلام بلا مذاهب: ٤١٥. الأئمة الأربعة لشكعة: ٤١٢.

(٢) مالك بن أنس (الخولي). نقلاً عن وضوء النبي المدخل: ٣٥٥.

الرأي من أهل العراق حتى ولي أبو يوسف القضاء لثلاثة من الخلفاء في بعض أيام المهدي ثم للهادي ثم للرشيد وكان الرشيد يكرمه ويجله وكان عنده حضيا مكينا لذلك وكانت لـه اليد الطولا في نشر ذكر أبي حنيفة واعلاء شأنه لما أوتي من قوة السلطة وسلطان القوة(١).

وهذا من أقوى عوامل انتشار المذهب الحنفي لمكانة أبي يوسف وسلطته التنفيذية يوم ذاك فكان المذهب الحنفي خطوة واسعة في قطع مسافة الشهرة بما لم يسعد به غيره فأبو يوسف هو: تلميذ أبي حنيفة، وقد تربى في نعمه وبتوليته منصب القضاء استطاع نشر المذهب وولي منصب رئاسة القضاء العامة في عهد الرشيد فلم يقلد ببلاد العراق وخراسان والشام ومصر إلا من أشار به القاضي أبو يوسف(٢).

وذلك لمكانته ومنزلته عند الرشيد حتى قال الرشيد: يا يعقوب (أبا يوسف) لو جاز لي ادخالك في نسبي ومشاركتك في الخلافة المفضية إلي لكنت حقيقا به وذكره بموقف لـه وساعده به قبل خلافته فكان الرشيد يشكر لـه ذلك وحتى قيل لم يتمكن أحد كتمكن أبو يوسف من الرشيد.

وقال بشر المريسي: ما اشتهيت من مراتب السلطان إلا مرتبة رأيت أبا يوسف بلغها عشية من العشايا.

وقال أحمد بن يوسف الكاتب: وبلغ أبو يوسف مع الرشيد مبلغا لم يبلغه عالم

---

(١) الانتقاء: ٦، نقلاً عن الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ١: ٢٨٠.

(٢) نفح الطيب ٦: ٢٠. ابن خلكان ٢: ١١٦.

يعلمه ولا محبوب بمرتبته [1].

وقد مر قول ابن حزم[2]: مذهبان انتشرا في بدء أمرهما بالرياسة والسلطان: ـ مذهب أبي حنيفة فإنه لما ولي القضاء أبو يوسف كانت القضاة من قبله من اقصى المشرق إلى اقصى عمل أفريقيا فكان لا يولي إلا أصحابه والمنتسبين لمذهبه الخ...

فقد توضح لنا من هذا للحكومات دخلا في نصرة المذاهب وانتشارها وأن الحكومة إذا كانت قويه وأيدت مذهبا تبعه الناس بالتقليد وظل سائدا إلى أن تزول الدولة وأن انتشارها والاقبال عليها لا يدل على قوتها الروحية وعواملها الذاتية فقد رأينا أن قوة الدعايه وتدخل السلطة من أقوى العوامل لنشر المذهب وقد رأينا المذهب الحنفي هو أكثر المذاهب انتشارا واعظمها اقبالاً لقوة أنصاره وكثرة دعاته في البداية والنهاية.

إذ كانت نواة شهرته من غرس أبي يوسف قاضي قضاة الدولة العباسية فهو ناشر المذهب وقد كان أبو يوسف وجيها في الدولة مقبولا عند الخلفاء الذين عاصرهم فكان لا يولي قاضيا إلا من انتسب لمدرسة أبي حنيفة.

واستمر القضاة في نشر المذهب في جميع الأقطار مستمدين قوتهم من السلطة التنفيذية حتى أصبح مذهب أبي حنيفة هو المذهب الرسمي للدولة.

ولما اعتنق الاتراك وسلاطين بني عثمان لمذهب أبي حنيفة اثر في قوته

---

(١) خطط المقريزي ٤: ١٤٤.

(٢) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة، نقلاً عن المكافاة (ابن الداية): ٦٢، ٦٤، ١١٦، ١٧٣.

وانتشاره في العصور المتأخرة وناهيك بما للاتراك من قوة في الدولة وقسوة في الحكم واستبداد في الأمور وقد ناصروه بكل حول وقوة وكان انتصارهم لطمعهم في الخلافة فإن السلطان سليم طمع في الخلافة الإسلامية وتسمى بخليفة المسلمين وأمير المؤمنين تمويها للرأي العام واغراء للبسطاء وانتشار سلطانه ولما أن الخلافة لا تكون إلا لقريش باتفاق المذاهب كما في الحديث باستثناء المذهب الحنفي فإنه جوز أن يتولى الخلافة غير قريش وهو كذلك فحمل الناس على اعتناق هذا المذهب بالقوه والإكراه وابتدعوا شروطا للخلافة تقدم ذكرها.

المذهب الشافعي:

الشافعي هو: محمد بن إدريس ولد سنة ١٥٠ وتوفي ٢٠٤ بمصر ولما اشتهر مالك بن أنس في المدينة وشاع ذكره فتاقت نفس الشافعي إلى الهجرة إلى المدينة طلبا للعلم والحضور عند مالك فأخذ وصيه من والي مكة إلى والي المدينة يطلب منه ايصال الشافعي إلى مالك وتقدم ذكرها في ترجمة مالك واتصل به وأخذ عنه وقرأ الموطأ.

ولما اتصل بمالك اتسعت حاله بواسطته لأنه كان يرعاه ويقوم بشؤونه فلما توفي مالك سنة ١٧٩ فاتفق أن وإلى اليمن قدم المدينة فكلمه بعض القرشيين في أن يصحبه فاخذه الوالي معه واستعمله في اعمال كثيرة[1].

وباختصار فقد حمل الشافعي إلى بغداد بتهمة المخالفة للدولة أو الانضمام لجانب العلويين بتلفيق من الوالي الذي اختلف معه وتعرض بتلك التهمة إلى خطر

(١) مناقب الفخر الرازي: ١٠.

شديد ولكنه دافع عن نفسه وتوسط لـه الفضل بن الربيع وتشفع لـه فنجا هو ومن معه في قصة طويلة.

وذكرها ابن عبد البر[١] وقال في آخرها: فكانت النتيجة أن عفى الرشيد عن الجميع وأمر لهم بجائزة.

كما ذكرها صاحب الحلية[٢] وغيره قال في آخرها: وذكر الشافعي كلاما استحسنه الرشيد وطلب اعادته وقال له: كثر الله في أهل بيتي مثلك.

وذهب الشافعي إلى مصر سنة ١٩٨ ونزل بالفسطاط ضيفا كريما على محمد بن عبد الله بن عبد الحكم فاكرم مثواه وآزره وكانت لمحمد بن عبد الله مكانة في مصر ورياسة علمية وكان أهل مصر لا يعدلون به أحد وتأكد بينه وبين الشافعي مودة وإخاء وقام في معاونة الشافعي ومؤازرته ونشر علمه وكان قدوم الشافعي إلى مصر في صحبة الوالي من قبل المأمون وهو العباس بن موسى فلقي هناك اقبالا من المالكية لأنه من أشهر تلامذة مالك بن أنس وهو السبب في رفع شأنه ومنزلته وكان يقول: هذا قول استاذنا (يعني مالك).

ولما استقل بأرائه وتمهدت لـه الأمور وضع الكتب في الرد على مالك ببعض المسائل الفقهية والحديث عنها يطول.

فتنكر لـه المالكية وعارضوه وأرادوا إخراجه من مصر حتى اغتالوه فمات بسبب ضربه على رأسه سنة ٢٠٤.

---

(١) الانتقاء: ٩٦.

(٢) حلية الأولياء ٩: ٨٥.

والذي يظهر أن سبب اغتياله هو اختلافه مع استاذه في بعض المسائل ولم يحدثنا مترجموه أنه اعترض على سياسة الدولة أو على أحد عمالها أو الولاة الطغاة مع تلك المنزلة وهو يسمع بجرائمهم ويرى المنكرات والظلم مع الرعية، والاستبداد في الأحكام لمخالفة الكتاب وتغيير السنة بل العكس في مؤازرتهم ومساندتهم وقد جاء عن تلميذه حرملة أنه قال: ـ أي الشافعي ـ كل شيء غلب على الخلافة بالسيف واجتمع عليه الناس فهو خليفة.

وكان يرى أن الإمامة في قريش ولا يشترط في البيعة ولم يشترط الهاشمية كما اشترطها غيره.

وبهذا وغيره والسكوت على الطغاة بكل ما قالوا أو فعلوا نجد المؤازرة لـه من قبلهم في حياته وتعظيم شأنه وتقريب تلامذته.

وبعد وفاته جاءت الدولة الايوبية وكان ملوكها شافعية فنصروا مذهب الشافعي وقربوا اتباعه واشادوا بذكره وبنوا لهم المدارس واجروا الموقفات الكثيرة والمخصصات الشهرية والمنح الجزيلة فأقبل الناس عليه.

وجاء عن إمام الحرمين وابن السمعاني والكيا الهراسي وغيرهم قالوا لتلامذتهم: يجب عليكم التقيد بمذهب إمامكم الشافعي ولا عذر لكم عند الله في العدول عنه[1] وقد اتهم الشافعي بالرفض لأسباب عرضنا في اتهام الرواة فلا حاجة للاعادة.

---

(١) ميزان الشعراني ١: ٤٠.

أحمد بن حنبل المتولد سنة ١٦٤ﻫ

وان أحمد بن حنبل كان أول تلقيه العلم على يد القاضي أبي يوسف وقال: أول من كتبت عنه الحديث أبو يوسف [(١)].

وباختصار فإن الإمام أحمد بن حنبل ممن حظى بعناية الدولة كسائر زملائه من رؤساء المذاهب وشملته رعايتها بكل تقدير واجلال حتى أصبحت لـه عندهم المنزلة السامية وظهر اتباعه بمظهر العظمة فكان المتوكل يصله بصلات سنية ويعطف عليه وعين لـه في كل شهر أربعة آلاف درهم[(٢)].

وطلبه إلى سامراء ليقترب منه فامتنع أحمد ولكنه أُجبر على الموافقة فكان المتوكل يوصي الأمراء باحترام أحمد وتقديره ولما مرض أحمد كان المتوكل يبعث إليه برسله يستعلم اخباره ويسأل عن حاله.

وكان المتوكل يعظم أحمد ويجله ويشيد في ذكره ويصله بهدايا حتى بلغ الحال أنه كان يستشيره في تعيين القضاة الخ... [(٣)].

وكان الأمراء يدخلون عليه ويبلغونه سلام الخليفة ولا يدخلون عليه حتى ينزعون ما عليهم من الزينة وقد بلغ من تقدير المتوكل لأحمد واحترامه أنه أصبح لا يسمع عليه وشاية ولا يصغ لقول خصم فيه إلا الاتهام بالميل للعلويين فإن المتوكل كان يأخذ في ذلك على الظنة والتهمة وقد تمكن الوشاة أن يبلغوا المتوكل عن أحمد بالميل للعلويين وانه يبايع لرجل منهم سراً فكبست داره وفتشت ادق

---

(١) العلل (احمد بن حنبل) ١: ٤٧. تاريخ بغداد ١٤: ٢٦١. مناقب أحمد لابن الجوزي: ٣٦.

(٢) البداية والنهاية ١٠: ٣٣٧، ٣٤٨.

(٣) المنتظم ٥: ٥٧. البداية والنهاية ١٠: ٣٤٨.

تفتيش[١] فلم يجدوا ما يدل على ذلك.

ولم تكن عناية المتوكل هذه لدافع ديني أو تقدير علمي فقد عرف المتوكل أنه أبعد الناس عن تعاليم الدين واشتهر بالخمر والمجون ولكنها أمور سياسية دعت لذلك وظروف خاصة اقتضت التظاهر بهذه المودة والتقرب للعلماء ولاجل مسايرتهم لمركب الدولة وتنفيذ ما تريده منهم فتستخدمهم لذلك واذا لحظنا ذلك فنجده عندما خالف رأي الدولة مخالفة عادية امتحن ونكل به من أجل مسئلة عقائدية لا تظر بسياسة الدولة وكيانها وكذلك من أجل وشاية من مغرض فتشوا داره بكل دقة حتى نزلوا إلى البئر وبعد التأكد اتحد الرأي وتغير الوضع فلم يكن من أمر أحمد ما يخشى منه على الدولة بل كان مؤيدا لموقفها ويشد ازرها ويتمثل أمرها في السر والعلن.

وقد كشف لنا الرجل بمسايرته لتلك الدولة المستبدة الظالمة التي تولت نشر مذهبه وفرضته على الأمة في قولـه في أحد رسائله والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البر والفاجر ومن ولي الخلافة فاجتمع الناس عليه ورضوا به من غلبهم بالسيف حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين والغزو ماضي مع الأمراء إلى يوم القيامة البر والفاجر وقسمة الفيء وإقامة الحدود إلى الائمة ماضي ليس لأحد أن يطعن عليهم ولا ينازعهم ودفع الصدقات إليهم جائزة نافذة من دفعها إليهم أجزأت عنه برا كان أو فاجرا وصلاة الجمعة خلفه وخلف كل ولي جائزة إمامته ومن اعادها فهو مبتدع تارك للآثار مخالف للسنة ليس لـه من فضل الجماعة شيء إذ لم ير الصلاة خلف الائمة من كانوا برهم وفاجرهم فالسنة أن تصلي

(١) مناقب أحمد (ابن الجوزي): ٣٦.

معهم ركعتين وتدين بانها تامة لا يكن في صدرك شدة ومن خرج على الإمام من أئمة المسلمين وقد كان الناس اجتمعوا عليه واقروا لـه بالخلافة بأي وجه بالرضا والغلبة فقد شق عصا المسلمين وخالف الاثار عن رسول الله ﷺ فان مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية(١).

وبعد وقعة المعتزلة ومنح العلماء جوائز أما الإمام أحمد فقد علت منزلته عند المتوكل وقربه إليه وطلب منه أن يتولى تعليم ولي العهد كما كان يتعاهده بالاكرام ويشيد بذكره ويتشوق لرؤيته وطلب أن يزوره في عاصمة ملكه وبحتمية الأمر وعند لمس الناس هذه الأمور من مسؤولي الدولة عامة والعطف والتقريب من المتوكل الذي عرف بقسوة القلب والظلم والاستبداد وسفك الدماء والانهماك في الشهوات فقد انهال الناس على أحمد بن حنبل وازدحموا على بابه وتهافت رجال الدولة واعيانها عليه فكان الطريق إلى بيته مزدحما بالناس واذا سار في الطريق احتشدوا خلفه وتحدثوا في الاندية والمجتمعات عن عظمته وعلو مكانته ويأتي بعضهم إليه بالمنامات المبشرة والكرامات العجيبة وغيرها.

وباختصار فلابد لمن بلغ هذه المنزلة الرفيعة والمكانة السامية أن يقول كلمة الحق عند السلطان الجائر كما هو شأن العلماء الذين يخشون الله وحسابه وجاء عن محمد أبو زهرة قال: لم يؤثر عنه ـ أي أحمد ـ أنه عمد إلى دعوة الأمراء والحكام إلى الامتناع عن الظلم وإلى توجيههم إلى إقامة السنة.

---

(١) مناقب أحمد لابن الجوزي: ٧٥ كما ذكر بعض فقرات الرساله في الأحكام السلطانية للفراء: ٢٠ ومأثر الاناقة: ١: ٥٨ وشرح المقاصد ص٢٣٣ وذكر بعض فقراته في المذاهب الإسلامية: ١٥٥ قولـه ثبت عن الإمام أحمد أنه قال: (بلزوم الصبر تحت لواء السلطان على ما كان منه عدل أو جور، ولا يُخرج على الأمراء بالسيف وأن جاروا).

المذهب الجعفري: مذهب أهل البيت عليهم السلام

وارتأيت من الأنسب أن أعرض للمذهب الجعفري بنماذج مختصرة إسوة بالمذاهب الأربعة المتقدمة فإن المذهب الجعفري هو مذهب أهل البيت الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا.

وهو أقدم المذاهب الإسلامية نشأة وأقواها عاملا إذ يستمد تعاليمه من الينبوع الإسلامي الذي لا ينضب القرآن الكريم وسنة نبيه خاتم الأنبياء المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وهو الذي غرس بذرته الأولى ووجه الناس إليه بتعاليمه وارشاداته وتمسك به في حياته جمع من صحابته فقاموا بنشره امثال أبي ذر الغفاري وسلمان الفارسي والمقداد الكندي وحجر بن عدي وعمار بن ياسر وابن عباس وغيرهم كثير...

ولم يزل غارسها يتعاهدها بين حين وآخر وينص عليها في حديث تلو حديث وسأعرض لمزيد التفصيل لشيعة علي عليه السلام واتباعه عند ذكر الآية: ﴿أُوْلَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ﴾[1].

حتى ثبتت قوائمة ونمت أغصانه ثم اثمرت بعد أن التحق صلى الله عليه وآله وسلم بالرفيق الأعلى ويتعاهدها أهل بيته وخلص أصحابه وقاموا بكل ما يجب عليهم من رعاية لشجرة النبوة وتحملوا من أجلها من نكبات واضطهاد وقتل وتشريد في سبيل حفظها من السلطات المتعاقبة التي كانت تحاول القضاء على محو شيعة على واتباعه وذكر آل محمد عليهم السلام.

---

(١) البينة: ٧.

وما قام به بنو أمية في طيلة العهدين السفياني والمرواني بالسب والشتم لاهل البيت والتجاهر بلعن أمير المؤمنين على منابرهم في خطب يوم الجمعة وفرضوه على الكبار وعلموه للصغار في المكاتب وأوصوا به حتى لخدمهم وغلمانهم وألزموا به الولاة والعمال في كافة الأقطار حتى صار عندهم سنة ملزمة وسيرة متبعة يتوارثونها جيلا بعد جيل وأثبت ذلك عامة المؤرخين وأصحاب السير وغيرهم بما لا مجال لإنكاره أو تأويله وقد قدمنا أمثلة كثيرة من هذا فلا حاجة للتكرار.

وعلى أي حال فإن اتجاه الأمويين في سياستهم هذه قد توجهوا بها كثيراً من الناس في طريق الإنحراف عن تعاليم الرسول وسنته المباركة وهم بذلك كانوا يحاولون القضاء على مآثر أهل البيت وإبعاد الناس عنهم فلا يسمحون لأحد أن يذكر علياً وأهل بيته بخير أو يروي في فضلهم شيء ومن خالف عوقب بأشد العقاب وهدموا عليه داره وسلبوا أمواله أو شردوه في الصحاري والقفار أو طمروه في السجون المظلمة كما مر.

وخلص البقية من ذلك بعض أصحاب الرسول والتابعين لهم فنشروا تلك الدعوة في الصدر الأول وما بعده وتحملوا ما يعلمه إلا الله.

وتداولت الأيام وأصبح في نظر السلطات المتعاقبة خارجا عن الإسلام مفارقا لجماعتهم معارضا لسياستهم وبالرغم من كل هذا فقد ثبتوا على أخذ تعاليم الرسول وأحكام الإسلام من طريق أهل البيت لانهم عدل القرآن الذي لا يأتيه الباطل والتمسك بهم من دعائم الإيمان وفي أتباعهم الهدى وهم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هوى.

وهكذا يستمر المشوار من التابعين وتابعيهم أمام تلك التيارات المنحرفة بوقفة إخلاص وإيمان وثبات وصمود على مبدأ الحق حتى أفرعت أغصان شجرة النبوة وأينع ثمرها بحفيد النبي ووارث علمه الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام حتى اشتهر المذهب باسمه وسمي بـ (المذهب الجعفري).

وتمر الأيام وتتعاقب الأدوار ويأتي العهد العباسي ومذهب أهل البيت أو (الشيعة) أيضاً يلاقون أنواع الاذى ويخوضون غمار الحرب ويواجهون المصاعب ويتجرعون من ولاة الأمر الجدد ضروب المحن بأكثر من العهد المباد للسبب نفسه، نصرة آل محمد ونشر مذهبهم.

وما دفعهم إلى تحمل ذلك إلا حبهم لآل محمد عليهم السلام والتمسك بهم وامتثالهم لأمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم في المحافظة عليه ووصاياه الكثيرة باتباعهم وسنعرض لتلك الوصايا في ذكر آل محمد عليهم السلام وسيأتي انشاء الله.

ولما أن الشيعة تقول بالإمامة وهي من أركان الإسلام بانه منصب إلهي كالنبوة فكما أن الله سبحانه يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة ويؤيده بالمعجزة التي هي كنص من الله عليه فكذلك يختار للامامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه فالنبي مبلغ عن الله سبحانه والإمام مبلغ عن النبي وسيأتي بيانه في تفصيل حول الإمامة.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (١).

---

(١) الأحزاب: ٣٦.

والشيعة تعتقد أن تلك المنزلة لم تحصل إلا لعلي عليه السلام وولده والإمامة متسلسلة في اثني عشر إماما منهم كما أشار النبي صلى الله عليه وآله وسلم لذلك وسيأتي الحديث في الوصية.

وخلاصة القول:

ان تمسك الشيعة بمذهب أهل البيت لا لتحزب أو تعصب ولكن الادلة الشرعية أخذت باعناقهم وألزمتهم بذلك ولحكم النصوص الصريحة والأحاديث الصحيحة وتعبداً بسنة سيد المرسلين وآله المنتجبين[١].

وللحق أقول واعترف لو وجدوا طريقاً مرضياً وحكماً مرعياً للأخذ به عن غيرهم لاتبعوه وناصروه ولم يتحملوا تلك المحن في سبيل أتباعهم ولكن لا طريق لذلك بل وجدوا الحق معهم والحق أحق أن يتبع و(علي مع الحق والحق مع علي) ولأنهم: كانو يمثلون الرسول في خلقه وهديه وورعه وزهده ووراث علمه وهو مستودع مواريث الأنبياء وهم عدل القرآن متكاتفين معه سواء بسواء ويسيرون معه جنبا لجنب يمثلون أمره ويسارعون إلى تنفيذه واطلعوا على أسرار أحكامه ودقائق أطواره وكما جاء عنه صلى الله عليه وآله وسلم في الحديث المتواتر: ((خلفت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي وأنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)) [٢] وقد بذلوا جهدهم في هداية الناس والنصح لم ليرشدوهم إلى طريق الهداية والسعادة وقد نشروا العلم وقاوموا الجهل وحكموا بالعدل ونهوا عن الظلم وأمروا بالوحدة

(١) مختصراً من قول للإمام شرف الدين في مراجعاته: ٦١.

(٢) كل جملة جاءت بهذا القول ستأتي خلال البحث في حديث خاص.

ونبذوا الفرقة فلم تسمح الأدلة بمخالفتهم وترك أقوالهم أو الأخذ عن غيرهم.

ووجد الناس فيهم أئمة هدى ودعاة إصلاح لا يخالفون الحق ولا يختلفون فيه وهم العترة الطاهرة يتجدد ذكرهم في كل زمن ويقفوا أثرهم في كل قوم ومكان طالما تحرر الفكر من التعصب الأعمى والتقليد المقيت.

ولم يكن المذهب الجعفري كغيره في تطور نشأته وعوامل انتشاره أن يتلقى تشجيعا من دولة أو تأييدا من سلطه وبقيت آرائه ومعتقداته في الأصول والفروع وغيرها أقوى من أن تلين للسياسة وتدخلات الولاة والأمراء حتى امتاز باستقلاله عن المقومات المادية ومؤازرة السلطة واستطاع بمؤهلاته الذاتية إخضاع الزمن واجتياز العقبات التي تقف في طريق نشره.

ولولا فيض من القدسية في مبادئه وقوة روحية في تعاليمه وعناية منه سبحانه قبل كل شيء ورحمة بهذا الخلق لقضت عليه السلطات الجائرة طيلة القرون الماضية ولكن ذهبت والحمد لله تلك المحاولات إدراج الرياح ولم تؤثر على صفوه بالتعليم الاستعماري بما فرض على غيره من العلماء لما كان يغلق عليهم باب الاجتهاد الذي هو من مقترحات الدولة وتشريع السياسة ولم يخضع لذلك النظام المستبد الذي يقضي مؤداه إلى الجمود الفكري وتحجير العقل ورد نعمة الله بما وهب للإنسان.

ومن الواضحات التي لا نقاش فيها أن عدم الالتزام بما تفرضه الدولة هو خروج عن الطاعة وذلك يستوجب العقاب والمقاومة وقد عرف معتنقوا مذهب أهل البيت: بأنهم لا يرون لزوم طاعة أولئك الحكام الذين تربعوا على عروش الخلافة الإسلامية بالقهر والإكراه وانحرفوا عن مفاهيم الإسلام.

وتظاهروا بالفسق والفجور وتجاهروا بالظلم والاستبداد فلا يمكن والحالة هذه أن يؤازروهم أو يتعاونوا معهم أو يسيروا بسيرتهم اقتداء بأئمتهم واتباعا لأوامر الرسول في مقاطعة الظلمة وحرم سبحانه المعاونة معهم بقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾[1].

ومن الواضح أيضاً أن الطبقة الحاكمة تعد من لا يؤازرها أو يتعاون معها خصما يجب القضاء عليه لأن عدم التعاون مع الدولة هو عدم الاعتراف باهليتها للحكم وانتقاد لسيرتها وكسر شوكتها.

ولذلك اتجهت قوة السلطة لمعارضة مذهب أهل البيت واتهام أتباعه بسوء العقيدة تارة والخروج عن الإسلام أحيانًا وسلكوا في تحقيق ذلك كل الحيل الخداعة واسندوا لهم ما ليس من عقائدهم بتهم باطلة وأقاويل كاذبة وأكدوا على الوعاظ في المساجد والخطباء على منابرهم والقصاص في مجالسهم من المرتزقة الذين يطلبون ود السلطان والتقرب إليه وصلة الملوك وجوائزهم ليقوموا بكل ما يأمرونهم بمخالفة الحق واتهام الشيعة بأنهم يكفرون جميع الصحابة وأنهم لا يعملون بالقرآن وأنهم وأنهم ...

كما ألزموهم أن يذكروا ذلك محفوفا بشواهد وأمثلة يتقبلها السذج وعوام الناس البسطاء حتى تمكنت في نفوس البعض ولهجت بها ألسنتهم ودارت في محافلهم كانها حقيقة لا تقبل الجدل أو النقاش وبدون تفكير وتدبر وانتشرت في ذلك المجتمع السائر في ركاب الدولة واتهامهم بكل ما يشين. وانى لذلك المجتمع وبتلك الظروف أن يظفروا بالتفكير الحر وتحكيم العقل.

---

(١) هود: ١١٣.

وقد فرضت السلطة عليهم تلك الافتعالات بقوة قاهر لا يستطيعون لها دفعا ولا يجدون من الإذعان لها سبيلا والناس مع القوة عند ضعف الإيمان ولكن الحق لا بد أن يظهر مهما طال الزمن وادلهمت الخطوب. ربنا أحكم بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الحاكمين.

الإمام جعفر الصادق عليه السلام:

ليس من السهل لكاتب أن يحيط بشخصية الإمام الصادق بوريقات يكتبها عنه ويعرض لـه وهو أول شخصية برزت في عصره علمية ودينية واجتماعية وما كتبه عنه طلاب مدرسته الذين بلغ عددهم أربعة آلاف وافتخروا بالأخذ عنه مثل أئمة المذاهب الأربعة وغيرهم حتى اعترف الإمام أبو حنيفة في قولـه المشهور: (لولا السنتان لهلك النعمان) [١] يقصد الفترة التي أخذ بها من الإمام عليه السلام وما كتب عنه في مشاكل عصره مع تعتيم الدولة الأموية والعباسية معا فلا يكاد يخلو تاريخ لم يكتب عنه بجمل الثناء والإطراء أو محدث يعرض لـه بالحديث عن العلوم وتطورها في حياته أو صاحب سيره ويسرد ما عاناه من نكبات واضطهاد والقيام ضده بما عرف عنه أنه زعيم الأسرة العلوية وقد تخصصت كتب مستقلة لهذه الشخصية وتناولوا جوانب من حياته ومن أهم ما كتب عنه المرحوم الشيخ أسد حيدر في موسوعته القيمة (الإمام الصادق والمذاهب الأربعة) في ستة أجزاء واعتذر عن الإحاطة بما تستحقه تلك الشخصية الفريدة كما لا يسعني في هذه العجالة أن أكتب عنه بما يتناسب وشخصيته أو الظروف التي أحاطت به غير أن

(١) المراجعات: ١٥. جوامع الجامع ١: ١٩٣. التحفة الاثنا عشرية: ٨.

الحديث جرني لعرض صورا موجزة عن أئمة المذاهب الأربعة فتعرضت لـه بنماذج أسوة بهم.

ولادته ونشأته عليه السلام:

ولد الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام في سنة ٨٣هـ ونشأ في بيت النبوة وترعرع في ربوع الوحي وتربى بين جده الإمام زين العابدين وأبيه الإمام الباقر عليهما السلام فأقام مع جده زين العابدين اثنتي عشرة سنة وقيل خمسة عشر وأخذ عنه وتربى في مدرسته وهو زين العابدين وسيد أهل البيت في عصره وبعد وفاته تفرد بتربيته أبوه الباقر عليه السلام فنشأ الإمام تلك النشأة الصالحة وهو خليفة أبيه والمتحمل لاعباء الإمامة من بعده وعاشر أباه بعد وفاة جده تسعة عشر سنة وأدرك الإمام الصادق عليه السلام من الحكم الأموي ثلاث سنين من خلافة عبد الملك وتسع سنين وثمانية أشهر من خلافة الوليد بن عبد الملك وثلاث سنين وثلاثة أشهر من خلافة سليمان وسنتين وخمسة أشهر عمر بن عبد العزيز وأربع سنوات وشهر من خلافة يزيد بن عبد الملك وعشرين سنة من خلافة هشام بن عبد الملك وسنة واحدة من خلافة الوليد بن يزيد وستة أشهر من خلافه يزيد بن الوليد وبعده لم يبقى خليفة أموي بعينه لكثرة الاضطرابات حتى زال ملكهم سنة ١٣٢هـ

وقد نشأ الإمام الصادق عليه السلام في وسط مجتمع لا يتصل بآل البيت: إلا من طريق الحذر أو التكتم لشدة المراقبة التي تحوط بهم من السلطة الأموية وشاهد طلاب العلم يتصلون بمدرسة جده وأبيه وهم باشد حذر ومن عرف في ذلك فانما مصيره القبر أو ظلمة السجن.

ونشأ الإمام الصادق في عهد تتنازع فيه الاهواء وتضطرب فيه الافكار

وطغت فيه موجة الاحن والاحقاد وتلاطمت فيه امواج الظلم والارهاب.

وتقرب الناس إلى ولاة الأمر بالوشايات والاتهامات فلا حرمة للنفوس ولا قيمة للدين ولا نظام يشمل الرعية بل هي فوضى والأمراء يحكمون بما شاءوا والرعية بين أيديهم العبوة لاغراضهم وكل هذه الادوار شاهدها الإمام الصادق وهو يعيش وأهل بيته بتلك الدائرة الضيقة محاطا بالرقابة لتلك الاتهامات التي يحوكها ضده المتقربون لخصوم آل محمد ﷺ وهو يرى بين آونة وأخرى مصرع جده الإمام زين العابدين مسموما وكذلك أبيه الإمام الباقر عليه السلام أيضاً مسموما ومصارع زعماء الشيعة وسجن الآخرين ومطاردة السلطة لبقيت السيف منهم وكان يطرق سمعه مدة تسعة عشر سنة شتم جده أمير المؤمنين على المنابر وكان يرى من بعض ولاة المدينة يجمع العلويين يوم الجمعة قريبا من المنبر يسمعهم شتم أمير المؤمنين عليه السلام.

فكانت نشأة الإمام نشأة خشونة وملاقاة مصائب وخوض غمرات محن وبلاء من ولاة أضاعوا الحق وظلموا الأمة واتبعوا شهواتهم وأعلنوا العداء لآل محمد ومع هذا كله فإنه كان لا يمتنع من الجهر بالحق وإرشاد الناس وتحذيرهم من أولئك الظلمة وكان ينهى عن المرافعة إليهم والاختلاط بهم واعانتهم في شيء والتولي لهم وقبول أي عمل منهم إذ لا يصلحون لمركز الولاية على المسلمين وليس لهم كفاءة صفات الخلافة ولا قدرة لهم على تنفيذ أحكام الإسلام فهم لا يصلحون للولاية ولا تجب طاعتهم بحال وأن في مؤازرتهم والمعاونة لهم خروجا عن أمر الله ومخالفه لكتابه: ﴿وَلاَ تَرْكَنُواْ إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾[1].

(١) سورة هود: ١١٣.

وقد صحح عنه عليه السلام انه قال: لأصحابه (ما احب أن اعقد لهم عقد أو وكيت لهم وكاء ولا مدة بقلم أن الظلمة واعوان الظلمة يوم القيامة في سرادق من نار حتى يحكم الله بين العباد).

وكان عليه السلام ينهى عن المرافعة إلى حكامهم ولا يرى لزوم ما يقضون به لأن حكمهم غير جائز كما كان عليه السلام يشتد على العلماء الذين يسيرون في ركاب الدولة ويأمر بالابتعاد عنهم حيث يقول: (الفقهاء امناء الرسل فإذا رأيتم (الفقهاء) قد ركبوا إلى السلاطين فاتهموهم) [(١)].

وقد حاول المنصور أن يستميل الإمام الصادق كما استمال الآخرين من أئمة المذاهب ولكنها محاولة فاشلة فلم يزل يبتعد عنه ويعلن غضبه عليه ولا تأخذه في الحق لومة لائم كما أعلن مقاطعته لـه فكتب المنصور إليه لم لا تغشانا كما تغشانا سائر الناس فأجابه الإمام ما عندنا من الدنيا ما نخافك عليه ولا عندك من الآخرة ما نرجوك لـه ولا أنت في نعم فنهنيك عليها ولا تعدها نقمه فنعزيك بها فلم نغشاك فكتب إليه المنصور ثانية تصحبنا لتنصحنا فأجابه الإمام من أراد الدنيا فلا ينصحك ومن أراد الآخرة فلا يصحبك.

وبهذا يتجلى موقف الإمام الصادق من حكام عصره وابتعاده عنهم وهو النهج الذي أمر اتباعه أن ينهجوه وقد أبدى ذلك في كثير من مواقفه واعلن للأمة وجوب مقاطعة الظالمين وحرمة المعاونة معهم ليحد من نشاطهم في هضم حقوق الناس واستيلائهم على مقدراتهم واستبدادهم في الأمور وجورهم في الحكم. ولكن عناية الله سبحانه قضت بأن يزداد شعور الناس نحو آل محمد وبانتشار

---

(١) تهذيب الكمال ٥: ٨٨. سير أعلام النبلاء ٦: ٢٦٢.

الدعاة لهذه الفكرة وحصول خلاف بين الأمويين أنفسهم اضطربت الدولة ودب في جسمها الضعف وأحاطت بها عوامل الانهيار فكانت فترة سعيدة ولكنها مؤلمة في الوقت نفسه إذ كان الإمام يرى ما يصيب الدين الإسلامي من وهن وتشويه وانتهاك فانبرى لفتح أبواب مدرسته وليقوم بما يجب عليه من توجيهه الناس وبث الأحكام وتعاليم الدين فهو بين شيخوخة الدولة الأموية وطفولة الدولة العباسية.

وكان بيته عليه السلام في تلك الفترة كالجامعة يزدان على الدوام بالعلماء والكبار في الحديث والتفسير والحكمة والكلام فكان يحضر مجلس درسه في اغلب الأوقات ألفان وبعض الأحيان أربعة آلاف من العلماء المشهورين [١].

وكان يؤم مدرسته طلاب العلم ورواة الحديث من الأقطار النائية لرفع الرقابة وعدم الحذر بعض الوقت فارسلت الكوفة والبصرة وواسط الحجاز إلى جعفر بن محمد افلاذ اكبادها ومن كل قبيلة[٢].

ونقل عنه الحديث واستفاد منه العلم جماعة من الأئمة واعلامهم مثل يحيى بن سعيد الأنصاري وابن جريج ومالك بن أنس والثوري وابن عيينة وأبي حنيفة وشعبة وأيوب السجستاني وغيرهم وعدوا أخذهم منه منقبة شرفوا بها وفضيلة اكتسبوها [٣].

---

(١) مجلة رسالة الإسلام العدد: ٣، سنة ٦.

(٢) كتاب جعفر بن محمد.

(٣) الموسوعة الفقهية الميسرة ١: ٣٥، نقلا عن مطالب السؤول.
وذكر المزي في ترجمة الإمام الصادق: ٥: ٧٥ تلامذته وعدهم وهم: سفيان بن عيينة ومالك بن أنس وسفيان الثوري والنعمان بن ثابت (أبو حنيفة) وسلمان بن بلال وشعبة بن الحجاج وعبد الله بن ميمون إلى آخرهم.

ونالت مدرسة الإمام الصادق شهرة عظيمة ففي تلك الفترة السعيدة كان الإمام عليه السلام زعيم الحركة الفكرية في ذلك العصر ويعتبر في الواقع أنه أول من أسس المدارس الفلسفية في الإسلام ولم يكن يحضر حلقته العلمية أولئك الذين اصبحوا مؤسسي المذاهب الفقهية فحسب بل كان يحضر طلاب الفلسفة والمتفلسفون من الانحاء القاصية [(١)].

وان تلك المدرسة وتلك العلوم أن الغارس لبذرتها الأولى هو الرسول الاعظم صلى الله عليه وآله وسلم فقد وضع منهاجها ونظامها وحث الناس على الانتهاء إليها حذرا من الاختلاف إذ قرن العترة بكتاب الله العزيز بقولـه صلى الله عليه وآله وسلم: ((اني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ما أن تمسكتم بهما لن تضلوا أبداً)) وفي بعض طرقه: ((فلا تقدموا عليهم فتهلكوا ولا تعلموهم فانهم اعلم منكم)) وستأتي طرق الحديث إنشاء الله.

كما صرح في كثير من تعاليمه بلزوم اتباع أهل بيته والأخذ عنهم وأنهم سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق كما أشار صلى الله عليه وآله وسلم إلى لزوم أتباعهم في أحاديث كثيرة ستوافينا بعد.

فالمدرسة كانت نشأتها في عهد صاحب الرسالة ورئيسها الأول هو

⬅

وذكر محمد أبو زهرة في مقدمة كتابه الإمام الصادق من حديث... حتى قال: لقد كان أبو حنيفة يروي عنه ويراه أعلم الناس باختلاف الناس وأوسع الفقهاء إحاطة وكان الإمام مالك يختلف إليه دارسا راويا ومن كان لـه فضل الاستاذية على أبي حنيفة ومالك فحسب ذلك فضل الخ.. وفي حلية الأولياء أيضاً مثل قول المزي في التهذيب.

(١) تاريخ العرب (السيد مير علي الهندي): ١٧٩.

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو أقضى الأمة وأعلمهم وهو نفس الرسول ﷺ وكان ملازما لـه في جميع أوقاته في حله وترحاله وأخذ عنه العلم وهو معلمه الأول ومتولي تربيته ونشأته فكان باب مدينة علم الرسول وأمينه على سره ووصيه على أمته فكان لـه من الكفاءة والاستعداد ما جعله مرجعا للامة وإماما هاديا وقد عول النبي عليه في جميع شؤونه لاتصافه بصفات الإمامة العامة وإنكار ذلك مكابرة ومغالطة وستأتي هذه الفقرات في أحاديث صحيحة.

وان علم أمير المؤمنين الذي ورثه من رسول الله فقد توارثه أبنائه وحيث لم تسمح الظروف القاسية لنشره لغير الخلص من أصحابهم حتى جاء دور الإمام الصادق عليه السلام واستطاع بالفترة بين هلاك الدولة الأموية ومجيء الدولة الفتية أن ينشر العلم ويشيد المدارس واننا إذ نعبر عن المدرسة فانما المقصود هو تعاليم مذهب أهل البيت: وقد سمي بعد بالمذهب الجعفري نسبة للإمام جعفر بن محمد الصادق وإلا فمذهب الشيعة هو مذهب أهل البيت وعنهم يأخذون الأحكام لانهم أصدق حديثاً وأشدهم محافظة على أداء رسالة التبليغ واتباعا لأمر النبي إذ قرنهم بالكتاب الكريم الدال بكل صراحة على اتباع أهل البيت والتمسك بهم فإنه نجاة من الضلالة.

وحديث الإمام الصادق كما جاء عنه يروى عن أبيه الباقر عن أبيه زين العابدين عن أبيه الحسين بن علي عن علي بن أبي طالب: وهذا الاسناد هو المعروف بالسلسلة الذهبية وهو اصح الأسانيد وأقواها[1].

---

(١) معرفة علوم الحديث (الحاكم): ٥٥.

وعن أحمد بن حنبل أنه قال: عن اسناد الإمام الرضا عن آبائه عليهم السلام لو قرأت هذه الاسناد على مجنون ←

وقد أسماه بعض العلماء بالترياق المجرب وربما تساهل بارسال حديثه ولكنه اعطاه قاعدة مشهورة بقولـه حديثي حديث أبي وحديث أبي حديث جدي وحديث جدي حديث أبيه وحديث أبيه حديث علي بن أبي طالب وحديث علي حديث رسول الله ﷺ.

ولم يحدثنا التاريخ عن أئمة أهل البيت أن حكموا بالرأي وافتوا بالقياس او الاستحسان وقد جاء عنهم في هذا الصدد الشيء الكثير ففي الكافي: سأل رجل أبا عبد الله الإمام جعفر بن محمد الصادق عن مسألة فأجابه فيها فقال: الرجل أرأيت إن كان كذا وكذا ما يكون القول فيها؟ فقال له: مه. ما اجبتك فيه من شيء فهو عن رسول الله ﷺ لسنا من (أرأيت) في شيء[١].

وفي بصائر الدرجات: مهما أجبتك فيه بشيء فهو عن رسول الله ﷺ لسنا نقول برأينا من شيء[٢].

وفي موضع آخر، عن الإمام محمد الباقر عليه السلام انه قال: أنا لو حدثنا برأينا ضللنا كما ضل من كان قبلنا ولكنا حدثنا ببينة من ربنا بينها لنبيه فبينها لنا[٣].

وفي البصائر أيضاً، عن أبي الحسن عليه السلام قال: قلت لـه كل شيء تقول به في كتاب الله وسنة نبيه أو تقولون فيه برأيكم قال: بل كل شيء نقولـه في كتاب الله

لبرئ من جنونه. ذكر أخبار اصبهان ١: ١٣٨. الصواعق المحرقة: ٥٩٥، ومثله عن ابي حاتم الرازي كما في التدوين لأخبار قزوين.

(١) الكافي ١: ٥٨. النص والاجتهاد: ١٦.

(٢) بصائر الدرجات: ٣٢١.

(٣) بصائر الدرجات: ٣١٩.

وسنة نبيه[١].

وعن داود بن أبي يزيد عن أبي عبد الله الإمام الصادق قال: سمعته يقول: أنا لو كنا نفتي الناس برأينا وهوانا لكنا من الهالكين ولكنها اثار من رسول الله اصل علم نتوارثها كابرا عن كابر نكنزها كما يكنز الناس ذهبهم وفضتهم[٢].

(١) بصائر الدرجات: ٣٢١.

(٢) بصائر الدرجات: ٣١٩.





الفصل السابع

اجتهاداتهم

في تأويل وإنكار فضائل أمير المؤمنين عليه السلام



لا أريد في هذه العجالة تعريف الاجتهاد وضوابطه ولا الموارد الذي يصح فيها الاجتهاد ولا الاجتهادات الكثيرة في مقابلة النصوص من الكتاب والسنة في الأحكام الإسلامية والعقائد والأمور العامة الأخرى التي اجتهدوا فيها وتأولوها بل اخص الحديث واختصره بما يتعلق بالاجتهادات الباطلة في فضائل أمير المؤمنين ومناقبه.

وقد يخرجنا الحديث عن تعريف الاجتهاد وأصوله فقد تضمنته الكتب الخاصة به ولابد من الاشارة لأقوال العلماء فيه وخير ما تفضل به سيدنا شرف الدين في مقدمة كتابه النص والاجتهاد والذي جمع فيه فأوعى ويمثل راية مدرسة أهل البيت في الاجتهاد والنص قولـه رحمه الله:

وليس لاحد أن يحمل من المأثور عن الله تعالى في آية أو عن رسول الله سنة إلا على ظاهرهما المتبادر منهما إلى الاذهان، وليس لـه أن يحيد عن الظاهر المتبادر فضلا عن المنصوص عليه بصراحة، إلا بسلطان مبين... والا فقد ضل وابتدع... ـ إلى أن يقول ـ: نعم رأيت ـ بكل أسف ـ بعض ساسة السلف وكبرائهم يؤثرون اجتهادهم في ابتغاء المصالح على التعبد بظواهر الكتاب والسنة ونصوصها الصريحة فيتأولونها بكل جرأة ويحملون الناس على معارضتها طوعا

وكرها بكل قوة... [١].

وقال وهبي سليمان الالباني: الإسلام الذي يقوم على توحيد الله تعالى وطاعة رسوله ﷺ والذي لا يأذن تبديل احكامه لا من قساوسه ولا علماء ولا من حكام ولا من افراد لا في سبيل مصلحة ولا من أجل سياسة[٢].

وذكر عبد العزيز بن باز المفتي العام في السعودية أن لم يحكم بما أنزل الله على نبيه فهو كافر ظالم فاسق...وأن الاجتهاد محله المسائل الفرعية التي لا نص فيها أما العقيدة والأحكام التي فيها نص صريح من الكتاب أو السنة الصحيحة فليست محلا للاجتهاد بل الواجب على الجميع الأخذ بالنص وترك ما خالفه وقد نص العلماء على ذلك في كل مذهب من المذاهب المتبعة أن كل من خالف ما أنزل الله على رسوله ﷺ من الأحكام فهو من حكام الطاغوت ومن عمل المنافقين [٣].

وذكر مصطفى بن محمد سلامة أن التحليل والتحريم يحتاجان لنص والنص يحتاج إلى وحي والوحي انقطع بموت النبي.

وان التحليل والتحريم بلا نص هو دين النصارى لانهم يزعمون أن عيسى عليه السلام سوغ لعلماءهم أن يحللوا ما فيه مصلحة وأن يحرموا ما فيه مصلحة[٤].

ولقد رأينا فيما سبق ذكره (في التعصب بين المذاهب) وكيف تغلبت روح التعصب المذهبي الشديد كما تغلبت الفكرة القائلة بتحريم تقليد غير المذاهب

---

(١) النص والاجتهاد: ٣ ـ ٤.

(٢) مجلة الدعوة السعودية العدد: ٦١٢، سنة: ١٣٩٧.

(٣) حكم الإسلام: ٣٠، ط. مؤسسة مكة للطباعة والإعلام.

(٤) كشف الاسرار لمصطفى بن محرر سلامة.

الأربعة وتطورت الدعوة إلى ذلك بصورة واسعة وازداد نشاطها حتى جعل من قلد غير هذه المذاهب خارجا عن الدين فكان هناك نزاع واحتدام وبلغ التعصب حتى بين معتنقيها مما ادى إلى معارك دامية واتهام البعض للبعض الآخر وتكفير قوم لاخرين.

واصبح كل يحتكر الإيمان بالله والتصديق بنبيه لابناء مذهبه خاصة وأن الجنة وقف عليهم ولا نصيب لاحد فيها معهم خلافا لما جاء به النبي ﷺ خروجا على تعاليم الإسلام وقد اندفع المتطرفون من معتنقي المذاهب الأربعة لبذل جهدهم في جعل رئيس مذهبهم هو المؤسس لعلوم الإسلام والمرجع الاعلى للتشريع وأن العلم مقصور عليه والاجتهاد لا يليق إلا به(١).

ومن المؤسف لـه أنهم قد اسرفوا في الجدل اسرافا اخرجهم عن ميزان العدل وراحوا يلتمسون على ذلك الوانا من الحجج ويبدو فيها التكلف ويتجلى فيها البطلان وقد غلب عليهم الجمود الفكري والتزموا بالتقليد في أخذ الأحكام وغيرها عن أئمة المذاهب إذ لا يمكن في نظرهم أن يصل أحد إلى ما وصلوا إليه من العلم فهو مقصور عليهم والاجتهاد من اختصاصهم دون غيرهم. وتمسكوا بأقوال أئمتهم تمسكا جعلهم يقدمونها على كتاب الله وسنة رسوله(٢) كما جاء عن القاضي... قال: كنا عند الأعمش فتذاكرنا الاختلاف فقال: انا أعلم من أين وقع الاختلاف، قلت: من أين وقع؟ قال: هذا ليس موضع ذكره لك، قال: فأتيته بعد ذلك فخلوت به، فقلت: ذكرنا الاختلاف... إلى أن قال وقد جئتك خالياً فأخبرني من أين وقع الاختلاف؟ فقال: ولي أمر هذه الأمة من لم يكن عنده علم فسئل

(١) أبو حنيفة (السيد عفيفي المحامي): ٨.

(٢) همم ذوي الابصار: ٥١.

الناس فاختلفوا[١].

فكان يقال لهم: قال رسول الله ﷺ فيقولون: قال فلان [٢].

كما جاء ذلك عن أبي حنيفة فقد روى الخطيب[٣] عن علي بن عاصم أنه قال: حدثنا أبا حنيفة عن النبي فقال: لا أخذ به فقلت عن النبي فقال: لا أخذ به وروى أيضاً عن أبي إسحاق الفزاري قال كنت آتي أبا حنيفة اسأله عن الشيء من أمر الغزوات فسألته عن مسألة، فاجاب فيها فقلت لـه أنه يروى فيه عن النبي كذا وكذا قال: دعنا عن هذا.

وذكر الزمخشري في ربيع الأبرار قال يوسف ابن اسباط رد ابو حنيفة على رسول الله أربعمائة حديث او أكثر وحكى عن يوسف ايضا ان ابا حنيفة كان يقول لو ادركني رسول الله لاخذ بكثير من أقوالي[٤].

وقال أيضاً كان أبو حنيفة يجيئه الشيء عن النبي فيخالفه إلى غيره.

وليس هذا بمستغرب فإنها سنة ابتدعها القوم من ذي قبل وموهوا عليها

(١) شرح الأخبار للقاضي نعمان ١: ١٩٦.

(٢) توالي التأسيس (ابن حجر): ٧٦.

(٣) تاريخ بغداد ١٣: ٣٨٧. وص٣٩٠، وكتاب المجروحين لبسني ٣: ١٦٥، كما في مقدمة مرآة العقول.
قال الشهرستاني في(منع الحديث: ٢٤١):
(وجاء عن الاستاذ رشيد رضا قولـه: من المجازفة في القياس والجرأة على الله القول بنسخ مئات الآيات وابطال اليقين بالظن وترجيح الاجتهاد على النص. ثم ذكر الشهرستاني التغيير الذي حصل من بعض فقرات الخطبة الشقشقية وذكر الشهرستاني: ٢٤٩ قول الإمام الكرخي: إن كل آية تخالف قول أصحابنا فإنها محمولة على النسخ أو على الترجيح، والاولى أن تحمل على التأويل من جهة التوفيق الخ. وهناك أقوال أخرى مشابهة).

(٤) نقلا عن ليالي نيشابور: ٢٣٨.

بالاجتهاد والتاويل غير أن معاوية تجاهر بها وصرح مرارا فعن أبي الدرداء من حديث قولـه من يعذرني من معاوية أنا أخبره عن رسول الله ﷺ وهو يخبرني رأيه لا اساكنك بأرض أنت بها. الحديث [١].

وكان محمد بن شجاع أبو عبد الله فقيه أهل العراق يحتال في ابطال الحديث عن رسول الله ﷺ ورده نصرة لابن حنيفة[٢].

حتى زعم بعضهم أن رئيس مذهبهم كان اعلم من النبي بالقضاء [٣].

وذكر أبو شامة وكانت تلك الازمنة مملوءة بالمجتهدين فكل صنف على ما رأى وتعقب بعضهم بعضا مستمدين من الاصلين الكتاب والسنة وترجيح الراجح أقوال السلف المختلفة بغير هدى ولم يزل الأمر على ما وصفت إلى أن استقرت المذاهب المدونة ثم اشتهرت المذاهب الأربعة وهجر غيرها فقصرت هممهم إلا قليلا منهم فقلدوا بعد ما كان التقليد حراما لغير الرسل بل صارت أقوال أئمتهم بمنزلة الاصلين الكتاب والسنة وذلك معنى قولـه تعالى: ﴿**اتَّخَذُواْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللهِ**﴾[٤] فعدم المجتهدون وغلب المقلدون وكثر التعصب وكفروا بالرسول حيث قال: ويبعث الله في كل مائة سنة من ينفي تحريف الغالين وانتحال

---

(١) موطأ مالك ٢: ٦٣٤. سنن البيهقي ٥: ٢٨٠. المجموع ١٠: ٣٠. فيض القدير ٦: ٣٠٤. تنوير الحوالك: ٤٩٠. الغارات ٢: ٤٩٨. اختلاف الحديث: ٤٨٠. كتاب المسند (الشافعي): ٢٤٣. المستصفى (الغزالي): ١١٩. المحصول (الرازي) ٤: ٣٧٦. النهاية في غريب الحديث (ابن الاثير) ٣: ١٩٧.

(٢) تاريخ بغداد ٥: ٣٥١.

(٣) تاريخ بغداد ١٣: ٣٤٨.

(٤) التوبة: ٣١.

المبطلين... حتى آل بهم التعصب إلى أن احدهم إذا اورد عليه شيء من الكتاب والسنة على خلافه يجتهد في دفعه بكل سبيل من التأويلات البعيدة نصرة لمذهبه ولقولـه[1].

ومن قول لابن الجوزي: واعلم أن عموم أصحاب المذاهب بعضهم في قلوبهم الشخص فيتبعون قولـه من غير تدبر بما قال: وهذا عين الضلال لأن النظر لا ينبغي أن يكون إلى القول لا إلى القائل [2].

وذكر عز الدين عبد السلام ومن العجب العجيب أن فقهاء المقلدين يقف أحدهم على ضعيف قول إمامه بحيث لا يجد لضعفه مدفعا وهو مع ذلك مقلد فيه ويترك من شهد الكتاب والسنة والأقيسة الصحيحة لمذهبهم جمود التقليد أمامه بل يتحيل لظاهر الكتاب والسنة ويتأولهما بالتأويلات البعيدة الباطلة نضالا عن مقلده ولم يزل الناس يسألون من اتفق من العلماء الخ...

الى أن ظهرت هذه المذاهب ومتعصبوها من مقلدين فإن احدهم يتبع إمامه مع بعد مذهبه عن الادلة مقلدا فيما قال كأنه نبي مرسل وهذا نأى عن الحق وبعد عن الصواب لا يرضى به أحد من أولى الالباب[3].

عن الفخر الرازي في تفسير الآية قال: شاهدت جماعة من مقلدة الفقهاء قرأت عليهم آيات كثيرة من كتاب الله في بعض المسائل وكانت مذاهبهم بخلاف تلك الآيات فلم يقبلوا تلك الآيات ولم يلتفتوا إليها وبقوا ينظرون إلي كالمتعجب

---

(١) مختصر المؤمل لابي شامة: ١٤.

(٢) تلبيس ابليس (ابن الجوزي): ٨١.

(٣) رسالة الانصاف: ٣٧. وذكره د. يوسف القرضاوي في الصحوة الإسلامية: ١٢٢.

يعني كيف يمكن العمل بظواهر هذه الآيات مع أن الرواية عن سلفنا وردت على خلافها ولو تأملت حق التأمل وجدت هذا الرأي ساريا في عروق الاكثرين من أهل الدنيا وذكر أقوالاً أخرى(١).

وذكر محمد صديق خان وقد ابتلى بهذه البلية من متأخري المقلدة للمذاهب الأربعة المشهورة فابرزوا من التفريعات والتخريجات ما لا تظله السماء ولا تقله الأرض ومنذ حدثت هذه البدع رفعت من السنة غالبها حتى أن الجاهل من هؤلاء يزعم أن كل مسألة في كتاب فقهي من المذهب الحنفي مثلاً أو الشافعي هي في أم الكتاب ويتحرج عن العمل بما ثبت من القرآن والحديث صراحة ونصا ظاهر ولا يتحرج عن العمل بما قاله إمامه ومنهم من يؤول الحديث إلى مؤدى المذهب ولا يصرف المذهب إلى مدلول الحديث (٢).

وعلى أي حال فإن تلك الاتجاهات التي سار عليها المتعصبون للمذاهب قد استولت على كثير من اتباعها ومن المؤسف أن نجد البعض: قدمهم على الأنبياء عند تعارض كلامهم ـ أي أئمة المذاهب ـ مع الحديث الصحيح فانهم يردون كلام النبي المعصوم مع اعتقاد صحة سنده لقول نقل عن إمامهم ويتعللون باحتمالات ضعيفة (٣).

وذكر الدهلوي قولـه: ولما انقرض عهد الخلفاء الراشدين افضت الخلافة إلى قوم تولوها بغير استحقاق ولا استقلال بعلم الفتاوى والأحكام فاضطروا إلى

(١) تفسير الفخر الرازي، نقلاً عن تحفة الاحوذي ٨: ٣٩١.

(٢) الدين الخالص ٣: ٢٤٥.

(٣) الوحدة الاسلامية (رشيد رضا): ٤٥.

الاستعانة بالفقهاء وإلى استصحابهم في جميع احوالهم وكان بقي من العلماء من الطراز الأول فكانوا إذا طلبوا هربوا واعرضوا فرأى أهل تلك الاعصار ـ غير العلماء ـ اقبال الامة عليهم مع اعراضهم فاشتروا طلب العلم توصلا إلى نيل العز فاصبح الفقهاء بعد أن كانوا مطلوبين طالبين وبعد أن كانوا اعزة بالاعراض عن السلاطين أذلة بالاقبال عليهم إلا من وفقه الله...[1].

وهذا قول الإمام الغزالي ونسبه إليه مع بعض التحريف: أن نهض لطلب العلم رجال طلبوه لاجل الدنيا يتقربون به إلى الحكام لينالوا لديهم الحظوة والجاه وينالوا من دنياهم فاصبح الفقهاء بعد أن كانو مطلوبين طالبين وبعد أن كانوا اعزة بالاعراض عن السلاطين اذلة بالاقبال عليهم إلا من وفقه الله ولما أن معاوية هو المؤسس لهذا الانحراف والتغيير إذ وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في على عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله فاختلفوا لـه ما أرضاه[2].

وهكذا يتوارثونها هؤلاء من اسلافهم. وذلك لما افضت الخلافة إلى معاوية وإلى من بعده وتولوها بغير استحقاق فاضطروا إلى الاستعانة بالفقهاء ورجال الحديث حيث لم يجدوا بدا من تثبيت سلطانهم واضفاء الشرعية عليه وتغرير البسطاء وتضليل العامة فجندوا من هؤلاء ممن سار بركبهم وناهم العطاء الجزيل والمناصب والرتب وتهافتوا على ذلك مدى العصور فحرفوا وبدلوا واجتهدوا هم في النصوص الثابتة وتأولوا الأحاديث الصريحة أو قلبها وتحريفها بما يخرجها من

---

(١) الانصاف: ٨٧، وقد ذكره الدهلوي في حجة الله البالغة ١: ٣٣٢، نقلاً عن وضوء النبي ١: ١٨٩.

(٢) تقدم في معاوية يختار من الصحابة لوضع الحديث.

دلالتها فجمعوا بين جريمتي الخيانة والتضليل فوق ما اقترفوا من جريمة الطعن في فضائل أمير المؤمنين وسيرة أهل البيت.

وعلى أي حال فقد مالت بهم الاهواء واثرت بهم النزعات فنفروا عن الحقايق ولم يتقبلوها فاجتهدوا بما توحيه إليهم مسايرة الدول المتعاقبة وتأييد وجهة نظرها بكل ما تعمل وتريد وتبرير كل جريمة وتصحيح كل خطأ فاشتروا طلب العلم لنيل العز والرتب وبعد أن كانوا اعزة بالاعراض عن سلاطين الجور صاروا اذلة بالاقبال عليهم واشتروا رضا المخلوق بمعصية الخالق.

وليت الأمر وقف بهم عند هذا الحد والثقة بأشياعهم والاتهام لمن عداها وتجاورهم الاجتهادات الخاطئة مقابل النصوص الثابتة حسب الاهواء وما تمليه السياسة فقد تعدوا إلى الارتزاق والمتاجرة بالدين كما ذكره الأستاذ محمد رشيد رضا (والعهدة عليه) في تعليقه على قول الشاطبي في الاعتصام في الوجه الثامن من الوجوه التي جعلها لمعرفة الإنحراف عن السنة والميل للبدعة ومن فروع هذه البدعة أن بعضهم يستحل أن يجعل المرجح لاحد القولين في الفتوى ما يعطيه المستفتون من الدراهم... والقاعدة في ذلك ما صرح به بعض الفقهاء في بعض الكتب التي تدرس في الازهر (نحن مع الدراهم قلة وكثرة) فإذا كان القولان المتناقضان صحيحين في المذاهب جاز أن يكون السحت هو المرجح في الفتوى ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[١].

وذكر بعده وقال الشيخ محمد بن عبدالله دراز شارح الموافقات قولـه بل اخرجوا الأمر عن كونه قانونا شرعيا وعدّوه متجرا حتى كتب بعض المؤلفين في

(١) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة عن كتاب الاعتصام ٣: ٢٦٨.

الشافعية ما نصه (نحن مع الدراهم كثرة وقله) [١].

ويقول الأستاذ عبد اللطيف دراز مدير الازهر والمعالم الدينية.

وقد غذيت هذه الخلافات وهذه السياسة بكثير من الروايات الملفقة والأحاديث الموضوعة والأخبار المفتراة وامتلأت كتب التفسير والمغازي والمناقب بما لا يحصى من الاكاذيب واصبح بجوار كل آية في كتاب الله تعالى رواية من الروايات تحمل عليها وفسر القرآن بما يوافق أصحاب الاراء وقبل من الأحاديث ما يؤيدهم وطعن فيما يخالفهم واشتبه الأمر فيما يقبل وفيما يرضى وفيما يصح ليس على الوسط من الناس فحسب ولكن على بعض ذوي العقول الراجحة والذكاء الألمعي أيضاً ولم يسلم من ذلك إلا من عصم الله وقليل ما هم [٢].

وذكر احمد أمين في فجر الاسلام قولـه: وجد العمل بالرأي ونقل عن كثير من كبار الصحابة قضايا افتوا فيها برأيهم كابي بكر وعمر وزيد بن ثابت وأبي بن كعب وكان حامل لواء هذه المدرسة او هذا المذهب فيما نرى عمر بن الخطاب[٣].

تأويلهم وطمسهم لفضائل أمير المؤمنين عليه السلام:

والتأويل هو النوع الآخر الذي حاولوا من خلاله طمس فضائل أمير المؤمنين ومناقبه وبتلك التأويلات التي ابعدت المعنى عن اللفظ المفهوم للحديث الصحيح حتى بلغ التعصب من بعضهم عندما يدنس المعنى أو يدلس في اللفظ بما يمجها الذوق السليم ويستنكرها الفكر حتى يظهر أن القائل ليس بعربي وهو افصح

---

(١) الموافقات ٤: ١٣٥.

(٢) رسالة الاسلام العدد الثالث، السنة الأولى سنة ١٣٦٨.

(٣) فجر الاسلام: ٢٤٠.

من نطق بالضاد.

وباختصار فلا بد من الاشارة لأقوال بعض العلماء في التأويل وسنعرض فيما بعد لنماذج من الأحاديث الصريحة الواضحة المعنى في فضائل أمير المؤمنين وكيف غيروا معناها عن ظاهر لفظها.

فقال الإمام الغزالي: وأما الطامات فيدخلها ما ذكرناه في الشطح وامر أخر يخصها وهو صرف ألفاظ الشرع عن ظواهرها المفهومة إلى أمور باطنة لا يسبق منها إلى الافهام شيء يوثق به كدأب الباطنية في التأويلات فهذا أيضاً حرام وضرره عظيم فإن الالفاظ إذا صرفت عن مقتضى ظواهرها بغير اعتصام فيه بنقل عن صاحب الشرع ومن غير ضرورة تدعوا إليه من دليل أو عقل اقتضى ذلك بطلان الثقة بالالفاظ وسقط به منفعة كلام الله تعالى ورسوله فإن ما سبق منه إلى الفهم لا يوثق به والباطن لا ضبط لـه بل يتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيلها على وجوه شتى وهذا أيضاً من البدع الشائعة العظيمة الضرر وإنما قصد أصحابها الاغراب لأن النفوس مائلة إلى الغريب ومستلذة لـه وبهذا الطريق توصل الباطنيه إلى هدم جميع الشريعة بتأويل ظواهرها وتنزيلها على رأيهم (١).

وقال ابن القيم الجوزية: إذا سئل عن تفسير آية من كتاب الله وسنة عن رسول الله فليس أن يخرجها عن ظاهرها بوجوه التأويلات الفاسدة الموافقة نحلته وهواه ومن فعل ذلك استحق المنع من الافتاء والحجر عليه وهذا الذي ذكرناه هو الذي صرح به أئمة الكلام قديما وحديثا (٢).

---

(١) إحياء العلوم ١: ٣٧.

(٢) عون المعبود ١٢: ٢٢٨. اعلام الموقعين ٤: ٢٤٥.

وقال بعض أهل العلم: كيف لا يخشى الكذب على الله ورسوله من يحمل كلامه على التأويلات المستنكرة والمجازات المستكرهة التي هي بالالغاز والاحاجي أولى منها بالبيان والهداية وهل يأمن على نفسه أن يكون ممن قال: الله تعالى: ﴿ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾(١).

ويكفى المتأولين لكلام الله ورسوله بالتأويلات التي لم يردها ولم يدل عليها كلامه أنهم قالوا: برأيهم على الله وقدموا آرائهم على نصوص الوحي وجعلوا آرائهم عيارا على كلام الله ورسوله ولو علموا، علموا أي باب شر فتحوا على الأمة بالتأويلات الفاسدة وأي بناء الإسلام هدموا بها، وأي معاقل وحصون استباحوها وكان احدهم لأن يخر من السماء إلى الأرض احب إليه من أن يتعاطى شيئاً من ذلك (٢).

وقال محمد معين السندي: ومن أشنع ما يخرجون كلام الشارع عن الحقيقة والمجاز ويفتحون فيه باب التأويل فهو فعلهم ذلك إذا حملهم عليه نصرة إمامهم على غيره من الأئمة فحفظ رأيه أهم عليهم من اخراج كلام نبيهم ﷺ عن الحقيقة والإمام ليس بمعصوم حتى تأول لـه كلمات الشريعة ونترك حقيقة الكلام ولم يأذن الله تعالى ورسوله لاحد بهذه النصرة لاحد(٣).

وبعد هذا وتدبرنا ما مر علينا من أقوال العلماء في ذم التأويل وهو نوع من البدع والضلال وقد بلغ بالمتعصبين تغيير المفاهيم الإسلامية وتحريف الأحاديث

---

(١) الأنبياء: ١٨.

(٢) اعلام الموقعين ٤: ٢٤٩.

(٣) دراسات اللبيب: ٨.

النبوية إلى ما يروقهم دفاعا لامامٍ ونصرة لمذهب ومؤازرة لسلطه قربتهم للقضاء على معارضيها وتاويل النصوص الصريحة في خصومهم وخاصة ما يتعلق من الأحاديث في فضائل أمير المؤمنين ومن لاحظ ذلك بعين البصيرة وتجرد عن التعصب الاعمى لرأى العجب العجاب وتعرف على الأسباب فتعال معي لنستمع لأقوال بعضهم باختصار وتقدمت بعض الأقوال في الاجتهاد.

وكما جاء عنهم: (إذا وقفوا على آيه محكمه أو سنة قائمة أو فريضة عادلة تخالف مذهبهم صار يؤولونها على غير تأويلها ويصرفونها عن ظاهرها إلى ما تقرر عندهم من المذاهب والمشارب وطفقوا يطعنون على من عمل بفحواها الظاهر ومبناها الباهر كأن الدين عندهم هو ما جاء عن آبائهم، واسلافهم، دون ما جاء عن الله في كتابه أو عن رسوله مع انه كتاب الله سابق على وجود امامهم ومقالاته وسنة رسوله سابقه على هذه الاجتهادات)[1] ونقل عن ابن الحسن الكرخي ويحكي عن لسان حال المذهبية حين قال: (الاصل أن كل آية تخالف قول أصحابنا فإنها تحمل على النسخ أو الترجيح والاولى أن تحمل على التأويل من جهة التوفيق وكذا الحال مع الحديث)[2] ونقل النووي قال العلماء: الأحاديث

---

(١) الدين الخالص (محمد صديق) ٣: ٢٦٣.

وذكرت الدكتورة نادية العمري في الاجتهاد في الإسلام: ١٠٤ ط بيروت ومما ثبت أن المتأخرين من الفقهاء قد غيروا كثيراً من الأحكام التي نقلت عن أئمتهم حين دعت الحاجة إلى التغيير كما فعل الشافعي من قبل حينما انتقل إلى مصر وترك العراق والحجاز فقد غير من مذهبه القديم إلى الجديد وأملى كتابه الام والرسالة وكما فعل ابن القيم الجوزية.

(٢) مصادر التشريع الإسلامي: ٢٨٧. وغيره نقلا عن تاريخ الاسلام السياسي: ٢٦٥.

الواردة في ظاهرها حمل على صحابي يجب تأويلها[١].

وذكر الغزالي قولـه: وكل ما ثبت عنهم من الخلاف فلابد أن يستنبط لـه تاويلا فما تعذر عليك تأويله فقل لعل لـه تأويلا وعذرا لم اطلع عليه [٢].

وهكذا يستمر التاويل ويتبنونه قاعدة شاملة في الأحكام وغيرها في كل ما يخالفهم هوى الكاتب أو عقيدة المصنف وهو كثير جداً لا مجال لعرضه خشية التطويل وسيأتي بعضه في الأحاديث خلال الابحاث القادمة في التبرير والتعليل لاسيادهم. ومثال ذلك ما جاء عن ابن أبي الحديد في منع عمر لرسول الله في الكتابة عند احتضاره وقولـه المشهور أن الرجل ليهجر قال: وهذا الكلام وأن كان ظاهره منكرا فله عندنا مخرج وتأويل[٣].

ومثال آخر في تبرير الاجتهاد بالطلاق الثلاث واغرب ما قاله المتأخرون قول ابن القيم: بأن هذا مما تغيرت به الفتوى لتغير الزمان. وهناك تعاليل أخرى كثيرة[٤].

---

(١) شرح مسلم ١٥: ١٧٥. وعنه تحفة الاحوذي ١٠: ١٥٦.

(٢) الاقتصاد في الاعتقاد: ١٥٣.

(٣) عمر وفقهه (الرضوي): ٩٤، نقلاً عن ابن أبي الحديد.

(٤) تاريخ الإسلام السياسي: ٤٠٥، نقلاً عن اعلام الموقعين.

وذكر في منع الحديث: ١٥٦ قول الدكتور مصطفى البغا بعد نقله قول عمر في الطلاق الثلاث فهذا مما تغيرت به الفتوى لتغير الزمان وعلم الصحابة حسن سياسة عمر وتأديبه لرعيته في ذلك فوافقوه على ما ألزم به وصرحوا لمن استفتاهم بذلك نقل عن أثر الادلة المختلف فيها في الفقه الإسلامي: ٢٧٧ الخ وفنده الشهرستاني.

نماذج من اجتهاداتهم لطمس مناقب أمير المؤمنين عليه السلام.

ذكر ابن حزم في المحلى[1] قوله: ولا خلاف بين الأمة في أن عبد الرحمن ابن ملجم المرادي لم يقتل علياً رضي الله عنه إلا متأولا، مجتهدا، مقدرا أنه على صواب وفي ذلك يقول عمران بن حطان:

يا ضربة من تقي ما أراد بها	إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا
اني لاذكره حينا فاحسبه	أو في البريه عند الله ميزانا

فلو تساءلنا مع ابن حزم عن هذا الاجتهاد المزعوم وتنزلنا عن أن علياً لم يكن ابن عم الرسول ونفسه في صريح آيه المباهلة ولم يكن له من السوابق في بدء الدعوة وحتى آخر لحظة من حياته ولم ينتصر الإسلام بسيفه ودفاعه وحامل رايته في كل موقف ولم يكن وصيه وخليفته وو... وأن علياً فرد من عامة المسلمين فهل يحل قتله وقاتله مأجور؟!

ألم يعارض هذا الاجتهاد للنص الصريح في قوله تعالى: **﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾**[2] وغيرها من الآيات الكثيرة.

أم..... لم يعارض هذا الاجتهاد النصوص الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واخرجها الحفاظ واعلام الأئمة في مسانيدهم وصحاحهم بطرق كثيرة وصور عديدة أعرض لبعض منها:

---

(١) المحلى ١٠: ٤٨٤.

(٢) النساء: ٩٣.

ما جاء في قوله ﷺ في حديث صحيح لعلي عليه السلام ـ ويكاد أن يكون متواتراً ـ:

قاتلك أشقى الآخرين،

وفي لفظ: قاتلك أشقى الناس،

وفي لفظ: أشقى هذه الأمة كما أن عاقر الناقة أشقى ثمود[1].

كما أن هناك أحاديث كثيرة عن أمير المؤمنين بما أخبره رسول الله ﷺ بان قاتله أشقى الاولين.

فأي اجتهاد يكون بعد هذه النصوص الثابتة ويقتل خليفة المسلمين المفروض الطاعة وهو في محرابه يصلي بين يدي الله تعالى.

أوليس مثل هذا الاجتهاد يجر صاحبه إلى القول بقتل الأنبياء والاوصياء؟ أوليس هذا الاجتهاد يسرى إلى أبي لؤلؤة قاتل عمر بن الخطاب وهو مجتهد مأجور ومثاب أم أنه يمتاز بحصانة خاصة وقاتله كافر فاسق معتدي يجب قتله كما يمتاز عثمان بحصانة أخرى أن قلنا بهذا الاجتهاد وأن الذين قتلوه وفيهم من

---

(١) مسند أحمد بن حنبل ٤: ٢٦٣، و٥: ٣٢٦. خصائص النسائي: ١٢٩. السنن الكبرى ٥: ١٥٣ المستدرك للحاكم ٣: ١٤١. تاريخ بغداد ١: ١٣٥. الجامع الصغير ١: ٤٣٧. احكام القرآن (الجصاص) ٣: ٥٣٨. شواهد التنزيل ٢: ٤٤٠. تفسير القرطبي ٤: ١٩٢. تفسير ابن كثير ٤: ٥٥٢. البداية والنهاية ٣: ٣٠٣، و٦: ٣٤٤. قصص الأنبياء (ابن كثير) ١: ١٥٦. مجمع الزوائد ٧: ١٤ و ٢٩٩، و٩: ١٣٦، ١٣٧. مسند أبي يعلى ٧: ١: ٤٣١. المعجم الكبير ٢: ٢٤٧. الفيض القدير ١: ٦٧٢، و٣: ١٢٨. تاريخ ابن عساكر ٤٢: ٥٤٣ و٥٥٠.الإصابة ٥: ٨٥. ينابيع المودة ٢: ٩١، ٢٠٠، و٣٩٦. السيرة النبوية (ابن كثير) ٢: ٣٦٣. جواهر المطالب في مناقب الامام علي ١: ٣١.

الصحابة من مهاجرين وأنصار ويخصهم ابن حزم[١] فيقول: وليس هذا كقتلة عثمان ﷺ لأنه لا مجال للاجتهاد في قتله وأنهم فساق ملعونون محاربون سافكون دماً حرام عمدا.

وعند ابن تيمية[٢] قوم خوارج مفسدون في الأرض لم يقتله إلا طائفه قليلة باغية ظالمة وأما الساعون في قتله فكلهم مخطئون بل ظالمون باغون معتدون.

وعند ابن كثير [٣]: اجلاف اخلاط من الناس لا شك أنهم من جملة المفسدين في الأرض بغاة خارجون على الإمام جهلة متعنتون خونة ظلمة مفترون.

وعند ابن حجر[٤] بغاة كاذبون ملعونون معترضون لانهم لا فهم لهم ولا عقل.

فما أدري هل الاجتهاد يمطط مع الشهوات والاهواء فيعذر به قوم ويشد على آخرين ولكن التعصب والعناد يجر صاحبه للانحراف وتبديل السنن المتبعة التي لا تبديل بها ويعود بالضلال المبين.

اوليس من الغلو المقيت والتعصب أن يتبجح ابن حزم واضرابه بقول عمران بن حطان الناصبي الخبيث[٥] الذي يمدح ابن ملجم قاتل أمير المؤمنين وهو اشقى

---

(١) سماء المقال في علم الرجال ١: ٢١، نقلاً عن الفصل (ابن حزم) ٤: ١٦١. وعنه ايضا العسكري في معالم المدرستين ٢: ٧٤، والغدير ١٠: ٣٤٢.

(٢) منهاج السنة ٣: ١٨٩، وص٢٠٦.

(٣) تاريخ ابن كثير ٧: ١٧٦، ١٨٦.

(٤) الصواعق: ٦٧، ١٢٩.

(٥) سيأتي ذكره في النواصب.

الاولين والآخرين ويعطيه من الدرجات العالية ويصفه بالتقوى والرضوان من ذي العرش واوفى البرية عند الله ميزانا في الابيات المتقدمة:

ولم يعلم أن معاصره القاضي أبو الطيب طاهر ابن عبد الله الشافعي يقول في عمران ومعتقده هذا:

اني لابــرأ ممـــا أنـــت قائلـــه ... عــن ابــن مــلجم الملعــون بهــتانا

يــا ضــربة مــن شــقى مــا أراد بهــا ... إلا لــــيهدم للإســـلام اركانــــا[1]

اني لاذكـــــره يومــــاً فألعــــنه ... دومــا والعــن عمــران وحطانــا

علــيه ثم علــيه الدهــر متصــلا ... لعـــائن الله اســـرارا واعلانــــا

فانــتما مــن كــلاب الــنار جــاء بــه ... نــص الشــريعة بــرهانا وتبــيانا[2]

كما اجابه عبد القادر البغدادي:

يــا ضــربة مــن كفــور ما استفاد بها ... إلا الجــــزاء بمـــا يصـــلبه نيرانــــا

إني لألعـــنه ديـــنا وألعـــن مـــن ... يــرجو لـــه أبــداً عفــوا وغفــرانا

ذاك الشــقي لأشــقى الــناس كــلهم ... أخفهـــم عـــند رب الـــناس مـــيزانا

وقال بكر بن حسان الباهلي:

قــل لابــن مــلجم والاقــدار غالــبة ... هدمــت ويلــك للإســـلام اركانــــا

قتلــت افضــل مــن يمشــي على قدم ... وأول الـــناس اســـلاما وايمانــــا

واعـــلم الـــناس بالقـــرآن ثم بمــا ... ســن الرســول لــنا شــرعا وتبــيانا

---

(١) ترجمته في ابن خلكان ١: ٢٥٣، وج٢: ٥١٢. الإصابة ٥: ٢٣٢ ـ ٢٣٣.

(٢) أوائل المقالات (الشيخ المفيد): ٢٣٣.

وذكر منها ابن حجر[١] ستة عشر بيت وقال بكر بن حماد القاهري وقال حجر بن أحمد الطيب:

يا ضربة من غدور صار ضاربها اشقى البرية عند الله إنسانا
اذا تفكرتُ فيه ظلت العنه والعن الكلب عمران بن حطانا[٢]

وهكذا يستمر عليهما اللعن والمخازي من الشعراء والعلماء طيلة القرون ولا مجال للمزيد.

تبرير معاوية وابن العاص بالاجتهاد في محاربتهم عليا عليه السلام:

ذكر ابن حزم [٣] قوله: قطعنا أن معاوية رضي الله عنه ومن معه مخطئون مأجورون أجرا واحداً وعد معاوية وعمرو بن العاص من المجتهدين الخ.

وقال أيضاً: معاوية رحمه الله مخطئ مأجور لأنه مجتهد[٤].

ثم صار يتخبط ويناقض نفسه بقوله: فصح أن عليا هو صاحب الحق والامام المفترضة طاعته وان معاوية مجتهداً مخطئ ومأجور كما قال قبلها فبهذا قطعنا على صواب علي رضي الله عنه وصحة امامته وانه صاحب الحق وان له أجرين أجر الاجتهاد واجر الاصابة ....

واعتذر ابن تيمية لمعاوية فيما فعل بأنه مجتهد. وقال: (أنه كعلي بن أبي

(١) الاستيعاب ٢: ٤٧١.
(٢) هامش سير اعلام النبلاء ٤: ١١٥، نقلها عن المبرد في الكامل ٣: ١٩٦. البداية والنهاية ٩: ٦٥.
(٣) الفصل لابن حزم٤: ١٦١.
(٤) الفصل لابن حزم ٤: ٨٩.

طالب في ذلك[١].

وقال ابن كثير: معاوية مجتهد مأجور انشاء الله[٢].

ليس من العقل والانصاف أن نصحح هذا الاجتهاد ونمنح أصحابه الاجر وهم الفئة الباغية حفظا على كرامة ابن اكلة الاكباد وابن النابغة المعروفة ونعرض عن الآيات الكريمة التي طهرت أمير المؤمنين من كل دنس وشين وسنعرض للكثير منها وللأحاديث الصحيحة التي خصته بالاخوة مع الرسول وبمنزلة هارون من موسى.

على أن جرائم معاوية لا يمكن السكوت عنها ولا طريق إلى حملها على وجه صحيح وليس انه مجتهد متأول وقد عطل الحدود وابطل الشهود وقتل ـ من الصحابة الأبرار ـ وسفك الدماء المحرمة وسبى نساء المسلمين وعرضهن في الأسواق فيكشف عن سوقهن فأيتهن كانت أعظم ساقا اشتريت على عظم ساقها [٣]. إلى كثير من تلك الفظائع والفجائع.

كما أن اجتهاداته في الأحكام كثيرة التي احل فيها ما حرم الله وحرم ما احل الله ولا يسعها هذا المختصر كما لا اعرف لباحث أن يسكت عن هذه البدع التي تقضي بطرح الأحكام وهجر الكتاب في مقابل الاجتهاد المزعوم أو تأويل الظاهر المعلوم إذا ليمرح معاوية وبطانته في ميدان الحياة وليفعلوا ما شاءت نفوسهم ويسرحوا في هواهم ومجونهم فقد ضرب عليهم استار الاجتهاد والتأويل حصانة

---

(١) منهاج السنة ٣: ٢٦١ ـ ٢٨٩.

(٢) تاريخه٧: ٢٧٩.

(٣) الاستيعاب ١: ١٥٧، وانظر: المصنف ٨: ٦٧٢.

لا يمكن مؤاخذتهم فلا تشملهم تلك النظم والأحكام التي قررها الكتاب والسنة كما نرى ابن حزم وابن كثير وابن تيمية قد غالط الواقع في تصحيح خلافة معاوية والدفاع عنه وتبرير كل ما فعل وبهذا فقد ناقظوا أنفسهم واعوزتهم المعاذير المضلة والتبس الأمر بما اثبتته صحاح قومهم أن معاوية باغ خارج على امام زمانه ونصت على قتل الباغي واخرجوا أحاديث كثيرة بهذا المضمون كما ذكرها ابن حزم في المحلى والفصل أعرض لبعضها باختصار.

فذكر قوله ﷺ: اذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما [(١)].

وقوله ﷺ: ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع واضربوه بالسيف كائنا من كان وفي لفظ فاقتلوه [(٢)].

وفي لفظ: من اتاكم وامركم جمع على رجل واحد يريد ان يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه كائنا من كان [(٣)].

وقوله ﷺ من طريق عبد الله بن عمرو بن العاص: من بايع إماما فاعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليعطه أن استطاع فإن جاء أخر ينازعه فاضربوا عنق

---

(١) الفصل لابن حزم ٤: ٨٨. المحلى ٩: ٣٦٠. صحيح مسلم ٦: ٢٣.مستدرك الحاكم ٢: ١٥٦. سنن البيهقي ٨: ١٤٤. مجمع الزوائد ٥: ١٩٨. فتح الباري ١٢: ١٣٩.الديباج على مسلم ٤: ٤٦١.

(٢) صحيح مسلم ٦: ٢٢ ـ ٢٣. مستدرك الحاكم ٢: ١٥٦. سنن البيهقي ٨: ١٦٨. المحلى ١١: ١١٢. سبل السلام ٣: ٢٦١. مسند أحمد ٤: ٢٦١. سنن أبي داود ٢: ٤٢٧. صحيح ابن حبان ١٠: ٢٥٥. المعجم الكبير ٧: ١٤٤. كنز العمال ٦: ٥٧، ح١٤٨٣٠. التاريخ الكبير ٧: ٦٤.

(٣) صحيح مسلم ٦: ٢٣. السنن الكبرى ٨: ١٦٩. إرواء الغليل ٨: ١٠٥، ح٢٤٥٢. تهذيب الكمال ١٩٠: ٥٥٦. الإصابة ٤: ٤٠٠، ح٥٥٢٤. المجموع ١٩: ١٩٣. المحلى ٩: ٣٦٠. سبل السلام ٣: ٢٦١. نيل الأوطار ٧: ٣٥٨.

الآخر[١] الحديث.

وقال النووي في شرح صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (فان جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر) معناه ادفعوا الثاني فإنه خارج على الإمام فإن لم يندفع إلا بحرب وقتال فقاتلوه فإن دعت المقاتلة إلى قتله جاز قتاله ولا ضمان فيه لأنه ظالم معتد في قتاله[٢].

وقال في شرح قوله صلى الله عليه وآله وسلم من الحديث السابق: (ستكون خلفاء فيكثر الخ...) معنى هذا الحديث إذا بويع لخليفة بعد خليفة فبيعة الأول صحيحة يجب الوفاء بها وبيعة الثاني باطلة يحرم الوفاء بها ويحرم عليه طلبها وسواء عقدوا للثاني عالمين بعقد الأول أم جاهلين وسواء كانا في بلدين أو بلد أو احداهما في بلد الإمام المنفصل والآخر غيره هذا هو الصواب الذي عليه أصحابنا وجماهير العلماء[٣].

وغير هذا كثير وكما جاء عن عبد الله بن عمر عندما نقض أهل المدينة وجملة الصحابة بيعة يزيد بن معاوية فأمتنع عبد الله من ذلك وقال: بايعنا الرجل والبيعة لآخر غدر وأن الغادر ينصب له لواء يوم القيامة.

---

(١) صحيح مسلم ٦: ١٨. سنن ابن ماجة ٢: ١٣٠٧. سنن أبي داود ٢: ٣٠١. سنن النسائي ٧: ١٥٣ ـ ١٥٤.السنن الكبرى ٨: ١٦٩. فتح الباري ١٣: ٦١. المصنف ٨: ٥٩٠. كنز العمال ٦: ٥٣، ح ١٤٨١٣. تفسير القرطبي ١: ٢٧٣. تفسير ابن كثير ١: ٥٣.تهذيب الكمال ١٧: ٢٥٢. البداية والنهاية ٢: ١٨٦.

(٢) شرح مسلم ١٢: ٢٣٤. الديباج على مسلم ٤: ٤٥٦.

(٣) شرح مسلم ١٢: ٢٣١.

فعلى هذا فما قيمة الاجتهاد الذي زعمه ابن حزم وابن كثير في قتال معاوية ومنازعته للامام المنصوب وتمت لـه البيعة من قبل الأمة بكافة طبقاتها من مهاجرين وأنصار وعامة الأقطار عدا معاوية وشجرته وشرذمة.

من حثالة الأمويين:

وهذا كما سمعت عليه جماهير العلماء ويفرضه الدليل وتوجيه السنة ويحكم به العقل السليم فأين هذا من ذاك.

ورحم الله عبد الله بن هاشم المرقال في قولـه: فلو لم يكن ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار لكان القتال مع علي أفضل من القتال مع معاوية ابن آكلة الاكباد[١].

ومثله ما تقدم من قول ابن أبي الحديد[٢] من حديث في معاوية: .... ولو لم يكن شيء من ذلك لكان في محاربته الإمام ما يكفي في فساد حاله الخ...

كما احتج أمير المؤمنين عليه السلام على بطلان خلافة معاوية بكتب كثيرة وخطب عديدة في أول البيعة وبداية صفين وأثناء الحرب وبعده وتقدم بعض منها وفي قولـه عليه السلام واعلم انك من الطلقاء الذين لا تحل لهم الخلافة ولا تعقد معهم الإمامة ولا يدخلون في الشورى [٣].

وعن الحسن البصري قال: أربع خصال كن في معاوية لو لم يكن فيهن إلا

---

(١) وقعة صفين ٣٥٧. وعنه شرح النهج ٨: ٢٩.

(٢) شرح النهج ١: ٣٤٠.

(٣) الإمامة والسياسة ١: ١١٤. شرح النهج ١٤: ٣٦. تاريخ ابن عساكر ٥٩: ١٢٨. وقعة صفين: ٢٩.

واحدة لكانت موبقة انتزاؤه على هذا الأمر بالسفهاء وحتى ابتزها أمرها بغير مشورة منهم وفيهم بقايا الصحابة وذو الفضيلة، واستخلافه ابنه بعده سكيرا خميرا يلبس الحرير ويضرب بالطنابير، وادعاؤه زياد وقد قال رسول الله ﷺ: (الولد للفراش وللعاهر الحجر)، وقتله حجرا ويلا لـه من حجر مرتين[1].

(١) تاريخ ابن عساكر ٢: ٣٨٤. تاريخ الطبري ٦: ١٥٧. ابن الأثير ٤: ٢٠٩. تاريخ ابن كثير ٨: ١٣٠. محاضرات الراغب ٢: ٢١٤. النجوم الزاهرة ١: ١٤١، المنتظم ٥: ٢٤٣.



الفصل الثامن

ما شهدوا به من تحريم قتال أمير المؤمنين عليه السلام





وبالاضافة لما تقدم أن هناك نصوص ثابتة لا مجال لابن حزم وابن كثير في الاجتهاد الذي نسبوه لمعاوية وموهوا به على تلك الجرائم الشنيعة وفيها نصوص صريحه في حرمة محاربة علي عليه السلام وقتاله وأن محاربته كمحاربة الرسول وطاعته كطاعة الرسول وطاعة الرسول طاعة الله [1].

ومثله الحديث الذي جاء بطرق عديدة واكد عليه الرسول في مناسبات كثيرة وحتى جاء عن ابن أبي الحديد قوله: لقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال له: حربك حربي وسلمك سلمي، ثم قال: وقاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي في ألف مقام: أنا حرب لمن حاربت وسلم لمن سالمت [2].

وأخرج الحديث جمع من أصحاب الصحاح والمسانيد.

وحديث أبي هريرة، قال: نظر النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى علي والحسن والحسين وفاطمة فقال: أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم [3].

---

(١) سيأتي الحديث عنه عند ذكر الآية ﴿أَطِيعُواْ اللهَ وَأَطِيعُواْ الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ﴾.

(٢) شرح النهج ٢٠: ٢٢١.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٢: ٤٤٢. الحاكم في المستدرك ٣: ١٤٩. الطبراني في المعجم الكبير ٣: ٤٠، ح ٢٦٢١. المعجم الصغير ٢: ٣. ابن كثير في البداية والنهاية ٨: ٤٠. الذهبي في سير اعلام النبلاء ٢: ١٢٢، ٢٥٨. كنز العمال ١٣: ٩٧، ح٣٤١٦٤. مجمع الزوائد ٩: ١٦٩. تاريخ بغداد ٧: ١٤٤. الكامل ٢: ٨٧. تاريخ ابن عساكر (الامام الحسين): ٩٩، ١٤٣، ١٤٦. ينابيع المودة ٢: ٣٢٥. كنز ←

حديث أبي بكر:

أخرج محب الدين الطبري عن أبي بكر قال: رأيت رسول الله خيم خيمة وهو متكئ على قوس عربية وفي الخيمة علي وفاطمة والحسن والحسين فقال: معاشر المسلمين أنا سلم لم سالم أهل الخيمة، حرب لمن حاربهم، ولي لمن والاهم، لا يحبهم إلا سعيد الجد طيب المولد ولا يبغضهم إلا شقي الجد رديء المولد.

وذكر بعضهم في الحديث عن زيد بن تبيع فقال: سمعت أبا بكر الحديث... وزاد في آخره فقال: رجل لزيد يا زيد أنت سمعت أبا بكر يقول هذا، قال: أني ورب الكعبة[1].

حديث زيد بن أرقم:

عن زيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين: أنا حرب لمن حاربتم وسلم لمن سالمتم[2].

العمال ١٣: ٨٤، ومنتخبه ٥: ٩٢، طبقات المعتزلة: ٨٢.

(١) الرياض النضرة ٢: ١٨٩. الخوارزمي في المناقب: ١٤٩، ٢٩٧. أرجح المطالب: ٣٠٩. مناقب العشرة: ١٨٩. مرآة المؤمنين: ٨٤، توفيق أبو علم في أهل البيت ٨: ٢٢٨. السكاكيني في أمهات المؤمنين: ١٩١.

(٢) تحفة الاحوذي ١٠: ٢٥٢. الطبراني في المعجم الكبير ٣: ٤٠، و٥: ١٨٤، ح٢٦١٩، وح٢٦٢٠. المعجم الصغير ٢: ٣. أسد الغابة ٥: ٥٢٣. الإصابة ٨: ٢٦٦. الدولابي في الكنى والألقاب ٢: ١٦٠. الخوارزمي في المناقب: ٩٩. ابن الأثير في جامع الأصول ١٠: ١٠٢. الطبري في الرياض ٢: ١٨٩. التبريزي في مشكاة المصابيح ٣: ٢٥٨. النابلسي في ذخائر المواريث ١: ٢١٣. السيوطي مسند فاطمة: ٧٠. ابن جعفر النحاس (الناسخ والمسنوخ) : ١٥٦. المزي في تحفة الاشراف ٣: ١٩٣. محمود شلبي في حياة فاطمة: ٢٥٣. ذخائر العقبى: ٢٥. كنز العمال ١٣: ٦٤٠، ح٣٧٦١٨، و١٢:

وفي لفظ قال رسول الله ﷺ: حرب علي حربي وسلمه سلمي وطاعته طاعتي ومن فارقه فارقني[1].

إخبار النبي ﷺ بقتال علي عليه السلام.

ان من المعلوم الثابت أن معاوية وشجرته هم الفئة الباغية التي قاتل علياً وانه على الحق وأن الرسول ﷺ قد اكد على ذلك مرارا ونص عليه في مناسبات كثيرة ورواه عنه جمع من الصحابة واحتجوا به على معاوية سواءا في رسائلهم أو مقابلة وجها لوجه في وقعه صفين وقبلها وعلى أصحاب الجمل والنهروان واستوفى الكثير منه أصحاب التواريخ والسير وللاختصار أعرض لنماذج منه:

قوله ﷺ: سيكون بعدي قوم يقاتلون علياً حقاً على الله جهادهم فمن لم يستطع جهادهم بيده فبلسانه فمن لم يستطع بلسانه فبقلبه وليس وراء ذلك بشيء[2].

٩٦، ح٣٤١٥٩. صحيح ابن حبان ١٥: ٤٣٤. ميزان الاعتدال ١: ١٧٦، وج٢: ٣٠٧. سير اعلام النبلاء ٢: ١٢٥، وج٧: ٤٣٢. بشارة المصطفى: ١٠٦. تاريخ ابن عساكر١٣: ٢١٨، وج ١٤: ١٥٧، وفي ترجمة الامام الحسن: ٩٨. وفي ترجمة الامام الحسين: ١٤٣، ١٤٦. موارد الظمآن (الهيثمي): ٥٥٥. نظم درر السمطين: ٢٣٢. سنن ابن ماجة ١: ٥٢. سنن الترمذي ٥: ٣٦٠. المستدرك ٣: ١٤٩. المعجم الأوسط ٥: ١٨٢، وج٧: ١٩٧. ضعيف سنن الترمذي (الألباني): ٥٢٠. أحكام القرآن (الجصاص) ١: ٥٧١. تهذيب الكمال ٢: ٣٥٩، وج١٣: ١١٣. كما جاء الحديث عن علي عليه السلام ـ ذكرناه في أحاديث الولاية ـ وعن أم سلمة وأبي سعيد وعن صبيح مولى أم سلمة وغيرهم وفي هذا القدر كفاية.

(١) مسند أحمد ٣: ٤٤٢. المستدرك ٣: ١٢٤. الصواعق: ١٤٤.

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير ١: ٣٢١، ح٩٥٥. كنز العمال ١١: ٦١٣، ح٣٢٩٧١، و١٥:

وعن ابن أبي الحديد[1] قال: روى كثير من المحدثين عن علي أن رسول الله ﷺ قال له: أن الله قد كتب عليك جهاد المفتونين كما كتب علي جهاد المشركين قال: فقلت يا رسول الله ما هذه الفتنة التي كتب علي فيها الجهاد قال: قوم يشهدون أن لا اله إلا الله واني رسول الله وهم مخالفون للسنة فقلت يا رسول الله فعلام اقاتلهم وهم يشهدون كما أشهد قال: على الأحداث في الدين ومخالفة الأمر. فقلت يا رسول الله: انك كنت وعدتني الشهادة فاسأل الله أن يجعلها لي بين يديك، قال: فمن يقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين ... فقلت يا رسول الله: لو بينت لي قليلا، فقال: أن أمتي ستفتن من بعدي فتأول القرآن وتعمل بالرأي وتستحل الخمر بالنبيذ والسحت بالهدية والربا بالبيع وتحرف الكتاب عن مواضعه وتغلب كلمة الضلال الخ...

تذكير الزبير بقتاله عليا عليه السلام:

ومثله ما جاء عن رسول الله ﷺ في قولـه للزبير: انك تقاتل علياً وأنت ظالم لـه. أو قولـه: كيف بك لو خرجت عليه وأنت ظالم. وبهذا احتج به أمير المؤمنين على الزبير يوم الجمل وقال: أتذكر لما قال رسول الله ﷺ انك تقاتلني وأنت ظالم لي، فقال: نعم وقد انسانيه الدهر.

وبعبارة أخرى: ومن هذا ترك الزبير الحرب وجاء الحديث بالفاظ متقاربة

⮌

١٠٢، ح٤٠٢٦٦. خصائص الوحي المبين: ٧٢. مجمع الزوائد ٩: ١٣٤. جامع الأحاديث لأحمد صقر ٧: ٦٠٥.

(١) شرح النهج ٩: ٢٠٦.

ولما تعددت صورة في مناسبات[١].

وعن صالح جزرة قال: كان عباد يشتم عثمان وسمعته يقول: الله أعدل من أن يدخل طلحة والزبير الجنة قاتل علياً بعد أن بايعاه[٢].

وقد حكم الله تعالى بوجوب قتال الفئة الباغية بقول تعالى: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ﴾[٣].

اجتهادات ابن تيمية:

ولقد اضاف ابن تيمية على ثرثرة ابن حزم ونصبه: وجاء بعربدة جديدة افقدته الموازين العلمية خروجا عن الأحاديث النبوية والتاريخ والسيرة ويغلو

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣: ٣٦٦ بعدة طرق. الطبري في الرياض ٢: ٢٧٣. ابن حجر في فتح الباري ٦: ١٦١، و١٣: ٤٦. المصنف ١١: ٢٤١، وج٨: ٧١٩. شرح النهج ١: ٢٣٤، وج١٣: ٢٨٧. كنز العمال ١١: ٣٣٠ـ ٣٤. فيض القدير ٤: ٣٥٨. كشف الخفاء ٢: ٤٤٣. ضعفاء العقيلي ٣: ٦٥. علل الدارقطني ٤: ٢٤٥. تاريخ ابن عساكر ١٨: ٤٠٩. تهذيب الكمال ١٨: ٩٣. تهذيب التهذيب ٦: ٢٩٠. الإصابة ٢: ٤٦٠. البداية والنهاية ٦: ٢٣٧، وج٧: ٢٦٨، ٢٦٩. الإمامة والسياسة ١: ٩٢. الاستغاثة ٢: ٦٨. المناقب (الخوارزمي): ١٧٩. ينابيع المودة ٢: ٣٨٩. أبو الفرج في الاغاني ١٦: ١٣١. العقد الفريد ٢: ٢٧٩. مروج الذهب ٢: ١٠. الخفاجي في شرح الشفاء ٣: ١٦٥. الكامل (ابن الأثير) ٣: ١٠٢. مجمع الزوائد ٧: ٢٣٥. القسطلاني في لامواهب ٢: ١٩٥. الزرقاني في شرح المواهب ٣: ٣١٨، وج٧: ٢١٧. السيوطي في الخصائص والحلبي في السيَر ٣: ٣١٥. الأخبار الطوال: ١٤٧. وذكر الغدير مصادر أخرى ٣: ١٩١.

(٢) سير اعلام النبلاء: ١١ ص٥٣٧ وج ١٤: ٢٩ وتهذيب التهذيب: ٥: ٩٦ تهذيب الكمال: ١٤: ١٧٨ وميزان الاعتدال٢: ٣٧٩.

(٣) الحجرات: ٩.

حقده وعناده وينفي الفئة الباغية عن معاوية ومن معه. فيقول: وعلي لم يكن قتاله يوم الجمل وصفين بامر من النبي ﷺ وانما كان رأيا رآه وهو الذي ابتدأ أهل صفين في القتال وعلى انما قاتل الناس علي طاعته لا على طاعة الله [١].

﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ﴾ [٢] ولا احسب أن الرجل غافل عما اثبتته صحاح قومه ومسانيدهم وخصت طاعة علي من طاعة رسوله وطاعتهما من طاعة الله سبحانه كما في الحديث السابق واذا لم تكن كذلك فهل يستطيع اثبات طاعة معاوية من طاعة الله فهيهات ذلك مهما حاول بتدليسه بالقول وتغرير العامة حتى يجعل لكل واحد من علي ومعاوية الاجتهاد ويخلط الاوراق ليخلص من اجماع الأمة وأحاديث جمهور الصحابة بتعيين معاوية وحزبه الفئة الباغية ويرد لمعاوية ماء وجهه بكل ما استطاع من تلفيق بالأقوال والبهتان والتضليل ولكن هيهات هيهات لن يتساوى النور والظلام والحق والباطل والفرق بينهما بعد السماء عن الأرض فأين الثريا وأين الثرى وأين معاوية من علي.

ويأتي مثله زميله ابن حجر في صواعقه قائلاً ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أيضاً أن معاوية ﷺ لم يكن في أيام على خليفة وإنما كان من الملوك وغاية الاجتهاد أنه كان لـه أجر واحد على اجتهاده وأما علي فكان لـه أجران أجر على اجتهاده وأجر على إصابته... [٣].

---

(١) منهاج السنة ٢: ٢٠٢، ٢٠٥، وص٢٣٢.

(٢) الكهف: ٥.

(٣) الصواعق لابن حجر: ٢١٦.

ألا من يسأل هذا الرجل متى كان للملوك ووزرائهم قوة الإستنباط وملكة الاجتهاد التي لم تتيسر إلا لمن اتعب نفسه وسهر ليله بقوة تفكيره مثابرا لسنين عديدة وبعد ان تفطن خشية قولـه وتفرده ببدعته هذه تستر بتأويل لينقذ غريقه الهالك فقال: وفي الانوار من كتب أئمتنا المتأخرين والباغون ليسوا بفسقه ولا كفره ولكنهم مخطئون فيما يفعلون ويذهبون إليه ولا يجوز الطعن في معاوية [1]. فلا أطيل مع هذا الرجل وأقواله تلك واحيل القارئ على كافة قواميس اللغة لمعرفة الباغي وكذا كتب التفسير في تفسير الآية: ﴿وَإِن طَائِفَتَانِ﴾ والآية الكريمة أيضاً استدل الأئمة بأن معاوية وصحبه هم الفئة الباغية كشافعي في قتال أهل البغي[2].

وذكر الشيباني[3] لو لم يقاتل معاوية علياً ظالما لـه متعديا باغيا كنا لا نهتدي لقتال أهل البغي.

وذكر القرطبي[4] في ذكر هذه الآية دليل على وجوب قتال الفئة الباغية المعلوم بغيها على الإمام أو على أحد المسلمين.

وذكر القاضي أبو بكر بن العربي هذه الآية اصل في قتال المسلمين والعمدة في حرب المتأولين وعليها عول الصحابة واليها لجأ الاعيان من أهل الملة، وإياها عنى النبي ﷺ بقولـه: تقتل عمار الفئة الباغية، وقولـه في الخوارج: يخرجون على خير فرقة أو على فرقة والرواية الأولى اصح لقولـه ﷺ: تقتلهم أولى الطائفتين

---

(1) الصواعق: 221، وعنه تقوية الايمان: 148.

(2) سنن البيهقي 8: 171.

(3) الجواهر المضيئة 2: 26.

(4) في تفسيره 16: 317.

إلى الحق وكان الذي قتلهم علي بن أبي طالب ومن كان معه فتقرر عند المسلمين وثبت بدليل الدين أن علياً ﷺ كان اماما وأن كل من خرج عليه باغ وأن قتاله واجب حتى تفيء إلى الحق وينقاد إلى الصلح.

فهذا ما تقرر عند المسلمين وثبت عندهم بدليل الدين إلا ابن تيمية الذي استولى عليه الحقد والعناد وتخبط في أقواله تارة بالتكذيب واخر بالتاويل ولم يفرق بين من دافع عن الإسلام من حين بدء الدعوة إليه وهو أول المسلمين حتى مات عليه وبين من حارب الإسلام هو وآبائه وشن عليهم الغارة تلو الأخرى ولم يكتفي بهذا الحد حتى اكل الحقد والنصب قلبه وتمكن على مشاعره وافقده الصواب فخرج على اجماع المسلمين وتفرد بالنصب والعداء لأمير المؤمنين عليه السلام مدافعا عن معاوية وزمرته مهما كلف الأمر فيصف الإمام ظالما باغيا وقتل المسلمين على امارته وطاعته ويريد علوا في الأرض وفساد [(١)] فحسبه الله يوم القيامة وخصمه أمير المؤمنين وعند الساعة يخسر المبطلون وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

وذكر الزيلعي[(٢)] قال: وأما أن الحق كان بيد علي في نوبته فالدليل عليه قول النبي ﷺ لعمار تقتلك الفئة الباغية ولا خلاف أنه كان مع علي وقتله أصحاب معاوية.

قال: امام الحرمين في كتاب الارشاد: وعلي ﷺ كان اماما حقاً في ولايته ومقاتلوه بغاة وحسن الظن بهم يقتضي أن يظن بهم قصد الخير وأن أخطئوا

---

(١) منهاج السنة المصدر السابق.

(٢) نصب الراية ٤: ٦٩.

واجمعوا على أن علياً كان مصيبا في قتال أهل الجمل وهم طلحة والزبير وعائشة ومن معهم وأهل صفين وهم معاوية وعسكره وقد أظهرت عائشة الندم [١] والأقوال في تعيين الفئة الباغية وهم معاوية وحزبه كثيرة وذكرها يخرجنا عن الموضوع.

وذكر الدكتور أحمد صبحي[٢] فالحق أن علياً قد مثل مثلاً سامية في الإسلام عزت على افهام الكثيرين وانه حارب من أجل (كيف) الإسلام لا من أجل (كمه) أي أنه حارب من أجل معنى الإسلام ومغزاه لا من أجل اتساع رقعة الإسلام وزيادة عدد المسلمين ولكن الناس عن المبادئ والقيم غافلون بينما هم للاشخاص موالون ومقدسون.

عزل معاوية عن ولاية الشام:

فلو تساءلنا مع ابن حزم وابن تيمية وابن كثير علامَ هذا الضجيج والتهويل وتشويه القيم وتحريف الشريعة بتغيير النصوص الثابتة إلى اجتهادات زائفة وتأويل مقيت والتكلف في الاعتذار عن طغاة بغاة وتبرير جرائم ما ارتكبوه من تبذير أموال المسلمين على شهواتهم وسفك دماء عشرات الالاف من الابرياء وهتك المحرمات رغبة في السلطة وحبا للدنيا.

ثم إن معاوية لم يكن خليفة ولا انعقدت لـه بيعة وهي لا تحل لـه وإنما كان واليا لمن سبق فليزم عليه البيعة للخليفة الجديد الذي اختارته الأمة واستقل

(١) هكذا حكاه الزيلعي عن الارشاد ولكن تجده محرفا عند طبعه راجع الارشاد نقلا عن الغدير ١٠: ٢٧٥.

(٢) د. أحمد محمود صبحي في الزيدية: ٥٢.

بالأمرة ووجبت طاعته فأما أن يقر معاوية على ولايته أو يعزله كما هي سيرة الدنيا وإلى اليوم.

فلم يصدر مرسوم بتثبيته ولا يراه أهلا للولاية فعز لـه وأرسل إليه مرارا من يبلغه بلزوم الطاعة لمن عنده من المسلمين واللحوق بالجماعة. غير أن استهوته الدنيا وغره السلطان فخرج عن الطاعة ومفارقة الجماعة وفرق وحدة المسلمين وأبى إلا أن يكون رأس البغاة كما كان رأس الاحزاب هو وأبوه يوم كان وثنيا وما أشبه أوله بآخره.

وبعد أن ضاق عليه الخناق واشتد الأمر ابتكر الحيل والخداع وتباطأ عن البيعة وكاتب طلحة والزبير ليستقلا بالأمر في الكوفة والبصرة ورغبهما مساندا ودعمهما بما يستطيع مفرقا المسلمين ويفت في عضد الإمام بتمزيق الأمة وجماعة المسلمين فأحبط الله سبحانه مكره وخدعه وقتل صاحبيه وكان ما كان من أمر وقعة الجمل وحيث لم يجد مهرب وضاق الخناق عليه فعاد إلى تلك الحيل وتترس بالطلب بقتل عثمان ليستميل من بني أمية الذين فروا إليه، ويغرر بالبسطاء والسذج من شراذم أهل الشام.

فكتب إليه الإمام عليه السلام رسائل عديدة تقدم بعضها واختصر ذلك لصورتين من اجوبته فكتب إليه الإمام من جواب: وأما قولك أدفع إلي قتلة عثمان فما أنت وذاك وهاهنا بنو عثمان وهم أولى بذلك منك فإن زعمت انك أقوى على الطلب بدم عثمان منهم فارجع إلى البيعة التي لزمتك (لأنها بيعة شاملة لا يستثنى فيها الخيار ولا يستأنف فيها النظر) وحاكم القوم الي[1].

(١) الإمامة والسياسة ١: ٩٢، ١٢٢. الكامل للمبرد ١: ٢٢٥. العقد الفريد ٢: ٢٨٤. شرح النهج ١: ٢٥٢، ٢٤٨، وج٣: ٣٠٠.

وله عليه السلام في جواب آخر:

وقد اكثرت في قتلة عثمان فإن أنت رجعت عن رأيك وخلافك ودخلت فيما دخل فيه المسلمون ثم حاكمت القوم إلى حملتك وإياهم على كتاب الله وأما تلك التي تريدها فهي خدعة الصبي عن اللبن.

ولعمري يا معاوية لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني ابرأ الناس من دم عثمان ولتعلمن أني كنت في عزلة عنه إلا أن تتجنى فتجن ما بدا لك(١).

كما خاطبه شبث بن ربعي قائلاً له: والله لا يخفى علينا ما تفزه وما تطلب فانك لم تجد شيئا تستغوي به الناس وتستميل به اهواءهم وتستخلص به طاعتهم الا قولك (قتل امامكم مظلوما) فنحن نطلب بدمه فاستجاب لك سفهاء طغام وقد علمنا ان قد ابطأت عنه بالنصر واحببت لـه القتل لهذه المنزلة التي اصبحت تطلب ...الخ فاتق الله يا معاوية ودع ما أنت عليه ولاتنازع الامر أهله(٢).

أقوال الإمام عليه السلام بعد أن اضطر إلى قتالهم:

وبعد أن ثبت عنه عليه السلام ارسال الوفود وبعث الكتب الكثيرة إلى جماعة الناكثين والقاسطين وتناقلتها السير وكتب التاريخ وحتى استدعاهم وجه لوجه في ميادين الحرب وحذرهم مغبة الأمور وفرقة المسلمين كما وقع لـه مع الزبير(٣) في ميدان الحرب وذكره بأقوال الرسول بهذا الموقف وبيعة الغدير كما سبقت منهم ومثله مع طلحة ومراسلة عائشة وارسال الوفود إليها ولم يبدئهم بحرب حتى رموه

---

(١) وقعة صفين: ٥٨. المصدر السابق.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٥٧٠.

(٣) تقدم تذكير أمير المؤمنين للزبير وطلحة.

وأصحابه فقال: كما عرف عنه لقد جائتكم رسل القوم وكذا الأمر بصفين وبعد كل التحذيرات اللازمة مع هؤلاء اضطر فقال عليه السلام لم اجد بدا من قتالهم أو الكفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي لفظ: وما هو إلا الكفر بما أنزل على محمد أو قتال القوم[١].

وذكر بعضهم في أخر الحديث أن الله تعالى لم يرض لاوليائه أن يعصى في الأرض وهم سكوت مذعنون لا يأمرون بمعروف ولا ينهون عن منكر فوجدت القتال أهون على من معالجة في الاغلال في جهنم[٢].

كما ذكر بعضهم في صدر الحديث قوله عليه السلام ضربت الأمر ظهر البطن فلم اجد إلا القتال[٣] الحديث وذكر ابن أبي الحديد أقوالاً كثيرة في هذا المضمون.

---

(١) نهج البلاغة ١: ٩٤. شرح النهج ٢: ٢٠٨. مستدرك الحاكم ٣: ١١٥. كنز العمال ١١: ٣٤٩، ح ٣١٧١٠. تفسير ابن كثير ١: ١٢٩. نظم درر السمطين: ١١٧. تاريخ ابن عساكر ٤٢: ٤٣٩. أسد الغابة ٤: ٣١. أنساب الاشراف: ٢٣٦. تاريخ الطبري ٦: ٢٢٦. وقعة صفين: ٤٧٤. مناقب الخوارزمي: ١٧٣. ينابيع المودة ٢: ٨. الشفاء للقاضي عياض. والبحر الزاخر ٥: ٤١٥. الرياض النضرة ٢: ٢٤٣. ذخائر العقبى.

(٢) وقعة صفين: ٤٧٤، ومثله في شرح النهج ٢: ٢٠٨. الاخبار الطوال: ١٨٨. ينابيع المودة ٢: ٨. ويقرب منه حلية الأولياء ١: ٨٥. الاستيعاب ١: ٤١١، ترجمة حوشب. اسد الغابة ٢: ٦٣.

(٣) المستدرك للحاكم ٣: ١١٥.



الفصل التاسع

الأحاديث النبوية

في قتال الناكثين والقاسطين





في قتال علي عليه السلام للناكثين والقاسطين:

ذكر ابن أبي الحديد[1] قد ثبت عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال لـه عليه السلام: ستقاتل بعدي الناكثين والقاسطين والمارقين فكان الناكثون أصحاب الجمل لانهم نكثوا بيعته وكان القاسطون أهل الشام بصفين وكان المارقون الخوارج في النهروان وفي الفرق الثلاث قال الله تعالى ﴿فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ﴾[2] وقال: ﴿وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾[3].

وقد جاء الحديث بذلك بطرق كثيرة وعن جماعة من الصحابة ممن سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في مواطن عديدة مثل أبي ذر رضي الله عنه كما جاء عنه[4].

الحديث الأول: عن أبي أيوب الأنصاري:

ولما تكرر الحديث عن أبي أيوب الأنصاري في مناسبات عديدة أعرض لبعضها فقاله قبل وقوع الحرب وفي زمن خلافة عمر وبعدها واخرى عند ذهابه

---

(١) شرح النهج ١٣: ١٨٣. ومثله ابن الاثير في النهاية ٥: ١١٤.

(٢) الفتح: ١٠.

(٣) الجن: ١٥.

(٤) جامع الاحاديث لعباس احمد صقر ٤: ٣٧٥، ٣٧٧، ج٥: ٢٩٩. المناقب (الخوارزمي): ٥٢. كفاية الطالب: ١٩١. ومنتخب كنز العمال ٥: ٣٦.

إليها وثالثة فيهما بين الحربين التي قاتل فيها وانتصاره للطائفة الاخيرة التي وعد بها وفي احتجاجه الكثير مع الخصوم من القوم.

فعن أبي أيوب الأنصاري ﵁ قال: سمعت النبي ﷺ يقول لعلي بن أبي طالب تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بالطرقات والنهروانات وبالسفعات قال: أبو أيوب قلت يا رسول الله مع من نقاتل هؤلاء قال: مع علي بن أبي طالب [(١)].

الحديث الثاني، وهو في صفين:

عن مخنف بن سليم قال: أتيت أبا أيوب وهو يعلف خيلاً له بصفينا فقلنا قاتلت المشركين بسيفك مع رسول الله ﷺ ثم جئت تقاتل المسلمين قال: أن رسول الله ﷺ أمرنى بقتال ثلاثه وذكرهم. فقد قاتلت الناكثين والقاسطين وأنا مقاتل انشاء الله المارقين بالسفعات بالطرقات بالنهروانات وما أدري أين هم [(٢)].

الحديث الثالث، بعد رجوعه من صفين

عن علقمة والاسود قالا: اتينا أبا أيوب عند منصرفه من صفين فقلنا له يا أبا أيوب أن الله أكرمك بنزول محمد عليك بمجيء ناقته تفضلا من الله واكراما لك حتى اناخت ببابك دون الناس ثم جئت بسيفك على عاتقك تضرب به أهل لا إله إلا الله فقال: يا هذا الرائد لا يكذب اهله وأن رسول الله أمرنا بقتال ثلاثة طوائف

---

(١) الحاكم في المستدرك ٣: ١٣٩، والذهبي في التلخيص وابن عساكر في ترجمة أمير المؤمنين ٣: ٢١٣ وفي شرح النهج ٣: ٢٠٧ بتغيير وزيادة في آخره والخطيب في تاريخه ١٣: ١٨٦.

(٢) مجمع الزوائد ٦: ٢٣٥. ابن عساكر ترجمة أمير المؤمنين ٣: ٢١٣ والطبراني في المعجم الكبير ١: ٢٠٥ وعنه كفاية الطالب: ٣٧ ومنتخب كنز العمال ٥: ٤٥١ والهيثمي مجمع الزوائد ٦: ٢٣٥ وفرائد السمطين ١: ١٧٨ وبعضهم لم يذكر صدر الحديث.

مع علي بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين فاما الناكثون فقد قاتلناهم وهم أهل الجمل طلحة والزبير وأما القاسطون فهذا منصرفنا من عندهم يعني معاوية وعمر وأما المارقون فذكرهم وقال: والله ما أدري أين هم ولكن لابد من قتالهم انشاء الله(١).

الحديث الرابع: قبل وقعة صفين

عن عتاب (عقاب) بن ثعلبة قال أبو أيوب الأنصاري في خلافة عمر ابن الخطاب قال: أمرني رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين مع علي بن أبي طالب (٢).

الحديث الخامس: عند قدومه العراق

فعن أبي صادق قال: قدم علينا أبو أيوب الأنصاري العراق وسألوه فاجابهم كما في الحديث الثالث الخ (٣).

حديث عبد الله بن مسعود:

عن عبد الله بن مسعود قال: أمر رسول الله ﷺ عليا الحديث الخ... (٤).

---

(١) تاريخ بغداد ١٣: ١٨٨. تاريخ ابن عساكر ٤٢: ٤٧٢. الموضوعات ٢: ١٢. البداية والنهاية ٧: ٣٤٠. كفاية الطالب: ٧٢.

(٢) ابن عساكر ٣: ٢١٣، وأخرجه الحافظ ابن حبان والطبري كما ذكره ابن عبد البر في الاستيعاب ج ٣ ص٥٣ والحاكم في المستدرك ٣: ١٣٩ وذكره السيوطي في الخصائص ٢: ١٣٨.

(٣) ابن أبي الحديد في شرح المختار (٤٨) من الخطب ٣: ٢٠٧ وتاريخ ابن عساكر. تاريخ ابن كثير ٧: ٧٠٦، كنزل العمال ٦: ٨٨.

(٤) أخرجه الحاكم في أربعينه في طريقين والاستيعاب ٣: ٥٣ والهيثمي مجمع الزوائد ٧: ٢٣٨ وج ٦: ٢٣٥.

حديث أبي سعيد الخدري:

قال: أمرنا رسول الله ﷺ بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين فقلنا يا رسول الله أمرتنا بقتال هؤلاء فمع مَنْ؟ قال: مع علي بن أبي طالب ومعه يقتل عمار بن ياسر(١).

حديث وهب البصري:

وعن وهب بن صفي البصري قال: قال رسول الله ﷺ: انا اقاتل على تنزيل القرآن وعلي يقاتل على تاويله (٢).

حديث عمار بن ياسر:

والحديث عن عمار جاء بطرق عديدة وفي مناسبات كثيرة ومضمونه سواء كما سبق فأعرض لواحد منها.

عن أبي سعيد عقيصاء التيمي قال: سمعت عمار ونحن نريد صفين قال: أمرني رسول الله بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين (٣).

---

(١) ابن عساكر ٣: ٢١٣ والحاكم في أربعينه كما ذكره السيوطي والكنجي في كفاية الطالب: ٧٢ وابن كثير في تاريخه ٧: ٣٠٥ والمناقب للخوارزمي: ١٢٢ والحمويني فرائد السمطين ١: ٢٨١ وغاية المرام: ٧٤ في رجال البخاري للبازلي تاريخ الخلفاء للسيوطي: ١٧٣ ابن حجر في الصواعق: ٧٤ والهروي في شرح الفقه لابن حنيفة: ٦٧، وذكر بعضهم الحديث وحذف آخره في قوله: (مع من) وأسد الغابة ٤: ٣٣. الاصابة ١: ٣٩.

(٢) ابن حجر في الإصابة ١: ١٩١. كنز العمال ١١: ٦١٣، ح٣٢٩٦٨. ينابيع المودة ٢: ٢٣٥.

(٣) رواه الطبراني كما في الثالئ ١: ٢١٤، وكنز العمال ١١: ٢٧٨، والهيثمي مجمع الزوائد ٧: ٢٣٩ وقال في آخره: وأبو سعيد متروك فذكر المحمودي في هامش ابن عساكر في ترجمة أمير المؤمنين ٣: ←

ومثله عن عمار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ: يا علي سنقاتلك الفئة الباغية وأنت على الحق فمن لم ينصرك يومئذ فليس مني. [(1)]

حديث خاصف النعل:

حديث خاصف النعل عن أبي سعيد الخدري وغيره وهذه بعض صورة.

فعن أبي سعيد ﷺ قال: كنا مع رسول الله ﷺ فانقطعت نعله فتخلف علي يخصفها فمشى قليلا ثم قال: أن منكم من يقاتل على تاويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فاستنشرف لها القوم وفيهم أبو بكر وعمر ﷺ قال: أبو بكر أنا هو قال: لا قال: عمر أنا هو قال: لا ولكن خاصف النعل يعني علياً فأتيناه وبشرناه فلم يرفع رأسه كانه قد كان سمعه من رسول الله ﷺ [(2)].

---

216 قال: أبو سعيد ليس بمتروك بل صرح الحاكم في المستدرك ووافقه الذهبي في التلخيص وقال: أبو سعيد عفيصاء ثقة مأمون.

(1) أخرجه ابن عساكر في تاريخه والسيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه ٦: ١٥٥ وحكاه الزرقاني عن ابن عساكر في شرح المواهب ٣: ٣١٧.

(2) مستدرك الحاكم ٣: ١٢٢، وابن عساكر في ترجمة أمير المؤمنين ٣: ١٦٣ عن أبي سعيد بأحد عشر طريقا والنسائي في الخصائص: ٤٠ وتهذيبه: ٨٨، وأسد الغابة ٤: ٣٢ والطبري في الرياض النضرة ٢: ١٩١ وله في ذخائر العقبى: ٣٩ وص ٧٦، والذهبي في تاريخ الإسلام ٢: ٢٠٢، وابن كثير في البداية ٦: ٢١٧ والهيثمي مجمع الزوائد ٩: ١٣٣، وج ٦: ٢٤٤، وج ٥: ١٨٦ ثم قال: رجاله رجال الصحاح والسيوطي تاريخ الخلفاء: ١٧٣ عن أحمد والحاكم ومثله ابن حجر في الصواعق: ٧٤ وكنز العمال ٦: ١٥٥ و٣٩٠، وج ١٢: ٢١١، وج ١٥: ٩٤ ومنتخبه ٥: ٣٧ والهروي في شرح الفقه لأبي حنيفه: ٦٧ وبهجت أفندي في تاريخ آل محمد: ١٢٢، وأحمد صقر جامع الأحاديث ٢: ٧٨١، وج ٣: ٧٦، وشرح النهج ٣: ٢٠٦، وفي شرح المختار ٢: ٢٧٧، ومسند أحمد ٣: ٣٣ وص ٨٢، عن أبي ذر باختصار ومحمد سلمان المالكي في جمع الفوائد من جامع الأصول ١: ٣٢٤ ط الهند.

حديث عبد الرحمن بن بشير:

كما جاء الحديث عن عبد الرحمن بن بشير بلفظ قال: كنا جلوسا عند النبي إذ قال: ليضربنكم رجل على تأويل القرآن كما ضربتكم على تنزيله فقال أبو بكر: أنا هو. قال: لا، وقال عمر: أنا هو. قال: لا، ولكن خاصف النعل وكان علي يخصف نعل رسول الله ﷺ ثم قال: أخرجه الثلاثة وأبو نعيم [(١)].

حديث علي:

وجاء الحديث عن علي عليه السلام في لفظ: (أمرني رسول الله أو عهد إلي رسول الله) أو (أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين) وروى عنه بسبعة أسانيد. كما في مجمع الزوائد، وتاريخ ابن عساكر من أربعة عشر طريقا وشرح المقاصد[(٢)]، كما رواه جمع من الصحابة عن علي عليه السلام ويطول المقام بذكرهم[(٣)]، وذكره في الاستيعاب ٣: ٥٣، وأسد الغابة ٤: ٣٣، والمستدرك ٣: ١٣٩، وتاريخ بغداد ٨: ٣٤٠.

⬅
والخطيب في تاريخ بغداد ١٣: ١٨٦ والبيهقي دلائل النبوة ٦: ٤٣٥، أبو نعيم في الحلية ١: ٦٧. فضائل الصحابة ٢: ٦٢٧. الاحسان بترتيب ابن حبان ٩: ٤٦. تاريخ بغداد ٨: ٤٣٣. ابن عساكر ترجمة أمير المؤمنين: ١٦٣.

(١) أسد الغابة ٤: ٢٨٢، والإصابة ٤: ٢٤٥ ينابيع المودة ١: ١٨٧. تاريخ ابن عساكر ٤٢: ٤٥٥.

(٢) المعجم الأوسط ٨: ٢١٣. كنز العمال ١١: ٢٩٢، ح٣١٥٥٢. الكامل ٢: ٢١٩. تاريخ ابن عساكر ٤٢: ٤٦٩. ميزان الاعتدال ١: ٥٨٤. البداية والنهاية ٧: ٣٣٨. النهاية في غريب الحديث ٤: ٦٠.

(٣) وذكرهم في الغدير ٣: ١٩٢. تاريخ بغداد ٨: ٣٤٠ عن خليد العصري، قال: سمعت أمير المؤمنين علياً.

وذكره عنه أصحاب اللغة في معاجمهم مثل ابن الأثير في النهاية: قال في حديث علي[١]: أمرت بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين أراد من الناكثين أهل الجمل وبالقاسطين أهل الشام وبالمارقين الخوارج وذكره ابن منظور في لسان العرب وتعرض الطريحي في مجمع البحرين، وتاج العروس[٢].

حديث عمار تقتلك الفئة الباغية:

حديث عمار تقتلك الفئة الباغية لقد جاء بعدة طرق [٣].

---

(١) النهاية في غريب الحديث ٤: ٦٠.

(٢) لسان العرب ٢: ١٩٦، وج٧: ٣٧٨. مجمع البحرين ٤: ٣٦٨. تاج العروس ١: ٦٥١، ج٥: ٢٠٦. وذكره في الاستيعاب ٣: ٥٣. أسد الغابة ٤: ٣٣.

(٣) بخمسة وعشرين طريقا في الغدير ٣: ٢٥٠ وفي ٩: ٢١ وذكر السيوطي في الخصائص ٢: ١٤٠ قال: متواتر رواه من الصحابة بضعة عشر، كما بينت ذلك في الأحاديث المتواترة، كما مر في الخصائص والاستيعاب ٢: ٤٣٦ قال: تواترت الاثار عن النبي بالحديث وهذا من اخباره بالغيب واعلام نبوته وهو من أصح الأحاديث. الإصابة ٢: ٥١٢، قال: تواترت الأحاديث.

ومن الذين رووا الحديث: صحيح مسلم ٨: ١٨٦. سنن الترمذي ٥: ٣٣٣. المستدرك ٢: ١٤٨، ج٣: ٣٨٦. ج٣٩١. مجمع الزوائد ٧: ٢٤٢، ج٩: ٢٩٦، ٢٩٨. تحفة الاحوذي ١٠: ٢٠٤ مسند أبي داود: ٢٢٣. الاستغاثة ١: ٥٤. المحلى ١١: ٩٧. العمدة (ابن البطريق): ٣٢٣. سبل السلام ١: ٩٥. شرح الأخبار ١: ٤٠٧. مسند أحمد ٥: ٣٠٧. ج٦: ٣٠٠. ج٦: ٣١١. سير اعلام النبلاء ١: ١٤٢، ج١: ٤٢٠. الإصابة ١: ٣٧١. أحكام القرآن (الجصاص): ٥٣٢. الدر المنثور ٤: ٣٧١. الدرجات الرفيعة (ابن معصوم): ٢٦٠. الكامل (ابن عدي) ٣: ٢٠٧ ـ ٢٠٨. علل الدار قطني ١١: ١٢٧. تاريخ بغداد ٧: ٤٢٥، ج١٣: ١٨٨. أسد الغابة ١: ٢٩. ج٤: ٤٦. تهذيب الكمال ١٠: ٣٨٩. ج١٧: ١١٤. ج٢١: ٢٢٤، ج٣٤: ١٩٦. نصب الراية (الزيعلي) ٥: ٤٧. مسند ابن الجعد: ١٨٢. الآحاد والمثاني ٣: ٤٣٦. السنن الكبرى ٥: ٧٥، ح٨٢٧٥، ج٥: ١٥٥، ح٨٥٤٤، ج٥: ١٥٥، ح٨٥٤٥. خصائص أمير المؤمنين (النسائي): ١٣٢، ١٣٣. المعجم الأوسط ٧: ٢٩١. المعجم الكبير ١: ٣٢، ج٥: ٢٢١، ٢٦٦، ج١٩: ٣٣١. تاريخ الطبري ٤: ٢٩. البداية والنهاية ٦: ٢٣٩. تاريخ ابن عساكر ←

وقاله ﷺ في مناسبات كثيرة منها في بناء المسجد وحفر الخندق وكلما لاحظ عمار أو مر عليه اتحفه بالحديث وتواتر الحديث بذلك[١] والحديث يكاد لا تخلو الصحاح[٢] والمسانيد والمعاجم منه وتصحيح سنده وبالفاظه العديدة ومنها:

ويحك يا ابن سمية تقتلك الفئة الباغية،

وفي لفظ تقتل عمار الفئة الباغية وقاتله في النار[٣]،

١٣: ٩، ٣٧٠، ج٢١: ٤١٥، ج٣٦: ٢٣١، ج٤٢: ٤٧٢، ج٣٧٢، ٤١٢، ٤١٥ ـ ٤٣٠. ج٦٧: ١٥٠، ج٦٨: ٢٧. ينابيع المودة١: ٣٨٥. غريب الحديث (ابن قتيبة) ١: ١٠٣. كنز العمال ٩: ١٦٩، و١١: ٣٦٧، ح٣١٧٦٢، و١١: ٧٢٢ـ ح٣٣٥٣٢، و١١: ٧٢٥، ح٣٣٥٤٩ـ ٣٣٥٦٤، و١٣: ٥٢٨، ح٣٧٣٦٧، و١٣: ٥٣٠، ح٣٧٣٧٢، و١٣: ٥٣٥، ح٣٧٣٩٢، و١٣: ٣٦، ح٣٧٣٩٩، و١٣: ٥٣٦، ح٣٧٤٠٠، ح٣٧٤٠١ـ ح٣٧٤٠٦.

(١) ونص على تواتره السيوطي في قطف الازهار: ١٠٤ والكتاني في نظم المتناثر: ٢٠٨.

(٢) مثل صحيح مسلم ٨: ١٨٦ وصحيح البخاري ٢: ٩٣ وج ١: ٦١ باب التعاون في بناء المساجد وباب مسح الغبار عن الناس.

(٣) مسند أحمد ٢: ١٦١. وج٣: ٥، وج٦: ٣٠٦. السنن الكبرى ٨: ١٨٩. فتح الباري ١: ٤١٥. مسند أبي داود: ٨٤، ٩٠، ٢٨٨، ٢٩٣. مسند ابن راهويه ٤: ١٤٦. السنن الكبرى ٥: ١٥٦، ح٨٥٤٦، ح٨٥٤٧، ٨٥٤٨. مسند أبي يعلى ٣: ٢٠٩.، ح١٦٤٥، و٧: ١٩٠٥، ح٤١٨١. المعجم الأوسط ٨: ٢٥٢. المعجم الكبير ٢٣: ٣٦٣. كنز العمال ١١: ٨٢٥، ح٣٣٥٤٨، و١١: ٧٢٧، ح٣٣٥٦١، و١٣: ٥٣٠، ح٣٧٣٧٤، ج١٣: ٥٣٥، ح٣٧٣٩٦، و١٣: ٥٣٨، ح٣٧٤٠٨. سير أعلام النبلاء ١: ٤١٩. أنساب الاشراف: ٣١٧. البداية والنهاية ٣: ٢٦٣. الطبقات الكبرى ١: ٢٤١، و٣: ٢٤٨، ٢٥١ ـ ٢٥٣. الثقات (ابن حبان) ١: ١٣٥، ١٤١، ٢: ٢٩١. ٤: ٢١٦. السيرة النبوية (ابن كثير) ٢: ٣٠٦. لسان العرب ٢: ٦٣٩. تاج العروس ٢: ٢٤٩.

وفي لفظ البخاري[١] ويح عمار تقتله الفئة الباغية يدعوهم إلى الجنة ويدعونه إلى النار،

وفي لفظة عن عمار قال: أخبرني حبيبي رسول الله ﷺ انه تقتلني الفئة الباغية وأن آخر زادي من الدنيا من لبن (أو شربة من لبن).

وعن ابن عباس قال رسول الله ﷺ في حديث: أن عمار ملئ إيمانا من قرنه إلى قدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه [٢].

وعن عائشة قالت ما أحد من أصحاب رسول الله إلا لو شئت لقلت فيه ما خلا عمارا فاني سمعت رسول الله يقول: ملأ إيمانا إلى مشاشة[٣].

ومن حديث أن عمارا مع الحق والحق معه يدور عمار مع الحق أينما دار وقاتل عمار في النار[٤] .

---

(١) صحيح البخاري ٣: ٢٠٧. الذهبي تاريخ الإسلام ٢: ١٧٩، وسير اعلام النبلاء ١: ٤١٩. وابن كثير في البداية ٣: ٢٦٤، ج٦: ٢٤٠، ج٧: ٢٩٦. تاريخ ابن خلدون ٢: ١٦٢.

(٢) حلية الاولياء ١: ١٣٩. تفسير الزمخشري ٢: ١٧٦. البيضاوي ١: ٦٨٣. تفسير الرازي ٥: ٣٦٥. تفسير الخازن ٣: ١٤٣، كنز العمال ١١: ٧٢٤، ح٣٣٥٤١. تفسير الآلوسي ١٤: ٢٣٧. فيض القدير ٤: ٤٧٣. تفسير العياشي ٢: ٢٧١.

(٣) الهيثمي مجمع الزوائد ٩: ٢٩٥ وتيسير الوصول ٣: ٢٧٩ والبداية والنهاية ٧: ٣١١ وكنز العمال ١١ : ٧٢١. سنن ابن ماجة ١: ٥٢. سنن النسائي ٨: ١١١. المستدرك ٣: ٣٩٢. فتح الباري ٧: ٧٢. المصنف ٧: ٢١٧.السنن الكبرى ٥: ٧٤، ح٨٢٧٣، ج٦: ٥٣٢. صحيح ابن حبان ١٥: ٥٥٢. الجامع الصغير (السيوطي) ٢: ١٧٨، ح٥٦٠٤. ج٢: ٥٣٩، ح٨٢٠٣. فيض القدير ٤: ٤٧٣. علل الدارقطني ٤: ١٥٢. تاريخ ابن عساكر ٤٣: ٣٥٩. أسد الغابة ٥: ٣٨٣. تهذيب الكمال ٢١: ٢٢٢. سير اعلام النبلاء ١: ٤١٣. تهذيب التهذيب ٧: ٣٥٨. الإصابة ٤: ٤٧٣. النهاية في غريب الحديث ٤: ٣٣٣.

(٤) الطبقات لابن سعد ٣: ٢٦٢. ومثله في تاريخ ابن عساكر ٤٣: ٤٧٦. الاستغاثة ١: ٥٤.

وأضاف بعض المتعصبين إلى الحديث عمار مع الحق أينما دار فقال: ما لم تغلب عليه ولهة الكبر كما حذفوا ما اثبت التاريخ وما وقع بينه وبين عثمان من مشاجرات عديدة وآخرها يوم حمل عمار رسالة المعترضين على عثمان فقام إليه مروان وركله برجليه حتى كسر أضلاعه وعثمان رفسه حتى فتق بطنه وبعد ان أغمي عليه رموه في الطريق وأخذته أم سلمة إلى بيتها إلى آخره والحديث طويل[1]، ونسبوا إليه الانحراف واستمالة ابن السوداء إلى غير ذلك.

كل ذلك دفاعا عن عثمان ومروان وتحفظا على كرامة معاوية ومثله الحديث إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق[2].

وعن جماعة من الصحابة، أن ابن سمية ما عرض عليه أمران قط إلا أخذ بالارشد منهما وبالفاظه العديدة[3].

ومن حديث: من عادى عمارا عاداه الله ومن أبغض عمارا ابغضه الله وبألفاظ أخرى مشابه[4].

والأحاديث في فضل عمار كثيرة لا يسعها هذا المختصر وقد تخصصت كتب مستقلة في أحواله وجهاده.

---

(١) انظر: الغدير ٩: ١٦.

(٢) ابن كثير في تاريخه ٧: ٣٠٠. النزاع والتخاصم (المقريزي): ١٠٧. سير أعلام النبلاء ١: ٤١٦. علل الدارقطني ٥: ٢٣٣.

(٣) مسند أحمد ١: ٣٨٩ و٦: ١١٧، سنن ابن ماجة ١: ٦٦، مصابيح البغوي ٢: ٢٨٨، تفسير القرطبي ١٠: ١٨١، تيسير الوصول ٣: ٢٨٩، كنز العمال ٦: ١٨٤، الإصابة ٢: ٥١٢.

(٤) مسند أحمد ٤: ٨٩، مستدرك الحاكم ٣: ٣٩١. تاريخ بغداد ١: ١٦٣ الاستيعاب ٢: ٤٣٥، أسد الغابة ٤: ٤٥. تاريخ ابن كثير ٧: ٣١١، الإصابة ٤: ٤٧٤ كنز العمال ١١: ٧٢٢، ح ٣٣٥٣٤. مجمع الزوائد ٩: ٢٩٣. السنن الكبرى ٥: ٧٣. الدر المنثور ٢: ١٧٦.

ولما كان عمار ووصفه النبي وانه دائماً يميل مع الحق والحق معه فليس بكثير عليه ذلك خاصة بعد أن اشاد الذكر الحكيم بنزول خمس آيات[1] في فضله وجهاده وصبر في بدء الدعوة الإسلامية مع أبويه ياسر وسمية.

عندما كانوا يعذبون في رمضاء مكة في الهجيرة وقول الرسول فيهم: صبرا آل ياسر أن موعدكم الجنة. وبلفظ ابشروا آل ياسر بالجنة [2].

وقتل ياسر معذبا وسمية التي مثلوا بها في سبيل دعوتهما للإسلام ومناصرة الرسول ﷺ.

واستمر عمار ملازما للنبي يتحفه بين آونة وأخرى مذكرا أصحابه بمكانة عمار عند الله تعالى وانتقل من بعده متابعا لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب في حاله وترحاله ولن يغيب عنه وصايا الرسول وامره بمتابعة علي عليه السلام وروى الأحاديث الكثيرة التي سمعها من النبي في فضل علي ولم يفارقه في حروبه الثلاثة وهي الأخرى التي سمعها من النبي في مقاتلة الناكثين والقاسطين والمارقين مع علي وتقتله الفئة الباغية ويحضر معه في وقعة الجمل لقتال الناكثين طلحة والزبير وعائشة ويحتج عليهم في الكثير من خطبه وأقواله التي سمعها من النبي.

كما لم يتخلف عن القاسطين الفئة الباغية ويخطب عليهم في ميادين الحرب مذكرا بأقوال الرسول وموجها خاصة إلى معاوية وعمرو بن العاص وثم يذكر

---

(١) وذكر منصلا الأميني في الغدير: ٩ عن جماعة من المفسرين.

(٢) الطبري في تاريخه ٤: ٢٧ ومجمع الزوائد ٩: ٢٩٣ واخرجه عن جماعة كما في كنز العمال ١١: ٧٢٨، ح٣٣٥٦٧. وسيرة ابن هشام ١: ٣٤٢ وحلية الاولياء ١: ١٤١. أسد الغابة ٤: ٤٤. الإصابة ٤: ٢٢٦. البداية والنهاية ٣: ٧٦.

جيشهم المغرر به ويقاتل ويبرز إلى الحرب مع ضعف جسمه وعمره تجاوز الرابع والتسعين.

واحتج به أبو أيوب الانصاري من حديث طويل واللفظ للحمويني قال أبو أيوب: سمعت رسول الله ﷺ يقول لعمار: أنه سيكون بعدي في أمتي هنات حتى يختلف السيف فيما بينهم وحتى يقتل بعضهم بعضاً وحتى يتبرأ بعضهم من بعض فإذا رأيت ذلك فعليك بهذا الاصلع عن يميني ـ يعني علي بن أبي طالب ـ فإن سلك الناس كلهم وادياً وسلك علي وادياً فاسلك وادي علي وخل الناس[(١)]،

يا عمار أن علياً لا يردك عن هدى ولا يدخلك على ردى،

يا عمار طاعة علي طاعتي وطاعتي طاعة الله...[(٢)].

وكان يقاتل ويقول اليوم ألقى الأحبة[(٣)] محمداً وحزبه وبهذا الاندفاع والصمود الذي اعتقد به ولم يفارقه وبعد وقوع الخلاف في صفين والنكسة كان يقول: والله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا إنا على الحق وأنهم على الباطل[(٤)].

---

(١) كما جاء الحديث بسند أخر وبلفظ وفيه أن سلك على وادياً وسلك الناس وادياً أخر الخ وذكره ابن عساكر ٣: ٢١٤ ترجمة أمير المؤمنين والخطيب تاريخ بغداد ١٣: ١٢٦ كنز العمال ١٢: ٢١٢ من طريق الديلمي وجامع الأحاديث أحمد صفر ٧: ٧١٢ باختصار وهو غير الأول.

(٢) الحمويني فرائد السمطين ١: ١٧٨ وينابيع المودة: ١٢٨ والخوارزمي في المناقب: ١٢٤ والهمداني مودة القربى وغيرهم.

(٣) تاريخ الطبري ٦: ٢٣، تاريخ ابن كثير ٧: ٣٦٩.

(٤) كفاية الطالب للكنجي: ١٧٥ وذكره في هامشه عن جماعة. والحمويني فرائد السمطين ١: ٢٨٦ والمناقب للخوارزمي: ١٦٥ وذكره أيضاً عن جماعة.

وعن ابن عبد الرحمن السلمي قال: شهدنا مع علي عليه السلام صفين فرأيت عمار بن ياسر لا يأخذ في ناحية ولا واد من أودية صفين إلا رأيت أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم يتبعونه كأنه علم لهم وسمعت عمارا يقول: يومئذ لهاشم بن عتبة يا هاشم تقدم الجنة تحت الابارقة اليوم القى الأحبة؛ محمداً وحزبه والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا إنا على الحق وأنهم على الباطل ثم قال: نحن ضربناكم على تنزيله فاليوم نضربكم على تأويله... الخ[1].

والخلاصة: فهذا عمار ومواقفه في بدء الدعوة وحتى آخر لحضة وقد مر علينا بعض أحاديث الرسول في فضله واخلاصه كما اثنى عليه الذكر الحكيم ووصفه بأنه قانت اناء الليل ساجدا وقائما يحذر الآخرة.

ويدع ربه بالغداة والعشي يريد وجهه، ووصفه قلبه مطمئن بالايمان ووعده وعدا حسناً فهو لاقيه.

ووصفه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأنه ملئ ايمانا إلى مشاشه(أو اخمص قدميه).

وتقتلة الفئة الباغية وقاتله وسالبه في النار ويدع إلى الجنه ويدعونه إلى النار إلى غيرها.

اجتهاد أبو الغادية قاتل عمار

وبعد الذي مر علينا من الآيات الكريمة والأحاديث النبوية في عمار بن ياسر فهل من العدل والانصاف أن نتابع ابن كثير وابن تيمية في الدفاع عن الفئة الباغية أو نقر لابن حزم في اجتهاده المزعوم في قولـه[2] وعمار رضي الله عنه قتله أبو الغادية إلى

---

(١) الاستيعاب ٢: ٤٢٣.

(٢) الفصل لابن حزم ٤: ١٦١.

أن يقول: فأبو الغادية ﷺ متأول مجتهد مخطئ فيه باع عليه مأجور اجرا واحداً.

فما أدري هل يريد ابن حزم أن نتابعه بهذا الاجتهاد المزعوم الذي عارض من النصوص الآيات الكريمة والسنة النبوية ونضرب بهما عرض الحائط.

او نعترف لـه بتحكمه واختلاق المعاذير بتبرير قتل المؤمن وسفك الدماء المحرمة أو التغاضي عن جهله بالسيرة والتاريخ.

﴿فَمَا لِهَـؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ [1].

فمعاذ الله من ذلك أن هذا إلا هو الضلال المبين.

وكأن الرجل قد تعامى وتناسى سيرة سلفه والضجة التي حدثت بعد قتل عمار والاضطراب الذي حصل في معسكر الشام وكادت الهزيمة أن تقع أو الانقلاب الداخلي بين صفوفهم لولا ابتكار الحبل والخداع من معاوية وابن العاص وتترسوا بها.

ومن حديث[2] وكان ذو الكلاع مع معاوية وقال لـه يوماً ولعمرو بن العاص: كيف تقاتل علياً وعمار بن ياسر فقال له: أن عمارا يعود إلينا ويقتل معنا فقتل ذو الكلاع قبل قتل عمار، ولما قتل عمار قال معاوية: لو كان ذو الكلاع حيا لمال بنصف الناس إلى علي. الحديث[3].

ومن حديث[4] لما سمع عمرو بن العاص بمقتل عمار فقام فزعا حتى دخل

(١) النساء: ٧٨.

(٢) السيرة الحلبية ٢: ٧٢.

(٣) أسد الغابة ٢: ١٤٣.

(٤) تاريخ الطبري ٦: ٢٣. تاريخ ابن كثير ٧: ٣٦٩.

على معاوية فقال له: ما شأنك؟ فقال: قتل عمار بن ياسر فقال: قتل عمار فماذا؟ فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: تقتله الفئة الباغية.

ولما سمع من عمرو بن العاص ما حدثه بالحديث المشهور قال له: انك شيخ أخرق ولا تزال تحدث بالحديث وأنت ترحض في بولك انحن قتلناه انما قتله علي وأصحابه جاؤا به حتى القوه بين رماحنا[1].

وعندما سمع الإمام بهذه المقالة يا سبحان فكان رسول الله هو الذي قتل حمزة وجاء به وكذا فلان وفلان وذكر ابن القيم الجوزية[2] انها من تأويلات أهل الشام الباطلة.

ثم قال لـه: أفسدت علي أهل الشام، أكل ما سمعت من رسول الله تقولـه؟ فقال: عمرو قلتها ولست أعلم الغيب ولا أدري أن صفين تكون قلتها وعمار يومئذ لك ولي وقد رويت أنت فيه مثل ما رويت.

ولهما في ذلك مناشدة شعرية منها:

تعاتبني أن قلت شيئاً سمعته وقد قلت لو انصفتنى مثله قبلي[3]

وذكر ابن سعد[4] من حديث وكان الذي قتل عمار بن ياسر أبو الغادية المزني طعنه برمح فسقط وكان يقاتل في محفة وقتل وهو ابن أربع وتسعين سنة

---

(1) الحاكم في المستدرك ٢: ١٠٠، ٣: ٣٨٦. مجمع الزوائد ٧: ٢٤١، ٩: ٢٩٦، ووثق رجاله نقلا عن دليل المتحرين: ١٣٣.

(2) الصواعق: ١٠.

(3) وذكرها ابن ابي الحديد في شرح النهج ٨: ٢٧.

(4) الطبقات الكبرى ٣: ٢٥٩. تاريخ ابن عساكر ١٦: ٣٧٠، و٤٣: ٤٧١. تهذيب الكمال ٢١: ٢٢٥.

فلما وقع اكب عليه رجل آخر فاحتز رأسه فاقبلا يختصمان فيه كلاهما يقول: أنا قتلته فقال عمرو بن العاص والله أن يختصمان إلا في النار فسمعها منه معاوية فلما انصرف الرجلان قال معاوية لعمر بن العاص: ما رأيت مثل ما صنعت قوم بذلوا أنفسهم دوننا تقول لهما انكما تختصمان في النار فقال عمرو: هو والله ذلك والله انك لتعلمه ولوددت أني مت قبل عشرين سنة[١].

غير أن معاوية استمر على عناده وبغيه وأبى ألا أن يكون رأس البغاة حتى بعد مقتل عمار وانتهاء وقعة صفين وهو غير نادم أو مبالا بما ارتكب واقترف.

وذكر ابن الأثير [٢] قولـه: أبو الغادية كان محبا في عثمان وهو قاتل عمار وكان إذا استأذن على معاوية وغيره يقول: قاتل عمار بالباب وكان يصف قتله لـه إذا سئل عنه ولا يباليه الحديث.

ويستمر التقدير والحفاوة بأبي الغادية من بني أمية واتباعهم.

وذكر ابن حجر [٣] أن أبا الغادية عاش إلى زمن الحجاج ودخل عليه فاكرمه الحجاج وقال له: أنت قتلت ابن سمية يعني عمارا قال: نعم.

فقال: من سره أن ينظر إلى عظيم الباع يوم القيامة فلينظر إلى هذا الذي قتل ابن سمية.

ثم سأله أبو الغادية حاجة فلم يجبه إليها فقال: نعطي لهم الدنيا ولا يعطونا منها ويزعم أني عظيم الباع يوم القيامة.

---

(١) الطبقات الكبرى ٣: ٢٥٩.

(٢) أسد الغابة ٥: ٢٦٧.

(٣) الإصابة ٧: ٢٥٩.

فاجابه الحجاج معترفا بواقع الحال... حتى قال: والله لو أن عمارا قتله أهل الأرض كلهم لدخلوا كلهم النار. فأين الاجتهاد والاجر والثواب لهذا الخبيث.

وذكر ابن أبي الحديد وقد روى عبد الرحمن المسعودي... قال: رأيت أبا بردة قال لأبي الغادية الجهني قاتل عمار بن ياسر: أأنت قتلت عمار؟ قال: نعم. قال: فناولني يدك فقبلها وقال: لا تمسك النار أبداً[١].

وروى أبو نعيم عن هشام بن المغيرة عن غضبان بن يزيد قال: رأيت أبا بردة قال لأبي الغادية قاتل عمار: مرحبا بأخي هاهنا هاهنا فاجلسه إلى جانبه وليس بغريب ذلك من أبي بردة ابن أبي موسى الأشعري الذي يرث البغض والعداء لأمير المؤمنين لا عن كلاله له، وذكره ابن أبي الحديد في المنحرفين عن أمير المؤمنين عليه السلام والمبغضين الغالين.

﴿وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [٢]. الآية.

---

(١) شرح النهج ٤: ٩٩.

(٢) سورة محمد: ١١.





الفصل العاشر

اجتهادات عائشة





في قتال أمير المؤمنين عليه السلام في حرب الجمل:

ان لأم المؤمنين عائشة الكثير من الاجتهادات في الأحكام والسنة النبوية وقد رد عليها عمر بن الخطاب في بعض المسائل وعثمان وأمير المؤمنين علي بن أبي طالب وأن اعترفت لـه ببعضها حتى جاء عنها نعم القول ما قاله على لأنه اعرف بالسنة منا أو اعرف بالقضاء واحيانا تحيل عليه الجواب إذا احرجت بالمشهور الذي خالفته فنقول بلى أن علياً أكثر ملازمة للرسول في حله وترحاله فهو أدرى بذلك وكما رد عليها وعارضها الكثير من الصحابة الكرام وبعض نساء النبي.

وكما جاء عنها امثال هذه الأحاديث في السيرة النبوية وسلوكها الحياتي مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم بما يشين مقام النبوة وكرامة الرسالة ونسبت لـه صلى الله عليه وآله وسلم انه نسي في بعض صلاته وانه كان يتبول قائما ولم يتحرج من الناضرين إليه وانه لم يعرف نفسه أنه كان نبيا حتى عرفه بعض السحرة بذلك وانه كان صلى الله عليه وآله وسلم يحملها على كتفه ويتفرجان معا على رقص السودان وغيره في مواطن اللهو في الاعياد بما يتحاشاه ابسط الناس ويخجل منه وامثال هذا كثير[1].

---

(١) ومن أراد المزيد فعليه مراجعة: (أحاديث أم المؤمنين عائشة) ٢: ٢٠٩ الى: ٢٣٠، والغدير للأميني، و(النص والاجتهاد) لشرف الدين في اجتهادات عائشة و(أضواء على السنة النبوية) وغيرهم.

ومن المؤسف الشديد أن يتناقلها الصحاح الستة والمسانيد المهمة عندهم ويعطونها أعلى درجات الصحة والثقة لأن الراوي لها أم المؤمنين عائشة لا غير بدون تبدير في النقل وتحقيق في الاسانيد وهي عادتهم الدءوبة تحفظا على كرامتها وكرامة أمثال ما جاء عن معاوية وابن العاص وخالد بن الوليد وو... وأضرابهم.

أو تحفظا على سمعة الرواة امثال أبي هريرة والمغيرة بن شعبة وسمرة وكعب الاحبار وغيرهم من القصاصين ممن حملوا الخرافات من الديانات السابقة وبهذا التعصب دخلت الأحاديث الإسرائيلية فشوهت من معالم الإسلام الحنيف والسيرة النبوية الصحيحة وتناسوا منزلة النبوة السامية التي نزهها سبحانه ووصفها ووصفه تعالى أنه رسول كريم وليس بقول ساحر أو مجنون وما ينطق عن الهوى أن هو إلا وحي يوحى علمه شديد القوى وغيرها من الآيات الكثيرة.

ومما يزيد الاسف واللوعة أن يفتحوا الباب على مصراعيه بهذه الاوهام السخيفة للكفرة وبعض المغرضين من الديانات البائدة ويتشبث بها من طغاة المستكبرين والمستعمرين للنيل من الإسلام والطعن بنبيه ﷺ الذي أرسله سبحانه رحمة للأمة، وهدى ونوراً، وهادياً ومبشراً، وسراجاً منيرا ما أرسالناه إلا رحمة للعالمين.

والخلاصة: وقد يطول الحديث عن اجتهادات أم المؤمنين وأحاديثها واختصره بما يتعلق في حربها ليوم الجمل المؤسف وقتل الالاف من المسلمين ونهب الأموال وهتك الأعراض ومخالفتها لتحذير النبي من ذالك اليوم المشؤوم واصرارها على الحرب عناداً لما تكنه من بغض لأمير المؤمنين وساندها شراذم من الأمويين ومن طمع بالأمرة والسلطة من طلحة والزبير وحاولوا بها جاهدين

لعزل من بايعوه ونكثوا بيعته وهم أول من بايع وأول من نكث تلك البيعة التي تمت باهل الحل والعقد وكافة المهاجرين والأنصار ولم يحدثنا التاريخ وأصحاب السير المعتمدة لبيعة تمت بمثلها من اجتماع المسلمين عليها ورضاهم بها لا من قبل ولا من بعد.

ولا يسع المجال لعرض واقعة الجمل وتفاصيل ما وقع فيها من أحداث وفرقة صفوف المسلمين وغيرها واعرض لنماذج من الإصرار والعناد لعائشة ومن معها من طامعين بالأمرة وحاقدين على الإمام عليه السلام والانحراف التاريخي وتغيير الحقائق وصاغوا بتلك الاساليب الرخيصة والمعاذير الواهية بالاجتهاد تارة وبالتوبة والندم أخرى رغم النصوص الصريحة في مقابل ذلك الاجتهاد المزعوم رغم التحذيرات الكثيرة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم لها من ذلك اليوم المشؤوم والخروج على إمام زمانها والتبرج الجاهلي ونهى كبار الصحابة لها قبل الواقعة وفي حومة الحرب ونهى أمهات المؤمنين لها واحتجاج الإمام المنصوب المفروض الطاعة عليها وعلى من خدعها بشن الحرب عليه وقتل المسلمين ونهب اموالهم وباختصار لنعرض صورة موجزة لتلك الاجتهاد أولاً.

نقل العلامة الحلي حديث طويل حول السيدة عائشة وأنها خالفت أمر الله في قوله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾[1]...

فأجاب ابن تيمية عن ذلك قائلاً: فهي لم تتبرج ﷺ اتبرج الجاهلية الأولى والأمر بالاستقرار في البيوت لا ينافي الخروج لمصلحة... إلى أن يقول: والمجتهد

(١) الاحزاب: ٣٣.

المخطئ مغفور لـه خطأه فالمغفرة لعائشة لكونها لم تقر في بيتها إذا كانت مجتهدة أولى إلى الخ... ومثله ابن كثير في تفسيره للاية حيث يقول: اجتهدت واخطأت وهي مثابة ومأجورة.

وذكر القرطبي في الاعتذار عنها (مجتهدة مصيبة مثابة في ما تأولت مأجورة فيما فعلت إذ كل مجتهد مصيب) [١].

وجاء عنها في حديث عن مجمع قال: دخلت مع أمي على عائشة فسألتها قالت أرأيت خروجك يوم الجمل قالت أنه كان قدرا من الله سبحانه وتعالى.

او كما ذكر البيهقي في حديث قيل لها كيف سرتِ إليه قالت: أنا نادمة وكان ذلك قدرا مقدورا وفي لفظه عن عروة في حديثه قلت ايش كان سبب خروجك عليه قالت لم تزوج ابوك امك قلت ذلك من قدر الله قالت وذلك من قدر الله فيظهر أن غلاة الجبرية منها اخذوا وعليها استندوا كما جاء عن القرطبي [٢] قال ابن عطية: بكاء عائشة انما كان بسبب سفرها أيام الجمل [٣] ولعلها اشارة لهذا الندم والبكاء كما جاء في أحاديث أخرى ومنها كما أوصت عند وفاتها أن لا تدفن مع النبي لأنها مستحية منه لأنها قد احدثت من بعده [٤].

وذكر القرطبي أيضاً قال ابن العربي تعلق الرافضة لعنهم الله بهذه الآية ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ الآية على أم المؤمنين عائشة إذ قالوا: انها خالفت أمر رسول الله

---

(١) تفسير القرطبي ١٤: ١٨٢.

(٢) شواهد التنزيل ٢: ٦٢. خصائص الوحي المبين: ١٠٦. نظم درر السمطين: ١٣٣.

(٣) تفسير القرطبي ١٤: ١٨١.

(٤) تقدم الحديث.

حين خرجت تقود الجيوش وتباشر الحروب وتقتحم مأزق الطعن والضرب فيما لم يفرض عليها ولا يجوز لها.

كما أخرج الخطيب في تاريخه عن عروه قال: ما ذكرت عائشة مسيرها في واقعة الجمل إلا بكت حتى تبل خمارها وتقول يا ليتني كنت نسيا منسيا[١]

ولنعرض لبعض أقوال الاشاعرة أن أصحاب الجمل اخطئوا ولكنه خطأ مغفور كخطأ المجتهد في بعض مسائل الفروع ولا يلزم به الكفر ولا الفسق ولا التبري ولا العداوة[٢].

وقال غيرهم: أنهم اجتهدوا فلا اثم عليهم ولا نحكم بخطأهم ولا خطأ على وأصحابه[٣].

وروى الجاحظ[٤] عن بعض السلف أنهم كانوا يقولون إذا ذكروا يوم الجمل: (هلكت الاتباع ونجت القادة).

---

(١) تاريخ بغداد ٩: ١٨٤. وذكره ابن الاثير في النهاية في غريب الحديث ٥: ٥١. والخوارزمي في المناقب: ١٨٢. وسبل الهدى والرشاد ١١: ١٧٠. ولسان العرب ١٥: ٣٢٤. وتاج العروس ١٠: ٣٦٧.

وعن عمارة بن عمير قال: حدثني من سمع عائشة إذا قرأت هذه الآية: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ فتبكي حتى تبل خمارها. طبقات ابن سعد ٨: ٨١. تفسير القرطبي ١٤: ١٨٠. الدر المنثور ٥: ١٩٦. تاريخ بغداد ٩: ١٨٤. سير اعلام النبلاء ٢: ١٧٧. أنساب الأشراف: ٢٦٦. المناقب للخوارزمي: ١٨٢.

(٢) أحاديث أم المؤمنين عائشة ١: ٢٥٣.

(٣) الملل والنحل ١: ١٤٤. الفصل ٤: ١٥٣.

(٤) العثمانية للجاحظ: ٢٤٦.

نبأ وفاة عثمان واستعداد عائشة للحرب

روى كافة أصحاب التواريخ وأهل السير واللفظ للطبري أن عائشة كانت يوم ذاك في مكة معتمرة ومعها بعض نساء النبي معتمرات أيضاً والتحق بها طلحة والزبير وبعد فراغها كرت راجعة إلى المدينة ولما انتهت إلى سرف لقيها عبد ابن أم كلاب وهو عبد ابن أم سلمة فقالت لـه مهيم قال: قتلوا عثمان فمكثوا ثمانيا قالت ثم صنعوا ماذا؟ قال: اخذها أهل المدينة بالاجتماع فجازت بهم الأمور إلى خير مجاز اجتمعوا على علي بن أبي طالب فقالت والله ليت هذه انطبقت على هذه أن تم الأمر لصاحبك ردوني ردوني فرجعت إلى مكة وهي تقول والله عثمان قتل مظلوما والله لاطلبن بدمه فقال لها ابن أم كلاب ولم فوالله أن أول من امال حرفه لانت وقد كنت تقولين اقتلوا نعثلا فقد كفر[1] قالت أنهم استتابوه ثم قتلوه وقد قلت وقالوا وقولي الاخير من قولي الأول فقال: لها ابن أم كلاب:

فمنك البداء ومنك الغير ومنك الرياح ومنك المطر
وانت أمرت بقتل الإمام وقلت لنا أنه قد كفر
فهبنا اطعناك في قتله وقاتله عندنا من أمر
ولم يسقط السقف من فوقنا ولم تنكسف شمسنا والقمر

(١) نعثل يهودي كان بالمدينة ورجل لحياني كان يشبه به عثمان وقول عائشة اقتلوا نعثلا فقد كفر تعني عثمان تاريخ الطبري ٤: ٤٥٩، الكامل لابن الأثير ٣: ٢٠٦، تذكرة الخواص ٦١: ٦٤، الإمام والسياسه ١: ١٠٥. وفي قول لها اقتلوا نعثلا قتل الله نعثل النهاية لابن الأثير ٥: ٨٠، تاج العروس ٨: ١٤١، لسان العرب ١٤: ١٩٣، شرح النهج ٢: ٧٧ وتتمه المراجعات رقم: ٨١٤ (ذكر بعضهم فقد فجر) السيرة الحلبية ٣: ٢٨٦، العسكري أحاديث أم المؤمنين عائشة: ١٠٥.

وقــد بــايع الـنـاس ذا تـدرأ يــزيل الشـباء يقـيم الصـعر
ويلـبس لـلحرب اثوابهـا ومـا مـن وفي مـثل مـن قد غدر [1]

قال: فانصرفت إلى مكة على باب المسجد فقصدت الحجر واجتمع الناس إليها فقالت: أيها الناس أن عثمان قتل مظلوما والله لاطلبن بدمه[2].

وأمثال هذا التناقض من عائشة كثير جدا فبينما كانت من أشد المعارضين لـه في حياته إذ اختلف الأمر بعد وفاته لتجعله السبب المبرر لخروجها للحرب ومثال ذالك ما نقله أصحاب السير عنها كما نص ابن أبي الحديد[3] أن عائشة كانت من أشد الناس على عثمان حتى انها اخرجت ثوبا من ثياب رسول الله فنصبته في منزلها وكانت تقول الداخلين إليها هذا ثوب رسول الله لم يبل وعثمان قد ابلى سنته[4] ومرة تخرج نعل رسول الله وتشهر بعثمان وكما أن طلحة والزبير من أشد المؤلبين عليه واشدهما كان طلحة [5] وهو ممن هجم عليه الدار وطعنه.

كما أن عائشة لها أقوال عديدة عند سماعها بمقتل عثمان تقول ابعدوا الله قتله ذنبه واقاده الله بعمله يا معشر قريش لا يسؤنكم قتل عثمان كما ساء اوحيمر ثمود قومه أحق الله بهذا الأمر لذو الاصبع ـ يعني طلحة ـ فلما جاءت الأخبار

---

(1) تاريخ الطبري ٣: ٤٧٧.
(2) الطبري ٥: ١٧٢. الكامل ٣: ١٠٥. الغدير ٩: ٨٠.
(3) شرح النهج ٢: ٧٧.
(4) تاريخ أبي الفداء ١: ١٧٢، أنساب الاشراف ٥: ٤٨: ٨٨، الأغاني لأبي الفرج ٤: ١٨٠، الغدير ٨: ١٢٣ وج ٩: ٧٧، المعيار والموازنه: ٢١، شيخ المضيره: ١٨١.
(5) تاريخ الطبري ٥: ١٢٢ الى: ١٦٥، ابن الأثير ٣: ٨٧، تاريخ ابن خلدون ٢: ٣٩٧، أنساب الاشراف ٥: ٤٤ الى ٩٠، الإمامة والسياسة ١: ٣٤ الغدير ٩: ٩١، شرح النهج ٢: ٥٠٦.

بيعة علي قالت تعسوا تعسوا... الخ[١].

وذكر بعضهم لما بلغها مقتل عثمان لم اشك في أن طلحة هو صاحب الأمر فقالت بعداً لنعثل وسحقا الخ[٢].

ولما أرادت عائشة الخروج للحرب جمعت إليها من بني أمية واتباعهم ممن هربوا من المدينة بعد مقتل عثمان فاداروا الرأي فقال بعضهم: نسير إلى علي فنقاتله فقالت عائشة وجماعة منهم ليس لكم طاقة باهل المدينة فقال: بعضهم نسير إلى الشام فقالت عائشة واخرون يكفيكم الشام معاوية ولكن نسير حتى ندخل البصرة والكوفة ولطلحة في الكوفة هوى والزبير بالبصرة اولياء فاتفقوا على ذلك وما خرجت من مكة حتى استنفدت ما في وسع الأمويين من نصرة لها لأن عدوهم واحد.

محاولة عائشة خداع بعض نساء النبي صلى الله عليه وآله وسلم :

ذكر أهل السير أن عائشة جاءت إلى أم سلمة تخادعها على الخروج معها للطلب بدم عثمان فقالت لها يا ابنة أبي أمية أنت أول مهاجرة من ازواج النبي وأنت اكبر أمهات المؤمنين وكان رسول الله يقسم لنا في بيتك وكان جبرئيل أكثر ما يكون في منزلك فقالت لها أم سلمة لامر ما قلت هذه المقالة، فقالت عائشة أن القوم استتابوا عثمان فلما تاب قتلوه صائما في الشهر الحرام وقد عزمت على الخروج إلى البصرة ومعي طلحة والزبير فاخرجي معنا لعل الله يصلح هذا الأمر على

---

(١) النص والاجتهاد: ٤٢٠.

(٢) الغدير ٩: ٨٢، أنساب الاشراف ٢: ٢١٧.

أيدينا فقالت أم سلمة انك كنت بالأمس تحرضين علي عثمان وتقولين فيه أخبث القول وما كان اسمه عندك إلا نعثلا وإنك لتعرفين منزلة على عند رسول الله.

أفأذكرك؟ قالت: نعم. قالت: أتذكرين يوم أقبل رسول الله... وذكرتها بحديث المناجاة مع علي عليه السلام ... [١].

فقالت عائشة نعم اذكر ذلك ثم قالت واذكرك أيضاً فذكرتها بحديث الحوأب... فقالت اذكر ذلك ثم قالت أم سلمة واذكري أيضاً يوم كنت أنا وأنت مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ... وذكرتها بحديث خاصف النعل... فقالت عائشة نعم اذكر ذلك...

فقالت أم سلمة فأي خروج تخرجين بعد هذا يا عائشة.. الخ [٢]

وروى أيضاً عن أم سلمة لما همت عائشة بالخروج[٣] قالت لها: يا عائشة انك سدة بين رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبين أمته حجابك مضروب على حرمته وقد جمع القرآن ذيلك فلا تندحيه وسكن الله عقيراك فلا تصحريها الله من وراء هذه الأمة قد علم رسول الله مكانك لو أراد أن يعهد فيك عهد بل قد نهاك عن الفرطة في البلاد ما كنت قائلة لو أن رسول الله قد عارضك باطراف الفلوات ناصة قلوصك قعوداً من منهل أن بعين الله مثواك وعلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تعرضين ولو أمرت بدخول الفردوس لاستحييت أن القى محمداً هاتكة حجابا جعله الله على فاجعليه

(١) الغدير ٩: ٨٣. شرح النهج ٦: ٢١٧.

(٢) النص والاجتهاد: ٤٣٠ نقلا عن المعيار والمؤانسة ٢٧: ٢٩، والغدير ٢: ٣١٩ وج ٩: ٨٣.

(٣) بلاغات النساء: ٨ (وفي نسخة كتبت إليها أم سلمة) وراجع الفائق للزمخشري ١: ٢٩٠ والعقد الفريد ٣: ٦٩، وشرح النهج ٢: ٧٩، ورواه اليعقوبي وابن قتيبة في غريب الحديث مع اختلاف بعض الألفاظ.

سترك وقاعة البيت قبرك حتى تلقيه وهو عنك راضٍ. وشرح ابن أبي الحديد الكلمات اللغوية.

وزاد في العقد الفريد بعد الحديث قول أم سلمة لعائشة ولو أني حدثتك بحديث سمعته من رسول الله ﷺ لنهشتني نهش الحية الرقطاء.

وروى البيهقي [١] أن أم سلمة حلفت أن لا تكلم عائشة من أجل مسيرها إلى حرب على فدخلت عليها عائشة يوماً وكلمتها فقالت أم سلمه الم انهك؟ ألم أقل لكِ؟ قالت: أني استغفر الله كلميني فقالت أم سلمة: يا حائط ألم أنهكِ؟ ألم أقل لكِ؟ فلم تكلمها أم سلمة حتى ماتت.

كما أن عائشة أرسلت إلى بعض أمهات المؤمنين تسألهن الخروج معها إلى البصرة فما أجابها إلا حفصة لكن أخاها عبد الله أتاها فعزم عليها بترك الخروج فحطت رحلها بعد أن همت[٢].

مواصلة مسير عائشة إلى ماء الحوأب:

وبهذا الإصرار والعناد تواصل مسيرة الحرب حتى تصل إلى ماء الحوأب[٣] فتنبحها كلابه وأن حديث: (تنبحها كلاب الحوأب) من الأحاديث المستفيضة وهو من أحاديث أعلام النبوة الغيبية التي صرح بها الرسول قبل وقوعها مخاطباً بها

---

(١) المحاسن والمساوئ ١: ٤٨١.

(٢) شرح النهج ٢: ٨٠، تاريخ الطبري ٥: ١٦٧ وص ١٦٩، الكامل في التاريخ ٣: ١٠٦ نقلا عن النص والاجتهاد: ٤٣٢.

(٣) وهو ماء لبني عامر بن صعصعة.

نسائه ومشيرا بها إلى عائشة وحذرهن مغبة الأمر وسمعه منه بعض الصحابة واحتج به على عائشة أمثال ما جاء عن حذيفة عندما قيل لـه يا حذيفة حدثنا ما سمعت من رسول الله قال: لو فعلت لرجتموني قلنا يا سبحان الله قال: لو حدثتكم أن بعض امهاتكم تغزوكم في كتيبة تضربكم بالسيف ما صدقتموني قالوا: سبحان الله ومن يصدقك بهذا قال: اتتكم الحميراء في كتيبة تسوق بها أعلاجها[1].

فقد روى جميع أهل السير والأخبار أن عائشة لما انتهت في مسيرها إلى ماء الحوأب نبحتها الكلاب حتى نفرت الإبل فقال: قائل من أصحابها ألا ترون ما أكثر كلاب الحوأب فامسكت أم المؤمنين بزمام بعيرها فقالت ردوني ردوني وأن الحديث بهذا جاء بصيغ عديدة مع تغيير بعض الالفاظ والمعنى سواء أعرض لبعضها باختصار أيتكن صاحبة الجمل الأدبب تخرج فتنبحها كلاب الحوأب يقتل حولها قتلى كثير وتنجو بعدما كادت تقتل [2].

---

(١) مستدرك الحاكم ٤: ٤٧١، الخصايص ٢: ١٣٧. المعجم الأوسط ٢: ٣٥. ملحق تنبحها كلاب الحوأب وبالصيغ المذكورة. الحاكم في المستدرك ٣: ١٢٠، مسند أحمد ٦: ٥٢ وص ٩٧، صحيح ابن حبان ٨: ٢٥٨، مجمع الزوائد ٧: ٢٣٤ وصححه الالباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ١: ٧٦٧ ونقل بصحيحه عن الحاكم والذهبي وابن حبان وابن كثير وابن حجر وقال: وعلى هذا فالحديث صحيح من اصح الأحاديث ولذلك تتابع الأئمة على تصحيحه قديما وحديثا ـ ونقله أصحاب التواريخ كالطبري في تاريخه ٣: ٤٧٥ وابن الأثير ٣: ٢١٠ وابن خلدون في تاريخه ٢: ١٥٥ وابن كثير في البداية ٧: ٢٤٢.

(٢) أخرجه البزار وأبو نعيم وابن أبي شيبة الماردي في الاعلام: ٨٢، الزمخشري في الفائق ١: ١٩٠، ابن الأثير في النهاية ٢: ١٠، الفيروزابادي في القاموس ١: ٦٥، القسطلاني في المواهب اللدنية ٢: ١٩٥، شرح الزرقاني ٧: ٢١٦، الهيثمي مجمع الزوائد ٢: ٢٣٤ ومثله في فتح الباري ١٣: ٤٥ وقال: رواه البزار ورجاله ثقات، كنز العمال ٦: ٨٣، الحلبي في السيره ٣: ٣١٢ والهيثمي أيضاً ٧: ٢٣٤، ←

وقولـه ﷺ: لهن كيف باحداكن إذا نبح عليها كلاب الحوأب[1].

وقولـه ﷺ: ايتكن التي تنبح عليها (تنبحها) كلاب الحوأب[2].

وقولـه ﷺ لعائشة: كأني بإحداكن قد نبحها كلاب الحوأب وإياك أن تكوني أنت يا حميراء[3].

وقولـه ﷺ لها يا حميراء كأني بك تنبحك كلاب الحوأب تقاتلين علياً وأنت لـه ظالمة[4] وقولـه ﷺ لها انظري يا حميراء أن تكوني أنتِ[5].

وفي لفظ ليت شعري أيتكن صاحبة الجمل الازب تنبحها كلاب الحوأب[6].

والعسقلاني فتح الباري ١٦: ١٦٥. وزيني دحلان في سيرته ٣: ١٩٣، هامش أمثلة عن ابن عباس شرح النهج ٢: ٨٠.

(١) أخرجه أحمد في المسند ٦: ٥٢ وكنز العمال ٦: ٨٤، مسند أبي يعلى ٨: ٢٨٢، فتح الباري بشرح صحيح البخاري ودلائل النبوة والخصايص ٢: ١٣٧ ومجمع الزوائد ٨: ٢٨٩، وكنز العمال ٦: ٨٣.

(٢) أحمد في مسنده ٦: ٩٧، تاريخ الطبري ٥: ١٧٨، كنز العمال ٦: ٨٤، مجمع الزوائد ٧: ٢٣٤ وقال: رجال أحمد رجال الصحاح تذكرة سبط بن الجوزي: ٣٩، السيرة الحلبية ٣: ٣١٣ وابن دحلان بهامشها ٣: ١٩٣، اسعاف الراغبين: ٦٧ والاستيعاب ٢: ٧٤٥ وقال: ابن عبد البر وهذا الحديث من اعلام نبوته ﷺ.

(٣) الإمامة والسياسة ١: ٥٦، تاريخ اليعقوبي ٢: ١٥٧، كنز العمال ٦: ٨٤.

(٤) وحديث الحوأب هذا حديث صحيح أخرجه الكثير منهم: مسند أحمد ٦: ٥٢، ص٩٧. مسند أبي يعلى ٨: ٢٨٢. المستدرك ٣: ١٢٠. فتح الباري ١٣: ٤٥. دلائل النبوة ٦: ٤١٠. البداية والنهاية ٦: ٢٣٦. صحيح ابن حبان ١٥: ١٢٦. مجمع الزوائد ٧: ٢٣٤. المصنف ٨: ٧٠٨. مسند ابن راهويه ٢: ٣٢. المعجم الأوسط ٦: ٢٣٤. كنز العمال ١١: ١٩٧، ح٣١٢٠٨. الكامل ٤: ٤٢٠. تاريخ ابن عساكر ٤٩: ٤٦٤. أنساب الأشراف: ٢٢٤.

(٥) سنن ابن ماجة ٢: ٨٢٧. المستدرك ٣: ١١٩. البداية والنهاية ٦: ٢٣٧.

(٦) مجمع الزوائد ٧: ٢٣٤. فتح الباري ١٣: ٤٥. الأنساب ٢: ٢٨٦. البداية والنهاية ٦: ٢٣٦.

وغير هذا كثير ما تناقلته السير وأهل الأخبار وفيما تقدم كفاية والغريب كما رأيت أن الحديث اخرجته بعض الصحاح فلا يجدي صراخ ابن العربي في العواصم والمعلق عليها الخطيب وحيث لم يجدوا مجال للطعن في سند الحديث أو التأويل في معناه أو التحريف في لفظه وبكل سهولة تحكموا بلا دليل ولا حجة فقالوا: أن النبي لم يقل ذلك ولم تقل عائشة وما يقول ابن العربي والخطيب في تنبأة الر... ﷺ الكثيرة في هذا المضمون كالحديث الذي مر قوله ﷺ مخاطبا أمير المؤمنين ستقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين والحديث قوله ﷺ سيكون بعدي قوم يقاتلون علياً حقاً على الله جهادهم... الخ[1].

وما قولهما في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم وقد أشار بقوله ... بيت عائشة فعن عبد الله قال: قام النبي ﷺ فأشار إلى مسكن عائشة ... هاهنا الفتنة هاهنا الفتنة حيث يطلع قرن الشيطان[2]. ولفظه عند مسلم خرج رسول الله ﷺ من بيت عائشة فقال: رأس الكفر من هاهنا من حيث يطلع قرن الشيطان[3].

وما رأيهما في قول عائشة في مواجهة الحقيقة التي سمعتها من النبي ... الموقف ولكن سبق اصرارها وعنادها تناست ذلك بخديعة ابن اختها ... الزور.

(١) مجمع الزوائد ٩: ١٣٤. المعجم الكبير ١: ٣٢١. كنز العمال ١١: ٦١٣، ح٣٢٩٧١ وج١٥ ص ١٠٢، ح٤٠٢٦٦. خصائص الوحي المبين: ٧٢.شواهد التنزيل ١: ٢٤٢.

(٢) صحيح البخاري ٤: ٤٦.

(٣) صحيح مسلم ٨: ١٨١. المصنف ٧: ٥٥٢.

واعرض لمثالين من ذلك:

أخرج الطبري وغيره لما سمعت عائشة ـ رضي الله عنها ـ نباح كلاب الحوأب فقالت أي ماء هذا فقالوا: الحوأب، فقالت: إنا لله وإنا إليه راجعون أني لهي قد سمعت رسول الله ﷺ يقول وعنده نساؤه ليت شعري ايتكن تنبحها كلاب الحوأب فأرادت الرجوع فأتاها عبد الله بن الزبير فزعم أنه قال: كذب من قال: إن هذا الحوأب ولم يزل حتى مضت[1]. وقيل اتوها باربعين شاهد إلى غير ذلك.

وقال العرني [2] لما طرقنا ماء الحوأب فنبحتها كلابها قالوا: أي ماء هذا قلت ماء الحوأب قال: فصرخت عائشة بأعلى صوتها ثم ضربت عضد بعيرها فاناخته ثم قالت: أنا والله صاحبة كلاب الحوأب طروقا ردوني (تقول ذلك ثلاثا) فاناخت واناخوا حولها... قال: فجاء عبد الله بن الزبير فقال: النجاء النجاء فقد أدرككم والله علي بن أبي طالب قال: فارتحلوا وشتموني.

فسارت بجيشها حتى انتهت إلى حفر أبي موسى قريبا من البصرة.

وما أن حطت رجالها في البصرة حتى استنجدت بالرؤساء وشيوخ القبائل في رسائل عديدة مثيرة فيهم النخوة والحمية وكاتبة بعض الصحابة مستنهضته فيهم العزائم لنصرتها في الحرب وخذلان علي بن أبي طالب ونقض بيعته واستبداله بابن عمها طلحة كما تمنته والقت الخطب الحماسية بين الحشود التي دعتها.

---

(١) تاريخ البطري ٣: ٤٨٥ ـ ٤٨٦. البداية والنهاية ٦: ٢٣٦. تاريخ ابن خلدون ٢: ١٥٥.

(٢) تاريخ الطبري ٤٧٥.

خطبة عائشة في البصرة:

وقالت في خطبتها: أن أمير المؤمنين عثمان كان قد غير وبدل ثم لم يزل يغسل ذلك بالتوبة حتى قتل مظلوماً تائباً وإنما نقموا عليه ضربه بالسوط وتأميره الشبان وحمايته موضع الغمامة فقتلوه محرما في الشهر الحرام.... حتى قالت: أما والله ليرونها بلايا عقيمة تنبه النائم وتقيم الجالس وليسلطن الله عليهم قوم لا يرحمونهم يسومونهم سوء العذاب..... أيها الناس وبايعتم ابن أبي طالب من غير مشورة من الجماعة ابتزازا وغصبا تروني اغضب لكم من سوط عثمان ولسانه ولا اغضب لعثمان من سيوفكم.

إلا أن عثمان قتل مظلوما فاطلبوا قتلته فإذا ظفرتم بهم فاقتلوهم ثم اجعلوا الأمر شورى بين الرهط الذين اختارهم أمير المؤمنين عمر ولا يدخل فيهم من شرك في دم عثمان [١].

وفي رواية الزهري[٢] قام طلحة والزبير خطيبين فقال طلحة: يا أهل البصرة توبة بحوبه إنما أردنا أن يستعتب أمير المؤمنين عثمان ولم نرد قتله فغلب سفهاء الناس الحلماء حتى قتلوه فقال الناس لطلحة: قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا[٣].

ثم قام الزبير وذكر قتل عثمان واظهر عيب علي فقام إليه رجل فقال: أيها الرجل أنصت حتى نتكلم فقال عبد الله بن الزبير: وما لك والكلام.

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٦. شرح النهج ٩: ٣١٥ ـ ٣١٦. أحاديث أم المؤمنين عائشة ١: ١٨٨.

(٢) الطبري ٥: ١٧٨.

(٣) ومثله جاء عن عبد الله بن حكيم بكتب كانا كتباها إليه، فقال طلحة: يا أبا محمد أما هذه كتبك إلينا قال: بلى، قال: فكتبت أمس فدعوتنا إلى خلع عثمان وقتله حتى إذا قتلته أتيتنا ثائراً بدمه. (أحاديث أم المؤمنين: ٢٥٤).

فقال العبدي في خطبة:... ثم بايعتم علياً من غير مشورة منا فما الذي نقمتم عليه فنقاتلـه هل استأثر بفيء أو عمل بغير الحق أو عمل شيئاً تنكرونه فنكون معكم عليه وإلا فما هذا فهموا بقتل ذلك الرجل فقام من دونه عشيرته فلما كان من الغد وثبوا عليه وعلى من كان معه فقتلوا سبعين رجلاً منهم(١).

كتابها إلى كعب بن سوار:

وروى ابن سعد وغيره من حديث أن الازد تأخرت عنهما لقعود كعب بن سوار وكان سيد الازد فانفذا إليه رسوليهما يسألانه النصرة لـهما والقتال معهما فأبى عليهما فصارا إليه واستأذنا عليه فلم يأذن لـهما وحجبها فصارا إلى عائشة فخبراها وسألاها أن تسير إليه فأبت وأرسلت إليه تدعوه إلى الحضور فاستعفاها من ذلك.

فقال طلحة والزبير: يا أم أن قعد عنا كعب قعدت عنا الازد كلـها وهي حي البصرة فاركبي إليه فإنك ان فعلت لم يخالفك وانقاد لرأيك فركبت بغلا وأحاط بها نفر من أهل البصرة وذهبت إلى كعب... حتى أشركته في الحرب وللازد أراجيز كثيرة في الحرب (٢).

كتابها إلى زيد بن صوحان:

وأخرج الطبري قال: لما قدمت عائشة رضي الله عنها البصرة كتبت إلى زيد بن صوحان: من عائشة ابنة أبي بكر أم المؤمنين حبيبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى ابنها

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٤٨٦.

(٢) راجع تفصيل ذلك في كتاب أحاديث أم المؤمنين عائشة ١: ٢٣١. الجمل: ١٧٢ ـ ١٧٣.

الخالص زيد بن صوحان أما بعد فإذا أتاك كتابي هذا فاقدم وانصرنا على أمرنا هذا فإن لم تفعل فخذل الناس عن علي.

فكتب إليها.... أما بعد فأنا ابنك الخالص أن اعتزلت هذا الأمر ورجعت إلى بينك وإلا فأنا أول من نابذك(١).

احتجاج ابن قدامة على عائشة:

وأخرج الطبري عن نصر بن مزاحم قال: واقبل جارية بن قدامة السعدي فقال: يا أم المؤمنين والله لقتل عثمان أهون من خروجك على هذا الجمل الملعون عرضة للسلاح أنه قد كان لك من الله ستر وحرمه فهتكت سترك وابحت حرمتك أنه من رأى قتالك فإنه قتلك أن كنت آتيتنا طائعة فارجعي إلى منزلك وأن كنت آتيتنا مستكرهة فاستعيني بالناس. قال: فخرج غلام شاب من بني سعد إلى طلحة والزبير فقال:... وأرى أمكما معكما فهل جئتم بنسائكما قال: لا، قال: فما أنا منكما في شيء واعتزل وقال السعدي:

في ذلك صنتم حلائلكم وقدتم أمكم ... هذا لعمرك قلة الإنصاف

أمرت بجر ذيولها في بيتها ... فهوت تشق البيد بالايجاف

غرضا يقاتل دونها أبناؤها ... بالنبل والخطى والأسياف

هتكت بطلحة والزبير ستورها ... هذا المخبر عنهم والكافي(٢)

ومن خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام في المعنى السابق قوله... فخرجوا يجرون

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٤٩٢.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٤٨٢. شرح النهج ٢: ٨١. جمهرة رسائل العرب ١: ٣٧٩.

حرمة رسول الله كما تُجر الأمة عند شرائها متوجهين بها إلى البصرة فحبسا نساءهما في بيوتهما وابرزا حبيس رسول الله لـهما ولغيرهما الخ... [(١)].

خطب أمير المؤمنين عليه السلام ورسائلـه قرب حرب الجمل:

إن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام لما سمع باستعداد القوم على حربه وتحشيده الجيوش عليها أرسل لعائشة وطلحة والزبير رسائل عديدة حذرهم مغبة الأمر واراقة دماء المسلمين وتحريم الخروج عليه بعد بيعتهم وتذكيرهم بأقوال الرسول في هذا النكث لبيعته وألقى عليهم الحجج الواضحة والعدول عنها قبل فوات الاوان وأن لا يجمعوا العار والنار في هذه الحرب واغراء الأمويين الالداء وغير ذلك وهي كثيرة جدا في فصول التاريخ وأصحاب السير كما لـه عليه السلام الخطب العديدة في نهج البلاغة في هذا المضمار واعرض لبعضها بإيجاز.

روى أصحاب السير والتاريخ واللفظ لابن الجوزي [(٢)] أن علياً عليه السلام لما قارب البصرة كتب إلى طلحة والزبير وعائشة ومن معهم كتاباً لتركيب الحجة عليهم:

بسم الله الرحمن الرحيم

من عبد الله على أمير المؤمنين إلى طلحة والزبير وعائشة سلام عليكم أما بعد يا طلحة والزبير قد علمتما أني لم أرد البيعة حتى أكرهت عليها وأنتما ممن

---

(١) نهج البلاغة ٢: ٨٥، خطبة [١٧٢]. وقال المسعودي وقام عمار بن ياسر بين الصفين وقال: أيها الناس ما أنصفتم نبيكم حيث كففتم عتقاء تلك الخدور وابرزتم عقيلته للسيوف .... الخ. نقلاً عن أحاديث أم المؤمنين: ٢٢٠.

(٢) تذكرة الخواص: ٦٩. مناقب الخوارزمي: ١٨٤.

رضى ببيعتي فإن كنتما بايعتما طائعين فتوبا إلى الله تعالى وارجعا عما أنتما عليه وأن كنتما بايعتما مكرهين فقد جعلتما لي السبيل عليكما باظهاركما الطاعة وكتمانكما المعصية وأنت يا طلحة يا شيخ المهاجرين وأنت يا زبير يا فارس قريش ودفعكما هذا الأمر قبل أن تدخلا فيه فكان اوسع لكما من خروجكما منه بعد اقراركما. وأنتِ يا عائشة فإنك خرجت من بيتك عاصية لله ولرسوله تطلبين أمراً كان عنك موضوعا ثم تزعمين انك تريدين الإصلاح بين المسلمين فخبريني ما للنساء وقود الجيوش والبروز للرجال والوقوع بين أهل القبلة وسفك الدماء المحترمة ثم انك طلبت على زعمك دم عثمان وما أنت وذاك وعثمان رجل من بني أمية وأنت من تيم ثم أنت بالأمس تقولين في ملأ من أصحاب رسول الله ﷺ اقتلوا نعثلا فقد كفر ثم تطلبين اليوم بدمه فاتقي الله وارجعي إلى بيتك واسبلي عليك سترك والسلام. فما أجابوه بشيء.

وفي رواية أخرى فأجابت يا بن أبي طالب جل الأمر عن العتاب ولن ندخل في طاعتك أبداً فاقض ما أنت قاض والسلام(١).

وفي تاريخ ابن الأعثم أن طلحة والزبير لم يكتبا إليه ولكنهما أجاباه: انك سرت مسيرا لـه ما بعده ولست راجعا وفي نفسك منه حاجه فامض لأمرك أما أنت فلست راضيا دون دخولنا في طاعتك ولسنا بداخلين فيها أبداً فاقض ما أنت قاض.

قال في خطبته استعدادا للحرب

(١) الإمامة والسياسة ١: ٩٠. جمهرة رسائل العرب ١: ٣٧٩. الفتوح لابن الاعثم ٢: ٣٠١.

روى ابن عبد البر [١] أن علياً قال في خطبته حين نهوضه إلى الجمل: ـ

أن الله عز وجل فرض الجهاد وجعل نصرته وناصره وما صلحت دنيا ولا دين إلا به ـ إلى يقول عليه السلام ـ: والله ما أنكروا عليّ شيئاً منكرا ولا استأثرت بمال ولا ملت بهوى وأنهم ليطلبون حقا تركوه ودما سفكوه ولقد ولوه دوني وأن كنت شريكهم في الإنكار لما أنكروه وما تبعة عثمان الدم إلا عندهم وأنهم لـهم الفئة الباغية بايعوني ونكثوا بيعتي وما استأنسوا بي حتى يعرفوا جوري من عدلي واني لراض بحجة الله عليهم وعلمه فيهم واني مع هذا لداعيهم ومعذر إليهم فإن قبلوا فالتوبة مقبولة والحق أولى ما انصرف إليه وأن أبوا أعطيتهم حد السيف وكفى به شافيا من باطل وناصرا والله أن طلحة والزبير وعائشة ليعلمون أني على الحق وهم مبطلون.

كتابه عليه السلام إلى عامله على البصرة عثمان بن حنيف

وكتب أمير المؤمنين إلى عاملـه لما بلغه مشارفة القوم البصرة قولـه عليه السلام: من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى عثمان بن حنيف أما بعد فإن البغاة عاهدوا الله ثم نكثوا وتوجهوا إلى مصرك وساقهم الشيطان لطلب ما لا يرضى الله به والله أشد بأسا واشد تنكيلا فإذا قدموا عليك فادعهم إلى الطاعة والرجوع إلى الوفاء بالعهد والميثاق الذي فارقونا عليه فإن اجابوا فاحسن جوارهم ما داموا عندك وأن أبوا إلا التمسك بحبل النكث والخلاف فناجزهم القتال حتى يحكم الله بينك وبينهم وهو خير الحاكمين.

---

(١) شرح النهج ٩: ٣١٢ـ ٣١٣. الاستيعاب برتجمة طلحة، والعقد الفريد في ذكر الجمل مع اختلاف، والاغاني ١١: ١١٩.

وكتبت كتابي هذا إليك من الربذة وأنا معجل إليك انشاء الله [١].

كتاب عامل علي عليه السلام إلى القوم:

ولما وصل الكتاب من أمير المؤمنين إلى عثمان بن حنيف ووصول عائشة وطلحة والزبير إلى حفر أبي موسى[٢] قريبا من البصرة فأرسل عثمان إلى أبي الأسود الدؤلي إلى القوم يعلم لـه علمهم فجاء حتى دخل على عائشة فسألـها عن مسيرها فقالت اطلب بدم عثمان.

قال: أنه ليس في البصرة من قتلة عثمان أحد.

قالت صدقت ولكنهم مع علي بن أبي طالب بالمدينة وجئت استنهض أهل البصرة لقتالـه أنغضب لكم من سوط عثمان ولا نغضب لعثمان من سيوفكم فقال: ما أنت من السوط والسيف انما أنت حبيس رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمرك أن تقري في بينك وتتلي كتاب ربك وليس على النساء قتال ولا لـهن الطلب بالدماء وأن علياً لأولى بعثمان منك وأمس رحما فانهما أبناء عبد مناف.

فقالت: ليست بمنصرفة حتى امضي لما قدمت إليه افتظن يا أبا الأسود أن أحدا يقدم على قتالي فقال: أما والله لتقاتلن قتالاً أهونه الشديد.

ثم قام فأتى الزبير فقال: يا أبا عبد الله عهد الناس بك وأنت يوم بويع أبو بكر آخذ بقائم سيفك تقول: لا أحد أولى بهذا الأمر من ابن أبي طالب وأين هذا المقام من ذاك.

---

(١) نقلاً عن كتاب أم المؤمنين عائشة: ٢٠١.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ٥٧، وشرح النهج ٢: ٨٠.

فذكر لـه دم عثمان قال: أنت وصاحبك وليتماه فيما بلغنا قال: فانطلق إلى طلحة فاسمع ما يقول: فذهب إلى طلحة فوجده سادرا في غيّه مصرا على الحرب والفتنة(١).

وفي رواية عن أبي الأسود قال: بعثني وعمران بن حصين عثمان ابن حنيف إلى عائشة فقلنا يا أم المؤمنين أخبرينا عن مسيرك هذا اعهده عهده رسول الله ﷺ أم رأى رايته قالت بل رأى رايته (٢).

وعن عوف الاعرابي قال: جاء رجل إلى طلحة والزبير وهما في المسجد بالبصرة قال: نشدتكما بالله في مسيركما اعهد اليكما فيه رسول الله ﷺ شيئا. فقام طلحة ولم يجبه فناشد الزبير فقال: لا ولكن بلغنا أن عندكم دراهم فجئنا نشارككم فيها(٣).

احتجاج الإمام عليه السلام على القوم:

وروى الطبري (٤) قال: سار علي من الزاوية يريد طلحة والزبير وعائشة وساروا يريدون عليا، فالتقوا عند موضع قصر عبيد الله بن زياد.... فاقاموا ثلاثة أيام لم يكن بينهم قتال يرسل إليهم علي ويكلمهم ويردعهم. ولم يذكر الطبري ما دار بينهم من كتب ومحاجات وإنما ذكر بعضها(٥) ما كتبه إليهم مع عمران بن

---

(١) شرح النهج ٦: ٢٢٦. النص والاجتهاد: ٣٤٧.

(٢) بلاغات النساء: ٩. أحاديث أم المؤمنين ١: ١٨٧. العقد الفريد ٣: ٩٨. البيان والتبيين ٢: ٢٠٩. مواقف الشيعة ٣: ١٧٧.

(٣) تاريخ الطبري ٣: ٤٩١.

(٤) تاريخ الطبري ٣: ٥١٤.

(٥) كما في شرح النهج ٢: ١٢٢. الإمامة والسياسة: ٦٥. تاريخ ابن الاعثم: ١٧٣ وغيرهم.

الحصين. الخ...

ولم يترك حجة إلا وأوضحها واستدل بها ولا عذرا تعللوا به إلا وفنده. ثم أرسل الإمام ابن عباس إلى الزبير خاصة وقال لـه لا تلقين طلحة فإنك أن تلقه تجده كالثور عاقصاً قرنه يركب الصعب ويقول الذلول ولكن الق الزبير فإنه ألين عريكة فقل لـه: يقول لك ابن خالك عرفتني بالحجاز وانكرتني بالعراق فما عدا مما بدا[1].

وفي رواية ابن عساكر يقول لك علي: نشدتك الله ألست بايعتني طائعا غير مكره فما الذي أحدثت فاستحلك به قتالي[2].

قال ابن عباس: قلت الكلمة للزبير فلم يزدني علي أن قال: قل لـه إنا مع الخوف الشديد لنطمع [3].

ثم أرسل أمير المؤمنين عبد الله بن عباس وزيد بن صوحان إلى عائشة [4] وقال لـهما ما خلاصته، اذهبا إلى عائشة وقولا لـها: أن الله أمرك أن تقري في بيتك وألا تخرجي منه وإنك لتعلمين ذلك غير أن جماعة قد اغروك فخرجت من بيتك فوقع الناس لاتفاقك معهم في البلاء والعناء وخير لك أن تعودي إلى بيتك ولا تحومي حول الخصام والقتال وأن لم تعودي ولم تطفئي هذه النائرة فإنها سوف تعقب القتال ويقتل فيها خلق كثير فاتقي الله يا عائشة وتوبي إلى الله فإن الله يقبل

---

(1) نهج البلاغة 1: 76. تاريخ الطبري 5: 199.

(2) تاريخ ابن عساكر 18: 410.

(3) شرح النهج 2: 165، وج9: 317. نهج السعادة 1: 293.

(4) نهج السعادة 1: 293. شرح النهج 2: 165. وج9: 317. تاريخ ابن الاعثم 2: 306.

التوبة من عباده ويعفو واياك أن يدفعك حب عبد الله بن الزبير وقرابة طلحة إلى أمر تعقبه النار.

فجاء إلى عائشة وبلغا رسالة الإمام إليها فقالت: أني لا ارد على ابن أبي طالب في الكلام لاني لا ابلغه في الحجاج فرجعا إليه وأخبراه بما قالت.

وفي رواية أخرى أن طلحة نادى بأصحابه ناجزوا القوم فانكم لا تقومون لحجاج ابن أبي طالب.

واحتجاجات الإمام عليه السلام على القوم كثيرة لا مجال لتفصيلها في هذا المختصر وأن تقدم بعضها واختمها بما احتج به على الزبير خاصة.

احتجاج الإمام عليه السلام على الزبير،

وقد احتج عليه خاصة في حومة الحرب وقابله وجها لوجه واستدعاه مناديا: يا زبير ونقلها عامة من كتب[١] في واقعة الجمل واللفظ للمسعودي[٢] قال: وخرج علي بنفسه حاسرا على بغلة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا سلاح عليه فنادى يا زبير أخرج إليّ فخرج شاكا سلاحه، فقيل لعائشة فقالت: واحرباه بأسماء. فقيل لها: أن علياً حاسر فاطمأنت واعتنق كل واحد منهما صاحبه.

فقال له علي: ويحك يا زبير ما الذي أخرجك؟!

قال: دم عثمان.

(١) مثل الطبري وابن الاعثم وابن أبي الحديد واليعقوبي وغيرهم.

(٢) مروج الذهب ٢: ٣٦٣.

قال: قتل الله أولانا بدم عثمان(١) أما تذكر قول رسول الله (وذكره بالحديث الذي مر) وهو قول الرسول للزبير ستقاتل علياً وأنت لـه ظالم الخ.

فقال الزبير: استغفر الله ولو ذكرتها ما خرجت(٢).

فقال: يا زبير ارجع فقال: كيف ارجع الآن وقد التقت حلقتا البطان، هذا والله العار الذي لا يغسل.

فقال: يا زبير ارجع بالعار قبل أن تجمع العار والنار، فرجع الزبير وهو يقول:

اخترت عارا على نار مؤججة ما إن يقوم لها خلق من الطين
نادى علي بأمر لست أجهله عار لعمرك في الدنيا وفي الدين
فقلت حسبك من عذل أبا حسن بعض الذي قلت منذ اليوم يكفيني

فقال لـه ابنه عبد الله: أين تدعنا ؟!

فقال: يا بني أذكرني أبو الحسن بأمر كنت قد نسيته.

فقال: لا والله ولكنك فررت من سيوف بني عبد المطلب فإنها طوال حداد تحملها فتيه انجاد!

وفي رواية ابن الأعثم وشرح النهج فقال الزبير: ما لك اخزاك الله من ولد ما اشأمك.

وفي رواية الطبري: لما رجع الزبير إلى عائشة فقال لـها: ما كنت في موطن

---

(١) وفي لفظ ابن الاعثم: أنت وطلحة وليتماه، وفي رواية اتطلب مني دم عثمان وأنت قتلته... الخ. الطبري ٣: ٥٢٠.

(٢) وفي لفظ الطبري: اللهم نعم ، ولو ذكرت ما سرت مسيري هذا والله لا أقاتلك أبداً... .

منذ عقلت إلا وأنا اعرف فيه أمري غير موطني هذا.... الخ [(١)].

كما احتج غير الإمام من بعض الصحابة على طلحة والزبير على هذه الحرب وبأقوال عديدة وذكر منها الغدير: الشيء الكثير وكتاب أم المؤمنين عائشة للعسكري وابن أبي الحديد في شرح النهج وغيرهم من المؤرخين وتركناها خشية التطويل.

ومن حديث لـه عليه السلام قال: ... وما تبعة عثمان إلا عندهم وأنهم الفئة الباغية والله أن طلحة والزبير وعائشة ليعلمون أني على الحق وأنهم مبطلون[(٢)].

وواقع الأحداث يدل على أن عائشة وطلحة والزبير لم يكن طلبهم بدم عثمان صادقا وذلك تواترا في نصرته حياً كانت عائشة وطلحة من أشد الناس عليه كما مر وإنما صار الطلب بدمه ذريعة للخروج على علي عليه السلام الذي كانت عائشة تجد عليه وكان طلحة والزبير قد سألاه أن يولى أحدهما البصرة والآخر الكوفة فأبى [(٣)].

بدء المعركة الصغرى:

ولما وصل طلحة والزبير وعائشة إلى البصرة وكان عامل علي عليها عثمان بن حنيف فأرسل إليهم الرسل كما تقدم ثم خرج إليهم في أصحابه وناشدهم الله والإسلام وذكرهما ببيعتهما علياً وحذرهم عاقبة الأمر... ثم قال: اللهم قد أعذرت إلى هذين الرجلين.

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٥١٤. أنساب الأشراف: ٢٥٥. تاريخ ابن عساكر ١٨: ٤٠٧. وكما صرح بها الزبير مع غلامه، وقال غير هذه فتنة فقال: تسميها فتنة وتقاتل بها.

(٢) الاستيعاب ٢: ٢١٣، نقلاً عن في رحاب العقيدة ١: ٥٢، وذكره غيره كثير.

(٣) البداية والنهاية ٧: ٢٥٣. شرح النهج ١: ٢٣٢. تاريخ الطبري ٣: ٤٥١ ـ ٤٥١. الكامل٣: ١٩٦.

ولم ينتهيا بل كتبوا إليه اخلاء دار الامارة [١] ودارت بينهما معركة دامية وقتال شديد حتى تحاجوا واصطلحوا في شروط وكتاب.

ورجع عثمان بن حنيف حتى دخل دار الامارة وقال لأصحابه: الحقوا رحمكم الله باهلكم وضعوا سلاحكم وداووا جرحاكم فمكثوا اياما ثم أن طلحة والزبير قالا أن قدم على ونحن على هذا الحال من القلة والضعف ليأخذن باعناقنا فاجمعا على مراسلة القبائل واستحالة العرب وارسال الرسل إلى الرؤساء يدعونهم للطلب بدم عثمان وخلع الإمام علي بن أبي طالب الخ... ولما تم الأمر لـهم.

وذكر اليعقوبي في تاريخه والمسعودي وابن عبد البر بترجمة حكيم بن جبلة واللفظ لـه: أن عثمان بن حنيف لما كتب كتاب الصلح بينه وبين طلحة والزبير وعائشة على أن يكفوا عن الحرب ويبقى هو في دار الامارة خليفة لعلي حتى يقدم علي عليه السلام فيرون رأيهم.

وفي رواية في العقد الفريد... ثم اصطلحوا وكتبوا بينهم الكتاب أن يكفوا عن القتال حتى يقدم علي بن أبي طالب ولعثمان دار الإمارة والمسجد الجامع وبيت المال فكفوا وبعد يومين نقضوا الصلح وغدروا به في ليلة ذات ريح وبرد شديد هجموا بعسكرهم إلى دار الامارة (وقيل في الجامع) واخذوا عثمان ثم انتهوا به إلى بيت المال وقتلوا حراسه السبابجة.

وفي رواية المسعودي قتل منهم سبعون رجلاً غير من جرح وخمسون من السبعين ضربت أعناقهم صبرا من بعد الأسر.

---

(١) وذكر الكتاب ابن أبي الحدي في شرح النهج ٢: ٤٩٧.

وفي رواية ابن أبي الحديد قال: كانت السبابجة القتلى يومئذ أربعمائة رجل. وقال: وكان غدر طلحة والزبير بعثمان أول غدر في الإسلام وكان السبابجة أول قوم ضربت أعناقهم من المسلمين صبرا.

وفي رواية الاستيعاب والطبري واللفظ لـه أنهم لما اخذوا عثمان أرسلوا أبان بن عثمان إلى عائشة يستشيرونها في أمره فقالت أقتلوه فقالت امرأة: نشدتك الله يا أم المؤمنين في عثمان وصحبته لرسول الله فقالت ردوا أبان فردوه فقالت احبسوه ولا تقتلوه. فقال (أبان) لو علمت انك تدعيني لـهذا لم ارجع. فقال لـهم مجاشع اضربوه وانتفوا شعر لحيته وراسه وحاجبيه وأشفار عينيه ولما تم الأمر لـهم خلال تلك الفتن برزت ربة الجمل إلى تسلم القيادة وكانت تلـهب الحماس في جيشها وتوجه الرسل إلى رؤساء القبائل وأشراف العرب تؤلبهم على أمير المؤمنين ونقض بيعته وتدعوهم لنصرتها. وأصبحت الآمرة والناهية وتنظيم العساكر وتعيين الأمراء وتعزل من تشاء وتأمر بقتل هذا وتعفو عن ذاك وتسجن آخرين وتمنح الأوسمة للقبائل المحيطة بجملها الذي كان بمثابة الراية الحربية لجيوشها في البصرة.... الخ.

وروما للاختصار فكل جملة في هذا الفصل تجد تفصيلـها ومصادرها في عامة التواريخ مثل الطبري وابن الأثير وابن الأعثم واليعقوبي والمسعودي وابن عساكر والبلاذري وابن قتيبة وابن أبي الحديد. وقد سمي ذلك اليوم يوم الجمل الأصغر.

بدء الحرب:

ومن المتسالم عليه ولا خلاف بين كتّاب التاريخ والسير، أن أمير المؤمنين لم

يبدأ بحرب في حروبه الثلاث حتى يبدؤنه فيرد عليهم وهكذا وقع في هذه الحرب.

روى الحاكم [(١)]: لما كان يوم الجمل نادى علي في الناس: لا يرمين رجل بسهم ولا يطعن برمح ولا يضرب بسيف ولا تبدءوا القوم بالقتال وكلموهم بألطف الكلام فإن هذا مقام من افلح فيه؛ فلح يوم القيامة. ثم أرسل بعض أصحابه مثل عمار وأقترب منهم وخاطب عائشة وجيشها وحذرهم مغبة الأمور فرشقوه بالسهام فعاد وأرسل شاب يحمل كتاب الله فرشفوه أيضاً[(٢)] وسقط الكتاب من يده ومات ولما عادت رسل الإمام من عند طلحة والزبير وعائشة يؤذنونه بالحرب[(٣)].

فقام أمير المؤمنين وحمد الله واثنى عليه وصلى على رسولـه ثم قال: أيها الناس أني قد راقبت هؤلاء القوم كي يرعووا او يرجعوا ووبختهم بنكثهم وعرفتهم بغيهم فلم يستجيبوا وقد بعثوا إلى أن ابرز الطعان واصبر للجلاد وإنما تمنيك نفسك اماني الباطل وتعدك الغرور. ألا هبلتهم الـهبول لقد كنت وما اهدد بالحرب ولا ارهب بالضرب ولقد انصف القارة من راماها فليرعدوا وليبرقوا فقد رأوني قديما وعرفوا نكايتي فكيف رأوني أنا أبو الحسن الذي فللت حد المشركين وفرقت جماعتهم وبذلك القلب ألقي عدوي اليوم واني لعلى ما وعدني ربي من النصر والتأييد وعلى يقين من أمري وفي غير شبهة من ديني.

أيها الناس أن الموت لا يفوته المقيم ولا يعجزه الـهارب ليس عن الموت

---

(١) المستدرك ٣: ٣٧١. السنن الكبرى ٨: ١٨٠. كنز العمال ١١: ٣٣٨.

(٢) وفي رواية: ان عائشة قالت: ارشقوه بالرماح.

(٣) تاريخ ابن الاعثم: ١٧٥. شرح النهج ١: ١٠١.

محيد ولا محيص... [١].

حتى قال: ثم مد يده بالدعاء وقال: اللهم أن طلحة نكث بيعتي وألب على عثمان حتى قتلـه ثم غضهني به ورماني اللهم فلا تمهلـه.

اللهم أن الزبير قطع رحمي ونكث بيعتي وظاهر علي عدوي فكفنيه اليوم بما شئت ثم نزل[٢].

قال ابن الأعثم ثم دنت العساكر بعضها إلى بعض واستعرض على جيوشه فبلغوا عشرين ألفا واستعرض طلحة والزبير فبلغوا ثلاثين الفا.

ونقل أهل السير والأخبار[٣] لما تزاحف الناس يوم الجمل والتقوا قال علي: لا تقاتلوا القوم حتى يبدءوكم فأنكم بحمد الله على حجة وكفاكم عنهم حتى يبدءوكم حجة أخرى وإذا قاتلتموهم فلا تجهزوا على جريح وإذا هزمتموهم فلا تتبعوا مدبرا ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل وإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا سترا ولا تدخلوا دارا ولا تأخذوا من أموالـهم شيئاً.

وفي رواية المسعودي بعده ولا تقربوا من أموالـهم إلا ما تجدونه في عسكرهم من سلاح أو كراع أو عبدا وأمه وما سوى ذلك فهو لورثتهم على كتاب.

وقبل بعده ولا تهيجوا امرأة وأن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم...

---

(١) شرح النهج ١: ٣٠٦. أمالي الطوسي: ١٦٩.

(٢) شرح النهج ١: ٣٠٦. الغدير ٩: ١٠١.

(٣) رواه اليعقوبي والمسعودي وابن الاعثم وفي شرح النهج ٩ك ١١١.

وروى الحاكم أن الزبير قال للاساورة الذين كانوا معه: ارموهم برشق كانه أراد أن ينشب القتال.

وان عائشة رمت الجيش بالحصا وقالت شاهت الوجوه الخ...

وقال المسعودي:.... وقام عمار بن ياسر بين الصفين وخاطب القوم وعائشة بالذات...

فتواتر عليه الرمي واتصل فحرك فرسه وزال عن موضعه ورجع فقال: ماذا تنتظر يا أمير المؤمنين وليس لك عند القوم إلا الحرب.

فرمى أصحاب الجمل [(١)] عسكر علي بالنبل رميا شديدا متتابعا فضج إليه أصحابه وقالوا عقرتنا سهامهم يا أمير المؤمنين وجيء برجل إليه وانه لفى فسطاط لـه صغير فقيل لـه: هذا فلان قد قتل فقال: اللهم أشهد ثم قال: اعذروا إلى القوم فأتى برجل آخر فقيل وهذا قد قتل فقال: اللهم أشهد اعذروا إلى القوم ثم أقبل عبد الله بن بديل ـ وهو من أصحاب رسول الله ـ يحمل أخاه وقد اصابه سهم فقتلـه فوضعه بين يدي علي وقال: يا أمير المؤمنين هذا أخي قد قتل فعند ذلك استرجع علي ودعا بدرع رسول الله ﷺ ذات القضول فلبسها. وطاف علي على أصحابه وهو يقرأ **﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاء وَالضَّرَّاء وَزُلْزِلُواْ حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللّهِ أَلا إِنَّ نَصْرَ اللّهِ قَرِيبٌ﴾**[(٢)].

---

(١) ابن الاعثم : ١٧٦. الاغاني ١٦: ١٢٧. شرح النهج ٩: ١١٢واللفظ له. وانظر: أنساب الأشراف: ٢٤٠، وتاريخ الطبري ٣: ٥٢١ ـ ٥٢٣.

(٢) البقرة: ٢١٤.

ثم قال: افرغ الله علينا وعليكم الصبر واعز لنا ولكم النصر وكان لنا ولكم ظهير في كل أمر.

ثم خرج الإمام علي وقد تعمم بعمامة سوداء فعبأ أصحابه وخرجت أم المؤمنين راكبة على الجمل وعبأت أصحابها[١].

وكان ذلك الجمل لواء أهل البصرة ولم يكن لواء غيره.

وذكر ابن أبي الحديد [٢] وكان جمل عائشة راية عسكر أهل البصرة قتلوا دونه كما تقتل الرجال تحت راياتها.

وأعطى علي رايته في أول الحرب إلى ابنه محمد بن الحنفية وقال محمد [٣]: دفع إلي أبي الراية يوم الجمل وقال: تقدم. فتقدمت حتى لم أجد متقدما إلا على رمح. قال تقدم لا أم لك فتكأكأت وقلت لا أجد متقدما إلا على سنان رمح فتناول الراية من يدي متناول لا أدري من هو فنظرت فإذا أبي بين يدي وهو يقول:

أنت التي غرك مني الحسنى ... يا عيش أن القوم قوم أعدا

الخ. وذكر بعضهم غير هذا الرجز.

واخذ خطام الجمل سبعون من قريش قتلوا كلهم ولم يكن بأخذ بخطام الجمل أحد إلا سالت نفسه، أو قطعت يده وجاءت بنو ناجية فاخذوا بخطام الجمل ولم يكن بأخذ الخطام أحد إلا سألت عائشة من هنا فسألت عنهم فقيل

---

(١) تاريخ ابن الاعثمك ١٧٦.

(٢) شرح النهج ١: ٢٥٢. وابن الاعثم: ١٧٦، ومثله ذكره اليعقوبي.

(٣) تاريخ الطبري ٣: ٥٢٤.

لـها بنو ناجية فقالت صبرا يا بني ناجية فاني اعرف فيكم شمائل قريش. قالوا: وبنو ناجية مطعون في نسبهم إلى قريش. فقتلوا حولـها جميعا.

وروى الطبري وكان عمرو بن يثربي يحضض قومه يوم الجمل وقد تعاوروا الخطام ويرتجزون... حتى قتل على الخطام أربعون رجلاً وقالت عائشة ما زال جملي معتدلا حتى فقدت اصوات بني ضبة[1].

وقال أيضاً: أن ضبة والازد اطافت بعائشة يوم الجمل وإذا رجال من الازد يأخذون بعر الجمل فيفتونه ويشمونه ويقولون بعر جمل أمّنا، ريحه ريح المسك[2]. وذكر ابن أبي الحديد أمثال هذه الأراجيز الشيء الكثير.

وقد سقط ثلاثة من قادتهم فرار الزبير وقتل طلحة وجرح عبد الله بن الزبير والحرب مع هنا قائمة والقبائل تلتف حول الجمل والموت والدماء حولـه والأبطال تتساقط كأوراق الشجر ولما حمل مالك الأشتر على ميسرتهم فمالت الميسرة إلى عائشة فلا ذوابها واعظمهم بنو ضبة وبنو عدي ثم عطفت الازد، وضبة، وناجية، وباهلة إلى الجمل فأحاطوا به واقتتل الناس حولـه قتالاً شديداً.

وان أم المؤمنين تمنح الأوسمة إلى القبائل وتثير عزائمهم فلما رأى أمير المؤمنين رق على الجميع وأن الحرب نحوه قبلية وعنصرية جاهلية ولكثرة الرمي على الجمل صار مثل القنفذ وبلغ من ضبة والازد أنهم كانوا حول الجمل يحامونه عنه ولقد كانت الرؤوس تندر عن الكراهل والأيدي تطيح من المعاصم وهم حول الجمل كالجراد الثابتة لا تتحلحل ولا تتزلزل.

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٥٢٧. انظر: تاريخ ابن خلدون ٢: ١٦٣.

(٢) تاريخ الطبري ٣: ٥٣٠.

واختلط الناس وضرب بعضهم بعضا وهم دون الجمل كالجبال كما خف قوم جاء أضعافهم.

فصرخ الإمام علي بأعلى صوته ويلكم اعقروا الجمل فإنه شيطان اعقروه والا فنيت العرب لا يزال السيف قائما وراكعا حتى يهوى هذا البعير إلى الأرض وفي رواية أن الإمام لما رأى هذا التعصب قال: ادعوا لي الأشتر وعمار فجاءا فقال: اذهبا فاعقرا هذا الجمل فإن الحرب لا يبوخ ضرامها ما دام حيا أنهم اتخذوه قبلة.

ويصدر العفو العام عن الجميع وإرجاع عائشة إلى بيتها في أحاديث كثيرة[١].

(١) انظر كتاب أحاديث أم المؤمنين: ٢٤٠.



الفصل الحادي عشر

اجتهادات يزيد بن معاوية





ألا نعجب كيف يحرف التاريخ وتعكس الوقائع الثابتة وتقلب الموازين الصحيحة وترى كيف تنتهك الأعراض وتسفك الدماء بقتل الآلاف من صلحاء الأمة وتهدر الكرامات وتبدد أموال المسلمين ويغفر لأصحاب الجرائم والمستبدين ويؤجروا عليها ويخرج من تبعاتها بكلمة بسيطة موجزة بانه مجتهدا متأولا مخطئاً كما تم ذلك لرأس الفئة الباغية معاوية وعمرو بن العاص[1] ومسلم بن عقبة وسمرة وأضرابهم.

وهكذا يأتي المجتهد الآخر يزيد الخمور والفجور ويعتذر عنه ويبرئ من ارجاسه وادانسه ويغفر لـه وينهي من لعنه أو ذكره بسوء وأيضاً بجملة خفيفة في اللسان ثقيلة في الميزان بانه مسلم لم يثبت كفره وانه إمام مجتهد[2] وهكذا يستمر ابن كثير ويبرر جرائم ويعتذر عنهم بقولـه: وحملوا ما صدر منه ـ أي يزيد ـ من سوء التصرفات على أنه تأول فاخطأ وقالوا أنه مع ذلك كان إماما فاسقا.... ولا يجوز الخروج عليه وأما ما ذكره أن يزيد لما بلغه خبر أهل المدينة وما جرى عليهم في وقعة الحرة فرح بذلك فرحا شديدا فإنه يرى أنه إمام وقد خرجوا عن طاعته وأمروا عليه غيره فلـه قتالـهم حتى يرجعوا إلى الطاعة ولزوم الجماعة[3].

---

(١) الفصل لابن حزم ٢: ٨٦. ابن كثير في تاريخه ٧: ٢٧٩.

(٢) تاريخ ابن كثير ٨: ٢٢٣. وج١٣: ٩.

(٣) البداية والنهاية ٨: ٢٤٥.

وبهذا الاجتهاد والتأويل يتسنى لـه ولإضرابه أن يدافعوا عن الطغاة البغاة بكل ما يستطيعون ولو على حساب الدين والحق وتصحيح الأباطيل وأن اعوزتهم المعاذير تشبثوا بالطحلب لاغراء البسطاء من الناس ونسبوه للاجتهاد وهو الباب الذي لا يغلق حتى في وجه المتجاهر بالفسق والفجور وتربى في احضان الرذيلة ومستنقع الدناءة. فمعاوية حين يأمر بسم الإمام السبط الحسن فهو من باب قتال بعضهم بعضا (١).

اجتهادات ابن تيمية وتأويلاته في نهضة الحسين عليه السلام.

لا يسع القول لبسط أحاديث الرسول في فضل الحسين السبط وعظيم منزلته والإشادة بنهضته المباركة المتممة لسنة جده في وجوب مقاومة الطغاة والمنحرفين ولا لسيرة الرسول مع الحسين منذ صباه وأخباره بما سيخلفه في نشر دعوة الإسلام الذي جاء به والتضحية من أجلـه فقد تضمنت ذلك كتب التاريخ والسير والحديث بفصول خاصة وافردوا لـها كتب مستقلة منذ قيامها وحتى يومنا ولـها منابر وأيام.

وللتعرف على تشويه المتعصبين من اتباع الأمويين بما ورثوه من أسلافهم قتلة الحسين من حقد وعداء فجاء الخلف يتبع السلف يتستر على جرائمهم وفضائحهم بقتل الحسين واخوته وأبنائه وأصحابه ومحبيه وسبي حريم عقائل النبوة ومخدرات الرسالة.

وبالتمويه على ذلك حاول تخفيف وقع المصاب والتقليل من شأن تلك

---

(١) منهاج السنة ٢: ٢٢٥.

النهضة التي هزت عروشهم واسفرت على انحرافهم عن الإسلام وفهمه.

ومن حديث للعقاد قال: وخير لبني الإنسان ألف مرة أن يكون فيهم خلق كخلق الحسين الذي اغضب يزيد بن معاوية من أن يكون جميع بني الإنسان على ذلك الخلق الذي يرضى به يزيد [١].

ويقول ابن تيمية في مثل هذا هو رأي فاسد فإن مفسدته أعظم من مصلحته وقل من خرج على امام ذي سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير.

وقال أيضاً: ولم يكن في خروجه مصلحة لا في دين ولا دنيا وكان خروجه وقتله من الفساد ما لم يكن يحصل أو قعد في بلده [٢].

حقا انها لغة وعاظ السلاطين وسيرة عبيد الملوك الذين لم يذوقوا طعم الحرية والكرامة ولم يعرفوا قيمة التضحية والاباء ولم يدركوا لرسالة السماء حقيقة ولم يتدبروا كتاب الله بما سنه من الجهاد في سبيله وفرضه على كافة عباده ولم يمجد أحدا بعد الأنبياء كتمجيده الشهداء في سبيله ومرضاته وطاعة أمره ومقاومة نهيه إذا فما بال الأنبياء والمرسلين واتباعهم من ذي قبل واستشهد الآلف منهم في سبيل إحقاق الحق ونشر دعوات السماء. وما بال سيدنا محمد ﷺ الذي قاوم فساد الجاهلية بحروب عديدة. فلو جلسوا في بيوتهم لكان أسلم.

وما بال أبنائه وخيار الأمة من الثائرين على الطغاة والمستبدين في طيلة القرون وهزوا عروش اسياده من قبل الغيارى على قيم دينهم وكرامة بلادهم

(١) عباس محمود العقاد / أبو الشهداء: ١٠٨.

(٢) منهاج السنة ٢: ٢٤١.

وامتهم وحقاً انها فكرة أبناء الدنيا ممن يلـهث على المصالح الشخصية الذين تقنعوا بالذل والـهوان وخضعوا للسلطة الجائرة وصفقوا الغالب المستكبر مهما كان وما أراد وحقاً أنهم لم يعرفوا أهداف ثورة الحسين ونهضته حق معرفتها كما قدسها كبراء الشرق والغرب واعترف بها البعيد واعتز بها القريب وجعل منها سراجا منيرا يضيء الدرب للسائرين في طريق طلاب الحق والحرية.

وخشية التطويل اختصر القول لواحد من المستشرقين الذين لا تشده العقيدة لدين الإسلام ولا التطرف الطائفي بعكس ابن تيمية وتأويلاته فيقول المستشرق الالماني ماربين: أن حركة الحسين في خروجه على يزيد كانت عزمة قلب كبير عز عليه الاذعان وعز عليه النصر العاجل فخرج باهلـه وذويه ذلك الخروج الذي يبلغ به النصر الآجل بعد موته ويحيّ به قضية مخذولة ليس لـها بغير ذلك حياة [1]

ويقف العقاد على اوهام بعضهم ممن انخدع بافكار ابن تيمية وابن كثير وأضرابهم ممن استولى عليهم التعصب الاعمى فابتعدوا عن التاريخ الصحيح ومجرى الأحداث خاصة بما يتعلق باهل البيت.

فيقول: أن بعض المؤرخين من المستشرقين وضعاف الفهم من الشرقيين ينسون هذه الحقيقة ولا يولونها نصيبا من الرجحان في كف الميزان وكان خليقا بهؤلاء أن يذكروا أن مسألـه العقيدة الدينية في نفس الحسين لم تكن مسألة مزاج أو مساومة وانه كان رجلاً يؤمن اقوى الإيمان بأحكام الإسلام ويعتقد أشد الاعتقاد أن تعطيل حدود الدين هو اكبر بلاء يحيق به وباهلـه وبالأمة قاطبة في حاضرها ومصيرها لأنه مسلم ولانه سبط محمد فمن كان اسلامه هداية نفس

---

(١) أبو الشهداء: ١١٨ عن ماربين في كتابه السياسة الإسلامية.

فالاسلام عند الحسين هداية نفس وشرف بيت [(١)].

ويأتي ابن خلدون بأمر جديد بعد أن استعصى عليه أمر الحسين فلم يفته تبرير فسق الفاسقين وظلمهم وحاول بلباقه أن يجمع بين النقيضين وهو محال في جمعه بين الحق والباطل والصحيح والخطأ فيساوي بين المعتدي الغاشم والمعتدى عليه المظلوم فيقول: والحسين فيها شهيد مثاب وهو على حق واجتهاد والذين كانوا مع يزيد على حق أيضاً واجتهاد [(٢)].

فمن هو الذي على باطل ومن هو الذي يستحق القتل.

ومن أراد المزيد على اسس ونظام تلك الثورة المباركة فليرجع إلى خطب الإمام الحسين ورسائلـه واختصر القول على البيان الأول لتلك الثورة الكبرى فقال عليه السلام: أيها الناس، ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جدي قال: من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرام الله ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله يعمل في عباد الله بالاثم والعدوان فلم يغير ما عليه بفعل ولا قول كان على الله أن يدخلـه مدخلـه.

ألا وان هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان وتركوا طاعة الرحمن واظهروا الفساد وعطلوا الحدود واستأثروا بالفيء واحلوا حرام الله وحرموا حلالـه وأنا أحق من غير [(٣)].

لا والله لا أعطيهم بيدي إعطاء الذليل ولا اقر لـهم إقرار العبيد [(٤)].

---

(١) أبو الشهداء: ١١٨ عن ماربين في كتابه السياسة الإسلامية.

(٢) تاريخ ابن خلدون ١: ٢١٧.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٣٠٤. الكامل في التاريخ ٤: ٦٢.

(٤) تاريخ الطبري ٤: ٣٢٣. البداية والنهاية ٨: ١٩٤. ينابيع المودة ٣: ٦٦. الكامل في التاريخ ٤: ٤٨.

تأويل ابن تيمية لوقعة الحرة:

ويقول الشيخ ابن تيمية: فأما أهل الحرة لما خلعوا يزيد واخرجوا نوابه أرسله إليهم مرة بعد أخرى يطلب الطاعة فامتنعوا فأرسل إليهم مسلم بن عقبه وأمره إذا ظهر عليهم أن يبيح المدينة ثلاثة أيام وهذا الذي عظم إنكار الناس لـه من فعل يزيد[١].

وبالرغم من كل ما جرى في تلك الواقعة الدامية وقتل أهل المدينة وفيهم الصحابة والمهاجرين والأنصار وأبنائهم والقراء وعامة الناس وتقدم تفصيلـها فلا حاجة للتكرار.

ويحاول شيخ الإسلام أن يرد ماء وجه إمامه يزيد بقولـه وكان لـه موقف في القسطنطينية وهو أول جيش غزاها ما يعد من الحسنات [٢].

وتعرض لذكر هذه الغزوة جمع من المؤرخين فلم ينسبوا ليزيد أي حسنة تذكر غير شرب الخمر اللهو [٣].

ويعتذر عنه بأقوال كثيرة ومنها قولـه: فمن أين يعلم الإنسان أن يزيد لم يتب من هذه أو لم تكن لـه حسنات ماحية.

نعم يا شيخ أنه لم يتب ـ أن قبلت لـه توبة ـ واثبت التاريخ في سبب موته أقوالاً لم تثبت لـه توبة ومنها أنه سقط من على ظهر القرد الذي طاش به ومات وهو ثمل.

---

(١) منهاج السنة ٢: ٢٥٣.

(٢) رأس الحسين عليه السلام: ٢٠٧.

(٣) راجع تفصيلـه في كتاب ابن تيمية لصائب عبدالحميد: ٣٧٣.

وهكذا يستمر ابن تيمية مدافعاً عن سيده بالتأويل تارة وبتلفيق الاعذار وتخفيف هول الواقعة مرة أخرى.

فيقول لكنه (أي يزيد) لم يقتل جميع الاشراف ولا بلغ عدد القتلى عشرة آلاف ولا وصلت الدماء إلى قبر النبي ﷺ (١).

وليت ابن تيمية ابدل بهذه الاعذار الواهية والتأويلات المختلفة بجرائم سيده وتعرض ولو ليسير الأسباب خروج أهل المدينة او لأي شيء كانت الواقعة وماذا أراد منهم يزيد بعدها.

نعم أراد منهم ما يخرج أمامه الذي دافع عنه وتأول لـه من ابسط مفاهيم الإسلام فقد تكبر واستعلاء واراد منهم من صحابة الرسول ولمن بقى حبا من المهاجرين والأنصار أن يكون عبيد ليزيد بن معاوية ومن أبى ضربت عنقه ومر تفصيلـه.

ولا احسب أن هذا يستنكره ابن تيمية ولربما يسنده إلى التأويل فلم يفعلـه يزيد إلا لحفظ ملكه وسلطانه.

تأويل إحراق الكعبة:

لما قضى جيش يزيد على حركة أهل المدينة والامتناع عن بيعته في وقعة الحرة توجه إلى مكة قاصدا ابن الزبير وحاصروه ورموه بالمنجنيق حتى احرقوا استارها وصعد قاضى ابن الزبير ينادي: يا أهل الشام هذا حرم الله الذي كان مأمنا في الجاهلية فاتقوا الله.

---

(١) منهاج السنة ٢: ٢٥٣.

فيصيح الشاميون الطاعة الطاعة، الكره الكره الرواح قبل المساء فلم يزالوا على ذلك حتى احترقت الكعبة وقال أهل الشام: أن الحرمة والطاعة اجتمعتا فغلبت طاعة السلطان على حرمة الله ومر تفصيلـه.

فيقول ابن تيمية: أن حريق الكعبة لم يقصده يزيد وإنما كان مقصوده حصار ابن الزبير والضرب بالمنجنيق كان لـه لا للكعبة ويزيد لم يهدم الكعبة ولم يقصد احراقها.... [1]

ومن أراد المزيد فيراجع إلى كتب التاريخ وأهل السير ليعرف قيمة هذه التخريجات والتاويل لتبرير تلك الجرائم بهتك حرمة الكعبة واهانة البيت الحرام وقبلة المسلمين ولكن ليس من العجب قول الماركسية: (الدين افيون الشعوب) فإذا كان شيوخ الإسلام آلة لتمهيد دنيا الخليفة الخليع المستهتر بمقدسات الإسلام وتصحيح كل خطأ لـه في قول وفعل ويختلق التاويل بعدم الجدية أو الاجتهاد الذي يؤجر ويثاب عليه ويمنع من سبه ولعنه.

بعدما صنفت كتب عديدة في تجويز لعنه مثل الرد على المتعصب العنيد لابن الجوزي وذكره ابن تيمية [2].

وكتب القاضي ابن يعلى الفراء كتاباً في بيان من يستحق اللعن وذكر فيهم يزيد وقال: الممتنع من ذلك أما أن يكون غير عالم بجواز ذلك أو منافقا يريد أن يوهم بذلك وكما جاء عن الإمام أحمد بن حنبل في حديث طويل قولـه: ولم لا

---

(١) منهاج السنة ٢: ٢٥٤.

(٢) منهاج السنة ٢: ٢٥٣.

يلعن من لعنه الله تعالى [١] ولأحمد قول آخر وقد ذكر أحمد في حق يزيد ما يزيد على لعنه [٢].

وذكر العماد الحنبلي[٣]، قال التفتازاني في (شرح العقائد النسفية): اتفقوا على جواز اللعن على من قتل الحسين أو أمر به أو اجازه أو رضى به والحق أن رضا يزيد بقتل الحسين واستبشاره بذلك واهانته أهل بيت رسول الله ﷺ مما تواتر معناه وأن كان تفصيلــه آحاد فنحن لا نتوقف في شأنه بل كفره وإيمانه لعنة الله عليه وعلى أنصاره وأعوانه.

---

(١) وهذا القدر جاء في نسخة الرد على المتعصب العنيد بتحقيق المحمودي كما في الصواعق: ٢٢٢، عن كتاب ابن الجوزي، ونقل الشبراوي عنه ابن الجوزي أكثر من هذا نقلاً عن ابن تيمية: ٣٨١ لصائب عبدالحميد.

(٢) الرد على المتعصب: ١٣.

(٣) شرح أصول الكافي (المازندراني) ٥: ٢٥٥. نقلاً عن العقائد النسفية. شذرات الذهب ١: ٦٨

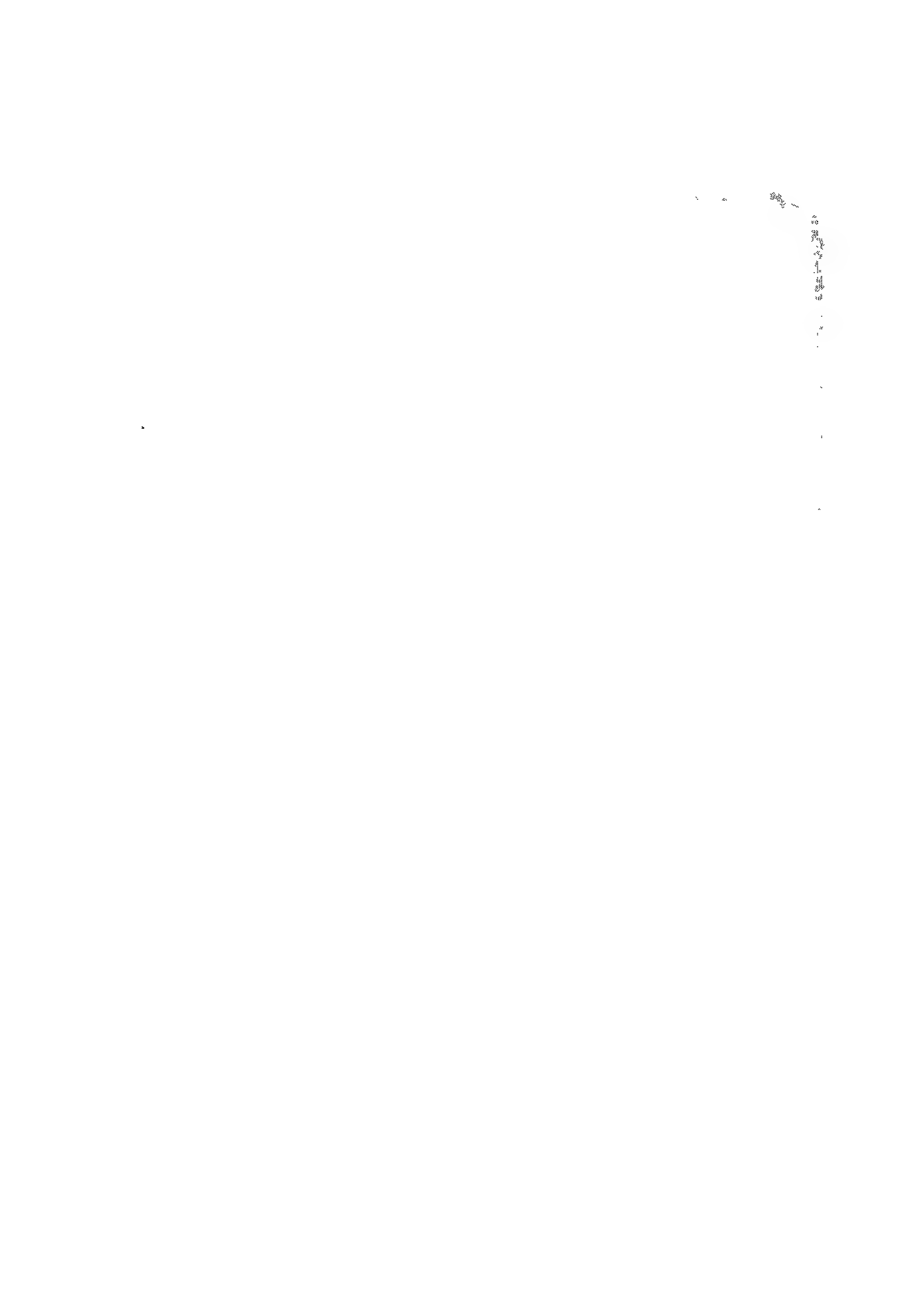




الفصل الثاني عشر

رسائل معاوية لجميع الأقطار





روى المدائني في كتاب الأحداث قال: كتب معاوية نسخة واحدة إلى عمالـه (بعد عام الجماعة) أن برئت الذمة ممن روى شيئاً من فضائل أبي تراب وأهل بيته وكان أشد الناس بلاءا أهل الكوفة.

وكتب معاوية [1] إلى عمالـه في جميع الافاق: ألا يجيزوا لأحد من شيعة علي وأهل بيته شهادة.

وكتب إليهم أن أنظروا من قبلكم من شيعة عثمان ومحبيه وأهل ولايته والذين يروون فضائلـه ومناقبه فادنوا مجالسهم وقربوهم واكرموهم وأكتبوا إلي بكل ما يروي كل رجل منهم واسمه واسم أبيه وعشيرته ففعلوا ذلك حتى اكثروا من فضائل عثمان ومناقبه لما كان يبعث إليهم معاوية من الصلات والكساء والحباء والقطايع ويفضيه في العرب منهم والموالي فكثر ذلك في كل مصر وتنافسوا في المنازل والدنيا فليس يأتي مردود من الناس عاملا من عمال معاوية فيروي في عثمان فضيلة أو منقبة إلا كتب اسمه وقربه وشفعه فلبثوا بذلك حينا.

ثم كتب إلى عمالـه أن الحديث في عثمان قد كثر وفشا في كل مصر وفي كل وجه وناحية فإذا جاءكم كتابي هذا فادعوا الناس إلى الرواية في فضائل الصحابة

---

(١) الغدير ١١: ٢٨. أضواء على الصحيحين: ٥٣. شرح النهج ١١: ٤٤. الدرجات الرفيعة: ٦. النصائح الكافية: ٩٧. ونقله أحمد أمين في فجر الإسلام: ٢٧٥.

والخلفاء الأولين ولا تتركوا خبر يرويه أحد من المسلمين في أبي تراب إلا وتأتوني بمناقض لـه في الصحابة فإن هذا أحب إلي واقر إلى عيني وادحض لحجة أبي تراب وشيعته واشد عليهم من مناقب عثمان وفضلـه.

فقرئت كتبه على الناس فرويت أخبار كثيرة في مناقب الصحابة مفتعلة لا حقيقة لـها وجرى الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى اشادوا بذكر ذلك على المنابر والقى إلى معلمي الكتاتيب فعلموا صبيانهم وغلمانهم من ذلك الكثير الواسع حتى رووه وتعلموه كما يتعلمون القرآن وحتى علموه بناتهم ونسائهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك إلى ما شاء الله.

فضهرت أحاديث كثيرة موضوعة وبهتان منتشر ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة وكان أعظم الناس في ذلك بلية القراء المراؤون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم ويقربون مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى ايدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها وهم يضنون انها حق ولو علموا انها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها [(١)].

ومن كتاب لمعاوية قولـه أنظروا من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان واسقطوا عطائه ورزقه ومن اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به وهدموا داره... [(٢)].

---

(١) وضوء النبي ١: ٢٥٤. وللمدائني ترجمة وافية ووثقه الذهبي في سير اعلام النبلاء ١٠: ٤٠٠. شرح النهج ١١: ٤٦.

(٢) النصائح الكافية: ٩٨.

وروى ابن عرفة المعروف بنفطويه في تاريخه:... أن أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أمية تقرباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به انوف بني هاشم [١].

وقد وصف الإمام الباقر عليه السلام حالة أهل البيت وشيعتهم في ذلك العهد إلى أن قال: وحتى صار الرجل الذي يذكر بالخير ـ ولعلـه يكون ورعا صدوقا ـ يحدث بأحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة ولم يخلق الله تعالى شيئاً منها ولا كانت ولا قعت وهو يحسب انها حق لكثرة من رواها ممن لم يعرف بكذب ولا بقلة ورع [٢].

ووصف تلك الحالة أبو بكر الخوارزمي[٣] وهي طويلة كثيرة في مدى القرون أعرض نموذجا واختصره على وصف أبي جعفر الاسكافي كما في العبقات فقال أبو جعفر الاسكافي: لولا ما غلب على الناس من الجهل وحب التقليد لم نحتج إلى نقض ما احتجت به العثمانية فقد علم الناس كافة أن الدولة والسلطان لارباب مقالتهم وعرف كل واحد علو اقدار شيوخهم وعلمائهم وامرائهم وظهور كلمتهم وقهر سلطانهم وارتفاع التقية عنهم والكرامة، والجائزة لمن روى الأخبار والأحاديث في فضل أبي بكر وما كان من تأكيد بني أمية لذلك وما ولده المحدثون من الأحاديث طلبا لما في ايديهم. فكانوا لا يألون جهدا في طول ما ملكوا أن يخملوا ذكر علي وولده ويطفئوا نورهم ويكتموا فضائلـهم ومناقبهم وسوابقهم

(١) النصائح الكافية: ٩٩. الدرجات الرفيعة: ٨. شرح النهج ١١: ٤٦.

(٢) شرح النهج ١١: ٤٤. النصائح الكافية: ١٥٣. وذكر له في العبقات ١٥: ٤ وصفاً مطولاً.

(٣) رسائل أبو بكر الخوارزمي: ١١٨.

ويحملوا الناس على شتمهم وسبهم ولعنهم على المنابر فلم يزل السيف يقطر من دمائهم مع قلـه عددهم وكثرة عدوهم فكانوا بين قتيل واسير وشريد وهارب ومستخف ذليل وخائف مترقب ـ إلى أن يقول ـ: ثم راينا جميع المختلفين قد حاولوا نقض فضائلـه ووجهوا الحيل والتأويلات نحوها من خارجي مارق وناصب حنق ونابت مستبهم وناشئ معاند ومنافق مكذب وعثماني حسود يعترض فيها ويطعن ومعتزلى قد نقض في الكلام وابصر علم الاختلاف وعرف الشبه ومواضع الطعن وضروب التأويل قد التمس الحيل في ابطال مناقبه وتأول مشهور فضائلـه فمرة يتأولـها بما لا يحتمل ومرة يقصد أن يضع من قدرها بقياس منتقص ولا تزداد إلا قوة ورفعة ووضوحا واستنارة[١].

وقد علمت ان معاوية ويزيد ومن كان بعدهما من بني مروان أيام ملكهم وذلك نحو ثمانين سنة لم يدعوا جهدا في حمل الناس على شتمه ولعنه وإخفاء فضائلـه وستر مناقبه...

وقد تعلمون أن بعض الملوك ربما احدثوا قولا أو دينا لـهوى فيحملون الناس على ذلك حتى لا يعرفون غيره كنحو ما أخذ الناس الحجاج بقراءة عثمان وترك قراءة أبي مسعود وأُبي بن كعب وتوعد ذلك بدون ما صنع هو وجبابرة بني أمية وطغاة بني مروان بولد علي وشيعته وإنما كان سلطانه نحو عشرين سنة فما مات الحجاج حتى اجتمع أهل العراق على قراءة عثمان ونشأ أبنائهم ولا يعرفون غيرها لامساك الاباء عنها وكف المعلمين عن تعليمها حتى لو قرئت عليهم قراءة

---

(١) شرح النهج ١٣: ٢٢٠.

عبد الله وأبي ما عرفوها ولظنو بتأليفها الاستكراه والاستهجان؛ لالف العادة وطول الجهالة لأنه إذا استولت على الرعية الغلبة وطالت عليهم أيام التسلط وشاعت فيهم المخالفة وشملتهم التقية اتفقوا على التخاذل والتناكب فلا تزال الايام تأخذ من بصائرهم وتنقص من ضمائرهم وتنقص من مرائرهم حتى تصير البدعة التي احدثوها غامرة للسنة التي كانوا يعرفونها.

ولقد كان الحجاج ومن ولاه كعبد الملك والوليد ومن كان قبلهما وبعدهما من فراعنة بني أمية على إخفاء محاسن علي وفضائله وفضائل ولده وشيعته واسقاط اقدارهم احرص منهم على اسقاط قراءة عبد الله وأبي لأن تلك القراءات لا تكون سببا لزوال ملكهم وفساد أمرهم وانكشاف حالهم وفي اشتهار فضل علي عليه السلام وولده واظهار محاسنهم بوارهم وتسليط حكم الكتاب المنبوذ عليهم فحرصوا واجتهدوا في إخفاء فضائله وحملوا الناس على كتمانها وسترها...

ويصف لنا ابن قتيبة اوضاع عصره ونصبهم العداء لأهل البيت وبغضهم للشيعة في تفضيلهم علياً عليه السلام قال: وقد رأيت هؤلاء أيضاً كلما راوا غلو الرافضة في حق علي وتقديمه... قابلوا ذلك أيضاً بالغلو في تأخير علي ـ كرم الله وجهه ـ وبخسه حقه ولحنوا في القول وأن لم يصرحوا إلى ظلمه... ولم يوجبوا له اسم الخلافة لاختلاف الناس عليه واوجبوها ليزيد بن معاوية لاجماع الناس عليه واتهموا من ذكره بغير خير وتحامى كثير من المحدثين أن يحدثوا بفضائله ـ كرم الله وجهه ـ أو يظهروا ما يجب له وكل تلك الأحاديث لها مخارج صحاح... ـ إلى أن يقول ـ: واهملوا من ذكره أو روى حديثاً من فضائله تحامى كثير من المحدثين أن يتحدثوا بها وعنوا بجمع فضائل عمرو بن العاص ومعاوية ـ يعني

الموضوعة ـ كأنهم لا يريدونها بذلك وإنما يريدونه فإن قال قائل: (اخو رسول الله ﷺ علي، وأبو سبطيه الحسن والحسين، وأصحاب الكساء علي وفاطمة والحسن والحسين تمعرت الوجوه وتنكرت العيون وطهرت حسايك الصدور وأن ذكر ذاكر قول النبي ﷺ: ((من كنت مولاه فعلي مولاه)) ((وأنت مني بمنزلة هارون من موسى)) واشباه هذا التمسوا لتلك الأحاديث المخارج لينقصوه ويبخسوه حقه بغضا منهم للرافضة وإلزاما لعلي عليه السلام بسببهم ما لا يلزمه وهذا هو الجهل بعينه...)[1].

وهكذا تأثر ذلك المجتمع بتلك السياسة ولم تجري الأمور طبقا للحقيقة مما ادى إلى مخالفة الواقع والابتعاد عن الحق ولا يسع القول لبسط القول في ذكر تلك الأوضاع التي عمت البلاد وسار عليها من سار.

وفي معرض حديث لابن حجر قال: قال الأئمة الحفاظ: لم يرد لاحد من الصحابة رضي الله عنهم من الفضائل والمناقب والمزايا ما ورد لعلي كرم الله وجهه وسببه أنه (رضي الله عنه، وكرم الله وجهه) لما استخلف، كثرت أعداءه وساورت المتقولون عليه فاظهروا لـه مصائب ومثالب زورا وبهتانا والحادا وعدوانا وورث ذلك من تبعهم على ضلالتهم فلما رأى الحفاظ ذلك نصبوا أنفسهم لبيان الباطل من ذلك واظهار ما يرده مما ورد عندهم في حقه فبادر كل أحد إلى بث جميع ما عنده من فضائلـه ومناقبه[2].

---

(١) فتح الملك العلي: ١٥٣ـ ١٥٥. نقلـها عن كتاب الرد على الجهمية. دفع الارتياب عن حديث الباب: ٣٣ نقلـها عن ابن قتيبة.

(٢) تطهير الجنان: ٧٤.

ولقد تقدمت أقوال كثيرة عن رسول الله ﷺ محذرا من بني أمية ومنها الحديث إذا بلغ بنو أمية أربعون رجلاً اتخذوا مال الله دولا ودين الله دخلا وعباد الله خولا [١] بالفاظه العديدة.

كما جاء في خطبة للامام أمير المؤمنين محذرا من فتن بني أمية وباختصار: أن اخوف ما اخاف عليكم فتنة بني أمية.

فانها فتنة عميا مظلمة.. لايزالون بكم حتى لا يتركوا منكم إلا نافعا لـهم أو غير ضار بهم ترد عليكم فتنتهم شوهاء مخشبه وقطعا جاهلية ليس فيها منار هدى ولا علم يرى[٢].

ومن قول لأبي الحسن الندوي [٣]:

انه من سوء حظ العالم البشري أن تولى منصب الخلافة في الإسلام رجال لم يكونوا لـه اكفاء ولم يعدوا لـه عدة ولم يأخذوا لـه اهبة ولم يتلقوا تربية دينية وخليقية كما تلقى الاولون وكثير في عصرهم وجيلـهم ولم يسيغوا الإسلام اساغة تليق بقيادة الأمة الإسلامية والاضطلاع بزعامتها ولم تنق رؤوسهم ولا نفوسهم من بقايا التربية القديمة ولم يكن عندهم من روح الجهاد في سبيل الإسلام ومن قوة الإجتهاد في المسائل الدينية والدنيوية ما يجعلـهم يضطلعون باعباء الخلافة الإسلامية وهذا الحكم عام يشمل خلفاء بني أمية وبني العباس حاشا الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز.

---

(١) العمدة لابن بطريق: ٤٧١. دلائل النبوة ٦: ٥٠٧. كنز العمال ، ح٣١٠٥٨. مسند أحمد ٣: ٨٠. مجمع الزوائد ٥: ٢٤١.

(٢) نهج البلاغة ١: ١٨٤.

(٣) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: ١٣٢.

ومن قول لمحمد قطب [١]:

ان الإنحراف عن حقيقة الإسلام ابتداء من هذا العهد من القضايا المسلمة التي لا ينازع فيها أحد إلا أن يكون قد صرعه الـهوى وغلبته العصبية أو يكون هو الآخر منحرفا بمثل ذلك الإنحراف حتى صار يرى البدعة سنة والمنكر معروفا والجاهلية إسلاما والا فانا حين نراجع تاريخ هذه الفترة المتطاولة من الزمان فنجد ولا شك انحرافا تدريجيا عن حقيقة الإسلام.

والخلاصة: ومن نظر إلى كل ما ابتلى به المسلمون من فتن وفرقة واختلاف يجد أن الطمع في الملك وراءه والرغبة في السلطان أمامه.

معاوية يختار من الصحابة والتابعين لاغراضه:

ذكر أبو جعفر الاسكافي [٢]: أن معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي عليه السلام تقتضي الطعن فيه والبراءة منه وجعل لـهم على ذلك جعلاً يرغب في مثلـه فاختلقوا ما أرضاه منهم: ابو هريرة، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، ومن التابعين عروة بن الزبير وغيرهم وألحق بعضهم سمرة وغيره.

ومنها: روى الزهري: أن عروة بن الزبير حدثه قال: حدثتني عائشة قالت: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذ أقبل العباس وعلي فقال: يا عائشة أن هذين يموتان على غير ملتي أو قال: على غير ديني.

---

(١) كيف نكتب التاريخ الاسلامي، عنه تاريخ الاسلام لصائب عبدالحميد: ٦٣٤.
(٢) الغارات ٢: ٦٥٩. شرح النهج ٤: ٦٣.

وروى عبد الرزاق عن معمر قال: كان عند الزهري حديثاً عن عروة عن عائشة في علي عليه السلام فسألته عنهما يوماً فقال: ما تصنع بهما وبحديثهما الله اعلم بهما أني لاتهمهما في بني هاشم(١).

قال: فأما الحديث الأول فقد ذكرناه وأما الحديث الثاني فهو أن عروة زعم أن عائشة حدثته قالت كنت عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم اذ اقبل العباس وعلي فقال: يا عائشة أن سرك أن تنظري إلى رجلين من أهل النار فانظري إلى هذين قد طلعا فنظرت فإذا العباس وعلي بن أبي طالب.

واما عمرو بن العاص فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول أن آل أبي طالب ليسوا لي باولياء انما وليي الله وصالح المؤمنين.

واما أبو هريرة فروى عنه الحديث الذي معناه: أن علياً خطب ابنة أبي جهل، ولما أن هذا الحديث قد كذب فلا حاجة لتفصيلـه.

وروى لـه حديث آخر قال: قدم أبا هريرة العراق مع معاوية عام الجماعة جاء إلى مسجد الكوفة فلما رأى كثرة من استقبلـه من الناس جثا على ركبتيه ثم ضرب صلعته مرارا وقال: يا أهل العراق اتزعمون أني اكذب على رسول الله واحرق نفسي بالنار والله لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: أن لكل نبي حرما وأن حرمي بالمدينة ما بين عير إلى ثور(٢) فمن احدث فيها حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين وأشهد بالله أن علياً احدث فيها فلما بلغ معاوية قولـه

---

(١) خلاصة عبقات الأنوار ٣: ٢٨٨. شرح النهج ٤: ٦٤.

(٢) وذكر ابن أبي الحديد: (أن ما بين عير الى ثور فالظاهر انه غلط من الراوي لأن ثوراً بمكة والصواب ما بين عير إلى أحد).

اجازه واكرمه وولاه امارة المدينة[١].

وذكر بعضهم الحديث واضاف إليهم سمرة بن جندب وهو أيضاً من الذين استمالـهم معاوية لاختلاق الأحاديث في علي عليه السلام.

فقد روي أن معاوية بذل لسمرة بن جندب مائة ألف درهم حتى يروي أن هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ * وإذا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيِهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الفَسَادَ﴾[٢] وأن الآية الثانيه نزلت في ابن ملجم وهو قولـه تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاء مَرْضَاتِ اللهِ﴾[٣] فلم يقبل فبذل لـه مائتي ألف درهم فلم يقبل فبذل لـه ثلاثمائة ألف فلم يقبل فبذل لـه أربعمائة ألف فقبل وروى ذلك[٤].

وهكذا استطاع معاوية أن يستقطب الكثير ممن يميل إلى الدنيا والمال حتى سخر لذلك من المتجولين الذين باعوا دينهم بثمن بخس حتى روي عن عمر بن ثابت أنه كان يركب ويدور القرى بالشام ويجمع اهلـها ويقول: أيها الناس أن علياً كان رجلاً منافقا أراد أن ينخس برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ليلة العقبة فالعنوه فيلعنه أهل تلك القرية ثم يسير إلى القرية الاخرى فيأمرهم بمثل ذلك[٥].

---

(١) شرح النهج ٤: ٦٧. النص والاجتهاد: ٥١٤.

(٢) البقرة: ٢٠٤ ـ ٢٠٥.

(٣) البقرة: ٢٠٧.

(٤) الغارات ٢: ٨٤١. شرح النهج ٤: ٧٣. ومثلـه فقد ورد أن هشام بن عبد الملك طلب من الزهري أن يروي أن قولـه تعالى: ﴿وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ نزلت في علي سورة النور نقلا عن منع التدوين: ٣٣٩.

(٥) الغارات ٢: ٥٨١ ـ ٥٨٢. شرح النهج ٤: ١٠٣.

وذكر جماعة من شيوخنا البغداديين أن عدة من الصحابة والتابعين والمحدثين كانوا منحرفين عن علي عليه السلام قائلين فيه السوء ومنهم من كتم مناقبه واعان اعداءه ميلا مع الدنيا وايثار للعاجلة وذكر منهم جماعة[١] وخشية التطويل لم نعرض لـهم وبعضهم سنذكره في النواصب وقد كانوا من قبل مع علي وبعد أن انحرفوا عن سيرة علي وسرقوا أموال المسلمين فردوا إلى معاوية بما عندهم فاستقبلـهم بصدر رحب واعطاهم ما أرادوا من الدنيا والمناصب.

وذكر إبراهيم بن هلال صاحب الغارات فيمن فارق علياً عليه السلام والتحق بمعاوية يزيد بن حجيه التيمي وكان قد استعملـه على الري ودستبني[٢] فكسر الخوارج واحتجن[٣] المال لنفسه فحبسه علي عليه السلام... فهرب بجيلة فالتحق بمعاوية ثم خرج حتى أتى الرقة وكذلك كان يصنع من يفارق علياً يبدأ بالرقة حتى يستأذن معاوية في القدوم عليه وكانت الرقة والرها وقرقيسيا وحران من حيز معاوية فكان أمير المؤمنين عليه السلام يدعو عليه اللهم أن يزيد بن حجية هرب بمال المسلمين ولحق بالقوم الفاسقين فاكفنا مكره وكيده واجزه جزاء الظالمين[٤] ومنهم القعقاع بن شور استعملـه علي على (كسكر) فنقم منه امورا منها أنه تزوج امرأة فاصدقها مائة ألف درهم فهرب إلى معاوية[٥].

---

(١) شرح النهج ٤: ٧٤.

(٢) دستبني، بالفتح ثم السكون وفتح التاء: كورة كانت مشتركة بين الري وهمذان. (هامش شرح النهج ٤: ٨٣).

(٣) شرح النهج ٤: ٨٣. الغارات ٢: ٥٢١. واحتجن المال يعني: ضمه واحتواه. (القاموس المحيط ٤: ٢١٢).

(٤) شرح النهج ٤: ٨٥. الغارات ٢: ٥٢٨. الثقات لابن حبان ٢: ٢٩٩.

(٥) وغيرهم من الذين سخرتهم الدولة لـهذه الاغراض وما لـهم في تلك الظروف من الاثر في توجيه الرأي العام واغراء البسطاء لقبول تلك المنكرات فانهم قاموا في المساء والجوامع والطرقات ←

ومنهم النجاشي الشاعر من بني الحارث كان شاعرا أهل العراق بصفين فشرب الخمر فحده علي عليه السلام فغضب ولحق بمعاوية وهجا علياً.

وغضب اليمانية لذلك وعاتبوا أمير المؤمنين عليه السلام بكلام طويل فاجابهم وهل هو إلا رجل من المسلمين انتهك حرمة من حرم الله فاقمنا عليه حدا كان كفارته أن الله تعالى يقول: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[(١)] وغيرهم كثير وربما يطول الحديث واختمه بقول يحيى بن عروة قال: كان أبي إذا ذكر علياً نال منه.

وقال لي مرة: يا بني والله ما احجم الناس عنه إلا طلبا للدنيا... [(٢)] وقد وصفهم الإمام عليه السلام في رسالة بعثها إلى سهل بن حنيف عامله على المدينة.

اما بعد فإنه بلغني أن رجالا من أهل المدينة يخرجون إلى معاوية فلا تأسف عليهم فكفى لهم غيا ولك منهم شافيا فرارهم من الهدى والحق وإيضاعهم إلى العمى والجهل وانما هم أهل دنيا مقبلون عليها قد علموا أن الناس في الحق اسوة فهربوا إلى الاثرة فبعداً لهم وسحقاً[(٣)].

والانديه يبغون تلك المنكرات نصرة السلطة وتأييد للمبادئ المبتدعة ولقد اتخذت السياسة منهم سلاحا فاتكا فكانوا ينشرون القصاصين في ساحات الحرب يشجعون الجند على التضحيه حتى تطورت الحالة إلى اختراع الأحاديث والقصص لا يقاع الفتن بين طوائف المسلمين ولقد خضعت العامة لتصديقهم وقبول مفتعلاتهم حتى اصلح من العسير الانكار عليهم ولهم أقوال أخر: ٢٦٨، أسد حيدر.

(١) المائدة: ٨.

(٢) الغارات ٢: ٥٧. نهج السعادة ٤: ١٢٧. شرح النهج ٤: ١٠٢.

(٣) نهج البلاغة ٣: ١٣١. خصائص الأئمة: ١١٣. شرح النهج ١٨: ٥٢. أنساب الأشراف: ١٥٧.

ولاة معاوية:

وبعد أن تم الأمر لمعاوية وعمت السياسة في تشويه الحقائق وتغيير المثل الإسلامية وحمل الناس على مخالفة الواقع وتدخلت في ذلك باشكال كثيرة والوان مختلفة مما افسد على المجتمع ما صلح وتولى على الأمة [١] رجال اجلاف قسات فلا ضمير يمنعهم عن منكر فعلوه ولا شرف يردهم عن هتك الأعراض ولا دين يمنعهم عن قتل آلاف المسلمين الابرياء والنفوس الآمنة حتى النساء والاطفال ممن يتولى أمير المؤمنين عليه السلام في كافة الاقطار كما نصب قادة لشن الغارات واوصاهم بتنفيذ تلك السياسة الغاشمة وبعد قتل النساء والاطفال وهتك الحرمات وهدم البيوت على أصحابها ونهب كل ممتلكاتهم فنفذوا لـه بكل ما أراد وزادوا عليه تزلفا لتلك السلطة وطمعا في وده فسادت الفوضى وغيروا المسار الصحيح بكل ما استطاعوا ومهما كلف الأمر وقد تعرفنا أن النزعة الأموية نزعة عداء وحقد لعلي وشيعته ولا بقاء لسلطانهم مع بقاء ذكر علي ولا يستقيم لـهم الأمر إلا بذلك.

والغريب أن يُعتذر عن معاوية بتلك السياسة والانحراف بقولـه ولعل معاوية كساسة اليوم قد علم أن الدعاية من أشد اسلحة الحرب مضاء وأبلغها نفاذاً فاستعمل هذا السلاح ليصرف الناس عن آل البيت ويحول قلوبهم عنهم وفي هذا دوام ملكه فاستحل سياسياً ما حرمه الدين ووضح لمن بعده شرعة السباب لـهذا

---

(١) ولما تم الأمر لمعاوية اشترى دهاة الرجال الفسقة والطغاة الفجرة ممن هان عليه دينه وباعه لقاء المال والأمرة والاستلحاق بنسبه وتنصيبهم ولاة مهما قتلوا وسلبوا مادام متربعا في سلطنه فاستجاب لـه جمع منهم والتفوا حولـه مأتمرين أمره ونهيه واصابوا من دنياهم المال الكثير والجاه الكبير وخالفه اخرون فاصابهم القتل والتشريد كانت ضحيتها آلاف من خيار الصحابة والمسلمين الابرياء.

البيت [١].

وبهذا تأثر ذلك المجتمع وتكيف بما رسمته الدولة ولم تجر الأمور طبقا للحقيقة مما أدى إلى مخالفة الواقع والابتعاد عن الحق ولا يسع المجال لبسط القول في ذكر ذلك الإنحراف السياسي الذي سار عليه ولاة الأمر وحملوا الناس على الخضوع به واعرض لامثلة من ذلك.

روى الطبري قال: استعمل معاوية المغيرة بن شعبة على الكوفة سنة ٤١هـ. فلما أمره عليها دعاه وقال لـه: وقد أردت ايصائك بأشياء كثيرة فأنا تاركها اعتمادا على بصرك... ولست تاركا ايصائك بخصلة لا تترك عن شتم علي وذمه والترحم على عثمان والاستغفار لـه والعيب على أصحاب علي والاقصاء لـهم... والاطراء لشيعة عثمان والادناء لـهم والاستماع منهم فقال لـه المغيرة: قد جربت وجربت وعملت قبلك لغيرك فلم يذمم بي... فستبلو فتحمد ثم قال: بل نحمد ان شاء الله [٢].

وروى أن قوماً من بني أمية قالوا لمعاوية: يا أمير المؤمنين انك قد بلغت ما املت فلو كففت عن هذا الرجل فقال: والله حتى يربو عليه الصغير ويهرم عليه الكبير ولا يذكر لـه ذاكر فضلا [٣].

ومثلـه عن الوزغ بن الوزغ مروان قال: ما كان في القوم أحد أدفع عن صاحبنا ـ أي عثمان ـ من صاحبكم ـ يعني علياً ـ قال: فقلت لـه: فما لكم

---

(١) أدب الشيعة: ٣٠.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ١٨٨. ابن الأثير ٣: ١٧٨ واللفظ له.

(٣) الغدير ٢: ١٠٢. شرح النهج ٤: ٥٧. النصائح الكافية: ٩٧.

تسبونه على المنابر قال: لا يستقيم لنا الأمر إلا بذلك [١].

وكتب إلى معاوية في رجلين حضرميين انهما على دين علي ورأيه فأجابه: فمن كان على دين علي ورأيه فاقتلـه ومثل به فصلبهما على باب دارهما بالكوفة[٢] وختم حياته بما ذكره المسعودى وابن عساكر قال ابن عساكر جمع أهل الكوفة فملأ منهم المسجد والرحبه والقصر ليعرضهم على البراءة من علي[٣].

وقال المسعودي: وكان زياد جمع جمع الناس بالكوفه بباب قصره يحرضهم على لعن على فمن أبي ذلك عرضه على السيف ثم ذكر أنه اصيب بالطاعون في تلك الساعه فأفرج عنهم [٤].

وارسل معاوية سفيان بن عوف بن المغفل الازدي في سنة ٣٩ وقال لـه فيما اوصاه: فاقتل من لقيته ممن ليس هو على رأيك واخرب كل ما مررت به من القرى واحرب الأموال فإن حرب الأموال شبيه بالقتل وهو اوجع للقلب[٥] ووجه الضحاك بن قيس وامره أن يمر باسفل واقصه وأن يغير على كل من يمر به ممن هو في طاعة علي من الأعراب ووجه معه ثلاثة آلاف رجل[٦].

وفي سنة أربعين بعث معاوية بسر بن أرطأة [٧] في جيش فسار حتى دخل

---

(١) الغدير ٧: ١٤٧. أنساب الأشراف: ١٨٤. تاريخ ابن عساكر ٤٢: ٤٣٨. والصواعق لابن حجر: ٣٣.

(٢) أحاديث أم المؤمنين عائشة ١: ٣٧٧. المحبر: ٤٧٩.

(٣) تاريخ ابن عساكر ١٩: ٢٠٣. البداية والنهاية ٨: ٦٨.

(٤) المسعودي في ذكر أيام معاوية ٣: ٣٠. وابن عساكر ترجمة أمير المؤمنين: ٤٢١.

(٥) الغارات للثقفي برواية شرح النهج ٢: ٨٦ ـ ٩٠. تحقيق محمد أبو الفضل.

(٦) تاريخ الطبري ٤: ١٠٤. وابن الأثير ٣: ١٥٠.

(٧) بسر بن أرطأة كان مع معاوية في صفين فبرز له الإمام علي فتلقاه بسوؤته كما سيأتي في شجاعة الإمام علي.

المدينة واخاف اهلـها وبقيه الأنصار فيها وهدم دورا ثم سار حتى أتى اليمن ولقى ثقل عبيد الله بن العباس عامل الإمام علي وفيه ابنان صغيران فذبحهما[(١)].

وقتل في مسيره ذلك جماعة كثيرة من شيعة علي.

وفي كتاب الغارات بعثه في ثلاثة آلاف وقال: سر حتى تمر بالمدينة فاطرد الناس وأخف من مررت به وانهب أموال كل من اصبت لـه مالا فمن لم يكن لـه دخل في طاعتنا.. [(٢)].

وفي التهذيب قال: وكان معاوية وجهه إلى اليمن والحجاز وامره أن ينقرى من كان في طاعة علي فيوقع بهم ففعل بمكه والمدينة افعالا قبيحة[(٣)].

وقال ابن عساكر: يستعرض الناس فيقتل من كان في طاعة على فقتل قوماً من بني كعب على مالـهم فيما بين مكة والمدينة وألقاهم في البئر[(٤)].

وذكر المسعودي [(٥)] قال: قتل بالمدينة وبين المسجدين خلق كثير من خزاعة وغيرها وكذلك بالجرف قتل بها خلقا كثيراً من الأبناء ولم يبلغه عن أحد يمائي علياً أو يهواه إلا قتلـه.

وهذا موجز الغارات التي ارسلـها معاوية إلى الاطراف الموالية إلى علي عليه السلام وتركنا الكثير منها خشية التطويل وتجد تفاصيلـها في عامة التواريخ والسير.

---

(١) الطبري ٦: ٨٠. الغارات ١: ٩٠. الثقات ٢: ٢٩٩ ـ ٣٠٠. تاريخ ابن عساكر ١٠: ١٥٢.

(٢) الغارات ٢: ٦٠٠.

(٣) تهذيب الكمال ٤: ٦١. تهذيب التهذيب ١: ١٣٨١.

(٤) تاريخ ابن عساكر ١٠: ١٥٢..

(٥) مروج الذهب ٦: ٩٣ بهامش ابن الأثير. هامش الغارات ٢: ٦٤١.

التهديد لمن ذكر فضيلة لعلي عليه السلام.

وبعد ملاحظة رسائل معاوية إلى عماله وتعميمها على جميع الاقطار وذكرها المدائني وجاء في احدى فقراتها فكتب معاوية نسخة واحدة إلى جميع الاقطار: أنظروا من قامت عليه البينة أنه يحب علياً وأهل بيته فامحوه من الديوان واسقطوا عطائه ورزقه.

وشفع ذلك بنسخة أخرى من اتهمتموه بموالاة هؤلاء القوم فنكلوا به واهدموا داره.

فلم يكن البلاء أشد ولا أكثر منه بالعراق ولا سيما الكوفة حتى أن الرجل من شيعة علي ليأتيه من يثق به فيدخل بيته فيلقى إليه سره ويخاف من خادمه ومملوكه ولا يحدث حتى يأخذ عليه الأيمان الغليظة ليتمكن عليه الحديث.

واستجاب لمعاوية جمع من الصحابة والتابعين فنالوا المناصب الكبيرة ونفذوا أمره ونهيه وخالفه آخرون فاستنكروا بدعة وضلاله فاصابهم القتل والتشريد كما وقع لحجر وأصحابه وغيره الكثير كما تجده في غارته على جميع الاقطار الموالية لعلي كانت نتائجها آلاف الضحايا البريئة من خيار المسلمين[١].

فكان سمرة ممن امتثل أوامر معاوية فولاه البصرة فاسرف في قتل من خالفه.

روى الطبري [٢] قال: سُئل ابن سيرين: هل كان سمرة قتل أحدا؟.

---

(١) فعمت هذه السياسة البلاد الإسلامية واتبعها ونفذها غير من ذكرنا من الأمراء كبسر بن أرطأة في ولاية البصرة وابن شهاب في الري وغيرهم ولهم فجائع مؤلمة بشعة وذكرها المؤرخون وأصحاب السير.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ١٧٦.

فقال: وهل يحصى من قتل سمرة بن جندب استخلفه زياد على البصرة واتى الكوفة فجاء وقد قتل ثمانية آلاف من الناس وروى أنه قتل في غداة واحدة سبعة واربعين كلهم قد جمع القرآن.

وقال: مات زياد وعلى البصرة سمرة فأقره معاوية اشهرا ثم عزله فقال: سمرة لعن الله معاوية والله لو اطعت الله كما اطعت معاوية ما عذبني أبداً [(١)].

وروى الطبري: ان المغيرة بن شعبة قال لصعصعة بن صوحان العبدي وكان المغيرة يومذاك أميرا على الكوفة: اياك أن يبلغني عنك انك تعيب عثمان عند أحد من الناس واياك أن يبلغنى عنك انك تذكر شيئاً من فضل علي علانية فإنك لست بذاكر من فضل علي شيئاً اجهله بل أنا اعلم بذلك ولكن هذا السلطان قد ظهر وقد اخذنا باظهار عيبه للناس فنحن ندع كثيراً مما أمرنا به ونذكر الشيء الذي لا نجد منه بداً ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقية فإن كنت ذاكرا فضله فاذكره بيتك وبين أصحابك وفي منازلكم سرا وأما علانية في المسجد فإن هذا لا يتحمله الخليفة لنا ولا يعذر فيه[(٢)]. الحديث.

ومثله ان زياد بن أبيه يوم كان والياً لمعاوية في الكوفة قائلاً لحجر بن عدي أرأيت ما كنت عليه من المحبة والموالاة لعلي؟ قال: نعم، قال: فإن الله قد حول ذلك بغضة وعداوة، أرأيت ما كنت عليه من البغض والعداوة لمعاوية؟ قال: نعم، قال: فإن الله قد حول ذلك كله محبة وموالاة فلاعلمنك ما ذكرت عليا بخير ولا أمير المؤمنين معاوية بشر.

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢١٧. البداية والنهاية ٨: ٧٣.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ١٤٤.

ومثلـه من حديث أن الزهري يحدث معمرا حديثاً في علي ويقول لـه اكتم هذا الحديث واطوه دوني فإن هؤلاء ـ أي الأمويين ـ لا يعذرون أحدا في تقريظ علي وذكره قلت: فما بالك ادعيت مع القوم يا أبا بكر وقد سمعت الذي سمعت قال: حسبك يا هذا أنهم اشركونا في أموالهم فانحططنا لـهم في اهوائهم[1].

ودخل شريك القاضي على المهدي فقال لـه المهدي: ما ينبغي أن تقلد الحكم بين المسلمين قال: ولِمَ. قال: لخلافك على الجماعة وقولك بالإمامة.

فقال شريك: أما قولك بخلافك على الجماعة اخذت ديني فكيف اخالفهم وهم اصلي في ديني وأما قولك بالإمامة ما اعرف إلا كتاب الله وسنة رسولـه وأما قولك مثلك ما يقلد في الحكم فهذا شيء أنتم فعلتموه فإن كان خطأ فاستغفروا الله منه وأن كان صوابا فامسكوا عنه.

فقال: الرشيد ما تقول في علي بن أبي طالب؟.

قال: ما قال جدك العباس وعبد الله.

قال: وما قالا فيه؟.

قال: فأما العباس فمات وعلي عنده افضل الصحابة وكان يرى كبراء المهاجرين يسألونه عما نزل من النوازل وما احتاج هو ﷺ إلى أحد حتى لحق بالله. وأما عبد الله فإنه كان يضرب بين يديه بسيفين وكان في حروبه رأساً متبعاً وقائدا مطاعا فلو كانت امامته على جور كان أول من يقعد عنها ابوك لعلمه وفقهه في أحكام الله فسكت المهدي ولم يمضي بعد هذا المجلس إلا قليلاً حتى عزل

---

(١) وضوء النبي ١: ٣٤٥ نقلاً عن المناقب لابن المغازلي: ١٤٢. جواهر المطالب في مناقب الإمام علي ١: ٢٤٣.

شريك [١].

وذكر أبو معاوية قال: دخلت على هارون الرشيد فقال لي: يا أبا معاوية هممت بمن اثبت خلافة علي بن أبي طالب فعلت به وفعلت قال أبو معاوية: فسكت فقال لي: تكلم قلت: أن اذنت لي تكلمت قال: تكلم فقلت يا أمير المؤمنين قالت تيم منا خليفة رسول الله وقالت عدي منا خليفة رسول الله وقال بنو أمية منا خليفة الخلفاء فأين حظكم يا بني هاشم من الخلافة والله ما حظكم منها إلا علي بن أبي طالب [٢] وبهذا استطاع أبو معاوية أن يصرف الرشيد عن راية وكان إبراهيم بن هرثمة شاعرا مجيدا مدح آل البيت بابيات منها:

ومهما (الام) على حبهم فانى احب بني فاطمه
بني بنت من جاء بالمحكمات وبالدين والسنة القائمه

إلى آخر الابيات فلما دخل على المنصور قال: لا مرحبا ولا اهلا يا إبراهيم قد بلغني عنك أشياء لولا ذلك لفضلتك على نظرائك فاقر لي بذنوبك فاستعفاه فعفى عنه حفظا لدمه وقال: لئن بلغني عندك أمراً اكرهه لاقتلنك [٣].

ومثله منصور النميري انشأ ابيات منها:

آل النبي ومن يحبهم يتطامنون مخافة القتل

الخ...

---

(١) تاريخ بغداد ٩: ٢٩١ ـ ٢٩٢.

(٢) تاريخ بغداد ٢: ٣٠١.

(٣) تاريخ بغداد ٦: ١٢٦ ـ ١٢٧. تاريخ ابن عساكر ٧: ٧١ ـ ٧٢.

فغضب الرشيد وارسل إليه من يقتله فوجده ميتا فقال: لقد هممت أن أخرج لسانه من قفاه وأراد أن ينبش عظامه فيحرقها ولكنه لم يفعل[١].

ومثله لبعض الشعراء الكثير من هذا.

وعن أبي بكر الطائي وأصحابه قال سليمان ابن ربوة: اجتمعت أنا وعشرة من المشايخ في جامع دمشق فيهم أبو بكر بن أحمد بن سعيد الطائي فقرأنا فضائل علي بن أبي طالب عليه السلام فوثب علينا قريب من مائة يضربونا ويسحبون إلى الوالي فقال لهم: أبو بكر الطائي يا سادة اسمعوا لنا انما قرئنا اليوم فضائل علي وغدا نقرأ فضائل معاوية وقد حضرتني ابيات فإن رأيتم أن تسمعوها فقالوا له: هات فانشأ قائلاً:

حب علي كله ضرب ... يرجف من خيفته القلب
ومذهبي حب امام الهدى ... يزيد والدين هو النصب
من غير هذا قال: فهو أمرؤ ... ليس له عقل ولا لب
والناس من يغدد لاهوائهم ... يسلم والا فالقضاء نهب

قالوا فخلوا عنا [٢].

وهكذا تطور الحال واشتد الأمر من قبل الولاة حتى قتلْ من عرف بحب علي وأهل بيته واتخذوا لذلك شتى الطرق ومختلف الاساليب واقرب طريق سلكوه للفتك بمن عرف بحب أهل البيت وهو مسألة تفضيل علي على الخلفاء وجعلوه قاعدة ثابتة فمن فضل علياً فقد طعن على الصحابة ومن طعنهم طعن

---

(١) زهر الآداب ٣: ٧٠.

(٢) ثمار المنون للصفدي: ١٨٨.

برسول الله ومن طعنه ﷺ فهو زنديق وبهذه الذريعة صار مدح علي وما خصه الله ورسولـه من الفضائل التي امتاز بها طعنا على الصحابة وموهوا على السذج وانخدع بها البعض واستجاب اخرون تحت التهديد فساير اكثرهم تلك السياسة بمجارات الأمور دفاعا عن النفس وطمعا في الحياة فخضعوا لرأي الدولة وتجنبوا الحديث عن فضائل على ودرج الناس علي ذلك الخ.

وعن مالك بن دينار قال: سألت سعيد بن جبير فقلت يا أبا عبد الله من كان حامل راية رسول الله قال: فنظر إلي وقال: انك لرخي البال فغضبت وشكوته إلى اخوانه من القراء إلاّ تعجبون من سعيد أني سألته من كان حامل راية رسول الله ﷺ فنظر إلي وقال: انك لرخي البال قالوا: انك سألته وهو خائف من الحجاج وقد لاذ بالبيت فاسألـه الآن فسألته فقال: كان حاملـها علي عليه السلام هكذا سمعته من ابن عباس[1].

ونقل عن الشعبي قال: لقد ابتلينا بعلي أن احببناه افتقرنا وأن ابغضناه كفرنا[2].

ومما لا جدال فيه أن السلطة الأموية قد حاربت الإمام أمير المؤمنين في حياته بالسيف والرمح والغارات المسلحة على الاقطار الموالية لـه وكذا بعد وفاته بكل ما تستطيع من حول وقوة واستحالت افكار طائفة من أهل المطامع ورجال السوء من المرتزقة والمتأخرين بالحديث لمصالحها وتغيير السنة لتثبيت اركانها

---

(١) وذكره الطبري في الذخائر: ٧٥. مستدرك الحاكم ٣: ١٣٧. وذكره ابن سعد في الطبقات ٣: ١٥ مع اختلاف ، وأخرجه احمد في المناقب.

(٢) أي ان السلطة تقطع عنهم الأرزاق وجاء عنه بلفظ آخر كما في عيون الأخبار لابن قتيبة ٢: ١١٢ . المناقب للخوارزمي: ٣٣٠. ينابيع المودة ٢: ١٦٧.

وتحريف الأحاديث النبوية من الفضائل والمناقب التي امتاز بها أمير المؤمنين أو الطعن فيها أو اتهام الناقل لـها أو المتحدث بها بقولـهم هذا رافضي مبتدع وذاك زنديق وكذاب وو... ولا شك أن السلطة بيدها السيف والقلم والدرهم والدينار والنفوس مجبولة على حب العاجلة والناس على دين ملوكها.

ولطول المدة وتركيز السلطة على مقاومة المعارض لسياستها التي أصبحت كقانون لـها وعلى هذا سار الناس على غير هدى وتأثر الكثير من السذج وعامة الناس لرغبة أو رهبة واستمر الحال حتى يومنا وبلغ التزلف منهم للسلطة بما رسمته أن يهددوا كل مخالف ويقتلوا كل معارض فاستنكروا على الخطباء ونكلوا بالمحدثين وطردوا أئمة المساجد ومن سبر كتب التراجم والمعاجم الرجالية يجد الكثير من الفظائع والجرائم التي لحقت بالمخالفين لتلك السياسة وبلغ الحال بخطيب واسط كما يحدثنا الذهبي في تذكرة الحفاظ بترجمه الحافظ بن السقا عبد الله الواسطي قال: املي حديث الطير في واسط فوثبوا عليه واقاموه وغسلوا موضعه.

وما اصاب كبار العلماء المنصفين الذين كتبوا في فضائل أمير المؤمنين وبيان الحقائق ونشر المواقع وقد يطول الحديث عنهم وذكر اسمائهم وما لا قوه وخصص شيخنا الأميني في كتابه شهداء الفضيلة لبعضهم وكذا القاضي التستري وغيرهم.

أختصر على نموذج لصورتين:

ذكر ابن خلكان [1] بترجمة النسائي صاحب كتاب السنن وأحد أصحاب الصحاح الستة أنه خرج إلى دمشق وسألـه بعضهم عن كتابه الخصائص (في

---

(١) وفيات الأعيان ١: ٥٩. تذكرة الحفاظ ٢: ٦٩٩. سير أعلام النبلاء ١٤: ١٢٩. تهذيب التهذيب ١: ٣٣.

فضائل أمير المؤمنين) فقال: دخلت دمشق والمنحرف بها عن علي كثير فصنفت الخصائص رجاء أن يهدهم الله تعالى .

فقال ابن خلكان: أنه خرج إلى دمشق فسئل عن معاوية وما روى في فضائلـه فقال: أما يرضى معاوية أن يخرج راسا براس حتى يفضل وفي رواية أخرى لا اعرف لـه فضيلـه إلا لا (اشبع الله بطنك) فما زالوا يدفعونه في حضنه وفي لفظ في خصيتيه وداسوه حتى حمل إلى مكة ومات بها [١].

وقال الحافظ أبو نعيم الاصبهاني: لما داسوه بدمشق مات بسبب ذلك الدوس وهو منقول.

ومثلـه الحافظ الكنجي صاحب كتاب كفاية الطالب ونقل في أحد جلساته في الموصل قال: ودار الحديث المهاجر به وحضر المجلس صدور البلد من النقباء والمدرسين والفقهاء وارباب الحديث فذكرت بعد الدرس أحاديث وختمتُ المجلس بفضل مناقب أهل البيت فطعن بعض الحاضرين لعدم معرفته بعلم النقل في حديث زيد بن ارقم في غدير خم وفي حديث عمار بن ياسر في قولـه ﷺ: طوبى لمن احبك وصدق فيك فدعتني الحمية لمحبتهم على املاء كتاب يشتمل على بعض ما رويناه عن مشايخنا في البلدان من أحاديث صحيحة من كتب الأئمة والحفاظ في مناقب أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه [٢] الخ. وضيق عليه وحورب فخرج من الموصل متوجها إلى دمشق لطلب الحديث وبعد وصولـه لـها واقامته فيها قتل

---

(١) الوافي بالوفيات ٦: ٤١٦. ومرآت الجنان والعقد الثمين ٣: ٤٥، وفيض القدير ١: ٢٥، تهذيب الكمال ١: ٣٢٨، وتذكرة الحفاظ ١: ١٩٨.

(٢) المناقب للخوارزمي: ١٢.

بجامع دمشق [١].

وذكر أبو شامة المقدسي قال: قتل بالجامع الخفر محمد بن يوسف الكنجي وكان من أهل العلم بالفقه والحديث لكنه كان فيه كلام وميل إلى مذهب الرافضة جمع لـهم كتبا توافق اغراضهم وتقرب بها إلى الرؤساء منهم في الدولتين الإسلامية والتاتارية... إلى أن يقول فانتدب لـه من تأذى منه والب عليه بعد صلاة الصبح فقتل وبقر بطنه كما قتل اشباهه من اعوان الظلمة مثل الشمس بن الماسكيني وابن البغيل الذي كان يسخر الدواب [٢].

وتبجح بقتلـه ابن كثير [٣] ومثلـه ابن تغرى فقد استر بتلك الفعلة الدنيئة فقال: فسر عوام دمشق واهلـها بذلك سرورا زائدا... الخ [٤]. كما جرى للكثير من العلماء من غير الشيعة وحكم عليهم بالموت بتهمة التشيع مثل المولى ظهير الدين الاردبيلي وذلك لأنه ذهب إلى عدم وجوب مدح الصحابة على المنبر وانه ليس بفرض فقبض عليه وقدم للمحاكمة وحكم عليه القاضي بالاعدام ونفذ الحكم في حقه فقطعوا راسه وعلقوه على باب زويلة بالقاهرة [٥].

ومثلـه سليمان بن عبد القوي الحنبلي كان من علماء الحنابلة ومن المبرزين في عصره ودرس في أكثر مدارس الحنابلة في مصر فقد نسب إلى الرفض وقامت عليه الشهود حتى تعجب هو من هذه النسبة واستغربها فقال:

---

(١) تذكرة الحفاظ ٤: ١٤٤١ رقم [١١٤٥].

(٢) الذيل على الروضتين: ٢٠٨.

(٣) البداية والنهاية ١٣: ٢٢١.

(٤) النجوم الزاهرة ٦: ٨٠.

(٥) شذرات الذهب ٧: ١٧٣.

حنبـــلي رافضـــي ظاهـــري   اشـــعري انهـــا احـــدى الكـــبر

وبهذه التهمة لـهذا الحنبلي يتعرض الضرب والسجن والتبعيد عن وطنه وفصل عن وضيفة التدريس[١].

وعن أن نصر بن علي الجهضمي حدث بحديث عن النبي ﷺ انه أخذ بيد الحسن والحسين وقال: (من احبني وهذين واباهما وامهما كان معي في درجتي يوم القيامة) فأمر المتوكل بضربه ألف سوط إلى أن كلمة جعفر بن عبد الواحد بأن نصر لم يكن شيعيا وإنما هو من أهل السنة فضربه خمسمائة سوط وعفى عن الباقي[٢].

التعتيم على فضائل أمير المؤمنين عليه السلام:

ذكر صاحب تاريخ المذاهب:... قال لا بد ان يكون للحكم الاموي اثر في اختفاء كثير من آثار علي في القضاء والافتاء لانه ليس من المعقول ان يلعنوا عليا فوق منابرهم وان يتركوا العلماء يتحدثون بعلمه وينقلوا فتاواه واقوالـه خصوصاً ما يتصل باساس الحكم الاسلامي[٣].

فلم يكن ذكر فضائل أمير المؤمنين او التحدث عنها بالامر الـهين عند الامويين لانه مما يقض مضاجعهم ويهز عروشهم وقد اسس معاوية حكومته على ذلك وقد مر الكثير منه في ذكر معاوية ورسائلـه إلى عمالـه في كافة الاقطار ولم

---

(١) تاريخ علماء بغداد للسلامي: ٥٩.

(٢) المعجم الصغير ٢: ٧. المعجم الكبير ٣: ٥٠، رقم [٢٦٥٥]. ميزان الاعتدال ٣: ١١٧، رقم [٥٧٩٩]. سير أعلام النبلاء ٣: ٢٨٤. ترجمة الإمام الحسين (ابن عساكر): ٥٢. تاريخ بغداد ٢: ٢٨١.

(٣) تاريخ المذاهب الإسلامية: ٢٨٥.

يكتفي بهذا فحسب، بل خصص بعض الصحابة وجماعة من بعض التابعين وبعض المرتزقة من المحدثين والوعاض إلى لعنه وشتمه فاختلقوا لـه معائب ومن ذكر الكثير منها كما ورثها من كافة خلفائهم وولائهم وعرضنا لـها في ذكرهم وهكذا يأتي الدور العباسي ويسير بنفس الاتجاه ـ ان لم يكن بزيادة ـ وعرضنا صور لذلك في تراجمهم مثل المنصور والرشيد والمتوكل وولاتهم وبمثل هذا او ذاك يأتي دور المحدثين والمؤرخين واصحاب الجرح والتعديل وغيرهم وبنفس السلوك الذي رسمه لـهم الاسلاف وللتعليل نعرض لـه نماذج يسيرة:

ذكر المدائني أخبرني ابن شهاب بن عبد الله قال: قال خالد القسري [1] أكتب لي السيرة فقلت لـه فإنه يمر بي الشيء من سيرة علي بن أبي طالب فاذكره قال: لا إلا أن تراه في قعر الجحيم [2].

قال معمر: سألت الزهري عن كاتب الكتاب يوم الحديبية فضحك وقال: هو علي بن أبي طالب ولو سألت هؤلاء ـ يعني بني أمية ـ لقالوا عثمان [3] وللزهري موقف آخر واحتمل أن سؤال معمر لـه عن كاتب الكتاب كان سؤالا خاصا وعلى انفراد ولم يخشى أحد أما موقفه في السير والمغازي فعكس الأول لما يخشاه من بني أمية وبهذا نجح الزهري فكان حضيا عند الامويين لا يقدمون عليه أحد حتى توفي ومن تتبع روايات الزهري للسير والمغازي يجد أنه لم يكن منصفا فعلى

---

(١) هو: والي مكة للوليد بن عبدالملك ثم لسمان بن عبدالملك وولي العراق لـهشام. الطبقات الكبرى ٧ : ٤٢٨.

(٢) الاغاني ٢٢: ٢١، أخبار خالد القسري.

(٣) مكاتيب الرسول ٣: ٨٤. انظر: المصنف ٥: ٣٤٣. الدر المنثور ٦: ٧٨.

امتداد سيرة النبي ومغازيه لا تجد لعلي بن أبي طالب ذكرا إلا حين لا ينطوي ذكره على فضيلــه تميزه على غيره وحين سئل عن فضيلة لــه جحدها فمثلاً في ذكر أول من أسلم نقل عبد الرزاق ما نقلــه معمر عن غير الزهري أن أول من أسلم علي بن أبي طالب لكن الزهري قال: ما علمنا أحدا أسلم قبل زيد بن حارثة [(١)] في حين لا يكاد يعرف هذا عن أحد غير الزهري ثم يواصل الزهري[(٢)] ذكر من أسلم فلا يذكر إسلام علي ولا أحد من بني هاشم.

ثم يمضى في ذكر السيرة والمغازي فلا تجد علياً فيها إلا رجلاً غريبا ليس لــه فيها خبر ولا اثر مع أنه لا يمر على اثر لأبي بكر وعمر إلا فصل فيه وزينه أما على فلا ذكر لــه لا في العهد المكى ولا في الــهجره ولا في المؤاخات ولا في بدر ولا في أحد ولا في الخندق ولا في خيبر ولا في فتح مكة ولا في حنين ولا في تبوك ولا في غير ذلك أنه ليبدو لقارئ مغازى الزهري أن علياً رجل غريب على السيرة ولقد استشعر عبد الرزاق ذلك وهو يروى مغازى الزهري فتداركه في مواضع معدوده فقط.

وربما كان يتحوف من السلطة التي قربته ورفعت شأنه فقد روى أنه كان يحدث معمرا في علي ويقول لــه أكتم هذا الحديث واطوه دوني فإن هؤلاء ـ أي الأمويين ـ لا يعذرون أحدا في تقريظ علي وذكره قلت فما بالك ادعيت مع القوم يا أبابكر وقد سمعت الذي سمعت قال: حسبك يا هذا أنهم اشركونا في أحوالــهم فانحططنا لــهم في أهوائهم[(٣)].

---

(١) المصنف ١١: ٢٢٧، رقم [٢٠٣٩٢]، [٢٠٣٩٣]. أسد الغابة ٢: ٢٢٥ ـ ٢٢٦.

(٢) سيأتي تفصيله.

(٣) المناقب لابن المغازلي: ١٤٢.

ويزيد في تغيير وجه السيرة ما يقع اثناء الحديث من ذكر لموقف اشترك فيه مع علي بن أبي طالب برجل آخر فحين يحذف اسم علي سيبرز الآخر في صورة جديدة لم تكن هي الصوره التي تحققت في الواقع... الخ [١].

ومن حديث طويل عن عمر بن عبد العزيز قال فيه: كان أبي إذا خطب فنال من علي تلجلج فقلت يا ابت انك تمضي في خطبتك فإذا أتيت على ذكر علي عرفت منك تقصيرا.

قال: اوفطنت لذلك قلت نعم فقال: يا بني أن الذين حولنا لو يعلمون من علي ما نعلم تفرقوا إلى أولاده [٢].

وقيل: أن الوليد خرج حاجا فمر بمسجد النبي ﷺ فدخلـه فراى بابا طاعنا في المسجد شارعا بابه فقال: ما بال هذا البيت فقيل هذا بيت علي بن أبي طالب اقره رسول الله وردم سائر ابواب الصحابة فقال الوليد: أن رجلاً نلعنه على المنابر في كل جمعة ثم نقر بابه طاعنا في مسجد رسول الله ﷺ اهدم يا غلام... الخ [٣].

وروى عن زياد بن المنذر أنه كان يقول: كنت عند أبي جعفر محمد بن علي وهو يحدث الناس إذ قام إليه رجل من أهل البصرة يقال لـه عثمان الاعشى ـ كان يروي عن الحسن البصري ـ فقال لـه: يا ابن رسول الله جعلني الله فداك أن الحسن البصري يخبرنا أن هذه الآية نزلت بسبب رجل ولا يخبرنا مَن الرجل:

---

(١) تاريخ الاسلام/ صائب عبدالحميد: ٨٥.

(٢) ابن الأثير ٥: ٢٠.

(٣) مختصر تاريخ البلدان: ١٠٧.

﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ فقال: لو أراد أن يخبر به لأخبر به ولكنه يخاف[١].

ودخل المهدي على أبي عون بن عبد الملك يعوده وطلب إليه أن يعرض عليه حوائجه فقال أبو عون: يا أمير المؤمنين حاجتي أن ترضى عن عبد الله بن أبي عون وتدعو به فقد طالت موجدتك عليه وكان عبد الله يرى رأى الشيعة في الخلافة وأن علياً افضل الخلق بعد رسول الله فقال: المهدي يا أبا عون أنه على غير الطريق وعلى خلاف راينا.

فقال أبو عون: هو والله يا أمير المؤمنين على الأمر الذي خرجنا عليه ودعونا إليه[٢] فان كان قد بدا لكم فمرونا بما أحببتم حتى نطيعكم[٣].

كما عرضت على المهدي وصية وفيها ذكر علي بن أبي طالب فلما رأى ذلك رمى بالوصية ولم ينظر فيها[٤].

الحظر على من تسمى باسم علي عليه السلام:

ومما لا جدال فيه وما يلزمنا الاعتراف به أن كلا من الدولتين الأموية والعباسية قد تنكرتا لأهل البيت واصبح من عرف بالولاء لهم هدفا للنقمة كما هو مفهوم تلك السياسة إذ هو الخطر الذي يهدد كيانها وذلك ذنب لا يغفر.

وكان اسهل شيء على من يخشى سطوة الدولة أو يتهم بالانحراف عنها أن

---

(١) شواهد التنزيل ١: ٢٥٤. وللحسن البصري أمثال هذا كثير واعترف بخوفه من الأمويين.
(٢) يقصد أن الدعوة العباسية كانت في باديء أمرها طلب الثار للعلويين وتعظيمهم.
(٣) تاريخ ابن عساكر ٣٧: ١٨١. تاريخ الطبري ٦: ٤٠١.
(٤) تاريخ الطبري ٦: ٣٩٧، حوادث سنة ١٦٩.

يتظاهر بالعداء لأهل البيت ويظهر ذلك في نظم أو نثر أو تأليف أو وضع حديث أو اختلاق حكاية وقد أصبح ذلك طريقا لكسب المغانم وحصول الجوائز.

وذكر ابن أبي الحديد[1]: فقد علمت أنه استولى بنو أمية على سلطان الإسلام في شرق الأرض وغربها واجتهدوا بكل حيلة في إطفاء نوره والتحريض عليه ووضع المعايب والمثالب لـه ولعنوه على جميع المنابر وتوعدوا مادحيه بل حبسوهم وقتلوهم ومنعوا من رواية حديث يتضمن لـه فضيلة أو يرفع لـه ذكرا حتى حظروا أن يسمى أحد باسمه الخ...

ومن حديث طويل لأبي جعفر الاسكافي[2].. حتى أن الفقيه والمحدث والقاضي والمتكلم ليتقدم إليه ويتوعد بغايه الايعاد واشد العقوبة ألا يذكروا شيئاً من فضائلـهم ولا يرخصوا لاحد أن يطيف بهم وحتى بلغ من تقية المحدث أنه إذا ذكر حديثاً عن علي عليه السلام كنى عن ذكره فقال: قال رجل من قريش وفعل رجل من قريش ولا يذكر علياً ولا يتفوه باسمه...

وقد بلغ الحال أن التسميه باسم الإمام علي تستوجب الاتهام وقطع الصلة وهكذا مما يطول به الحديث والتاريخ حافل بالأعمال الارهابية التي اتخذها الحكام في توجيه الطاقات لبناء مجتمع يخضع لأرادتهم وتكييف الجماعات لبغض أهل البيت وكان الدور الأموي يلقنوا ابناءه بغض علي ويوجبون شتمه علنا فكان في المملكه الأموية سبعون ألف منبر يشتم عليها علي بن أبي طالب[3].

وصفوة القول أن الأمويين كانوا يبذلون جهودهم في توجيه المجتمع لاخفاء

---

(١) شرح النهج ١: ٢٢.
(٢) شرح النهج ١: ١٧. وعنه ينابيع المودة ١: ١١.
(٣) شرح النهج ١٣: ٢١٩.

مأثر علي فلا يسمح لاحد أن يروي عنه أو يتحدث بحديث عنه حتى صار المحدثون يكنون عنه بأبي تراب.

فمثلا أن الحسن البصري على عظيم قدره وعلو منزلته في الدولة الأموية ومناصرته لـهم وكان هو في ثغر البصرة بقوة الدفاع عنهم من الجيوش المدر به في ساحات الحرب حتى قالو لولا لسان الحسن البصري وسيف الحجاج لوئدت الدولة المروانيه في لحدها واخذت من وكرها وهو مع ذلك يخشى وقوع النقمة عليه أن ذكر علياً بخير وقد الجأه الأمر إلى أن ينال من علي وكان لا يذكره وإذا حدث عنه بقول قال أبو زينب: ويظهر الابتعاد عن علي حتى ظهر منه ما يوجب الانكار عليه فقال لـه أبان بن عياش ما هذا الذي يقال عنك انك قلته في علي.

فقال: يا ابن اخي احقن دمي من هؤلاء الجبابرة ـ يعني بني أمية ـ ولولا ذاك لسألت أبي أعشب[1].

ومن حديث عن أبي حنيفة قال:... وكان علي لا يذكر في ذلك العصر باسمه والعلامة عنه بين المشايخ أن يقولوا قال الشيخ ومنعوا الناس أن يسموا أبناءهم باسمه ويتعرض للبلاء من سمى ابنه علياً[2].

وسئل الحسن ذات مرة مالنا لا نراك تثني على علي وتقرظه قال: كيف وسيف الحجاج يقطر دما أنه أول من أسلم وحسبكم بذلك [3].

---

(١) الحسن البصري لابن الجوزي: ٧.

(٢) مناقب الإمام أبي حنيفة ١: ١٧١.

(٣) شرح النهج ١٣: ٢٣١. طرق حديث الائمة الاثنا عشر: ٣٦. الغدير ٣: ٢٣٤.

وبلغ من تقيته أنه إذا حدث عن علي فلم يذكر اسمه بل يرسلـه فيقول: قال رسول الله ﷺ فقيل لـه: انك تقول قال رسول الله وإنك لم تدركه...

فقال: أني في زمان كما ترى فكل شيء سمعتني أقول قال رسول الله ﷺ فهو عن علي بن أبي طالب غير أني في زمان لا أستطيع أن اذكر علياً[١].

وذكر ابن حجر في تهذيب التهذيب[٢] بترجمة علي بن رباح قال المقري: كان بنو أمية إذا سمعوا بمولود اسمه علي قتلوه فبلغ ذلك رباحا فقال: هو علي مصغرا وكان يغضب من علي ويحرج على من سماه به. وقال الليث: قال علي بن رباح لا اجعل في حل من سماني علي فإن اسمي علي فكان الناس يبدلون اسماء اولادهم قالـه زين العراقي.

وكان علي بن الجهم السلمي يلعن أباه لأنه سماه علي[٣].

وروى كان الحجاج لعنه الله يلعن علياً عليه السلام ويأمر بلعنه وقال لـه متعرض به يوماً وهو راكب: أيها الأمير أن اهلي عقوني فسموني علياً فغير اسمي وصلني بما انبلغ به فاني فقير فقال: للطف ما توصلت به وقد سميتك كذ ووليتك العمل الفلاني فاشخص إليه[٤].

وفي حديث كان معاوية أو عبد الملك بن مروان أو هما معا يأمران ابن

---

(١) تحفة الاحوذي في شرح الترمذي ٤: ٥٧١. تهذيب الكمال ٦: ١٢٤. تهذيب التهذيب ٢: ٢٣٢.

(٢) تهذيب التهذيب ٧: ٢٨١. سير أعلام النبلاء ٥: ١٠٢. تهذيب الكمال ٢٠: ٤٢٩. تاريخ ابن عساكر ٤١: ٤٨١.

(٣) لسان الميزان ٤: ٢١٠.

(٤) شرح النهج ٤: ٥٨. وج١١: ص٤٦. النصائح الكافية: ٩٩.

عباس أن يغير اسم ولده علي وكنيته [١].

وان هذا المولود هو الذي طلب من أمير المؤمنين تسميته فسماه بذلك وكناه وذكر المبرد فلما قدم معاوية قال لابن عباس: ليس لكم اسمه وكنيته قد كنيته أبا محمد فجرت عليه [٢].

عن أبي جعفر الاسكافي قال: وقد صح أن بني أمية منعوا من اظهار فضائل علي عليه السلام وعاقبوا على ذلك الراوي لـه حتى أن الرجل إذا روى عنه حديثاً لا يتعلق بفضله بل بشرائع الدين لا يتجاسر على ذكر اسمه فيقول: عن أبي زينب[٣].

وذكر الخطيب عن الفتح بن شخرف قال:... حملتني عيني فنمت فبينما أنا نائم إذا أنا بشخصين فقلت للذي يقرب مني من أنت يا هذا فقال لي: من ولد آدم قلت كلنا من ولد ادم فما الذي وراءك قال لي: علي بن أبي طالب قلت لـه: أنت قريب منه ولا تسألـه قال: أخشى أن يقول الناس: أني رافضي[٤].

وهكذا تجرى الأمر ويبلغ الحال كما يحدثنا المقريزي أن يزيد بن عبد الله أمير مصر أمر بضرب جندي تأديبا لشيء صدر منه وعندما احس الجندي بألم الضرب اقسم على الأمير بحق الحسن والحسين أن يعفو عنه فأمر الأمير بضربه ثلاثين سوطا جزاء لـهذا القسم وكتب إلى المتوكل في بغداد يخبره بخبر الجندى

---

(١) تاريخ الطبري ٨: ٢٣٠. حلية الأولياء ٣: ٢٠٧. الكامل للمبرد ٢: ١٥٧. ابن الأثير ٥: ٧٨. تاريخ ابن خلدون ١: ٣٥٠. تهذيب التهذيب ٧: ٣٥٨. شذرات الذهب ١: ١٤٨.

(٢) الكامل للمبرد ٢: ١٥٧.

(٣) شرح النهج ٤: ٧٣.

(٤) تاريخ بغداد ٢: ٢٥١.

فورد الكتاب على يزيد يأمره بضربه مئة سوط وحملـه إلى بغداد[١].

نعم أن الأمة الإسلامية قد منيت بالتحريف فجاء في تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة قولـه... لابد أن يكون للحكم الأموي اثر في اختفاء كثير من اثار على في القضاء والافتاء لأنه ليس من المعقول أن يلعنوا علياً فوق المنابر وأن يتركوا العلماء يتحدثون بعلمه وينقلوا فتاواه واقوالـه وخصوصا ما يتصل باساس الحكم الإسلامي[٢].

قال الإمام محمد عبده: أن عموم البلوى بالاكاذيب حق على الناس في دولة الأمويين فكثر الناقلون وقل الصادقون وامتنع كثير من اجلة الصحابة عن الحديث إلا لمن يثقون بحفظه[٣].

ترك السنن بغضا لعلي عليه السلام

وبعد أن اتضح لنا من سير الحوادث اهتمام ولاة الأمر في تلك العصور بتحويل انظار الناس عن اتباع علي عليه السلام وأهل البيت وعدم الاخذ بتعاليمهم ووجهوا الناس لمعاداة من اتبعهم في الأحكام الشرعية وهجرهم للسنة الصحيحة بغضاً لعلي.

وخلاصة القول: أن الأمويين كان اتجاههم للسياسة وقد ابتعدوا عن شؤون الدين فكان من سياستهم أن يقبلوا قول كل أحد غير قول على وأهل بيته ويعاقبون من يذكرهم في ذلك.

---

(١) تاريخ بغداد ٤: ١٥٣.

(٢) تاريخ المذاهب الإسلامية: ٢٦٥. منع الحديث: ٣٩٥.

(٣) منع تدوين الحديث: ٢٥٢.

كما يحدثنا الإمام أبو حنيفة عندما دعي ليسأل عن مسألة فقهية من قبل أحد الأمويين.

قال أبو حنيفة: فاسترجعت في نفسي لاني أقول فيها بقول علي ﷺ وادين الله به فكيف اصنع قال: ثم عزمت أن اصدقه وافتيه بالدين الذي ادين الله به وذلك أن بني أمية كانوا لا يفتون بقول علي ولا يأخذون به ـ إلى أن يقول: وكان علي لا يذكر في ذلك العصر باسمه وكانت العلامة بين المشايخ أن يقول: قال الشيخ[١].

ولا مجال لذكر مخالفات السنن بغضا لعلي وقد استوفتها كتب الحديث والجاميع الفقهية ولنضع صورة موجزة بين يدي القاريء من هذه المخالفات.

ترك التلبية بغضا لعلي عليه السلام:

أخرج البيهقي عن سعيد بن جبير قال: كان ابن عباس بعرفة فقال: يا سعيد مالي لا أسمع الناس يلبون فقلت: يخافون معاوية فخرج ابن عباس من فسطاطه فقال: لبيك اللهم لبيك وأن رغم انف معاوية اللهم ألعنهم فقد تركوا السنة من بغض علي[٢].

وذكر السندي في تعليقه على السنن ـ من بغض علي ـ أي لاجل بغضه إذ هو عليه السلام كان يتقيد بالسنن ـ كما عرفها من صاحب الرسالة ـ وهؤلاء تركوها بغضا لـه[٣].

---

(١) وضوء النبي ﷺ ١: ٢٤٩. مناقب أبي حنيفة ١: ١٧١.

(٢) النسائي في سننه ٥: ٢٥٣، ومثلهما ابن خزيمة في صحيحه ٤: ٢٦٠، والاعتصام بحبل الله المتين ١: ٣٦٠. غير ان النسائي وابن خزيمة قد حذفا (ارغام انف معاوية وكذلك لعنه من الحديث) واثبته ابن جرير من ثلاثة وجوه عن ابن عباس كما في كنز العمال ٥: ١٥٢، ح١٢٤٢٨، ح١٢٤٢٩.

(٣) حاشية السندي على النسائي ٥: ٢٥٣.

وفي كنز العمال عن ابن عباس قال: لعن الله فلانا أنه كان ينهى عن التلبية في هذا اليوم ـ يعني يوم عرفة ـ لأن علياً كان يلبي فيه[١].

وعن ابن كثير عن سعيد عن ابن عباس: أنه ذكر معاوية وانه لبى عشية عرفة فقال فيه قولاً شديداً ثم بلغه أن علياً لبى عشية عرفة فتركه[٢].

وعن ابن مسعود بلفظ قال: انسى الناس أم ضلوا سمعت الذي انزلت عليه سورة البقرة يقول في هذا المكان: لبيك اللهم لبيك[٣].

الجهر ببسم الله:

ذكر الفخر الرازي في تفسيره[٤] أقوال عديدة الخصها بما يلي فذكر قال: نقل أن علياً عليه السلام كان مذهبه الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم في جميع الصلوات وأقوال هذه الحجة قوية في نفس راسخة في عقلي لا تزول البتة بسبب كلمات المخالفين.

ثم قال: الحجة الرابعة: ما رواه الشافعي باسناده أن معاوية قدم المدينة فصلى بهم ولم يقرء بسم الله الرحمن الرحيم ولم يكبر عند الخفض إلى الركوع والسجود فلما سلم ناداه المهاجرون والأنصار يا معاوية سرقت منا الصلاة أين بسم الله الرحمن الرحيم وأين التكبير عند الركوع والسجود ثم أنه أعاد الصلاة مع التسمية والتكبير قال الشافعي: أن معاوية كان سلطانا عظيم القوة شديد الشوكة فلولا أن الجهر بالتسمية كان كالأمر المتفرد عند كل الصحابة من المهاجرين والأنصار والا

---

(١) كنز العمال ٥: ١٥٢.

(٢) البداية والنهاية ٨: ١٣٩. وهنا أحاديث في الصلاة تركناها.

(٣) صحيح مسلم ٢: ٩٣٢، و٢٧٠.

(٤) تفسير الرازي ٢: ٢٠٤.

لما قدروا على اظهار الانكار عليه بسبب التسمية.

الحجة الخامسة: روى البيهقي في السنن الكبرى عن أبي هريرة قال: كان رسول الله ﷺ يجهر في الصلاة ببسم الله الرحمن الرحيم ثم أن الشيخ البيهقي روى الجهر عن عمر بن الخطاب وابن عباس وابن عمر وابن الزبير.

وأما أن علي بن أبي طالب ؓ كان يجهر بالتسمية فقد ثبت بالتواتر ومن اقتدى في دينه بعلي بن أبي طالب فقد اهتدى والدليل عليه قوله ﷺ اللهم أدر الحق مع علي حيث دار.

ثم ذكر الرازي عن بعض الصحابة ذلك فذكر لأنس ستة روايات متناقضة ثم قال: بعدها يتتبع فثبت أن الرواية عن أنس في هذه المسألة قد عظم فيها الخبط والاضطراب والبقية متعارضة فوجب الرجوع إلى سائر الدلائل.

وأيضاً فيها تهمة أخرى وهي أن علياً ؑ كان يبالغ في الجهر بالتسمية فلما وصلت الدولة إلى بني أمية بالغوا في المنع من الجهر سعياً في ابطال آثار علي ؑ فلعل انساً خاف منهم فلهذا السبب اضطربت أقواله فيه ثم قال: ونحن وأن شككنا في شيء فلا نشك أنه مهما وقع التعارض بين قول أنس وأبي المغفل وبين قول علي بن أبي طالب ؑ الذي بقي عليه طول عمره[1] فان الاخذ بقول علي أولى... إلى أن يقول: وأن الدلائل العقلية موافقة لنا وعمل علي بن أبي طالب ؑ معنا ومن اتخذ علياً اماما لدينه فقد استمسك بالعروة الوثقى في دينه ونفسه[2].

---

(١) وهكذا تابعه أبنائه الأئمة الميامين ؑ كما ثبت في فقهم ونقل الرازي في أحكام البسملة: ٤٠ عن البيهقي عن جعفر بن محمد ؑ أنه قال: اجتمع آل محمد ﷺ على الجهر ببسم الله الرحمن الرحيم وقال: جعفر بن محمد لا ينبغي الصلاة خلف من لا يجهر نقلاً عن منع تدوين الحديث: ٢٨٧.

(٢) نقلا عن تدوين السنة: ٢٨٣، غير أن البيهقي في السنن ٢: ٥٠ قال: وجاء عن الزهري أول من

ترك التكبير بغضا لعلي عليه السلام.

عن ابن مسعود وأبي سعيد الخدري وغيرهم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يكبر عند كل خفض ورفع [(١)].

وعن ابن مطرف بن عبد الله قال: صلينا خلف علي بن أبي طالب عليه السلام أنا وعمران بن حصين فكان إذا سجد كبر وإذا رفع راسه كبر وإذا نهض من الركعتين كبر فلما قضى الصلاة أخذ بيدي عمران فقال: قد ذكرني هذا صلاة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو قال: لقد صلى بنا صلاة محمد [(٢)].

وفي لفظ لأحمد: قال عمران ما صليت منذ حين أو قال: منذ كذا وكذا اشبه بصلاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الصلاة صلاة علي [(٣)].

وبالفاظ أخرى متقاربة كما في صحيح البخاري [(٤)].

وفي لفظ عند العسقلاني في شرح حديث عمران أنه صلى مع علي في البصرة فقال: ذكرنا هذا الرجل صلاة كنا نصليها مع رسول الله الخ [(٥)].

ومثلـه عن أبي موسى الأشعري: لقد ذكرنا علي بن أبي طالب صلاة كنا

قرء بسم الله الرحمن الرحيم سراً بالمدينة عمرو بن سعيد بن العاص. انظر: تذكرة الحفاظ ١: ١١٠.

(١) صحيح البخاري ٢: ٧. سنن الدارمي ١: ٢٨٥. سنن النسائي ٢: ٢٠٧، ٢٣٠. المدونة الكبرى ١: ٧٣. بدائع الصنائع ١: ٢٠٧. البحر الرائق ١: ٥٣٢. مسند أحمد ١: ٣٨٦. سنن الترمذي ٢: ٢٠٥. مجمع الزوائد ٢: ١٠٤.

(٢) مسند احمد ٤: ٤٤٠. وج٤: ص٤٤٤. صيحيح مسلم ٢: ٨. سنن أبي داود ١: ١٩٢. فتح الباري٢: ٢١٤.

(٣) مسند أحمد ٤: ٤٢٩.

(٤) صحيح البخاري ١: ١٩٠ وص١٩١، وص٢٠٠. صحيح مسلم ٢: ٨.

(٥) فتح الباري ٢: ٢١٤. سنن النسائي ١: ٢٠٤. سنن أبي داود ١: ١٣٣.مسند أحمد ٤: ٤٢٨ ـ ٤٤٤.

نصليها مع رسول الله ﷺ اما نسيناها أو تركناها عمدا[١].

غير أن معاوية ـ كما أخرج في كتاب الام عن عبيد بن رفاعة عن أبيه ـ قدم المدينة فصلى بهم فلم يقرء ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ ولم يكبر إذا خفض وإذا رفع فناداه فناداه المهاجرون والأنصار حين سلم أن يا معاوية سرقت صلاتك أين البسمله وأين التكبير إذا خفضت وإذا رفعت فصلى بهم صلاة أخرى فقال: ذلك فيما الذي عابوا عليه[٢].

وأخرج ابن أبي شيبه عن سعيد بن المسيب أنه قال: أول من نقص التكبير معاوية[٣].

وكما جاء في نيل الاوطار بعد كلام حكى عن الطحاوي: أن بني أمية كانوا يتركون التكبير في الخفض دون الرفع وما هذه باول سنة تركوها[٤].

وذكر لمعاوية في الوسائل إلى مسامرة الاوائل، أموراً كثيرة ابتدعها معاوية وسارت عليها الأجيال وصارت هي السنة تبعاً لما سنته أيدي الهوى وعمل بها حتى يومنا هذا وكما ذكر له امورا أخرى ابتدعها معاوية[٥].

---

(١) مسند أحمد ٤: ٣٩٢. فتح الباري ٢: ٢٢٤. علل الدارقطني ٧: ٢٢٣.

وفي حديث قال: أبو موسى الاشعري لقد ذكرنا علي بن أبي طالب صلاة كنا نصليها مع رسول الله أما نسيناها أو تركناها عمداً نقلاً عن في رحاب العقيدة: ١٢٢، عن مسند أحمد ٤: ٣٩٢، ٤١١ وص ٤١٥، مصنف ابن أبي شيبة ١: ٢١٧، وشرح معاني الآثار ١: ٣٣١، وفي لفظ آخر فراجع.

(٢) كتاب الأم ١: ١٣٠. ومن طريق أنس كما في البحر الزاخر ١: ٢٤٩.

(٣) نيل الأوطار ٢: ٢٦٦. فتح الباري ٢: ٢٢٤. تحفة الاحوذي ٢: ٨٦. عون المعبود ٣: ٤٥. تاريخ الخلفاء (السيوطي): ١٣٤. شرح الموطأ ١: ١٤٥، وعن أبي هريرة مثله كما في نيل الأوطار والطبراني.

(٤) نيل الأوطار ٢: ٢٦٦.

(٥) كما في الغدير ٨: ١١٧، والنصائح الكافيه ولا تنس قول أبي الدرداء من يعذرني من معاوية أقول

ترك المسح في الوضوء بغضا لعلي عليه السلام.

وكما أن الوضوء أيضاً تغير بغضا لعلي في أحاديث كثيرة لا مجال للتفصيل وقد استوفي القول بذلك السيد علي الشهرستاني في كتابه وضوء النبي صلى الله عليه وآله وسلم، عن البيهقي [١] قولـه انها لا تتم صلاة احدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله يغسل وجهه ويديه إلى المرفقين ويمسح براسه ورجليه.

ينظر أن غسل القدمين في الوضوء مسألة حادثة إذن بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وقد رجح الشهرستاني انها ظهرت أيام عثمان فكافحها الإمام علي وصحح العمل وفقا للكتاب والسنة فلما جاء بنو أمية عادوا إلى الخلاف بغضا لعلي.

وقد حكم بعضهم بافضلية المسح على الخفين لا للدليل وإنما كان ذلك الحكم لاجل طعن الشيعة في ادلة المسح وقال: واحياء ما طعن فيه المخالفون من السنن افضل من تركه [٢].

وليس هنا مجال للتعرض للمسائل الفقهية الاخرى التي غيرتها السلطة بغضا لعلي ولا غرابة من بني أمية التهاون بالدين والاستخفاف بالشريعة لأن خليفتهم افضل من رسول الله [٣] وربما يوجه الأمة كيفما أراد (وما على الخلفاء حساب ولا عذاب)[٤].

⊃

لـه: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيقول أقول أنا. وتقدم الحديث.

(١) السنن الكبرى ١: ٤٤. وج٢: ٣٤٥.

(٢) نيل الأوطار ١: ٢٢٢. فتح الباري ١: ٢٦٤. تحفة الاحوذي ١: ٢٦٤.

(٣) البداية والنهاية ٩: ١٥١.

(٤) تاريخ الخلفاء: ٣٢٩.

ترك التشبه بالشيعة،

وهكذا طغت موجة التعصب على كثير من الفقهاء ممن ترك أمر دينه لمصلحة دنياه فتركوا أمور قد ورد الدليل من الشارع في استحبابها أو وجوبها ولكنهم رجحوا الترك لأن العمل بها يدعوا إلى التشبه بالشيعة والتشبه بهم ينبغي تجنبه كما افتى بذلك الحافظ العراقي شرح المواهب اللدنيه وابن تيمية عند بيان التشبه بالشيعة.

وهنا يجب الالتفات إلى هذا الأمر وما حدث من ورائه من تزك الأعمال المستحبة ولعلـه ادى إلى ترك بعض الواجبات استنادا إلى هذه الحجة وهي مراعاة المصلحة وبالطبع انها مهمة حتى التقرب للولاة الفسقة والعمل لـهم بالظلم والجور.

نعم أن مصلحة التمييز عن الشيعة اهم من مصلحة المستحبات الشرعية عندهم ولعلـه من هذا الباب ينفتح ترك كثير من الأخبار الصحيحة الواردة عن صاحب الرسالة لأن في نقلـها واثباتها يثبت التشيع والمصلحة تدعوا إلى التمييز عنهم فيلزم تركها... ومن المصلحة أيضاً تأويل بعض الآيات ووضع الأحاديث بما يدعو إلى اظهار التجنب عن تهمة التشيع.

ومن المصلحة أيضاً قالوا: يمنع المصلي عن اختصاص جبهته بما يسجد عليه من ارض وغيرها لأن ذلك الاختصاص من شعار الشيعة (انظر غاية المنتهى في الجمع بين الاقناع والمنتهى ١: ١٣٥ الفقه الحنبلي) وطبعا أن اتخاذ شعار الشيعة فيه حظر فمن المصلحة تركه لأن الشيعة قد التزموا بالسجود على الأرض أو ما انبتته لقولـه ﷺ جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا.

وكان أصحاب محمد ﷺ يسجدون على الأرض فأثر ذلك في جباههم وقد مدحهم الله تعالى بذلك إذ يقول: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾[1].

وذكر في صفة عمة النبي ﷺ على رواية علي عليه السلام في اسدالها على منكبيه حين عممه رسول الله ﷺ ثم ذكر قول الحافظ العراقي: أن ذلك أصبح شعار كثير من فقهاء الإمامية فينبغي تجنبه لترك التشبه بهم [2].

وذكر ابن تيمية [3] عند بيان التشبه بالشيعة ومن هنا ذهب من ذهب من الفقهاء إلى ترك بعض المستحبات إذا صارت شعارا لهم فإنه وأن لم يكن الترك واجبا لذلك لكن في اظهار ذلك مشابهة لهم فلا يتميز السني من الرافضي ومصلحة التمييز عنهم لاجل هجرانهم ومخالفتهم أعظم من مصلحة ذلك المستحب.

وقال مصنف الهداية من الحنفية: أن المشروع التختم باليمين ولكن لما اتخذته الرافضة جعلناه في اليسار.

وأول من اتخذ التختم باليسار خلاف السنة هو معاوية كما في ربيع الأبرار وقال الشيخ محمد بن عبد الرحمن: السنة في القبر ـ التسطيح وهو أولى على الراجح من مذهب الشافعي وقال أبو حنيفة وأحمد: التسنيم أولى لأن التسطيح صار شعار للشيعة[4].

---

(١) الفتح: ٢٩.

(٢) المواهب اللدنية للزرقاني ٥: ١١٣.

(٣) منهاج السنة ٢: ١٤٢.

(٤) كتابه (رحمة الأمة في اختلاف الأئمة)، المطبوع بهامش ميزان الشعراني ١: ٨٨.

وقال الغزالي: أن تسطيح القبور هو المشروع والتختم باليمين ولكن لما جعلته الرافضة عدلنا عنه إلى التسنيم [١].

وقال الزمخشري [٢]: القياس جواز الصلاة على كل مؤمن لقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ﴾[٣] وقوله تعالى: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلاَتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ﴾[٤]. ولكن للعلماء تفصيل في ذلك وهو انها أن كانت على سبيل التبع كقولك صلى الله على النبي واله فلا كلام فيها وأما إذا افرد غيره من أهل البيت بالصلاة كما يفرد هو مكروه لأن ذلك شعار لذكر رسول الله ﷺ ولانه يؤدي إلى الاتهام بالرفض... الخ.

ومثله ابن حجر قوله: اختلف في السلام على غير الأنبياء وبعد الاتفاق على مشروعيته في تحيته الحي فقيل يشرع مطلقا وقيل بل تبعا ولا يفرد لواحد لكونه صار شعارا للرافضة ونقله النووي عن الشيخ أبي محمد الجويني[٥].

وقال الشيخ إسماعيل البروسوي في تفسيره [٦]: (عقد الدرر واللئالى): المستحب في ذلك اليوم ـ يعني يوم عاشوراء ـ فعل الخيرات من الصدقة والصوم والذكر وغيرها ولا ينبغي للمؤمن أن يتشبه بيزيد بن معاوية في بعض الافعال وبالشيعة والروافض والخوارج أيضاً يعني لا يجعل ذلك اليوم عيدا أو يوم مأتم ـ إلى أن يقول ـ : فإن ترك السنة سنة إذا كان شعارا لأهل البدعة كالتختم

(١) وضوء النبي ﷺ ١: ٤٥٤.
(٢) في تفسيره ٢: ٤٣٩.
(٣) الاحزاب: ٤٣.
(٤) التوبة: ١٠٣.
(٥) فتح الباري ١١: ١٤٦.
(٦) تفسير روح البيان ٤: ١٤٢.

باليمين فإنه في الاصل سنة لكنه صار شعار أهل البدعة والظلمة صارت السنة أن يجعل الخاتم في خنصر اليد اليسرى في زماننا كما في شرح القهستاني ومن قرء يوم عاشوراء واوائل المحرم مقتل الحسين ﷺ فقد تشبه بالروافض خصوصاً إذا كان بالفاظ مخلة بالتعظيم لاجل تحزين السامعين وفي كراهية القهستاني لو أراد ذكر مقتل الحسين ينبغي أن يذكر أولاً مقتل سائر الصحابة لئلا يشابه الروافض.

وذكر الغزالي يحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين وحكايته وما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم فإنه يهيج بغض الصحابة والطعن فيهم الخ.. وذكر المقريزي قولـه وقد ادركنا بقايا مما عملـه بنو أيوب من اتخاذهم يوم عاشوراء يوم سرور.

ويشير بذلك لملوك بني أيوب في مصر وحثالة الشجرة الملعونة في الشام باتخاذهم يوم عاشوراء يوم فرح وسرور ويصنعون فيه ما يجري في الاعياد من رقص ولـهو وبذل الطعام وتقديم الحلوى وتبادل التهاني.

ألا تر خصوم الشيعة واعداء الحسين أنهم يسيرون على ما سنه فرعون زمانه؛ الحجاج وطغاة الأمويين من ابناء الطلقاء.

فما أدري هل حسبوا أنهم احسنوا صنعا بهذا.

وهل سروا رسول الله بذلك كما فرحوا بقتل سبطه وفلذة كبده وريحانته وسيد شباب الجنة.

ام جهلوا منزلة أبي الضيم الحسين بن علي الذي رفض الذل والرضوخ لانحراف المستبدين بتغيير سنة جده سيد المرسلين.

ولكن اندفع ولاة الجور للدفاع لتثبيت سلطانهم وكيان ملكهم بتشويه المسار الصحيح لثورة الإمام الحسين التي قضت مضاجعهم وهزت عروشهم فبثوا روح

الفرقة بين افراد الأمة للسيطرة على استحصال غاياتهم التي لا تتم مع اتفاق المسلمين كما صبغوا تلك الجرائم بصبغة دينية ولكنها في الواقع بعيده عن روح الدين ورسالة الإسلام.

وقد افصح لنا التاريخ عن نياتهم السيئة وما يقصدون من وراء ذلك من أحقاد بدرية وضغائن أحدية والشواهد على ذلك كثيرة وكما اظهره طاغيتهم يزيد عندما قتل الإمام الحسين وسبي اهلـه وحريمه ودخول السبايا عليه استشهد وهو فرح جذان بأبيات ابن الزبعري.

ليت اشياخي ببدر شهدوا...

حتى يقول: متشمتا برسول الله بأخذ الثأر منه.

قد قتلنا القرم من ساداتهم   وعدلناه ببدر فعدل

ويقصد بهم اجداده واعمامه الذين قتلـهم أمير المؤمنين يوم بدر مع رسول الله ﷺ وكما أن والي المدينة [1] عندما سمع واعية نساء بني هاشم بقتل الحسين خاطب قبر الرسول الشريف مؤشرا إليه بيده: (يوم بيوم بدر يا رسول الله) فعاتبه الأنصار وغضب من سمعه من الناس.

واستمرت الأجيال على ما ورثوه من سلفهم وازرهم رجال من خلفهم فابتعدوا عن الحق وشوهوا الحقائق أمثال ابن تيمية وابن حزم وابن كثير وابن خلدون فبرروا ليزيد الخمار السكير افعالـه الشنيعة بالاجتهاد ومنحوه الاجر والثواب بقتل الحسين السبط ووقعة الحرة الشهيرة وغيرها وتأولوا لـه من الموبقات الصريحة بما يضحك الثكلى ويبكي المسلم الغيور. وتقدم الحديث عن ذلك.

---

(١) وذكر أبيات يا حبذا يردك في اليدين. شرح النهج ٤: ٧١.

الحذف من بعض الأحاديث

من المعلوم الذي لا نقاش فيه أن الخيانة للعلم والحقيقة في نقل الحديث الثابت عن رسول الله أو الرواية عن صحابته ويثبت نصها الصحيح المشهور أو يتواتر نقلها في اهم المصادر وعرفت بذلك غير أن البعض يحذف منها قسما تسوقه العصبية أو يطعن في سندها تحكما وزورا تبعا لهواه ولم يخشى الله سبحانه في خيانته وجريمته في حق العلم والأمة وسأعرض لصور من ذاك.

وبعد ملاحظة الكتب التي يعاد طبعها وتتعرض للزيادة أو النقيصة أو الحذف والتصحيف ولا اعني بالكاتب المعاصر الذي يعيد طبع كتابه فيغير من المواضيع التي تخصه.

ولكن ما نلاحظه من الاعادة لطبع بعض الكتب القديمة ويتصرف الشارح أو المعلق أو ما يسمى بالمحقق أو من صاحب الطبع فيحذف من الحديث ما يريده أو يضيف إليه ما يرغب به.

وهكذا تنسرب الخيانة وتشمل كتب التاريخ والسير والحديث وحتى دواوين الشعر ومعاجم الأدب ويتصرف بشعر الشاعر حسب مذاقه ومرامه.

ولم تختصر تلك الخيانة بحذف الجملة أو زيادة كلمة بل توسعت إلى فصل من الكتاب أو موضوع لا يرغب فيه الطابع أو الشارح فيحذفه كليا ولم يشير إليه كما ذكر (المغماري في هامش: ١٦٣ من كتاب البرهان الجلي) فقال: ومثل هذا وذاك ما حصل في تفسير البحر المحيط فإن أبا حيان تعرض فيه لابن تيمية وذمه.

وذم بدعته فحذف المشرف على الطبع بمطبعة السعادة ذلك الكلام من اصلـه ولم يترك لـه في التفسير ما يدل عليه.

ومثلـه في كشكول الشيخ البهائي وكتاب المحلاة ما ذكره العلامة السيد مهدي الخرسان في المقدمة: قولـه والأمر يلفت النظر في الطبعات المصرية جميعها اسقاط جميع ما فيه من الأدب الفارسي وهو يبلغ ثلث الكتاب مضافا إلى وقوع التصحيف والتحريف والتحوير والتزوير مما امكن معه سلب الكتاب من مؤلفه.

وما وقع للدكتور علي سامي النشار وعصام الدين قد طبعا كتاب طبقات المعتزلة وحذفا من الكتاب (١٢٠ إلى ١٤٠).

وعلق ابن حجر وشرح صحيح البخاري بجمل منه وشرحها مطيلا تارة ومختصرا أخرى ولكن لا نوجد هذه الجمل في اصل صحيح البخاري وعد منها السيد جعفر مرتضى ما يقرب من خمسين جملة في كتابه: (دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام:٢٧).

وغير هذا كثير من الكتب ولسنا بصدد احصائها ولو جمعت لاصبحت كتاب ضخم ولا يهمنا هذا بقدر ما يتعلق بفضائل أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته وخشية التطويل أعرض لنماذج من ذاك ولواحد منها وهو الصواعق المحرقة لابن حجر كما قابل السيد طيب الجزائري بين طبعتي الكتاب في سنة ١٣١٢ وبين طبعة سنة ١٣٨٥ وطبعت الاخير بالاوفست.

١ ـ حذف عبارة (ذكر علي عبادة) من/٧٤.

٢ ـ حذف عبارة من/٧٦ وهي (وأخرج الطبراني عنه قال: كانت لعلي ثمانية عشر منقبة ما كانت لاحد في هذه الأمة).

٣ـ حذف عبارة من: ٨٧ وهي (وفي رواية للحاكم فقلنا يا رسول الله كيف الصلاة عليكم أهل البيت فقال: اللهم صل على محمد وال محمد الخ.

٤ ـ وفي: ٢٠ في قولـه صراط (علي) مستقيم فحذفت كلمة علي.

إلى غير ذلك مما ذكره السيد طيب في جدولـه المفصل فمن أراده فليراجعه نقلا عن كتاب دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام للسيد جعفر مرتضى وأشار إلى بعض الكتب التي شملتها الخيانة بالحذف والتحريف بسبعة وعشرين كتاباً وفيها بعض الصحاح والمسانيد وكتب الحديث.

وذكر المرحوم الشيخ المظفري في دلائل الصدق: ٢٦٨/٢ حول حديث المؤاخاة فقال: نقل في ينابيع المودة الباب التاسع مع حديث المؤاخاة عن أحمد في مسنده عن زيد بن أبي أوفى كما نقلـه المصنف (رحمه الله) في منهاج الكرامة عن مسند أحمد أيضاً ـ إلى أن قال ـ: ثم حكى في الينابيع أيضاً عن أحمد في مسنده عن حذيفة بن اليمان قال: آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار وكان يواخي بين الرجل ونظيره ثم أخذ بيد علي فقال: هذا اخي الخ... وحكى عن عبد الله بن أحمد في زوائد المسند ثمانية أحاديث في مؤاخات النبي لعلي ـ إلى أن قال ـ وكان القوم قد تعللوا لحذفها من المسند في الطبع بدعوى انها من الزيادات فاني لم اعثر على شيء منها وليراجع (الدلائل ٢: ١٤٣).

وذكر السيد جعفر مرتضى في كتابه دراسات قال: ولقد راجعت أنا بدوري مسند أحمد فلم اجد فيه مسند لزيد بن أبي اوفى نعم فيه مسند لاخيه عبد الله بن أبي اوفى ولم يكن فيه حديث المؤاخاة وكذلك في مسند حذيفة بن اليمان... كما أن الأحاديث الثمانية لا توجد.

ولقد طبع كتاب طبقات ابن سعد عدة طبعات وترجمة الحسنين عليهما السلام فيه اوراق معدودة يراها كل ناظر فيه.

ولكن المرحوم السيد عبد العزيز الطباطبائي قد وجد مخطوطه للطبقات في تركيا كانت فيها ترجمة الحسنين أضعاف ما هو مذكور في المطبوع من الكتاب وقد طبع في مجلد خاص.

وذكر السيد طيب الجزائري في مقدمته لكتاب الصواعق المطبوع سنة ١٣١٢ وبهامشها تطهير الجنان فذكر جدولا للتحريفات الواقعة فيه وعلى سبيل المثال قال: قد حذفت العبارة التالية:... أمير المؤمنين ثم جاءها علي فقالت سلوه ما يريد فذكر لـها ما ذكر عمار ثم قالت اطلب بدم عثمان.

وذكر ابن شهر آشوب في (المناقب): وهو يتحدث عن اولاد فاطمة قال: وفي المعارف (لابن قتيبة): أن محسنا فسد من زخم قنفذ العدوي[1] فقال الكنجي في كفاية الطالب/٤١٣ و٣٥٢ وزاد على الجمهور وقال: أن فاطمة عليها السلام اسقطت بعد النبي ذكرا كان سماه رسول الله ﷺ محسنا وهذا شيء لم يوجد عند أحد من أهل النقل إلا عند ابن قتيبة.

ولكن الموجود في معارف ابن قتيبة المطبوع/١٣٥٣ وص ٩٢ هكذا... وأما محسن بن علي فهلك وهو صغير.

وجاء بهامش كتاب آراء علماء المسلمين /٢٤٦ للسيد مرتضى الرضوي قبل نصف قرن تقريباً (قامت دار الكتب المصرية بالقاهرة بمديرية الأستاذ علي

---

(١) مناقب آل أبي طالب ٣: ١٣٣.

فكري للدار بمراجعة الكتب التي يشم منها التأييد للشيعة الإمامية أو لأهل البيت فكانت اللجنة تحذف ذلك الكلام كلـه وتختم الكتاب بالعبارة الآتية (راجعته اللجنة المغيرة للكتب) بتوقيع رئيس اللجنة علي فكري[1].

كما ذكر ابن قتيبة في المعارف: أن أنس بن مالك كان بوجهه برص وذكر قوم أن علياً عليه السلام سألـه عن قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اللهم وال من والاه وعاد من عاداه فقال: كبرت سني ونسيت، فقال علي: ((أن كنت كاذباً فضربك الله ببياظ لا تواريه العمامة)) [2] الخ غير أن الايدي الاثيمة إذا لم تستطع الطعن في سند الحديث اضافة إليه عبارة بعد الحديث (قال أبو محمد: ليس لـهذا اصل) خروجاً عن سياق الأحاديث في الكتاب ووقع نظير هذا مع البغوي في (المصابيح)، وقال: ليس لـهذ اصل وعلق عليه الشارح وقال: هذه زيادة من بعضهم وليس من اصل الكتاب، كما سيأتي.

ومثلـه ما جاء عن ابن أبي الحديد: أن أبا هريرة لما قدم الكوفة مع معاوية كان يجلس بالعشيات بباب كندة ويجلس الناس إليه فجاء شاب من الكوفة فجلس إليه فقال: يا أبا هريرة انشدك الله اسمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعلي بن أبي طالب: ((اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)) فقال: اللهم نعم قال: فاشهد بالله لقد واليت عدوه وعاديت وليه ثم قال: عنه وردت الرواة أن أبا هريرة كان يؤاكل الصبيان في الطريق ويلعب معهم وكان يخطب وهو أمير المدينة فيقول:

---

(١) نقلاً عن وضوء النبي: ١٦٠ـ ١٦١.

(٢) وذكره عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج ٤: ٣٨٨، وذكرنا تفصيل الحديث في المناشدة بيوم الغدير.

الحمد لله الذي جعل الدين قياما وابا هريرة إماما يضحك الناس بذلك. وكان يمشي وهو أمير المدينة في السوق فإذا انتهى إلى رجل يمشي أمامه ضرب برجليه الأرض ويقول: الطريق الطريق! قد جاء الأمير يعني نفسه[١].

وقد ذكر ابن قتيبة هذا كلـه في كتاب المعارف المطبوع سنة ١٣٥٣ ولكن الأيدي قد تلاعبت به كما انها حذفت من الكتاب جبن حسان بن ثابت وغيره كما نسبها ابن أبي الحديد وحيث لم يتعلق بفضائل أمير المؤمنين لم نذكره.

حذف حديث: أنا مدينة العلم وعلي بابها:

ذكر العلامة الحلي حديث: ((أنا مدينة العلم وعلي بابها)) عن صحيح الترمذي[٢] واعترف ابن رزبهان بصحة ذلك قائلاً وأما ما ذكره عن صحيح الترمذي فصحيح. ونقلـه عن الترمذي قبل العلامة ابن الأثير الجزري في جامع الأصول[٣].

ومحمد طلحة في مطالب السؤول/٣٥ واعترف به ابن تيمية وهو معاصر العلامة في منهاج السنة برواية الترمذي.

كما نقلـه عن الترمذي جماعة كثيرة من علماء السنة المتأخرين منهم السيوطي في تاريخ الخلفاء، والمبيدي في شرح الديوان، وابن حجر في الصواعق، والسخاوي في المقاصد، والدهلوي في أسماء رجال المشكاة. والزرقاني في شرح المواهب اللدنية، الصبان في اسعاف الراغبين، والمرقاة في شرح المشكاة، وغيرهم ومع هذا كلـه فإن حديث أنا مدينة العلم غير مذكور في نسخ صحيح الترمذي بل

---

(١) شرح النهج ٤: ٦٨.

(٢) كشف اليقين: ٥١.

(٣) جامع الأصول ٩: ٤٧٣. أسد الغابة ٤: ٢٢.

الموجود فيها حديث: ((أنا دار الحكمة))[1] وهو غيره كما أنه لم يسلم من الأيدي العابثة وسيأتي الحديث عنه.

حذف تصحيح حديث رد الشمس:

أخرج الطحاوي في مشكل الآثار[2]: حديث رد الشمس لأمير المؤمنين وأخرجه بلفظين وقال: هذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات وقد نقل هذا التصحيح عن الطحاوي جماعة منهم القاضي في الشفاء غير أن يد الطبع قد حرفته عن مشكل الاثار.

كما ذكر الحديث عن الطحاوي جماعة منهم ابن حجر في فتح الباري[3]: وقال: روى الطحاوي والطبراني في الكبير والحاكم والبيهقي في الدلائل وفي عمدة القاري، وغيرهم.

حديث انذار العشيرة:

أخرج الطبري في تاريخه: وغيره الحديث عن علي بن أبي طالب قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله ﷺ: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾[4] وبتلخيص فأمر علياً أن يصنع لهم وليمة ولثلاث مرات، فقال رسول الله ﷺ مخاطباً أعمامه: يا بني عبد المطلب أني والله ما اعلم شابا في العرب جاء قومه بافضل مما

(١) سنن الترمذي ٥: ٣٠١، ح٣٨٠٧.

(٢) المصدر ٢: ١١.

(٣) فتح الباري ٦: ١٥٥.

(٤) الشعراء: ٢١٤.

قد جئتكم به أني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله تعالى أن ادعوكم إليه فايكم يؤازرني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيي وخليفتي فيكم قال: فاحجم القوم عنها جميعا وقلت واني لاحدثهم سنا... أنا يا نبي الله ولثلاث مرات فأخذ برقبتي ثم قال: أن هذا اخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا لـه واطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب قد أمرك أن تسمع لابنك وتطبع.

وأخرج هذا الحديث سندا ومتنا جمع من الحفاظ والمؤرخين وأصحاب السير وبعض المفسرين وبطرق عديدة أخرى.

ولما أن الحديث فيه ذكر الوصية والخلافة قلبوا لـه طهر المجن فهذا يحرفه وذاك يحوره ويحذف من اخره واولـهم الطبري نفسه بعد ما أثبته في تاريخه وصححه كما مر فاخرجه في تفسيره حرفيا متنا واسنادا فندم على قولـه الأول واجمل القول بما صرح به الرسول وحرف قولـه ﷺ (أن يكون أخي ووصيي وخليفتي) فقال: (ويكون أخي وكذا وكذا) وكذلك في تفريع الرسول بالقول لما وضع يده برقبة علي وقال: (بأن هذا أخي وكذا وكذا).

وتبعه على هذا التحريف ابن كثير في بدايته[1] وفي تفسيره أيضاً على أن مصدره في التاريخ هو تاريخ الطبري كما صرح في مقدمة كتابه فعلام هذا ولم يتبع للمؤرخين أمثالـه الذين ذكروا الحديث تاما مثل ابن الأثير في كاملـه وابن عساكر في تاريخه ترجمة أمير المؤمنين[2] وغيرهم أو مثل بعض المفسرين كالخازن

(١) البداية والنهاية ٣: ٥٣. تفسير ابن كثير ٣: ٣٦٤. السيرة النبوية (ابن كثير) ١: ٤٥٩. شواهد التنزيل (الحسكاني) ١: ٤٨٧.

(٢) تاريخ ابن عساكر ٤٢: ٥٠.

والسيوطي في الدر المنثور والثعلبي في تفسيره وأصحاب السير مثل الحلبي[١]، والسيوطي في جمع الجوامع كما في ترتيبه[٢] نقلاً عن الطبري[٣] وفي (٣٩٧) عن الحفاظ الستة ابن إسحاق وابن جرير وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم والبيهقي ولم يطعن فيه أحد واحتجوا به في دلائل النبوة والخصائص العلوية وصححه أبو جعفر الاسكافي كما في شرح النهج، وشهاب الدين الخفاجي في شرح الشفاء للقاضي عياض[٤] وقال: ذكر في دلائل البيهقي وغيره بسند صحيح كما ذكره في مسند أحمد ١: ١١١، وغيرهم.

ونقل العلامة الحلي من مسند أحمد: لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ جمع النبي من أهل بيته ثلاثين فاكلوا وشربوا ثلاثا ثم قال لهم من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون خليفتي ويكون معي في الجنة فقال: علي أنا فقال: أنت.

فقال الفضل بن رزبهان: وفي مسند أحمد بن حنبل: (ويكون خليفتي) غير موجود بل هو في إلحاقات الرافضة وهذان الكتابان اليوم موجودان وهم لا يبالون من خجلة الكذب والافتراء[٥].

---

(١) المصدر ١: ٢٨٦.
(٢) المصدر ٦: ٣٩٢. وروى الحديث أحمد بن حنبل في مسنده ١: ١٥٩. والهيثمي في مجمع الزوائد ٨: ٣٠٢ وغيرهم.
(٣) تاريخ الطبري ٢: ٦٣.
(٤) المصدر ٣: ٣٧.
(٥) دلائل الصدق ٢: ٣٥٩.

فذكر الشيخ المظفري من أعجب العجب أن يكذب هذا الرجل وينسب الكذب إلى العلامة وشدد النكير عليه وإذا أردت أن تعرف كذبه فراجع المسند تجد الحديث مشتملا على لفظ (خليفتي) [١].

وهكذا نقلـه في كنز العمال[٢]: وعن أبي جرير قال: وصححه وعن الطحاوي والضياء في المختارة كما نقلـه المظفري أيضاً في دلائل الصدق[٣] عن مصادر أخرى.

وتبع ابن كثير على هذا التحريف ابن خلدون في تاريخه كما أن مصدره الطبري أيضاً وزاد على من سبقه فبتر الحديث ولم يعطي فيه أي مزية لعلي فقال: فجمع بني عبد المطلب وهم يومئذ أربعون على طعام صنعه لـهم علي بن أبي طالب بأمر رسول الله فدعاهم إلى الإسلام ورغبهم وحذرهم وسمعوا كلامه وافترقوا ومنهم هيكل دون هذا الحديث بصيغته الصحيحة في مقال لـه نشر في ملحق جريدة السياسة المصرية[٤]. وكذلك في كتابه (حياة محمد: ١٠٤) الطبعة الأولى وبعد أن طبعه في طبعات أخرى اسقط ما فرع به الرسول وهي كما في الحديث ووضع يده على رقبة علي وقال: (هذا اخي ووصيي ووارثي).

---

(١) مسند أحمد ١: ١١١.

(٢) كنز العمال ١٣: ١٢٩، رقم [٣٦٤٠٨].

(٣) دلائل الصدق ١: ١٤٧. ومن المصادر الأخرى التي نقلت الحديث بلفظ خليفتي: مجمع الزوائد ٩: ١١٣. خصائص الوحي المبين: ١٢٢. تفسير ابن كثير ٣: ٣٦٣، و٣٦٤. تاريخ ابن عساكر ٤: ٣٢، وج٤٢، ص٤٨. البداية والنهاية ٣: ٥٣. نهج الإيمان: ٢٣٨. السيرة النبوية لابن كثير ١: ٤٦٠. ينابيع المودة ١: ٣١٢.

(٤) العدد ٢٧٥١ الصادر في ١٢ / ١١ / ١٣٥٠هـ والعدد ٢٧٨٥.

واضاف إليه أمر جديد لم يأتي به أحد من رواة الحديث وطرقه الكثير وهي قول علي: أنا يا رسول الله عونك أنا حرب لمن حاربت وانتهى بسخرية بني عبد المطلب [(١)].

ونقل عن الشيخ محمد جواد مغنية في كتابه (فلسفة التوحيد والولاية:١٧٩ و ١٣٢): أن هيكل نفسه قد حذف ذلك لقاء (٥٠٠) جنيه ويقول السيد هاشم معروف في سيرة المصطفى أنه حذفها لقاء شراء ألف نسخة من كتابه[(٢)] فحيا الله الامانة في النقل وبيع الضمير بالمتاجرة والتلاعب بالأحاديث والتاريخ.

كما أن الحديث رواه الخازن في تفسيره ٣: ٣٧١: بصورة صحيحة نقلا عن سيرة ابن إسحاق وليس لـه في سيرة ابن هشام ـ التي هي مختصرها ـ عين ولا اثر [(٣)].

وله من هذا كثير فقد ذكر حديث الوصية وهو حديث مثبت في القسم الموجود من سيرة ابن إسحاق[(٤)] وليس له في سيرة ابن هشام أي أثر.

حذف حديث المباهلة:

أن حديث المباهلـه ونزول الآية الكريمة في أهل البيت وتخصيصهم بذلك دون عامة الناس وتحدى الرسول ﷺ لنصارى نجران وما ظهر في ذلك اليوم من أحقية الإسلام على كافة الأديان رجوع الوفد خائبين وأدوا الجزية عن يد وهم صاغرون وقد أجمع أهل التفاسير وأصحاب الحديث على ذلك ولكي يتضح

---

(١) نقلاً عن الغدير ٢: ٢٨٨.

(٢) دراسات وبحوث في التاريخ والاسلام: ٢٠.

(٣) نقلاً عن صائب عبدالحميد: ١٠٢.

(٤) بتحقيق د. سهيل زكار: ١٢٥.

الأمر نعرض لواحد منهم باختصار، فذكر الفخر الرازي في تفسيره ٥: ٨٠ عند ذكر الآية. فقال: روى أنه ﷺ لما أورد الدلائل على نصارى نجران ثم أنهم أصروا على جهلـهم، فقال ﷺ: أن الله أمرني أن لم تقبلوا الحجة أن أباهلكم فقالوا: يا أبا القاسم بل نرجع فننظر في أمرنا ونأتيك فلما رجعوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم: يا عبد المسيح ما ترى فقال: والله لقد عرفتم يا معشر النصارى أن محمداً نبي مرسل ولقد جائكم بالكلام الحق في أمر صاحبكم والله ما باهل قوم قط نبيا فعاش ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لكان الاستئصال فإن أبيتم إلا الإصرار على دينكم والاقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا إلى بلادكم.

وكان رسول الله ﷺ خرج وعليه مرط من شعر أسود وكان قد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي ؑ خلفها وهو يقول: إذا دعوت فأمنوا.

فقال اسقف نجران: يا معشر النصارى أني لأرى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلاً من مكانه لازالـه بهم فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الأرض نصراني إلى يوم القيامة ثم قالوا: يا أبا القاسم رأينا أن لا نباهلك وأن نقرك على دينك، فقال صلوات الله عليه: فإذا أبيتم المباهلـة فاسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما على المسلمين فأبوا فقال: فأني انجازكم القتال فقالوا: ما لنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على أن لا تغزونا ولا تردنا عن ديننا على أن نؤدي إليك في كل عام ألفي حلـة ألفا في صفر وألفا في رجب وثلاثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال: والذي نفسي بيده أن الـهلاك قد تدلى على أهل نجران ولولا عنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل

الله نجران وأهلـه حتى الطير على رؤوس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلـهم حتى يهلكوا...

ثم قال الرازي بعد الحديث: واعلم أن هذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث.

غير أن البخاري خرج من هذا الاتفاق من بين أهل التفسير والحديث واختصره بحديث عن حذيفة وحذف منه ما يتعلق بتحدي الرسول لنصارى نجران واحقية دين الإسلام ومنزلة علي وأهل بيته عند الله حتى فرطم الحديث وعز عليه أن يشير إليهم لا من قريب ولا من بعيد وكأنهم غرباء عن آية المباهلـة التي خصتهم ونزلت فيهم.

وللتعرف على التحريف والتعتيم الذي تبناه البخاري في جميع فضائلـهم فهذا نص حديثه، عن حذيفة قال: جاء العاقب والسيد صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريد أن يلاعناه قال: فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل فو الله لئن كان نبياً فلاعنا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا معنا قالا أن نعطيك ما سألتنا وابعث معنا رجلاً أمينا ولا تبعث إلا رجلاً أمينا فقال: لابعثن معكم رجلاً أمينا حق أمينا فاستشرق لـه أصحاب رسول الله ﷺ فقال: قم يا أبا عبيدة بن الجراح فلما قام قال رسول الله ﷺ: هذا أمين هذه الأمة.

وبهذا يظهر أن البخاري بروايته لحديث حذيفة وحرف فيه ما يرغب فأراد أن يشيد بفضيلـة لأبي عبيدة لا غير[1].

---

(١) ومن أراد التعرف على أمين هذه الأمة فليراجع نفحات الازهار ١١ :٣١٥ ـ ٣٣٨.

كما ثبت من سير الواقعة أن كاتب الصلح هو أمير المؤمنين عليه السلام كما أشار إليه البيهقي في السنن[١]، وفتوح البلدان[٢]، وحتى أن ابن حجر شارح صحيحه[٣] تنبه إلى هذا التحريف والتعتيم فاعتذر عنه، وقال: ذكر ابن إسحاق أن النبي بعث علياً إلى أهل نجران ليأتيه بصدقاتهم وجزيتهم وهذه القصة غير قصة أبي عبيده.

فما أدري والحال أن قصة المباهلـة هي واحدة ونزل الذكر الحكيم فيها ولم تتكرر ولم يحدثنا أحد بثانية غيرها.

ولو واقفنا البخاري على اختصار الواقعة من حديث حذيفة فإن غير البخاري ذكر حديثه ولم يحصل فيه هذا التعتيم.

وهذا نصه واللفظ للحاكم الحسكاني[٤]، قال: عن حذيفة قال: جاء العاقب والسيد اسقفا نجران يدعو النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الملاعنة فقال: العاقب للسيد: أن لاعن بأصحابه فليس نبي وأن لاعن بأهل بيته فهو نبي فقام رسول الله فدعا علياً فأقامه عن يمينه ثم دعا الحسن فأقامه على يساره ثم دعا الحسين فأقامه عن يمين علي ثم دعا فاطمة فأقامها خلفه فقال العاقب للسيد: لا تلاعنه انك ان لاعنته لا نفلح نحن ولا أعقابنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لو لاعنوني ما بقيت بنجران عين تطرف.

وهكذا تستمر الايدي بالتلاعب فيما يتعلق بفضائل أمير المؤمنين وأهل بيته

---

(١) المصدر ١٠: ١٢٠.

(٢) المصدر: ٧٦.

(٣) فتح الباري ٨: ٧٧.

(٤) شواهد التنزيل ١: ١٢٦.

بكل ما يستطيع ويرغب، فبعضهم حاول التكتم لهذه المنزلة بالحذف لأصل القضية أو حذف اسم علي أو فاطمة من حديث المباهلة أو اشراك غيرهم معهم خروجا عن النصوص الثابتة.

فان مسلم في صحيحه ذكر الواقعة باختصار أيضاً ولكنه نص على ذكر اسم علي فيهم ولما نقله عنه صاحب البحر المحيط حذف منه اسم علي،

ومثله البلاذري في (فتوح البلدان: ٧٥) يذكر المباهلة ولم يذكر اسم علي،

ومثله ابن القيم في (زاد المعاد ٣: ٢٩) في قوله:... فاقبل مشتملا على الحسن والحسين (رض) في خميل لـه وفاطمة (رض) تمشي عند ظهره للمباهلة ولـه يومئذ عدة نسوة،

ومثله ابن كثير في (البداية والنهاية ٥: ٥٣) لما حصل مثل هذا التلاعب والتحريف في حديث جابر بن عبد الله ونقله طائفة من المفسرين أما في نقل الشعبي عنه فقد حذف اسم علي أيضاً كما في (تاريخ المدينة ١: ٥٨١) وقوله: ... فاصبح رسول الله ﷺ وغدا حسن وحسين وفاطمة وناس من أصحابه.

وجاء عند الطبري في (تفسيره ٣: ٢١١) ونقل بعد الخبر المذكور... قال: فقلت للمغيرة أن الناس يروون في حديث أهل نجران أن علياً كان معهم فقال: أما الشعبي فلم يذكره فلا أدري لسوء رأي بني أمية في علي أو لم يكن في الحديث.

فإذا كان هذا من الشعبي فلا غرابة لأنه أمين آل مروان وقاضي الكوفة في زمانهم وكان نديما لعبد الملك بن مروان ومقرباً إليه.

كما جاء بمثل ذلك التحريف والزيادة في حديث في السيرة الحلبية عن عمر فإنه قال للنبي ﷺ: لو لاعنتهم بيد مَن كنت تأخذ؟ فقال: آخذ بيد علي

وفاطمة وحسن وحسين وعائشة وحفصة.

ومثله جاء عند ابن عساكر في تاريخ الشام في ترجمة عثمان بن عفان قال: فجاء بأبي بكر وولده، وبعمر وولده، وعثمان وولده، وبعلي وولده والغريب أنه تفرد بنقله ولم ينقله غيره والاغرب أن يرويه عنه السيوطي والشوكاني والمراغي ساكتين عن هذا التحريف غير ان الآلوسي قال: وهذا خلاف ما رواه الجمهور[1].

(١) روح المعاني ٣: ١٩٠.

التحريف والتصحيف في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام

ذكر اليعقوبي في تاريخه ٢: ٣٧ ط سنة ١٣٥٨... وقد قيل أن آخر ما نزل عليه: (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا) وهي الرواية الصحيحة الثابتة الصريحة وكان نزولها يوم النص على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب صلوات الله عليه بغدير خم.

ولكن المطبوع في سنة ١٣٧٩ في دار صادر بيروت في ٢: ٤٣، فحرفت على النحو التالي وكان نزولها يوم النفر على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب بعد ترحم وحور الخطيب البغدادي في تاريخه ١: ١٩١، وله أمثال هذا كثير فقال: خرج عدي بن حاتم وجرير البجلي وحنظلة الكاتب من الكوفة فنزلوا قرقيساء وقالوا لا نقيم ببلد يشتم فيه عثمان والصواب يشتم فيه على فبدل على بعثمان وللدكتور ملحم إبراهيم شارح ديوان أبي تمام وعند قوله من قصيدة (ويوم الغدير استوضح الحق أهله) فيقول الدكتور: (أن يوم الغدير واقعة حرب معروفة).

ومثله الدكتور أحمد رفاعي في تعليقه على معجم الأدباء ١٤: ٤٨ من شعر لأمير المؤمنين عليه السلام:

وأوصاني النبي على اختيار ... ببيعته غداة غدير خم

فيذكره (غداة غد برحم).

ومثله مصحح لطائف أخبار الدول ط مصر سنة ١٣١٠ فإنه يترك البيت المذكور من شعر أمير المؤمنين في: ٣٣ هكذا:

واوجب طاعتي فرضا عليكم ... رسول الله يوم غدا برحمي

في رد الشمس لعلي:

وفي بيت شعر الملك العادل قولـه:

وردت بهـم شمـس العطايـا لوفدهـم　　　كمـا قـال: قـوم في عـلي وتوسـع

هكذا يوجد البيت في مختار ديوانه المطبوع في المانيا/٢٨٨.

وهو تصحيف غريب والصحيح، كما قال: قوم في علي ويوشع نقلا عن الغدير: ٤/٣٧١.

التحريف في دواوين الشعر:

ولم تسلم دواوين الشعر ومعاجم الأدب من التحريف والتصحيف والزيادة والنقيصة الذي يعاد طبعها أو شرحها في مطابع مصر والشام وبيروت خاصة بما يتعلق بفضيلة أو منقبة لأمير المؤمنين.

وقال أبو الطيب المتنبي: وقد عوتب على تركه مدح أمير المؤمنين عليه السلام:

وتركـت مدحـي للوصـي تعمـدا　　　إذ كـان نـورا مسـتطيلا كـاملا

واذا اسـتطال الشـيء قـام بنفسـه　　　وصـفات ضوء الشمس تذهب باطلا

ومما يؤسف لـه أن هذين البيتين حذفتا من بعض طبعات ديوان المتنبي حتى أن الأستاذ عبد الرحمن البرقوقي ذكرهما في الطبعة ذات الجزءين في: ٥٤٦/٢ وحذفهما في الطبعة ذات الأربعة اجزاء.

ومثلـه الكثير الذي جاء عن حسان بن ثابت في مدح مولانا أمير المؤمنين وبحضور النبي صلى الله عليه وآله وسلم واحيانا يأمره بذلك وفي أخرى أن حسان يطلب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقولـه هل تسمح أن أقول بذلك شيء من الشعر عندما يسمع بنزول الآيات الكريمة في أمير المؤمنين أو بعض الأحاديث واثبتتها المصادر الكثيرة

لحسان في تلك المناسبة وتناقلها أصحاب السير والتاريخ وغيرهم ولكن لم نجد لها اثر في ديوانه المطبوع.

ومثله ديوان الفرزدق الذي اسقطوا منه الميمية المشهوره ومطلعها هذا الذي تعرف البطحاء وطئته...

وقد طفحت بذكرها الكتب والمعاجم حتى أن الناشر أشار إليها في مقدمة شرح ديوانه.

ومثله أن ديوان أبي تمام فيه سقط كثيراً من شعره لأن النجاشي في فهرسته قال: له شعر في أهل البيت كثير وذكر أحمد بن الحسين رحمه الله أنه رأى نسخة عتيقة ولعلها كتبت في أيامه او قريبا منه وفيها يذكر قصيدة يذكر فيها الأئمة حتى انتهى إلى الإمام أبي جعفر الثاني عليه السلام لانه توفي في أيامه ولا يوجد في ديوانه المطبوع شيء من ذلك الشيء الكثير[1] وديوان الكميت فإنه حرفت منه ابيات كما زيدت عليه أخرى وقصائد الكميت (الهاشميات) المقدرة بخمسمائة وثمانية وسبعين بيتا كما نص به صاحب الحدائق الوردية غير أنه عاثت في طبعها يد النشر فنقصت منها شيئاً كثيراً.

وديوان أمير الشعراء أبي فراس الحمداني وديوان كشاجم الذي زحزحوا عنه كمية مهمة من مراثي سيدنا الإمام الحسين عليه السلام واثبتوا تلك القصائد في دواوينهم المخطوطة وتناقلها بعض مترجميهم ولكنها حذفت من الدواوين المطبوعة وفيها الكثير من مراثي أهل البيت ومناقب أمير المؤمنين.

---

(١) نقلاً عن الغدير ٢: ٣٢٧.

ومثال ذلك قصيدة النعمان بن عجلان وهو شاعر الأنصار ولسانهم [١] قال قصيدة ردا على أقوال عمرو بن العاص على أحاديث السقيفة ومواقف الأنصار في حروبهم مع الرسول ﷺ وتعرض فيها على الخصومات والمشاجرة في السقيفة وذكر الخليفة الأول ثم ذكر الوصية لأمير المؤمنين وذكر الابيات في الموفقيات [٢] ومنها:

وقلتم حرام نصب سعد ونصبكم	عتيق بن عثمان حلال أبا بكر
واهل أبو بكر لها خير قائم	وأن علياً كان اخلق بالأمر
وكان هوانا في علي وانه	لأهل لها يا عمرو من حيث لا تدري
فذاك بعون الله يدعو إلى الهدى	وينهى عن الفحشاء والبغي والفكر
وصي النبي المصطفى وابن عمه	وقاتل فرسان الضلالة والكفر

وأورد ابن عبد البر تمام القصيدة بترجمة النعمان من الاستيعاب غير أنه حذف منها البيتين الرابع والخامس لما فيها من الثناء على أمير المؤمنين وانه الوصي وجاء بعده ابن الأثير في ترجمة النعمان من أسد الغابة ثم ذكر من أول القصيدة ابياته في أيام الأنصار وحذف منها الابيات التي تشير إلى الخلاف الذي وقع في أيام السقيفة وكذلك البيتين الذي حذفهما صاحبه وجاء ابن حجر بعده فذكر الابيات في المفاخرة بايام الأنصار فحسب ولم يذكر ما فيه ذكر الخلافة.

وبهذا يتضح كلما تأخر الزمن ازداد التحريف وتلاعبت الايدي بالتعتيم على فضائل أمير المؤمنين وابتعدنا عن فهم الواقع التاريخي.

---

(١) ترجمته في الاستيعاب ١: ٢٩٨. الاصابة ٦: ٣٥١. أسد الغابة ٥: ٢٦، وغيرهم.

(٢) الموفقيات: ٥٣٢. ورواها عنه شرح النهج ٦: ٣١، وتاريخ اليعقوبي ٢: ١٢٨.

تحريف شروط المعاهدة:

وحرفوا شروط المعاهدة بين الإمام الحسن بن علي ومعاوية فقالوا: فيها وليس لمعاوية بن أبي سفيان أن يعهد إلى أحد من بعده عهدا بل يكون الأمر من بعده شورى بين المسلمين[1].

ولكن الأمر عكس هذا فقد نقل جماعة [2] صورة غير هذا وفيه (أن لمعاوية الإمامة مادام حيا (وشروط غيره) فإذا مات فالأمر للحسن من بعده.

في الرسائل والخطب:

وهكذا يتم حذف جمل أو تغيير فقرات من خطب ورسائل أمير المؤمنين عليه السلام خاصة إذا كانت فيها فضيلة له أو حدث يشين خصومه من كتاب لأمير المؤمنين إلى عمرو بن العاص قوله عليه السلام:

من عبد الله علي أمير المؤمنين إلى الابتر بن الابتر عمرو بن العاص بن وائل شانئي محمد وال محمد في الجاهلية والاسلام سلام على من اتبع الهدى.

اما بعد فإنك تركت مرؤتك لأمرء فاسق مهتوك ستره يشين الكريم بمجلسه ويسفه الحليم بخلطته فصار قلبك لقلبه تبعا كما قيل (وافق شن طبقه فسلبك دينك وامانتك ودنياك وآخرتك الخ الكتاب.

---

(١) نظام الخلافة: ١٨٠، والمعتزلة وأصول الحكم: ٤٧، نقلاً عن تاريخ الاسلام الثقافي: ٢٧٢. ينابيع المودة ٢: ٤٢٦.

(٢) الامامة والسياسة: ١٤٠. أسد الغابة ٢: ١٤. البداية والنهاية ٨: ٤٥. فتح الباري ١٣: ٥٥. الإصابة ١: ٣٣. مختصر تاريخ دمشق ٧: ٣٥.

وذكر هذا الكتاب ابن أبي الحديد في شرح النهج[1]: نقلا عن كتاب صفين لنصر ابن مزاحم ولم يوجد في المطبوع منه...

كتاب محمد بن أبي بكر إلى معاوية:

من محمد بن أبي بكر إلى الغاوي ابن صخر سلام على أهل طاعة الله ممن هو مسلم لأهل ولاية الله.

اما بعد فإن الله... انتخب محمدا ﷺ فاختصه برسالته واختاره لوحيه وأئمنه على أمره... فكان أول من اجاب واناب وصدق ووافق وأسلم وسلم اخوه وابن عمه علي بن أبي طالب عليه السلام فصدقه بالغيب المكتوم واثره على كل حميم فوفاه كل هول وواساه بنفسه في كل خوف فحارب حربه وسالم سلمه... وقد رايتك تساميه وأنت أنت وهو هو... ثم لم تزل أنت وابوك تبغيان الغوائل لدين الله وتجهد أن على إطفاء نور الله وتجمعان على ذلك الجموع وتبذلان فيه المال وتحالفان فيه القبائل على ذلك مات ابوك وعلى ذلك خلفته والشاهد عليك بذلك من يأوي ويلجأ اليك من بقية الاحزاب رؤوس النفاق والشقاق لرسول الله ﷺ والشاهد لعلي مع فضله المبين وسبقه القديم انصاره الذين ذكروا بفضلهم في القرآن فاثنى الله عليهم من المهاجرين والأنصار... فكيف يا لك الويل تعد نفسك بعلي وهو وارث رسول الله ووصيه وابو ولده وأول الناس له اتباعا واخرهم به عهدا يخبره بسره ويشركه في أمره.

(١) شرح النهج ١٦: ١٦٣. تاريخ ابن عساكر ٥٥: ٢٧. الطبقات الكبرى ٤: ٢٥٤.

وكتب معاوية في جوابه: ـ

من معاوية بن أبي سفيان إلى الزاري على أبيه محمد بن أبي بكر سلام على أهل طاعة الله.

اما بعد فقد اتاني كتابك تذكر فيه ما الله اهلـه في قدرته وسلطانه...

مع كلام ألفته ووضعته لرأيك فيه تضعيف ولابيك فيه تعنيف ذكرت حق ابن أبي طالب وقديم سوابقه وقرابته من نبي الله ﷺ ونصرته لـه ومواساته إياه في كل خوف وهول واحتجاجك علي بفضل غيرك لا بفضلك فأحمد إلـها صرف الفضل عنك وجعلـه لغيرك وقد كنا وابوك معنا في حياة نبينا ﷺ نرى حق ابن أبي طالب لازما لنا وفضلـه مبرزا علينا فلما اختار الله لنبيه ﷺ ما عنده واتم لـه ما وعده واظهر دعوته وافلج حجته قبضه الله إليه فكان ابوك وفاروقه أول من ابتزه وخالفه على ذلك اتفقا واتسقا ثم دعواه إلى أنفسهم فابطأ عنهما وتلكأ عليهما فهما به الـهموم وأرادا به العظيم فبايع وسلم لـهما لا يشركانه في أمرهما ولا يطلعانه على سرهما حتى قبضا وانقضى أمرهما ثم قام بعدهما ثالثهما عثمان بن عفان يهتدي بهديهما الخ الكتاب....

وذكر الكتاب وجوابه في كتاب صفين لنصر بن مزاحم، ومروج الذهب للمسعودي، وشرح النهج [1].

غير أن الطبري في تاريخه: ٣٢٤٨/١ ط اوربا اشار إلى الكتابين مع ذكره لسندهما واعتذر عن ذكرهما (لا لعدم الاعتماد على صحة الخبر) بل لعدم احتمال

(١) وقعة صفين: ١٢٠. مروج الذهب ٣: ١١ط. بيروت. شرح نهج البلاغة ٣: ١٨٩. الجمل: ٩٣.

العامة لسماع ما فيهما وجاء بعده ابن الأثير وفعل كذلك واعتذر بالعذر نفسه: ٣/ ١٠٨ ط اوربا وجاء بعدهما ابن كثير في البداية والنهاية: ٣١٤/٧ واقتصر بقولـه (وفيه غلظة).

وعلى أي حال فقد اخفوا الحقائق التاريخية على الأمة التي يجب معرفتها ولن تخفى الأسباب وهذا ديدنهم بحذف أو إخفاء ما يشين سادات قومهم وكذا بالنسبة لفضائل أمير المؤمنين وانه الوصي واعترف معاوية به

حذف من خطبة الإمام الحسين عليه السلام:

جاء في خطبة الإمام الحسين عليه السلام... أما بعد فانسبوني فانظروا من أنا ثم ارجعوا إلى انفسكم وعاتبوها هل يجوز لكم قتلي وانتهاك حرمتي ألست ابن بنت نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم وابن وصيه وابن عمه وأول المؤمنين بالله والمصدق لرسولـه صلى الله عليه وآله وسلم بما جاء من عند ربه أو ليس حمزه سيد الشهداء عم أبي أو ليس جعفر الطيار ذو الجناحين عمي... [1].

وحذف منها ابن كثير في تاريخه: ١٧٩/٧ ذكر الوصية وفقرات أخرى في قولـه أن الإمام الحسين قال: راجعوا انفسكم وحاسبوها هل يصلح لكم قتال مثلي وأنا ابن بنت نبيكم وليس على وجه الأرض ابن بنت نبي غيري وعلي أبي وجعفر ذو الجناحين عمي... الخ.

(١) تاريخ الطبري ٢: ٣٢٩. تاريخ ابن الأثير ٤: ٥٢.

التأويل في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام

تعرضنا فيما سبق للتأويل في سنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حديثه وسريره وفعله ونتعرف الآن على نوع آخر منه وذلك بعد أن يصعب عليهم الطعن في سند الحديث أو متنه وهو صحيح ثابت أو مشهور متواتر فلابد من تأويله إلى ما يوافق مصلحة السلطة الحاكمة أو تشييد فكرة ما أو تسترا على فضائح سيرة الولاة وأعمالهم المخالفة لظاهر الكتاب وثابت السنة ونعرض لنماذج من التأويل في أحاديث فضائل أمير المؤمنين وهو أيضاً مما لا ترغب السلطة الحاكمة بنشره أو تثبيته في نفوس الآخرين.

١ـ الحديث المشهور قوله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي أنه موضع سري وخير من اترك من بعدي الحديث.

وحيث لم يجد الطبراني في الحديث أي مغمز من ضعف وجرح تأوله بقوله (خير من اترك بعدي من أهل بيتي).

ولما كانت كلمة بعدي في كثير من أحاديث الرسول ويصعب تأويلها مثل حديث في علي أنه مني وانا منه وهو وليكم بعدي وحديث أنت ولي كل مؤمن بعدي ومؤمنة الخ وبعد اليقين بصحة هذه الأحاديث ولا يمكن الطعن بها فقالوا: اسناد صحيح مع نكارة في متنه لشذوذ كلمة بعدي ويؤيده أن الإمام أحمد روى هذا الحديث من عدة طرق ليست في واحدة منها هذه الزيادة[1] وهذه مقالة من لا يخشى الفضيحة في التحقيق.

---

(١) تخريج أحاديث الخصائص للأثري، ح٦٥.

فالنصوص التي ذكرناها لـهذا الحديث وفي جميعها كلمة بعدي جميعها في مسند الإمام أحمد[١].

من خطبة للامام أمير المؤمنين عليه السلام قولـه لا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم من هذه الأمة أحد... هم أساس الدين... ولـهم خصائص حق الولاية وفيهم الوصية والوراثة الخ الخطبة.

فجاء ابن أبي الحديد فقال: (أما الوصية فلا ريب عندنا أن علياً كان وصي رسول الله وأن خالف في ذلك من هو منسوب عندنا العناد ولسنا نعني بالوصية النص على الخلافة ولكن امورا أخرى لعلـها إذا لمحت اشرف واجل ثم توضح الأمر وعرفنا السبب فاعترف بقولـه وأصحابنا يحملوه ذلك كلـه على ادعائه بالافضلية والاحقية وهو الحق والصواب فإن حملـه على الاستحقاق بالنص تكفيرا وتفسيق لوجوه المهاجرين والأنصار [٢].

وابتكر بعض المتعصبين الذين لا يروق لـهم اتباع النصوص الصريحة فاضطر إلى التأويلات والتشكيكات في حديث الغدير في سنده ودلالته وسنعرض لـها في حينها (مع المحدثين).

ولما رأى بعضهم أن هذا ضرب من الاوهام والخيال ولا يجديه نفعا ولا رواج لـه في سوق الاعتبار ولم يقع موقع القبول حتى عند أهل مذهبه عاد إلى التأويل الباهت فقال: أن مفعلا لا يأتي بمعنى افعل فليس (مولى) بمعنى أولى وقد اجيب على ذلك بما لا يقبل التشكيك من قبل من كتب عن حديث الغدير مفصلا

---

(١) نقلاً عن صائب عبدالحميد: ٢١٩. مسند احمد ١: ٣٣١، وج٤: ٤٣٨، ج٥: ٣٥٦ وسيأتي الحديث عنها.
(٢) شرح النهج ٩: ٣٠٧.

وفي كتب مستقلة خاصة مثل شيخنا الأميني في الغدير والسيد حامد في العقبات ونفحات الازهار مختصرة والسيد مرتضى في الشافي وتلخيصه الطوسي وغيرهم واثبتوا ذلك من الكتاب والسنة واستعمالات العرب في لغتهم بمالا مزيد عليه.

فعاد قائلاً فأي دليل على أن يكون معنى الحديث كون علي الأولى بالتصرف فليكن الأولى بالمحبة مثلاً فاجيب أيضاً عنه.

فجاء آخر بعد أن تنبه إلى برودة صاحبه فاعترف به لدلالة الحديث على الاولويه بالتصرف وأن هذه الاولوية هي (الإمامة) ولكن ما الدليل على امامة علي بمعنى الرئاسة والحكومة فليكن اماما في الباطن وليكن أبو بكر ومن بعده الأئمة في الظاهر.

ومثل هذا حاول محمد بن عبد الوهاب في رسالته (الرد على الرافضة) تفسير النصوص التي تضمنت الولاية لعلي بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من قبيل علي وليكم بعدي بأن المراد منها البعدية المطلقة والبعدية المباشرة فتصدق على ولايته بعد عثمان [1] يقول هذا وكأنه قد فوض إليهما أمر تقسيم الإمامة فلهذا الإمامة الباطنية ولذالك الإمامة الظاهرية ولهذا الإمامة في الوقت الفلاني وذاك الإمامة بعد حين والاختيار والتعيين بايدهما كيفما شاؤا وأرادوا.

ويأتي الفخر الرازي بأمر جديد إذ يقول: سلمنا أنه محمول على الأولى لكن لانسلم أنه يجبأن يكون أولى بهم في كل شيء بل يجوز أن يكون أولى بهم في بعض الأشياء وهو وجوب محبته وتعظيمه والقطع على سلامة باطنه [2].

---

(١) نقلاً عن روح التشيع: ٢٠٩.

(٢) الأربعين للرازي: ٤٦٣.

وجاء في تأويل أبي شكور الحنفي قال: في التمهيد.

وقالت الروافض الإمامة منصوصة لعلي بن أبي طالب؛ بدليل أن النبي ﷺ جعله وصيا لنفسه وجعله خليفة من بعده حيث قال: ((أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي))، ثم هارون ﷺ كان خليفة موسى فكذلك علي ﷺ.

والثاني: هو أن النبي ﷺ جعله وليا للناس لما رجع من مكة... وذكر حديث الغدير... ثم نقل استدلالهم بالآية الكريمة ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ﴾الآية نزلت في شأن علي دل على أنه كان أولى الناس بعد الرسول ﷺ.

ثم قال أبو شكور في الجواب: وأما قوله بأن النبي ﷺ ولياً قلنا أراد به في وقته يعني بعد عثمان وفي زمن معاوية ونحن كذا نقول وكذا اجاب بعد قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ﴾ فنقول أن علياً ﷺ كان وليا وأميرا بهذا الدليل ووقته بعد عثمان وأما قبل ذلك فلا.

ألا تضحك لهذا التأويل والتلاعب بالنصوص فلربما يأتينا آخر فيقول: أن ولايته هذه بعد معاوية أو يزيد.

فان هذا التأويل يشبه تأويل النصارى لنبوة نبينا ﷺ مع الاعتراف الكامل بها ولكنه ﷺ مبعوث إلى العرب خاصة، ومثلهم اليهود: ﴿قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاء مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ﴾ (١).

ويأتي آخر وهو المولوي سلامت علي... وبعد اعترافه بدلالة حديث الغدير على الإمامة لسيدنا أمير المؤمنين ولكن لم ترقه تلك ويرضى بها والتي حيكت من

(١) آل عمران: ١١٨.

اسياده أو التقولات والتأويلات حول مفاد حديث الغدير لصرفه عن الدلالة على الحق أو ربما لم يتمكن من نفي دلالة الحديث على الإمامة... فقال في كتابه التبصرة ما تعريبه: لا شك عند أهل السنة في إمامة أمير المؤمنين وأن ذلك عين الإيمان لكن ينبغي أن يكون مفاد أحاديث الغدير على الإمامة المعنويه لا الخلافة.

وحينئذٍ يقال: إذا جاز لأبي شكور واسلافه تأويل حديث الغدير وحمله على الإمامة الباطنية جاز لأهل الكتاب تأويل ما يدل على نبوة رسول الإسلام وحمله على الرفعة وهو المعنى اللغوي للفظ وبذلك يمتنع الزمهم بما رود في كتبهم وينسد طريق البحث معهم وهدايتهم إلى دين الحق وخاتمه الشرائع السماويه فكما أن هذا باطل فكذلك ذاك: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾[1] الآية.

التأويل في حديث بريدة:

قوله ﷺ من حديث مخاطباً بريدة لما شكى علياً إليه فقال: يا بريد لا تبغضه أن علياً مني وأنا من علي وهو وليكم من بعدي[2].

فإن البخاري أخرج القصة ورواها حتى النهي عن البغض وأما الفقرة (أن علياً...) فاسقطها [3] وذكر أيضاً وله طرق أخرى عن بريدة واصله في صحيح البخاري كما في المرقاة في شرح المشكاة[4]: ومنهم من رواها واسقط كلمة من بعدي كالبغوي في المصابيح وتبعه عليه بعض من تأخر.

---

(١) الكهف: ١٠٤.

(٢) مناقب أمير المؤمنين ١: ٤٧٩.

(٣) نقلاً عن العبقات ١٥: ١١.

(٤) المصدر ٥: ٥٨١ نقلاً عن العبقات ١٥: ٢٣٧.

وبعد ثبوت صحته والاستدلال على الإمامة المباشرة بوجود لفظة (بعدي) فيه كما في الاسانيد الصحيحة في بعض الصحاح والمسانيد وغيرها.

فتأول الحديث وحمله بعد التلاعب في لفظه على الإمامة والخلافة في وقتها كما في تعبير بعضهم فاضطر صاحب الصواعق إلى أن يقول: وعلى تقدير الصحة فيحتمل أنه رواه بالمعنى بحسب عقيدته وعلى فرض أنه رواه بلفظه فيتعين تاويله على ولاية خاص نظير قوله ﷺ اقضاكم علي.

ولو فرضنا بأن الراوي كان شيعيا فرواه بالمعنى حسب عقيدته كما زعم فكيف ثبت ابن حجر أن رواة هذا الحديث كلهم شيعة وقد رووه حسب عقيدتهم إذا فما قوله في أبي داود الطيالسي وأحمد بن حنبل والترمذي في صحيحة والنسائي وأبي يعلى والطبري والطبراني والخطيب وغيرهم من رواة الحديث.

وعلى فرض أنه رواه بلفظه فيتعين تأويله على ولاية خاصة.

فما هي الولاية الخاصة وما هو (المخصص). فلم يذكر لنا ابن حجر شيئاً.

ومن الثابت أن الكلام إذا كان ظاهرا في العموم والاطلاق لا يجوز رفع اليد عما هو ظاهر فيه إلا بدليل قوي...

إذا التاويل جائز لأنه بلا دليل وهذا ما اضطر إلى الاعتراف به فقال: على أنه وأن لم يحتمل التأويل. فلماذا يتعين تاويله قال: فالاجماع على أحقية ولاية أبي بكر وفرعيها.اذا كل هذه المحاولات كانكار ابن تيمية لاصل الحديث والتحريفات كما في رواية البخاري والبغوي والتمحلات في كلمات ابن حجر من أجل ولاية أبي بكر وفرعيها.

تأويل كلمة عمر الخشنة:

ان تأويل عمر بمحضر الرسول وساعة احتضاره عندما قال: أئتوني بدواة أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده الخ فقال عمر: أنه ليهجر او ما بمعناه ولما بلغت هذه الكلمة من الإزراء بالرسول ﷺ حداً لا يحد حاول اولياء عمر تأويلها وبعضهم فسرها بغير معناها وبعضهم اسقطها من الحديث وبعضهم اسقط اسم عمر ولم يصرح به وبعضهم نقل الجملة من الخبر إلى الاستفهام إلى غير ذلك من المحاولات فقال ابن أبي الحديد: وهذا الكلام يعني: أن الرجل ليهجر وانه كان ظاهره منكر فله عندنا مخرج وتأويل.

وذكر الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٥: ٢٦١: حيث قال: بعد أن حكم بصحة الحديث فمن العجب حقاً أن يتجرء شيخ الإسلام ابن تيمية على انكار هذا الحديث وتكذيبه.

الزيادة على الأحاديث:

لقد حاول البعض من حثالة الأمويين تشويه فضائل أمير المؤمنين شتى الاساليب ومنها الحاق زيادة على الحديث النبوي مخلة به لتغيير دلالته.

ومنهم من نقص من الحديث فقرات في وسطه أو بتر آخره للغرض نفسه وهذا شائع كثير سيوافينا في خلال الأحاديث القادمة.

اما بالنسبة للزيادة فإن الأحاديث الصحيحة التي لا مجال لانكارها أو الطعن فيها فيضطر لالحاق زيادة على الحديث بغضا وعنادا وليجعل منها وسيلة يتقرب بها إلى ولاة الجور ليتم نشرها وادخالها في قالب الاعتبار ويتلقاها السذج بالقبول وتأخذ مكانتها عندهم ويتناقلها السلف وبمرور الزمن يرويها ابن كثير

وابن تيمية وابن حزم وأضرابهم ممن لا يخشى الحساب. وبالرغم أن كبار العلماء والحفاظ قابلوها بالانكار وصرحوا بوضعها واثبتوا أن رواتها كذابون [١] وانها زيادة مفتعلة وخشية التطويل أعرض لنماذج منها أن الحديث الثابت الصحيح وروى بطرق عديدة قال رسول الله ﷺ: يا علي أنت وأصحابك في الجنة وفي لفظ أنت وشيعتك في الجنة.

فيأتي الفضل بن غانم بوضع زيادة والحاقها بالحديث وهي: إلاّ أن ممن يحبك قوما يضفرون الإسلام بألسنتهم يقرأون القرآن ولا يتجاوز تراقيهم لهم نبز يسمون الرافضة فإذا لقيتهم فجاهدهم فانهم مشركون [٢].

ويأتي أبو يحيى الحماني بزيادة عن علي عليه السلام انه قال: قلت يا رسول الله ما العلامة فيهم قال: يقرضونك بما ليس فيك ويطعنون على أصحابي ويشتمونهم وبصورة أخرى وسيأتي قوم لهم نبر يقال: لهم الرافضة فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فانهم مشركون [٣].

---

(١) ومنهم راوي الحديث الفصل بن غانم وقد كان مشهورا بفساد الاخلاق ومتهما في دينه وكان غير مقبول الرواية وقد ترك الحفاظ أحاديثه وطعنوا فيه وغير ذلك من أقوال رجال العلم وكيف يؤتمن على حديث رسول الله ﷺ من عرف عنه حب الغلمان وفساد الاخلاق كما جاء ذلك باختصار في ترجمته في لسان الميزان ٤: ٤٤٥، [١٣٦٣] وتاريخ بغداد١٢: ٣٥٣، [٦٧٩].

(٢) تاريخ بغداد ١٢: ٣٥٣.

(٣) الاشاعة في اشتراط الساعة: ١١٢. كتاب السنة: ٤٦٠. كنز العمال ١١: ٣٢٤، ح٣١٦٣٥. تاريخ بغداد ١٢: ٣٥٨. وقد رد على هذه الأحاديث وابطال سندها ، راجع الانتصار: ٣٩٣، واسد حيدر في الإمام الصادق.

الزيادة في حديث أنا مدينة العلم:

وحديث أنا مدينة العلم وعلي بابها الذي جاء بطرق كثيرة عن بعض أصحابه والتابعين واثبته الأئمة والحفاظ في معاجمهم ومسانيدهم وموثقين رجال سنده مصحيحين طرقه العديدة وبلغ من الشهرة والتواتر ووضوح الدلالة على إمامة أمير المؤمنين وعلو منزلته العلمية وهو باب مدينة علم الرسول مما جعل لبعض الحاقدين والمعاندين أن يحرف بعض فقراته ويتأولـها بشتى التأويلات أو يلحق به زيادة تقلل من الامتياز الذي اختص به أمير المؤمنين وعرف به وقد راج سوق هذه الافتراءات في زمن معاوية وخلفه كما تحدثنا عنه وأن انخدع بها بعض السذج وصفق لـها بعض المرتزقة والحاقدين ممن ساندتهم السلطة واختارتهم لتنفيذ اغراضها وتثبيت سياستها ولم تستمر طويلا حتى ينكشف الحال وتعرف الأسباب مثل تأويل الطيبي شارح المشكاة قائلاً: (وعلي بابها) لعل الشيعة تتمسك بهذا التمثيل وأن أخذ الحكمة والعلم مختص به ﷺ ـ إلى أن يقول: ولا حجة لـهم إذ ليس دار الجنة باوسع من دار الحكمة ولـها ثمانية ابواب ومثلـه العاصمي في زين الفتى وتبعهم الدهلوي فإن الحديث غير مقيد لما يدعونه فأي ملازمة بين كون الشخص باب مدينة العلم وكونه صاحب الرئاسة العامة بلا فصل بعد النبي وتناسى هذا المسكين الملازمة فإن الاعلمية شرط في الإمامة ولا يجوز تقديم المفضول على الفاضل.

والخلاصة: أن التأويلات والتحريفات والحاق الزيادة على الحديث لم تجديهم نفعا وتصمد مع التحقيق وكشفا الحالة بالاختلاف ووصفت لدى أرباب

الفن بالنكارة والتزوير وعرف أيضاً صاحبها وهو إسماعيل بن المثنى الاسترباذي ونقلها الديلمي صاحب الفردوس كما نقلها السخاوي والعجلوني [١] وغيرهم فقال السخاوي: واورد صاحب الفردوس وتبعه ابنه بلا اسناد قال: أنا مدينة العلم وابو بكر اساسها وعمر حيطانها وعثمان سقفها وعلي بابها وبلفظ آخر أنا مدينة العلم ومعاوية حلقتها وبالجملة فكلها ضعيفة وألفاظ ركيكة.

وفي لفظ أنا مدينة العلم وابو بكر وعمر وعثمان سورها وعلي بابها فقال ابن عساكر: منكر جداً اسناداً ومتناً [٢].

واوضح البدخشاني في تحفة المحبين وهو منكر جداً واظنه موضوعاً وإنما وضعه من وضعه ليقابل به حديث أنا مدينة العلم وعلي بابها.

وقال محمد درويش: أنا مدينة العلم وابو بكر أساسها الخ وذلك لا ينبغي ذكره في كتب العلم لا سيما ابن حجر ذكر ذلك في الصواعق وهو غير جيد من مثله [٣] وذكر السمعاني في الأنساب عن إسماعيل الاسترباذي وابنه كان يقال له: كذاب بن كذاب وسئل عنه بمكة فقالوا: كذاب ابن كذاب لا يكتب عنه ولا كرامة قال: وتبين ذلك في حديثه وحديث أبيه يركّب المتون الموضوعة على الاسانيد الصحيحة ولم يكن موثوقا في الرواية [٤].

---

(١) اللئاليء المصنوعة ١: ٣٣٥. السخاوي في المقاصد الحسنة: ٤٧. والعجلوني في كشف الخفاء ١: ٢٠٤.

(٢) تاريخ ابن عساكر ٤٥: ٣٢١، رقم [٥٢٦٥].

(٣) اسنى المطالب: ٧٣. فتح الملك العلى: ١٥٦.

(٤) لسان الميزان ١: ٤٢٢ ـ ٤٢٣.

ابن تيمية:

تقدم القول في اجتهادات ابن تيمية في نهضة الحسين بن علي عليه السلام وفي وقعة الحرة ودافع عن يزيد بن معاوية وتأول احراق الكعبة وهاجم الثائرين على معاوية ونغلـه يزيد وتطاول على صحابة الرسول من الذين ثاروا عليها واجتهد ودافع عنهما دفاعاً اخرجه من الاتزان العلمي وانكار الحقائق الثابتة وتمسك باقوال فارغة واجتهادات باطلة وليس بغريب عليه كما قيل عنه[1] وعرف بالشغف بمهاجمة الفرق الاسلامية وعلى المسلمين وكان معهم حاد اللسان جارح العبارة يهاجم ويكذب خصمه ويطعنه دون تردد وحتى لم يترك أحد يخاصمه إلاّ ويطعنه بالضلال او الكذب والافتراء والجهل او تقليد اليهود والنصارى واتبارع الفراعنة والـهنود ولا فرق في ذلك بين خصم يناظره وجها لوجه او آخر يرد عليه في كتاب او خطاب.

ولم يكتفي بالذب عنهم وتبرير افعالـهم من نقض لاحكام الشريعة وتعطيل الحدود وافشاء القتل في اصحاب رسول الله وغيرهم من المسلمين واستباحة المدينة وقتل رجالـها وهتك اعراضهم وهدم الكعبة الشريفة وحرقها وتقدم تفصيل ذلك.

ولم يقف عند حدود وقف عندها قدماء اوليائه بل تعدى ذلك حين فاقهم جرأة على السنة النبوية بل حتى على النبي نفسه فكذب احاديث صحيحة وحرف معاني أخرى وتعلق بالموضوعات التي انكرها اسياده لا دفاعا فقط بل تزكية وتعظيما لأولئك الملوك فلم يكن معاوية عند ابن تيمية بريئا فقط من تغيير

(١) ابن تيمية لصائب عبدالحميد: ٤٣٢.

السنة ومن كل ما تحملـه في عهده بل صحابي مقدم لـه فضائل يجمعها ابن تيمية ولول مرة في التواريخ في كتاب مفرد بعنوان (فضائل معاوية) وفي يزيد وانه لا يسب[١].

ويزيد هو الآخر فان كان لـه ذنوب فان لـه حسنات ماحية وتقدم ذكره؟ ثم ان الحكم وابنه مروان طريدي رسول الله كانا بريئين من كل ذنب فيقول لم يكن لمروان ذنب يطرد عليه على عهد النبي[٢] وتقدم في ذكر بني امية.

ثم قال اما الحكم فهو من الطلقاء والطلقاء حسن اسلام اكثرهم وبعضهم فيه نظر ومجرد ذنب يعزر عليه لا يوجب ان يكون منافقا في الباطن[٣].

واذا لعنهم النبي ﷺ او دعا عليهم كما ثبت بما تقدم فلا شيء عليهم لان دعائه على معاوية وغيره من بني امية فهو زكاة لـهم وفضيلة.

وبهذا استمر ابن تيمية في تكذيب الحديث النبوي وايات من القرآن الكريم النازلة في شأن علي عليه السلام وأهل البيت ولم يفلت منه حديث واحد حتى الصحيح المشهور او المتواتر في المسانيد إلاّ وطعن فيه اما سندا او متنا وما لم يستطع طعنه جادل فيه جدلا لا يجرء على بعضه أحد يحرص على كرامة القرآن والسنة ومن بعض الامثلة على ذلك فلم يعطي أي مزية لامير المؤمنين في الحديث الثابت المشهور قوله ﷺ: ((انت مني بمنزلة هارون من موسى إلاّ انه لا نبي بعدي))[٤].

---

(١) الوافي بالوفيات ٧: ٢٦.

(٢) منهاج السنة ٣: ١٩٥.

(٣) منهاج السنة ٣: ١٩٧.

(٤) صحيح البخاري ٥: ٨٩، وص٢٠٢. صحيح مسلم ٤: ١٢٠، وص١٢١. بستة طرق. الترمذي ٥: ٣٠٢ وغيرهم

وقوله ﷺ لعلي: ((علي مني وانا من علي وهو ولي كل مؤمن بعدي)) سيأتي تفصيله وكذلك حديث أهل بيتي وضمهم في الكساء.... فلا يرى ابن تيمية أي فضيلة لهم وما دعاهم النبي لفضيلة لهم ولكن دعاهم لانهم اقاربه.... ولو كان النبي ﷺ قد دعا ابو بكر وعمر لكانت اجابة دعائه اولى واسرع[1] ولا يسع المجال لمناقشته وقد كفانا جمع كثير من معاصريه فردوه ردا متينا وفي كتب عديدة وآخرها الشيخ الاميني في الغدير ج٣، وصائب عبدالحميد وحاسبه على كل ذلك في كتاب اسماه (ابن تيمية حياته وعقائده). حتى ان الكثير من ابناء قومه اعترضوا عليه وفندوا اقوال واعرض لبعضهم باختصار:

ذكر الالباني في قوله ﷺ ما تريدون من علي ان عليا مني وانا منه وهو ولي كل مؤمن بعدي فقال الالباني بعد ان صحح الحديث وذكر بعض طرقه.

فمن العجب حقا ان يتجرأ شيخ الاسلام ابن تيمية على انكار هذا الحديث وتكذيبه في منهاج السنة[2].

كما فعل بالحديث المتقدم هناك إلى ان قال فما ادري بعد ذلك وجه تكذيبه للحديث إلاّ التتسرع والمبالغة في الرد على الشيعة[3].

وقال أيضاً بعد ان صحح حديث من كنت مولاه فعلي مولاه ونص على تواتره وخرج طرقه كان الدافع لتحرير الكلام على هذا الحديث[4] واما الشطر

---

(١) منهاج السنة ٢: ١١٨، وج ٤: ص٣٥.

(٢) منهاج السنة ٢: ١١٨، وج ٤: ص١٠٤.

(٣) سلسلة الاحاديث الصحيحة ٥: ٢٦٣. البشارة والاتحاف: ٢٩٠.

(٤) الشطر الاول هو من كنت مولاه فعلي مولاه. والشطر الثاني هو: اللهم وال من والاه.

الثاني فزعم انه كذب وهذا من مبالغاته الناتجة في تقديري من تسرعه في تضعيف الاحاديث قبل ان يجمع طرقها ويدقق النظر فيها والله المستعان[١].

كما ذكر ابن حجر في ترجمة ابن المطهر الحلي اذ قال صنف ابن المطهر كتابا في فضائل علي ﵁ نقضه الشيخ تقي الدين ابن تيمية في كتاب كبير إلى ان قال لكن وجدته كثير التحامل إلى الغاية في رد الاحاديث التي يوردها ابن المطهر... إلى ان يقول وكم من مبالغة لتوهين كلام الرافضي قادته احيانا إلى تنقيص علي ﵁[٢].

وبعد كل هذا يتحمس للنزعة الاموية التي اعتنقها ودافع عنها بما يستطيع من تلفيق وتأويل مالم يستطع طعنه وبلغ داء العصبية والعناد فنال من امير المؤمنين اما تصريحا او تلميحا يحمله ذلك دفاعا عن ابن آكلة الاكباد وزمرته فان الحديث الثابت عن النبي ﷺ قوله لعمار تقتلك الفئة الباغية وقتله معاوية وثبت بغيه كما اسلفنا فيأتي الشيخ فيقلب الموازين وينسب في حديث له ربما كان علي هو الباغي[٣] وأمثال هذه كثير.

وكما ان له الجرئة الفائقة بتفرده بالفتاوى التي شذ بها لاعن مذهبه فقط ولا المذاهب الأربعة وانما عن محكم الكتاب والثابت من السنة المطهرة كما في اغلب الفتاوى السبعة الاولى[٤] وغيرها وقد انكر جمهور المسلمين عليه ويقول ابن

---

(١) سلسلة الاحاديث الصحيحة ٥: ٢٦٣.

(٢) لسان الميزان ٦: ٣١٩ ــ ٣٢٠.

(٣) منهاج السنة ٢: ٢٠٥ ــ ٢٣٢.

(٤) شذرات الذهب ٦: ٨٥.

رجب الحنبلي كثير من العلماء والفقهاء والصالحين كرهوا لـه التفرد ببعض المسائل التي انكرها السلف على من شذ بها حتى ان بعض قضاة العدل من اصحابنا ـ يعني الحنابلة ـ منعه من الافتاء ببعض ذلك[١].

وبلغ من تسرعه عدمالتزام نص الحديث الذي يرويه وكما نسب إليه النقل في احاديث عن الصحاح ولم تكن كما ذكر وذكر لـه امثلة لذلك[٢].

كما يتسرع في تضعيف الاحاديث الصحاح والحسان التي تخالف مذهبه وقد سجل عليه هذا العيب ابن حجر[٣].

بل هو معروف عند أهل الحديث حتى ان أحدا منهم لم يعتمد على تضعيف ابن تيمية للاحاديث[٤].

واعترف عليه تلميذه ورفيقه ابن القيم الجوزية حتى قال بحث الشيخ مع قوم فاحتجوا عليه بحديث انكره فلما اظهروا لـه النقل ووقف عليه القى المجلد من يده[٥].

وافتى في مسألة وافتى فقيه آخر بخلافه فرد عليه ابن تيمية قائلا من قال هذا فهو كالحمار الذي في داره فانكر عليه حتى مؤيدوه هذا الاسلوب في الجدال[٦].

---

(١) صائب عبدالحميد ابن تيمية: ٧٠.

(٢) الفقيه المعذب عبدالرحمن الشرقاوي ١٦٨.

(٣) لسان الميزان ٦: ٣١٩ ـ ٣٢٠.

(٤) ناصر الالباني سلسلة الاحاديث الصحيحة ٤: ٣٤٤، وص ٤٠٠.

(٥) الوافي بالوفيات ٧: ١٧.

(٦) عبدالرحمن الشرقاوي: ١٥٢.

وقد نودي في دمشق وغيرها من كان على دين ابن تيمية حل مالـه ودمه[١].

وقد افتى بعضهم بتكفير من يسمى ابن تيمية بشيخ الاسلام[٢].

---

(١) مرآة الجنان لليافعي ٢: ٢٤٢.

(٢) تذكرة الحفاظ: ٣١٦. نيل الاوطار للشوكاني.



الفصل الثالث عشر

الكذب على الله ورسوله





ان الكذب على الله سبحانه وتعالى وعلى رسولـه ﷺ نختصره بحديثين رويا عن أمير المؤمنين عليه السلام، وشرح ذلك، وذكر أسباب الاختلاف في الحديث عن رسول الله ﷺ:

الأول: عن الشعبي[1] حدثني من سمع علياً عليه السلام وقد سئل عن ذلك فاجاب بقولـه الناس أربعة ليس لـهم خامس:

رجل منافق مظهر للايمان متصنع للإسلام لا يتأثم ولا يتحرج يكذب على رسول الله ﷺ متعمداً فلو علم الناس انه منافق لم يقبلوا منه، ولم يصدقوا قولـه، ولكنهم قالوا: (صاحب رسول الله ﷺ) فيأخذون بقولـه وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك ووصفهم بما وصفهم به لك ثم أنهم بقوا بعده عليه وآلـه السلام فتقربوا إلى أئمة الضلالة والدعاة إلى النار بالزور والبهتان فولوهم الأعمال وجعلوهم حكاماً على رقاب الناس فاكلوا بهم الدنيا وإنما الناس مع الملوك والدنيا إلا من عصمه الله تعالى فهذا أحد الأربعة... الحديث.

الثاني: ما رواه كميل به زياد[2]، قولـه عليه السلام: أن في أيدي الناس ـ أي من الحديث النبوي ـ حقاً وباطلا وصدقا وكذبا وناسخا ومنسوخا وعاما وخاصا

---

(١) الاحتجاج ١: ٣٩٤. شرح النهج ٢: ١٨٩. تذكرة الخواص باختصار: ١٤٢. ينابيع المودة ٣:٤٠٩.

(٢) كما رواها في معالم المدرستين: ٤٥٠، مطولة.

ومحكما ومتشابها وحفظا ووهما... وانما اتاك بالحديث أربعة رجال ليس لـهم خامس: رجل منافق مظهر للايمان متصنع بالاسلام لا يتأثم ولا يتحرج يكذب على رسول الله ﷺ متعمدا فلو علم الناس أنه منافق كاذب لم يقبلوا منه ولم يصدقوا قولـه ولكنهم قالوا: صاحب رسول الله رأى وسمع منه ولقف عنه فيأخذون بقولـه وقد أخبرك الله عن المنافقين بما أخبرك....

ورجل سمع من رسول الله ﷺ شيئا لم يحفظه على وجهه فوهم فيه ولم يتعمد كذبا... يقول أنا سمعته من رسول الله فلو علم المسلمون أنه وهم فيه لم يقبلوه منه ولو علم هو أنه كذلك لرفضه.

ورجل ثالث سمع من رسول الله شيئاً يأمر به ثم نهي عنه وهو لا يعلم، أو سمعه ينهى عن شيء ثم أمر به وهو لا يعلم فحفظ المنسوخ ولم يحفظ الناسخ، فلو علم أنه منسوخ لرفضه ولو علم المسلمون إذ سمعوه منه أنه منسوخ لرفضوه

وآخر رابع: لم يكذب على الله ولا على رسولـه مبغض للكذب خوفا من الله وتعظيما لرسولـه ﷺ ولم يهم بل حفظ ما سمع على وجهه فجاء به على ما سمعه لم يزد فيه ولم ينقص منه فحفظ الناسخ فعمل به وحفظ المنسوخ فجنب عنه وعرف الخاص والعام فوضع كل شيء موضعه وعرف المتشابه ومحكمه ـ إلى أن قال ـ وليس كل أصحاب رسول الله من كان يسألـه ويستفهمه حتى أن كانوا ليحبون أن يجيء الاعرابي والطارئ حتى يسمعوا.

وكان لا يمر بي من ذلك شيء إلا سألته عنه وحفظته فهذه وجوه ما عليه الناس في اختلافهم وعللهم في رواياتهم[1].

---

(١) نهج البلاغة ٢: ١٠. وفي طبعة: ٣٥٠، وفي خطبة له اخصر كما رواها قبل الشريف الرضي كثيرون ←

وكما كرر بعض تلك الفقرات في خطبة أخرى[(١)] وكان لا يمر بي من ذلك شيء إلا سألته عنه وحفظته وليس هو بعلم غيب وإنما هو تعلم من ذي علم.

كما جاء عنه ﷺ:... وقد كنت ادخل على رسول الله في كل يوم دخلة وكل ليلة دخلة فيخليني فيها ادور معه حيث دار وقد علم أصحاب رسول الله أنه لم يصنع ذلك باحد من الناس غيري[(٢)] الخ...

ومن هذا وغيره يتسع نطاق الكذب على الله ورسوله ويتصد قوم لا امانة لهم ولا دين يردعهم ولا عهد لهم بالصدق فحدثوا الناس بالاكاذيب ونمقوا وزوروا كما وضعوا أحاديث كيفما شاءت رغباتهم وتشتد الفوضى والخروج على حدود الامانة في النقل يوم دار الزمن دورانه ودب داء الحسد والتنافس على حب الرئاسة والتقرب إلى السلطان عندما اشتدت حاجته إلى مرتزقة يجعلهم قنطرة إلى غايته ليبرر مواقفه؛ المخالفة لأحكام الإسلام فكان ما كان من تشجيع للكذابين والوضاعين ومن لاحظ يسيرا ما جرى في العهد الأموي من مؤسسه معاوية ابن أبي سفيان ومن بعده من الأمويين.

منه التوحدي في الامتاع والمؤانسة ٣: ١٩٧، واخرون كما في مصادر نهج البلاغة ٣: ١١٥.

(١) نهج البلاغة ٢: ١٩١.

(٢) وسيأتي الحديث: إذا سألته أجابني... الخ. ونقل أحمد أمين في ضحى الإسلام ٢: ١٢٨ من حديث حتى قال: ولكنا نرى أن أحاديث العهد الأموي أكثر من أحاديث عهد الخلفاء الراشدين وأحاديث العصر العباسي أكثر من أحاديث العهد الأموي نقلاً عن منع التدوين: ٣٥٣ ثم نقل عن الإمام محمد عبده قوله: ان عموم البلوى بالأكاذيب حق على الناس في دولة الأمويين فكثر الناقلون وقل الصادقون وامتنع كثير من أجلة الصحابة عن الحديث إلا لمن يثقون بحفظه. شيخ المضيرة: ٢٠٢ عن تاريخ الإمام محمد عبده ٢: ٣٤٧.

كيف استطاع تغيير السنة والسيرة وقلب الموازين التاريخية والاجتماعية والسياسية وقد يطول الحديث واختصره بما يتعلق بأمير المؤمنين وأهل بيته واهتم بهذه السياسة غاية الاهتمام ومنع التحدث بغيرها وعاقب عليه أشد العقوبة وعممها على كافة الأقطار الموالية لـه.

واحتضن جماعة ساعدته على ذلك ممن طمع بالمال والمناصب ومال للدنيا وشهواتها من بعض الصحابة وغيرهم وقد عرضنا ذلك مبسطا (في رسائل معاوية للأقطار).

وان معاوية (وضع قوماً من الصحابة وبعض التابعين على رواية قبيحة في علي تقتضي الطعن فيه والبراءة منه وجعل لـهم جعلاً يرغب في مثلـه فاختلقوا لـه ما أرضاه منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة ومن التابعين عروة بن الزبير وغيرهم.

والزم ذلك عمالـه في كافة الأقطار فقرأت كتبه على الناس فرويت أخبار كثيرة... مفتعلة لا حقيقة لـها وجرى الناس في رواية ما يجري هذا المجرى حتى أشادوا بذكر ذلك على المنابر وألقى إلى معلمي الكتائب فعلموه صبيانهم وغلمانهم من ذلك الشيء الكثير الواسع وتعلموه كما يتعلمون القرآن وحتى علموا لأبنائهم ونسائهم وخدمهم وحشمهم فلبثوا بذلك ما شاء الله.

فظهرت أحاديث كثيرة موضوعة وبهتان منتشر ومضى على ذلك الفقهاء والقضاة والولاة وكان أعظم الناس في ذلك بلية القراء المراءون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم ويقربون مجالسهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث إلى ايدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان فقبلوها

ورووها وهم يضنون انها حق ولو علموا انها باطلة لما رووها ولا تدينوا بها وكما تقدم أيضاً وصف ذلك العهد وما جرى فيه ابن نفطويه في تاريخه والإمام الباقر عليه السلام ذلك العهد من كثرة الكذابين وتقدم أيضاً ما جرى ووصفه أبو جعفر الاسكافي مطولا والخوارزمي في إحدى رسائلـه وابن قتيبة في مختلف الحديث وغيرهم وتقدم كل ذلك بتفصيل فلا حاجة للاعادة.

الكذب على الله ورسولـه صلى الله عليه وآله وسلم في العهد العباسي:

وهكذا تجري الأمور حتى يصل الدور إلى العهد العباسي فلم يختلف الحال بما سنه معاوية وارغم الناس عليه وتتوارثه الأجيال ويتقبلـها العامة وسار عليها من سار إلاّ من هداه الله للايمان ومن لاحظ سيرة خلفاء بني العباس مع أهل البيت تأكد لـه ذلك. وباختصار أعرض لنماذج من ذلك.

فهذا غياث بن إبراهيم يدخل على المهدي وكان المهدي يحب الحمام فطلب منه أن يحدثه فيأتي لـه بحديث عن أبي هريرة... فأمر لـه المهدي بعشرة آلاف درهم فلما قام غياث قال المهدي أشهد أنه قفا كذاب على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما قال رسول الله... ولكنه أراد أن يتقرب إلي [1].

ويدخل أبو البختري وهب بن وهب قاضي بغداد على هارون الرشيد وهو يطير في الحمام فقال: هل تحفظ في هذا شيء فقال: نعم، واختلق لـه حديثاً عن عائشة أن النبي كان يطيِّر الحمام.

---

(١) تاريخ بغداد ١٢: ٣٢١. تاريخ ابن عساكر ٥٣: ٤٢٥. لسان الميزان ٤: ٤٢٢. كتاب المجروحين ١: ٦٦. وابن كثير في البداية والنهاية ١٠: ١٥٤، بلفظ عتاب بن إبراهيم.

ونقل عن مقاتل كان يتبرع للخلفاء والحكام في وضع الأحاديث على رسول الله ﷺ وقال أبو عبد الله ـ وزير المهدي ـ: ألا ترى إلى هذا ـ يعني مقاتلاً ـ ما يقول لي قال: ان شئت وضعت لك أحاديث في العباس[1] وسيأتي الحديث عنه وأمثال هؤلاء المتبرعين بالكذب والبهتان للخلفاء كثير جدا.

واستجلب الرشيد إسحاق المعروف بأبي حذيفة وهو معروف بالكذب ومشهور بالوضع فامره الرشيد أن يجلس في مسجد ابن رغبان يحدث الناس فأخذ إسحاق يحدث بالاكاذيب ويروي عن خلق من الثقات ماتوا قبل أن يولد [2].

واستقدم المهدي أبا معشر السندي واشخصه إلى بغداد وقال: تكون بحضرتنا تفقه من حولنا وكان أبو معشر أكذب من تحت السماء [3].

وصنف كتاب المغازي وروى عنه الواقدي وابن سعد وقد نعم في بغداد برضا كثير من رجال البلاط العباسي وقد استمد منه الطبري معلومات عن التاريخ الانجيلي ومن تاريخ النبي كما استمد منه بنوع خاص معلومات تاريخيه تنتهي إلى عام وفاته.

وتعددت أنواع الكذب.

وتعددت أنواع الكذب واسبابه على الله ورسولـه من قبل الكذابين كل حسب مرامه واهدافه وهناك عناصر في الوضع من طراز آخر وهم الذين قاموا

---

(١) النص والاجتهاد: ٥٢٦. تاريخ بغداد ١٣: ١٦٨. تاريخ ابن عساكر ٦٠: ١٢٦. تهذيب الكمال ٢٨: ٤٤٦. تهذيب التهذيب ١٠: ٢٥٢.

(٢) تاريخ بغداد ٦: ٣٢٥.

(٣) تاريخ بغداد ٤: ٤٣١.

بنصرة مبادئهم في وضع الأحاديث على لسان صاحب الرسالة بدون مبالاة تعصبا لمذاهبهم[١] حتى كفر بعضهم البعض وعرضنا لنبذه من ذلك في (تعصب المذاهب) والحديث عنها والأحداث التي سببتها يخرجنا عن الموضوع.

وقد كان اولئك الدجالون على أنواع في الوضع واختلاف في الغاية فمنهم من يضع الحديث طمعا في الدنيا وتزلفا لولاة الأمر وأول من اتخذ ذلك [٢] الوضع لتقوية السنة وهذا النوع فاش بين المحدثين وتقبل بعضهم مروياتهم تلك واحتج بها وصححها[٣] بالرغم من الطعون التي لحقت برواتها ووصفوه صلب في السنة وثقة في النقل إلى غيره فمثلاً نعيم بن حماد بن معاوية ت ٢٢٧ هـ كان ماهرا في وضع الحديث متجرئا على مقام صاحب الرسالة، قال الذهبي: وكان يضع الحديث في تقوية السنة وحكايات في ثلب أبي حنيفة وكان صلبا في السنة.

ومنهم أحمد بن عمر بن مصعب: كان من الوضاعين ومن أهل السنة المجودين ووضع بذلك كتاباً في تقوية السنة كلـها موضوعة ومنتشرة عند الخراسانين في عصره وكان معروفاً في نصرة السنة بوضع الأحاديث الكاذبة عن الثقات [٤].

ومثلـه علي بن أحمد بن عمرو: كان شديد العصبية في السنة يضع الأحاديث

---

(١) وهؤلاء يرون الانتصار لمذهبهم انتصارا للحق ومقاومة الباطل وزين لـهم الشيطان أعمالهم فراحوا يضربون الأحاديث بمهارة في الضرب وتفننوا باختلاق الحكايات والقصص.

(٢) معاوية ابن أبي سفيان. كما في شرح النهج ١: ٢٥٨.

(٣) وأخذها المهرجون مأخذ القبول وجعلوها محل الاعتبار ويصححونها إذا وافقت اغراضهم ولم يلتفتوا الحالها وحال رواتها ممن اعماه التعصب ولم يستطع التمييز بين الحق والباطل، الصدق والكذب، وقد خانه الاتزان والتعقل فهوس وهرج وموه وافترى باخفاء الحقيقة. أسد حيدر: ٢٦٧.

(٤) تاريخ بغداد ٥: ٧٣.

في نصرتها [١].

ومثلـه أحمد بن عبد الله الأنصاري كان من الوضاعين لنصرة السنة وذكر لـه بعض الأحاديث [٢].

أحمد بن محمد بن غالب الباهلي ت ٢٧٥ غلام الخليل من كبار الزهاد ببغداد كذاب وضاع، قال ابن عدي: سمعت أبا عبد الله النهاوندي يقول لغلام الخليل: ما هذه الأحاديث الرقائق التي تحدث بها قال: وضعناها لنرقق بها قلوب العامه حتى أطلق عليه دجال بغداد.

والعجيب أن هذا وسيرته وقد اغلقت بموته أسواق دار السلام وحمل نعشه إلى البصرة وبنيت على قبره قبة [٣].

وميسرة بن عبد ربه... قال: وضعته ارغب فيه الناس [٤].

وضع الأحاديث حسبة لله تعالى:

ذكر القرطبي[٥] في معرض حديثه في فضل سور القرآن وغير ذلك عن فضائل الأعمال وقد ارتكبها جماعة كثيرة وضعوا الحديث حسبة كما زعموا... كما روي عن أبي عصمه ومحمد بن عكاشة وأحمد بن عبد الله الجويباري وغيرهم. حتى قيل لأبي عصمة من أين لك هذا عن عكرمة عن ابن عباس في

---

(١) شذرات الذهب ٣: ٢٢٦.

(٢) شذرات الذهب ٣: ٢٢٦.

(٣) كما في المنتظم لابن الجوزي، وتاريخ بغداد. الغدير ٥: ٢١٧.

(٤) كتاب المجروحين ٣: ١١. تاريخ بغداد ١٣: ٢٢٤. الموضوعات لابن الجوزي ١: ٢٤١. ميزان الاعتدال ٤: ٢٣٠. لسان الميزان ٦: ١٣٨. الغدير ٥: ٢٦٨.

(٥) تفسير القرطبي ١: ٧٨. تاريخ ابن عساكر ٥٧: ٥.

فضل سور القرآن سورة سورة فقال: أني رأيت الناس قد اعرضوا عن القرآن واشتغلوا بفقه أبي حنيفة ومغازي أبي إسحاق فوضعت هذا الحديث حسبة وقال أيضاً: قد ذكر الحاكم وغيره من شيوخ المحدثين أن رجلاً من الزهاد انتدب في وضع أحاديث في فضل القرآن وسوره فقيل لـه لم فعلت هذا فقال: رأيت الناس قد زهدوا في القرآن فأحببت أن أرغبهم فيه فقيل لـه فإن النبي ﷺ قال: من كذب علي متعمدا فليتبوأ مقعده من النار فقال: أنا ما كذبت عليه انما كذبت لـه (وأمثال هؤلاء كثير).

ثم قال في التحذير:... وأعظم ضررا قوم منسوبون إلى الزهد وضعوا الحديث حسبة فيما زعموا فتقبل الناس موضوعاتهم ثقة منهم بهم وركونا إليهم فضلوا واضلوا.

تبرير الكذب في الحديث:

ذكر عن اصبغ بن خليل القرطبي افتعل حديثاً في ترك رفع اليدين ووقف الناس على كذبه. ونقل عن أحمد بن خالد أنه لم يقصد اصبغ بن خليل الكذب على رسول الله ﷺ وانما اظهر أنه يريد تأييد مذهبه [١].

فقال القاضي عياض: وهذا كلام لا معنى لـه وكل من كذب على النبي فانما كذب لتأييد غرضه [٢].

المهلب بن أبي صفرة ت ٨٣ ولم يكن يعاب إلا بالكذب وفيه قيل: رائج

(١) لسان الميزان ١: ٤٥٩.

(٢) لسان الميزان ١: ٤٥٩.

يكذب وكان والي خراسان فعمل عليها خمس سنين [١] واستدرك صاحب الاستيعاب فقال: هو ثقة وأما من عابه بالكذب فلا وجه لأنه كان يحتاج لذلك في الحرب يخادع الخوارج فكانوا يصفونه لذلك بالكذب غيضا منهم عليه[٢].

ولقد دافع الذهبي وشكك في تكلم ابن أبي داود في ابنه وانه كذاب فحاول توجيهه كلامه لعل قول أبيه فيه أن صح أراد الكذب في لـهجته لا في الحديث وانه حجة فيما ينقلـه أو كان يكذب ويوري في كلامه ومن زعم أنه لا يكذب فهو ارعن.

وقال ابن حجر: قيل لإبراهيم الحربي: اكان ابن المديني يتهم بالكذب قال: لا انما حدث بحديث فيه كلمة ليرضى ابن أبي داود... واضراب هؤلاء كثير في تراجمهم في عامة المعاجم.

ولابن الوزير الصنعاني كلام في تفسير الكذب وتقدم نقلـه في الكذابين في رجال الصحاح فكأن الكذب على الله ورسولـه ليس من كبائر الذنوب وقول الزور ليس من الفواحش ومنقصة في الفضائل وخيانة كبرى للعلم والحقيقة فعم بلائهم وكثر خطبهم على الأمة والإسلام وهذه نبذة قليلة وللمتتبع في معاجم الرجال يجد أضعاف ما ذكرنا وربما يستعظمه القاريء ويذهلـه أمر هؤلاء ويستغرب ذلك بعد أن وصفوا بالزهد والصلاح فليس بغريب على المدلسين والدجالين جمع النقيضين وكان بعضهم من المغفلين فاصبح شعارهم وربما تقربوا به

---

(١) هكذا ترجمه ابن قتيبة في المعارف: ١٧٥.

(٢) هامش تهذيب الكمال ٢٩: ١٢. تهذيب التهذيب ١٠: ٢٩٣ وفيه عن الاستيعاب. والاصابة ٣: ٥٣٦.

إلى الله فوقعوا في الضلال من حيث لا يشعرون ووصف الكثير منهم بذلك وكما جاء عن يحيى بن سعيد القطان قال: ما رأيت الصالحين في شيء اكذب منهم في الحديث مقدمة صحيح مسلم وتاريخ بغداد وعنه لم يرى أهل الخبر في شيء اكذب منهم في الحديث مقدمة صحيح مسلم وعنه ما رأيت الكذب في أحد أكثر منه فيمن ينسب إلى أهل الخير والزهد خاتمة اللئالي المصنوعة للسيوطي.

ولكن الاغرب والادهى ممن يخرج أحاديثهم ويستدل بها ويعتمد عليها كما دخل منهم في رجال الصحاح واحتجوا بأقوالـهم واستندوا عليها.

وقد أحصى شيخنا الأميني في الغدير[1]: طائفة منهم أمثال الـهيثم الطائي يقوم عامة الليل بالصلاة وإذا أصبح يجلس ويكذب.

الحافظ عبد المغيث الحنبلي موصوف بالزهد والثقة والدين والصدق والامانة..

واتباع السنة والاثار وهو يؤلف من الموضوعات كتاباً في فضائل يزيد بن معاوية أحمد الباهلي من كبار الزهاد وهو ذاك الكذاب الوضاع وقال ابن الجوزي: كان يتزهد ويهجر شهوات الدنيا فحسن لـه الشيطان هذا الفعل القبيح.

ابو بشر المروزي الفقيه اصلب أهل زمانه في السنة واذبهم عنها واخفهم لمن خالفها وكان يضع الحديث ويقلبه، إلى غيرهم كثير.

كما ذكر الأميني لطائفة كبيرة أيضاً من المحدثين والفقهاء والقضاة والولاة والقراء والمؤلفين وغيرهم وفهرسهم بمعجم ابجدي وعدهم بما يقرب من سبعمائة.

---

(١) الغدير ٥: ٢٧٦.

وذكر لـهم من الأحاديث الموضوعة المقلوبة باربعمائة وثمانية آلاف وستمائة وأربعة وثمانين حديثاً.

ثم قال: وهذه القائمة تقريبه تعرفنا على الموضوعات والمقلوبات من الأحاديث المبثوثة في طيات كتب القوم ومسانيدهم ثم ذكر وكان لجل هؤلاء الكذابين تأليف تحوى شتات ما لفقوه مما لا يحد ولا يعد.

ولسائل يقول: كم هذه المؤلفات وكم تحوى من عدد الأحاديث وما هي المواضيع التي تحويها وكم تسرب منها ودخل في الأحاديث الصحيحة كما زعم أصحابها وبعد أن وصلت إلى الخلف وعض عليها بالنواجذ وتقبلـها من سلفه وحسبها سنة متبعة لا يجوز مخالفتها إلا ما شذ وندر من قبل رجال الجرح والتعديل لبعض الأحاديث وما فاتهم أضعاف ما اشيروا إليها ولا زلنا نعاني منه حتى اليوم وعندما دخلت إلى اهم المصادر سواء بقصد أو بغفلة أو لحسابات أخرى توافق هوى النفس خاصة بعد أن فرضت السلطة الأموية والمروانية اتباعها بعدم مخالفتها فتقبولـها أما طمعا أو خوفا والناس على دين ملوكها حتى لو خالفت الكتاب والسنة.

التعرف على الثقة والثقات،

ان التعرف على الثقة والثقات من أشكل المشاكل وان تعرضنا لبعضهم كما سيأتي في رجال الصحاح من خوارج ونواصب وفسقة وغيرهم واختصرناهم على رجال الصحاح الستة لا غير وذكرنا لهم نماذج.

اما بالنسبة للمسانيد الأخرى وكتب الحديث وغيرها فهناك الطامة الكبرى وفيها الأضعاف المضاعفة ولو جمعت لصارت مجلدات ضخمة، أمثال الثقة عمر بن

سعد قاتل الإمام السبط الحسين بن علي عليهما السلام، ودافع عنه القاريء بقوله: انه قد يقال انه لم يباشر لقتله عليه السلام ولعل حضوره مع العسكر كان بالرأي والاجتهاد وربما حسن حاله وطاب مآله ومن الذي سلم من صدور معصية عنه وظهور زلة منه ولو فتح الباب أشكل الأمر على ذوي الألباب[١].

وذكر الذهبي قال: عمر بن سعد روى عن أبيه، وعنه ابنه إبراهيم وأبو إسحاق وأرسل عنه الزهري وقتادة[٢].

وفي ميزان الاعتدال قال: عمر بن سعد هو في نفسه غير متهم لكنه باشر قتال الحسين وفعل الأفاعيل، حتى روى شعبة عن أبي إسحاق عن العيزار بن حريث عن عمر بن سعد فقام إليه رجل فقال: أما تخاف الله تروي عن عمر بن سعد فبكى وقال لا أعود.

وقال العجلي: روى عنه الناس تابعي ثقة[٣].

كما نسب للنسائي في صحيحه عن عمر بن سعد قاتل الحسين عليه السلام: ويقول علماء الرجال في ترجمته صدوق لكن مقته الناس لكونه أميراً على الجيش الذي قتلوا الحسين[٤].

كما رووا عن شمر بن ذي الجوشن غير ان الذهبي قال : ليس بأهل للرواية وعن... ابي إسحاق قال: ان شمر يصلي معنا ثم يقول: اللهم انك تعلم اني شريف

---

(١) المرقاة ٢: ٣٩١.

(٢) الكاشف ٤: ٣١١.

(٣) ومثله خلاصة التهذيب: ١٤٠.

(٤) نقلاً عن معالم المدرستين: ٤٦.

فاغفر لي قلت: كيف يغفر لك وقد اعنت على قتل ابن رسول الله ﷺ؟ قال: ويحك فكيف نصنع ان امرائنا هؤلاء أمرونا بأمر فلم نخالفهم ولو خالفناهم كنا شراً من هذه الحمير السقاة[١].

ومن الغريب جداً رووا عن الفاسق الفاجر الوليد الذي أنزل الله تعالى الآية: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ﴾[٢] الاية وقوله تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا﴾ الاية وسيأتي تفصيل نزولهما وترجمته وهو الذي جلده أمير المؤمنين بثمانين جلدة؛ لشربه الخمر وقد أخرج له أبو داود في سننه وعدوه من الثقات.

غير ان ابن حجر قال: قد ثبتت صحبته وله ذنوب أمرها إلى الله تعالى والصواب السكوت[٣].

أقول: ان التاريخ لا يسكت عنه بعد ان فضحه الله وأنزل فيه آيتين أسماه فيهما فاسقاً وشرب الخمر وجلده أمير المؤمنين وعزل عن ولاية الكوفة وكل هذه الأمور وغيرها بمرأى من عامة المسلمين وبحضور عثمان وأهل المدينة والكوفة وغير هؤلاء كثير لا يسع المجال ذكرهم.

قد يهون الأمر ونهتدي للجواب السابق إذا تعرفنا على الثقة والثقات بصحة الأحاديث والأخبار برجوعنا إلى أهل الجرح والتعديل وقالوا هذا الراوي مجروح وذاك مطعون به وهذا متهم بالكذب والوضع أو عدم الثقة وهذا يدلس في السند أو يقلب المتن وهذا متصل وذاك منقطع إلى غيرها من كلمات الطعن والجرح

---

(١) ميزان الاعتدال.

(٢) الحجرات: ٦.

(٣) تهذيب التهذيب ١١: ١٤٤.

فعندها نترك الرواية وراويها ونضرب بها عرض الحائط.

وهذا شرط لازم لمن لـه القدرة والمعرفة بالاجتهاد وأصولـه والحديث ورجالـه ومن أهل الاختصاص ومهرة الفن وهذا لا يتيسر لافراد الأمة معرفته.

فلا بد أن نعول على كبار العلماء وأئمة الحديث وحفاظه ممن توفرت فيهم الأمور المذكورة وباضافة شروط أخرى ومن بعضها:

١ـ أن تتوفر فيهم التقوى والورع والصدق والامانة حتى يقولوا الحق ويكتبوا الصدق.

٢ ـ عدم التعصب لمذهب أو عقيدة كي لا يتأثر بهما وينحرف إليهما.

٣ ـ وعدم ميلـه إلى الاهواء النفسية والاغراض الشخصية حتى لا تتغلب عليه الاطماع ويعمل لاجلـها.

٤ـ عدم مسايرة السلطة الجائرة التي تفرض عليه ما تريد فيسير بركبها ويتقبل امرها.

وشروط أخرى لا مجال لذكرها وذكرنا بعضها في (تأسيس المذاهب) (وذكر أهل الجرح والتعديل).

ولما بلغ من الكثرة من علماء الحديث ومصنفاتهم التي لا تحصى في القرون الماضية فاجمعوا على ستة منها واختاروها وسميت (الصحاح الستة) لا غير وفقط وتابعوها مقلدين بكل ما تقول بلا نقاش حتى بلغت شهرتها ما طبقت الدنيا ذكره وبلغت منزلـهم اعلى درجات الصحة وأحاديثهم لا يضاهيها إلا كتاب الله المنزل فصارت عدلـه وقرينته.

والمعترض عليها زنديق والراد عليها كافر وذكروا لذلك قصص واساطير

وبلغ بالذهبي أن يقول في ذكره لبعض الأحاديث: لولا هيبة الصحيح لقلت انها موضوعة [١] ومثلـه في صحيح مسلم الذي قالوا فيه: ما تحت اديم السماء اصح من كتاب مسلم [٢].

فيسأل سائل: هل أن أصحاب الصحاح توفرت فيهم الشروط المذكورة آنفا هل أن أصحابها عاشروا الرسول وكتبوا عنه مباشرة أم عاصروا صحابته وتابعيهم حتى لا يحتاجوا إلى أهل الجرح والتعديل.

وهل أن الفترة المظلمة في العهدين السفياني والمرواني التي اختلط فيها الحابل بالنابل وعمت الفوضى باختلاق الأحاديث وفرضته السلطة بكل ما تستطيع وبوسائل شتى حتى عمت الأقطار والأمصار فصارت سنة متبعة ولم يتسرب من ذلك إلى الصحاح.

وهل أن المحدثين من صحابة وتابعين وغيرهم ممن سخرتهم السلطة لاغراضها.

فلم يدخلوا في رجال الصحاح ويحتجوا بأقوالـهم وينقلوا لنا أحاديثهم تلك وهل أن أصحاب الصحاح التزموا بالحياد وتجنبوا ما رسمته السلطة الأموية من تغيير السنة والانحراف في أمور الدنيا والدين وألزموه للجميع برهبة أو رغبه وما توارثوه من اشياخهم والعهد القريب.

---

(١) مستدرك الوسائل ١: ١٧، نقلـه عن الذهبي. تهذيب التهذيب ٨: ١٤٦.

(٢) مقدمة فتح الباري: ٨. تاريخ بغداد ١٣: ١٠٢. تاريخ ابن عساكر ١٤: ٢٧٥. تذكرة الحفاظ ٢: ٥٨٩، وج٣: ص٩٠٤. سير أعلام النبلاء ١٢: ٥٦٦، وج١٦: ص٥٥. الانساب للسمعاني ٤: ٥٠٣ . البداية والنهاية ١١: ٤٠.

وهذه أسئلة اختصرناها لنتركها لضمير القارئ ليفكر بتأمل ونبذ التعصب والتقليد ولا يطلب غير الحقيقة أينما وجدت ليريح ضميره ويرضى ربه وقد تقدم الحديث عن تلك الفترة المظلمة في عهد معاوية واستجاب لـه بعض الصحابة وغيرهم من هواة الأمرة والمال وتم لـه ما يريد من تغيير السنة وقلب الموازين باختلاق الأحاديث تمويها للعامة وإضفاء الشرعية لسياسته.





الفصل الرابع عشر

حول الصحيحين للبخاري ومسلم





ولما كان صحيح البخاري وصحيح مسلم اهم الصحاح الستة اخصهما بعرض موجز دون غيرهما وكيف جمعت ومتى وأقوال علماء السنة فيهما وكبار أئمتهم وحفاظ الحديث بما اعترضوا عليها أما سندا أو متنا أو بالوقائع التأريخيه غير الثابتة أو تعارضها لأحاديث أخرى أو التناقض المخل بميزتهما أو الاحتجاج بأصحاب البدع والمذاهب المنحرفة.

ولا يخفى انهما صنفا في المائة الثالثة وبعد عصر الصحابة والتابعين وتابعيهم وأئمة مذاهبهم التي اتبعوها ورؤس حفاظ الأخبار ونقاد الاثار المتكلمين في الطرق والرجال المميزين بين الصحيح والسقيم.

فقيل: وانه يظهر لمن تتبع الكتب وتفحص المقالات أن الشأن الذي خص به الصحيحان من قبل أهل الحديث وتقديمهم الكتابين على غيرهما من الكتب انما هو اتباع وتقليد لمجتهدين سبقوهم إذ لم ينقل شيء من هذا القبيل عن الأئمة؛ الأئمة الأربعة وكيف يتصور ذلك وعلم الغيب يختص بالله أو أنه من خصائص الإمامة على زعم الشيعة [1].

وذكر عبد العلي الانصاري في معرض ردا على ابن صلاح قولـه فرع ابن صلاح وطائفة من الملقبين باهل الحديث زعموا أن رواية الشيخين البخاري

(١) منتهى الكلام: ٢٧.

ومسلم صاحبي الصحيح يفيد العلم النظري للاجماع على أن للصحيحين مزية على غيرهما وتلقت الأمة بقبولـهما والاجماع قطعي.

وهذا بهت فإن من راجع إلى وجدانه أنه يعلم بالضرورة أن مجرد روايتهما لا يوجب اليقين البتة وقد روى فيهما أخبار متناقضة فلو افاد روايتهما علماً لزم تحقيق النقيضين ـ إلى أن يقول ـ واما مروياتهما ثابتة عن رسول الله ﷺ فلا اجماع عليه اصلا.

فكيف ولا اجماع على صحة جميع ما في كتابيهما لأن رواتهما منهم قدريون وغيرهم من أهل البدع وقبول رواية أهل البدع مختلف فيه فاين الاجماع على صحة مرويات القدرية ـ إلى أن يقول ـ وهذا لا يفيد إلا الظن.

وهذا هو الحق المتبع ولنعم ما قال الشيخ ابن همام أن قولـهم بتقديم مروياتهما على مرويات الأئمة الآخرين قول لا يعتد به ولا يقتدى بل هو من محكماتهم الصرفة كيف لا وأن الاصحية من تلقاء عدالة الرواة وقوة ضبطهم وإذا كان رواة غيرهم عادلين ضابطين فهما وغيرهما على السواء ولا سبيل للحكم بمزيتهما على غيرهما إلا تحكم والتحكم لا يلتفت إليه فافهم[1].

وذكر النووي قال: استدرك جماعة على البخاري ومسلم أحاديث اخلا بشرطيهما فيها ونزلت درجة ما التزماه... وقد ألف الإمام الدارقطني في بيان ذلك كتابه المسمى (بالاستدراكات والتتبع)... ولابي مسعود الدمشقي (صاحب الاطراق) استدراكات عليهما وكذا لأبي علي الغساني في كتابه (تقييد المهمل) [2].

---

(١) فواتح، شرح مسلم ٢: ١٢٣.

(٢) شرح مسلم ١: ٢٧.

وعن الآمدي: ونقلوا عن شيوخ المحدثين أنه قد ظهر بعد التحقيق وجود مأتين وعشرة أحاديث ضعيفة في الصحيحين تفرد منها البخاري ثمانين ويبلغ ما تفرد به مسلم المائة وقد اشتركا في اخراج ثلاثين [١].

وذكر الذهبي بترجمة أحمد بن عيسى قال سعيد البردعي: شهدت أبا زرعه ذكر صحيح مسلم فقال: هؤلاء قوم أرادوا التقدم قبل أوانه فعملوا شيئاً يتسوقون به (يتشوقون به) واتاه رجل وأنا شاهد بكتاب مسلم فجعل ينظر فيه فإذا حديث لاسباط بن نصر قال: ما أبعد هذا عن الصحيح ثم رأى قطن بن نسير فقال لي: وهذا اطم من الأول: قطن بن نسير بصل أحاديث عن ثابت جعلها عن أنس الخ [٢].

وقال بترجمة محمد بن يحيى الذهلي قال أبو قريش الحافظ: كنت عند أبي زرعة فجاء مسلم بن الحجاج فسلم عليه وجلس ساعة وتذاكرا فلما أن قام قلت له: هذا جمع أربعة آلاف حديث في الصحيح قال: فلمن ترك الباقي؟ ثم قال: هذا ليس له عقل لو دارى محمد بن يحيى لصار رجلاً [٣].

وقيل ان مسلما لما وضع كتابه الصحيح عرضه على ابي زرعة فانكر عليه وتغيظ وقال سميته الصحيح فجعلته سلما لاهل البدع وغيرهم ومثله قيل لما قدم مسلم بعد ذلك الري فبلغني انه خرج إلى عبدالله بن محمد بن مسلم فجفاه وعابه على هذا الكتاب وقال له نحو ما قال له ابو زرعة ان هذا بطرق لاهل البدع علينا [٤].

---

(١) ازالة العين / حيدر علي الفيض آبادي: ٥٥٣.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢: ٥٧١. ميزان الاعتدال ١: ١٢٦. تهذيب التهذيب.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٢: ٢٨٠. وتهذيب الكمال ٢٦: ٦٢٧.

(٤) تهذيب الكمال ١: ٤٢٠. سير أعلام النبلاء ١٢: ٥٧١. تاريخ بغداد ٥: ٢٩. شرح مسلم ١: ٢٥.

وكان أبو زرعة يذم وضع كتاب مسلم ويقول كيف تسميه الصحيح وفيه فلان وفلان وذكر جماعة...[١].

وذكر ابن حجر بترجمة سويد بن سعيد أن إبراهيم بن أبي طالب قال لمسلم كيفَ استجزت الرواية عن سويد قال: ومن أين أتى بنسخة حفص بن ميسرة[٢].

رد زعم انحصار الأحاديث الصحيحة في الكتابين:

وللقائل بانحصار الأحاديث الصحيحة في الكتابين (البخاري ومسلم) أم غيرهما فمتى ثبت ذلك وكيف وما الدليل عليه وهل يصح القول بأن كل حديث لم يخرجاه فهو ضعيف وقد راينا جماعة من كبار أئمتهم وحفاظهم في الحط من شأن الكتابين ومؤلفيهما من غير اضطرار يلجئهم بل انها الحقيقة التي تجرى على ألسنتهم وبالاضافة لما تقدم وعلى سبيل المثال نعرض لبعضهما.

ذكر الشمس العلقمي بشرح حديث (ما من غارية) ردا على من قدح فيه وأما قولـهم أنه ليس في الصحيحين فليس بلازم في صحة الحديث كونه في

---

(١) الامتاع في احكام السماع: الفصل العاشر.

وفي لفظ هؤلاء قوم أرادوا التقدم قبل أوانه فعملوا شيئاً يتسوقون به الفوا كتاباً ثم يسبقوا إليه ليقيموا لأنفسهم رياسة قبل وقتها. تهذيب الكمال ١: ٤١٩. تاريخ بغداد ٤: ٢٩سير أعلام النبلاء١٢: ٥٧١. ميزان الاعتدال ١: ١٢٦. وتهذيب الكمال ٤: ٢٤١.

ولابي زرعة أقوال عديدة في الصحيح... وقدم مسلم بعد ذلك فبلغني أنه خرج إلى أبي عبد الله محمد بن وارة فجفاه وعاتبه على هذا الكتاب شرح مسلم ١: ٢٦. تاريخ بغداد ٥: ٢٩. تهذيب الكمال ١: ٤٢٠.

(٢) ذكره سير اعلام النبلاء ١١: ٤١٨. ميزان الاعتدال ٣: ٣٤٧. تهذيب الكمال ٤: ٤١. ومثله قول القطان: لو لم أروي إلا عمن أرضى لم أروي إلا عن خمسة . سير اعلام النبلاء ٩: ١٧٨. ميزان الاعتدال ١: ٣٦٦. تاريخ اسماء الثقات ١: ٢٧٠.

الصحيحين ولا في أحدهما[١].

وذكر عبد الحق الدهلوي ليس الأحاديث الصحاح محصورة في كتابي مسلم والبخاري فانما لم يستوعبا الصحيح بل انهما لم يخرجا كل الأحاديث الواجدة لشرائط الصحة عندهما فكيف بمطلق الصحاح.

فقال البخاري: ما ادخلت في كتاب الجامع إلا ما صح وتركت من الصحاح لحال الطول[٢].

وقال مسلم: ليس كل شيء عندي صحيح وضعته ههنا وإنما وضعت ما اجمعوا عليه[٣].

ولعل مراده ما فيه شرائط الصحيح المجمع عليه عنده لا اجماعهم على وجودها في كل حديث منه.

وذكر الحاكم قولـه ولم يحكما (البخاري ومسلم) ولا وأحد منهما أنه لم يصح من الحديث غير ما اخرجاه[٤].

ذكر ابن حجر قولـه: ولم أقف في شيء من نسخ البخاري على ترجمة لمناقب عبد الرحمن بن عوف ولا سعيد بن زيد وهما من العشرة وأن كان قد أفرد ذكر

---

(١) الكوكب المنير في شرح الجامع الصغير، حرف الميم، خلاصة عبقات الأنوار ١: ٩٦. نقلاً عن العلقمي.

(٢) تهذيب الكمال ٢٤: ٤٤٢. تاريخ ابن عساكر ٥٢: ٧٣.

(٣) صحيح مسلم ٢: ١٥. المجموع ٣: ٣٦٧. نيل الأوطار ٢: ٢٣٦. بغية الباحث: ٨. صحيح ابن حبان ١: ٦. نصب الراية ٢: ٢٢.

(٤) المستدرك ١: ٢. وله أقوال أقوال أخرى بهذا الشأن في المقدمة.

إسلام سعيد بن زيد بترجمة في اوائل السيرة النبوية وأظن ذلك من تصرف الناقلين لكتاب البخاري كما تقدم مرارا أنه ترك الكتاب مسودة[١] ... الخ.

وذكر صاحب التعديل قولـه مات البخاري قبل أن يبيض كتابه ولذا اختلفت نسخه ورواته الخ التعديل والتجريح لمن خرج لـه البخاري[٢].

وتقدم ذكر النووي في شرح مسلم وقد استدرك جماعة على البخاري ومسلم أحاديث اخلا بشرطيهما الحديث.

وذكر الإمام كمال الدين بن همام في شرح الـهداية: وقول من قال اصح الأحاديث ما في الصحيحين ثم ما انفرد به البخاري ثم ما انفرد به مسلم ثم ما اشتمل على شروطهما ثم ما اشتمل على شرط أحدهما تحكم لا يجوز التقليد فيه إذ الاصحية ليست إلا لاشتمال رواتهما على الشروط التي اعتبراها فإن فرض وجود تلك الشروط في رواة حديث في غير الكتابين افلا يكون الحكم باصحية ما في الكتابين عين التحكم [٣].

وذكر رشيد رضا قولـه ومما لا شك فيه أيضاً أنه يوجد في غيرهما (البخاري ومسلم) من دواوين السنة أحاديث اصح من بعض ما فيهما [٤].

---

(١) فتح الباري ٧: ٧٣.

(٢) التعديل والتجريح ١: ٢٨٧. أضواء على السنة المحمدية: ٣٠٠ ـ ٣٠١. مقدمة فتح الباري: ٦. هامش سير أعلام النبلاء ١٤: ٤٨٨.

(٣) محمود أبو رية/ اضواء على السنة المحمدية: ٣١٢. اضواء على الصحيحين: ٨٨. دراسات في الحديث والمحدثين: ١١٦.

(٤) محمد رشيد رضا / مجلة المنار ٢٩: ١٠٤.

التعصب لرواية الصحاح،

لقد عرفنا مما تقدم عدم التزام البخاري ومسلم اخراج كافة أحاديث الصحاح في كتابيهما وعدم استيعابها الصحيح فهلم معي بالقاء نظرة سريعة على أقوال المتعصبين الذين يقدحون بالأحاديث النبوية لعدم وجودها في الصحيحين حتى لو وجدت في الصحاح الاخرى.

فمثلا ابن تيمية يرد الكثير من الأحاديث النبوية الصحيحة والتي لا تروقه فيتعلل بعدم وجودها في الصحيحين منها قولـه ﷺ ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة.

فيقول: الوجه الرابع أن يقال: أولا أنتم قوم لا تحتجون بمثل هذه الأحاديث انما يروونه السنة باسانيدهم والحديث نفسه ليس في الصحيحين بل قد طعن فيه بعض أهل الحديث كابن حزم وغيره ولكن قد اورده أهل السنن كابن داود والترمذي وابن ماجة ورواه أهل المسانيد كالإمام أحمد وغيره [١].

فلِمَ لا يكتفي أبي تيمية بهولاء وفيهم الترمذي وابن ماجة ويستدل بابن حزم شبيهه ومثلـه شاه سلامة الله يطعن في الحديث المشهور قولـه ﷺ شجاعه أمير المؤمنين عليه السلام في حديث الراية يوم خيبر [٢] (كرار غير فرار) فيقول: هذه الزيادة غير مذكورة في الصحيحين [٣].

---

(١) منهاج السنة ٢: ١٠١.

(٢) سيأتي تفصيل الحديث في شجاعة أمير المؤمنين يوم خيبر.

(٣) معركة الآراء/ شاه سلامة الله: ٨٩.

ومثلهما حيدر علي برد على ما أخرجه الحفاظ[١] عن عائشة أنه قيل لها لما حضرتها الوفاة ندفنك مع رسول الله ﷺ فقالت ادفنوني مع اخواتي بالبقيع فاني قد احدثت امورا بعده فيقول: لا نسلم صحة لفظ (الأحداث) عن أم المؤمنين وسند المنع رواية البخاري فإنها عارية منه وهي هذه... عن عائشة رضي الله عنها انها اوصت إلى عبد الله بن الزبير لا تدفني معهما وادفني مع صواحبي بالبقيع لا ازكي به أبداً فلا يدل الحديث على صدور الأحداث عن أم المؤمنين.

أقول: الحديث أخرجه جماعة ومنهم الحاكم [٢] على شرطيهما قوله... عن عائشة رضي الله عنها وكانت تحدث نفسها أن تدفن في بيتها مع رسول الله ﷺ وابي بكر فقالت أني احدثت بعد رسول الله حدثا ادفنونى مع ازواجه فدفنت بالبقيع.

فلا يجدي البخاري بتر الحديث كما بتر غيره في كثير من الاحادث تنزيها لعائشة من الأحداث وكانه تناسى خروجها على امام زمانها وشن الحرب عليه في واقعة الجمل في البصرة وقتل بسببها الالاف واعتذرت بالندم والبكاء.

وعن قيس، قالت عائشة عند وفاتها: إني قد أحدث بعد رسول الله ﷺ فادفنوني مع أزواج النبي[٣].

وقد ابطل أبو الحسن الآمدي حديث المنزلة [٤] وهو من أحاديث الكتابين وتبعه ابن حجر المكي وعضد الدين الايجي وابو الثناء شارح المطالع وغيرهم وقد

---

(١) الاعلام بسير النبي . والمعارف لابن قتيبة: ١٣٤، وتقدم الحديث في ندم عائشة.

(٢) المستدرك ٤: ٦. الطبقات الكبرى ٨: ٧٤. سير أعلام النبلاء ٢: ١٩٣.

(٣) الطبقات ٤: ٧٤، ونحوه في مصنف ابن أبي شيبة ٧: ٥٣٦ نقلاً عن في رحاب العقيدة: ١١٦.

(٤) الطبقات الكبرى ٨: ٧٤. سير أعلام النبلاء ٢: ١٩٣. مسند ابن راهويه ٢: ٤٣.

ابطل السهانقوري في كتابه المرافض والدهلوي في التحفة الاثنا عشرية هجر فاطمة بنت رسول الله لأبي بكر حتى توفيت مع أنه في الصحيحين فعند البخاري بثلاث موارد قولـه من حديث طويل حتى قال: (فغضبت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فهجرت أبا بكر فلم تزل مهاجرته حتى توفيت)[١] والثاني في قولـه صلى الله عليه وآله وسلم لا نورث ما تركناه... من حديث حتى قال: فهجرته فاطمة فلم تكلمه حتى ماتت[٢] والثالث في باب غزوة خيبر من كتاب المغازي كما في صحيح مسلم [٣].

فحاول المولوي حيدر علي بتأويلات كثيرة [٤] في قبال تلك النصوص وخاصة الحديث الثالث للبخاري إلى تظمن قصة فدك وهجر الزهراء عليها السلام لابي بكر وامتناع أمير المؤمنين عن البيعة لستة أشهر.

واخيرا لم يستطع إخفاء تعصبه ولم يجد بدا من ابطالـه ونفي الحقيقة واعتذر بقولـه وأنت إذا احطت خبرا بما مر وما سيأتي من أقوال المخالفين... علمت أن جميع تلك الاشكالات انما تتوجه على تقدير صحة الحديث من كتب المحدثين (بعد التمحيص والتحقيق) وقوع الشك في صحة أحاديث للبخاري ومسلم إلا أن تلك الأحاديث قليلة جدا وهي في الكتاب الثاني أكثر منه في الأول الخ [٥].

وهذا الاعتذار لو تعقلـه لما ذكره لأنه عليه لا لـه إذ أي قيمة لصحيح البخاري الذي اشترط فيه الصحة كما تقدم وبأي دليل يقال: أن كل حديث لم

---

(١) صحيح البخاري ٤: ٤٢.

(٢) صحيح البخاري ٨: ٣.

(٣) صحيح مسلم ٥: ١٥٣.

(٤) ذكرها في نفحات الازهار ٦: ١٤٦.

(٥) ازالة العين / حيدر علي: ٥٨٢.

يخرجاه فهو غير صحيح أو ضعيف.

واستمر معلل مرة أخرى لرد حديث القرطاس وهو قوله ﷺ أئتوني أكتب لكم كتاباً [(١)] المخرج في سبعة مواضع من صحيح البخاري وبثلاثة طرق في صحيح مسلم وقد زعم أنه من مفتعلات الشيعة نظير حديث فدك.

ثم قال: كما نقل ناقضوا هفوات المشهدي عن الآمدي أنه قال: في مسنده بأن قصة إئتوني بقرطاس لا اساس لـها من الصحة وأنهم نقلوا عن شيوخ المحدثين أنه قد ظهر بعد التحقيق وجود مأئتين وعشرة أحاديث ضعيفة في الصحيحين تفرد منها البخاري بثمانين ويبلغ ما تفرد به مسلم المائة وقد اشتركا في اخراج ثلاثين فحال حديث القرطاس عند احقر الناس كحديث فدك[(٢)].

نوع آخر من الوضع في الصحاح:

وبعد أن تعرفنا على نبذة من الأحاديث التي انكرها بعض المتعصبين وطعنوا بها رغم وجودها في الصحيحين وما ذاك إلا انها نصت على ذكر أمير المؤمنين وخلافا لما تقرر عندهم بقبول رواية الصحاح بدون أي نقاش وتركت الكثير من ذلك خشية التطويل.

واعرض الآن لنماذج أخرى من أقوال كبار علمائهم وحفاظهم لأحاديث الصحاح ومؤلفيها وشاء الله أن يظهر الحقيقة على السنتهم بقصد أو بغيره ولكنها

---

(١) صحيح البخاري ١: ٣٧، وج ٤: ص٣١، وج ٤: ص٦٦، وج ٥: ص١٣٧، ج٥: ص١٣٧ ـ ١٣٨ وج٧: ص٩، وج٨: ص١٦١. صحيح مسلم ٥: ٧٥، وج٥: ص٧٦ وفيها حديثين. وسيأتي الحديث عنه.

(٢) ازالة العين: ٥٩٣.

الحقيقة نفسها التي طالما انكرها المتعصب العنود ولكي نتعرف بعض الشيء وعلى زعم بعضهم أن كل حديث لم يذكر فيها فهو ضعيف غير مقبول.

ذكر محي الدين عبد القادر القرشي حديثاً في صفة صلاة الرسول ﷺ ضعفه الطحاوي لمجيئه في بعض الطرق عن رجل عن أبي حميد فقال: الطحاوي فهذا منقطع الخ (ثم قال: قلت) ولا يحنق علينا لمجيئه في مسلم وقد وقع في مسلم أشياء لا تقوى عند الاصطلاح فقد وضع الحافظ الرشيد العطار على الأحاديث المقطوعة المخرجة في مسلم كتاباً أسماه غرر الفوائد المجموعة في بيان ما وقع في مسلم من الأحاديث المقطوعة وبينها الشيخ محى الدين في أول شرح مسلم[1].

ثم ذكر متأولا ومعتذرا عن الانقطاع عند أهل الحديث قال: ووقع في مسلم والبخاري من هذا النوع شيء كثير فنقول على سبيل التحنق ما كان عن هذا النوع في غير الصحيحين فمنقطع وما كان في الصحيحين فمحمول على الاتصال.

أقول: وهذا غلو ممقوت ومخالف الأصول المقررة في سند الأحاديث عند أصحاب الفن وبعد هذا فكيف يختص الكتابين بهذا الامتياز وهو نوع من الكذب والتساهل نقل السند نوع من التدليس وكلاهما غير مقبول ومخالف لما اشترطوه في صحاحهم، ثم ذكر حديث آخر لمسلم في حديث الاسراء وفيه (وذلك قبل أن يوحى إليه) وقد تكلم الحفاظ في هذه اللفظة وبينوا ضعفها وذكر أحاديث على هذا المنوال...

إلى أن قال: وقد قال الحفاظ: أن مسلما لما وضع كتابه الصحيح عرضه على

(١) وذكر ابن صلاح في مدقمته: ١٢، ما أسنده البخاري ومسلم في كتابيهما بالاسناد المتصل.

أبي زرعة فأنكر عليه وقال: سميته فجعلته سلما لأهل البدع وغيرهم [١].

وذكر الملا علي القاريء مثل ما تقدم عن القرشي مع اختلاف بتقديم بعض الأقوال فقال: وقد رفع منه مسلم بن الحجاج أشياء لا تقوى عند المعارضة فقد وضع الرشيد العطار كتاباً على الأحاديث المقطوعة وبينها الشيخ محي الدين في أول شرح مسلم.

وما بقولـه الناس أن من روى لـه الشيخان فقد جاز القنطرة هذا أيضاً من التجاهل والتساهل فقد روى مسلم في كتابه عن الليث عن أبي مسلم وغيره من الضعفاء.

فيقولون انما روى عنهم في كتابه للاعتبار والشواهد والمتابعات وهذه الاعتبارات لا تقوى لأن الحفاظ قالوا: الاعتبارات أمور يتعرفون بها حال الحديث وكتاب مسلم التزم فيه الصحة فكيف يتعرف حال الحديث الذي فيه بطرق ضعيفة ثم ذكر الأحاديث الضعيفة والمقطوعة وهي كثيرة لا يسع المجال لذكرها ثم ذكر قول أبي زرعة أن مسلما لما وضع كتابه الصحيح عرضه على أبي زرعه فأنكر عليه وتغيظ وقال: سميته الصحيح وجعلته سلما لأهل البدع وغيرهم.

ولأبي الفضل الادفولي الشافعي تحقيق وذكر بمثل ما تقدم عن القارئ وبزيادة ثم ذكر قول أبي زرعه وقال: وكان أبو زرعة بذم وضع كتاب مسلم

---

(١) أضواء على السنة المحمدية: ٣٠٩. الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية ٢: ٤٢٨.
وقيل لما قدم مسلم بعد ذلك الري فبلغني أنه خرج إلى أبي عبد الله بن محمد بن مسلم بن وارة فجفاه وعاتبه على هذا الكتاب وقال لـه: نحواً مما قالـه لي أبو زرعة: أن هذا يطرق لأهل البدع علينا. تهذيب الكمال ١: ٤٢٠. سير أعلام النبلاء ١٢: ٥٧١. تاريخ بغداد ٥: ٢٩.

ويقول تسميه الصحيح وفيه فلان وفلان وذكر جماعة الخ [١].

تعقيب على أحاديث الصحيحين:

وليس القصد في هذه العجالة سرد كل ما في الصحيحين من كثرة الأحاديث التي تكلم فيها كبار أئمتهم وحفظتهم وأصحاب الجرح والتعديل فابطلوا بعضها واعترضوا على الكثير منها أما سندا أو متنا أو بالوقائع التأريخية غير الثابتة أو بتعارضها لأحاديث صحيحة وبسط القول فيها وتعدادها يخرجنا عن المقصود بل نعرض لما كتبه السيد الميلاني في عبقات الانوار: ١٨٢/٦ في (فصل أحاديث من الصحيحين في الميزان) وقد يطول الحديث لذكرها وتفصيل نقد العلماء والمحدثين لـها وذكر أكثر من ستة عشر حديثاً غير أن بعض المتعصبين حاولوا التستر بالاعتذار عنهم وتبرير الخطأ بالخطأ ودافعوا عنهم بما استطاعوا وسيظهر للناقد من خلال دفاعهم باجوبتهم ونختصر القول على الاجوبة.

ذكر ابن الجوزي بتعقيب على حديث فيها قال في جوابه: قال ابن عدي لعمرو ـ أحد رواة الحديث ـ أحاديث مناكير وثابت لا يعرف والحديث منكر [٢].

وعقب جماعة لحديث عن البخاري بأقوال عديدة حتى انكر القاضي أبو بكر صحة الحديث وقال: لا يجوز أن يقبل هذا ولا يصح أن الرسول قالـه.

وعقبه القاضي أبو بكر الباقلاني في التقريب هذا الحديث من أخبار الاحاد التي لا يعلم ثبوتها.

---

(١) الامتاع في احكام الاسماع. الفصل العاشر.

(٢) الموضوعات ١: ٢٢٩.

وقال امام الحرمين في مختصرة: هذا حديث غير مخرج وصحيح وقال في البرهان: لا يصححه أهل الحديث.

وقال الغزالي في المستصفي: الاظهر أن هذا الحديث غير صحيح الخ[١].

واعترض آخرون بقولهم: اعترض على البخاري زيادة اسباط هذا فقال: الداوودي دخل قصة المدينة في قصة قريش وهو غلط.

وقال أبو عبد الملك الذي زاده اسباط وهم واختلاط لأنه ركب سند عبد الله بن مسعود على متن حديث أنس بن مالك... الخ.

وللحافظ شرف الدين الدمياطي وقال: هذا حديث عبد الله بن مسعوذ وكان بمكة وليس فيه هذا.

والعجب من البخاري كيف اورد هذا وكان مخالفا لما رواه الثقات[٢].

وعقب التفتازاني على حديث للبخاري بانه خبر وأحد... ثم قال: وقد طعن المحدثون بأن في روايته يزيد بن ربيعة وهو مجهول وترك في اسناده واسطة بين الاشعث وثوبان فيكون منقطعا وذكر يحي ابن معين أنه حديث وضعته الزنادقة وايراد البخاري إياه في صحيحة لا ينافي الانقطاع أو كون أحد رواته غير معروفين بالرواية [٣].

وذكر البخاري في صحيحة رواية عن شريك فقال عبد الحق في كتابه الجمع بين الصحيحين بعد ذكر الرواية: هذا حديث بهذا اللفظ قد زاد فيه زيادة مجهولة

(١) فتح الباري ٨: ٢٥٥.

(٢) عمدة القاري ٧: ٤٦.

(٣) التلويح على التنقيح في أصول الفقه ٢: ٣٩٧. انظر: فتح الباري ١٣: ٣٩٩.

واتى فيه بالفاظ غير معروفة وقد روى الحديث جماعة من الحفاظ المتقنين والأئمة المشهورين وذكر جماعة منهم... ثم قال: فلم يأت أحد منهم بما أتى به شريك وشريك ليس بالحافظ عند أهل الحديث[١].

وعقب على الحديث أيضاً فقال النووي جاء في رواية شريك اوهام انكرها العلماء من جملتها أنه قال: ذلك قبل أن يوحى وهو غلط لم يوافق عليه... الخ[٢] وعقب عليه ابن القيم الجوزية حتى قال: وقد غلط الحفاظ شريكا في ألفاظ من حديث الاسراء ومسلم اورد المسند منه ثم قال: فقدم واخر وزاده نقص الخ... [٣].

فذكر عن البخاري حديثاً آخر فقيل فيه فلعلـه من الأحاديث المفحمة في كتاب البخاري [٤] الخ وعقب ابن حجر على أحاديث أخرى عن البخاري واجاب بقولـه فهذا جواب اقناعي وهذا عندي من المواضع العقيمة عن الجواب السديد ولابد للجواد من كبوة [٥].

وعقب جماعة على حديث للبخاري وذكر ابن حجر مدافعا عنه ثم قال: وقد تلقى كلام الخطيب بالتسليم صاحب المشارق والمطالع... الخ [٦].

---

(١) شرح مسلم ٢: ٢١٠. فتح الباري ١٣: ٤٠٤.

(٢) انظر: فتح الباري ١٣: ٣٩٩.

(٣) الكواكب الدراري في شرح البخاري ٢٢: ٢٠٤.

(٤) زاد المعاد ٢: ٤٩.

(٥) مقدمة فتح الباري: ٣٧٤.

(٦) صاحب المشارق هو القاضي عياض وكتابه (مشارق الانوار على صحاح الأخبار) من الكتب المعروفه المعتبره وذكر فيه تحريفات وتصحيفات واخطاء وقعت في الموطأ وكتاب البخاري وكتاب مسلم ومثلـه مطالع الانوار على صحاح الاثار في فتح ما استغلق من الموطأ ومسلم والبخاري لابي قراقول الخ. كشف الضنون ٢: ١٧١٥.

وعقب ابن القيم بقولـه فهذا الحديث غلط ظاهر لاخفاء به قال أبو أحمد بن حزم وهو موضوع بلا شك فيه ولا تردد ـ إلى أن يقول ـ: وهذه الطريقة باطلة عند من لـه ادنى علم بالسيرة وتواريخ ما قد كان الخ [(١)].

التناقض في الصحاح:

والتناقض كما قيل فيه (من كذب وصدق في أن وأحد فقد كذب مرتين) فيفقد الثقة بالناقل وما نقل وقد وقع الشيء الكثير منه في أصحاب الصحاح وقد يقع بين احدهم وينقض قولـه بنفسه وربما ينقص احدهم لقول الآخر واعرض للنوع الأول بنماذج واترك النوع الثاني لما يتضمنه الجدول الآتي.

ذكر الذهبي وابن حجر أو أحدهما في كتابيهما أن البخاري احتج بجماعة في صحيحه ضعفهم بنفسه كما يعلم من تراجمهم في الكتابين كأيوب بن عائذ وثابت بن محمد العابد وحصين بن عبد الرحمن السلمي وحمران بن أبان وعبد الرحمن بن يزيد بن جابر الازدي وكهمس بن المنهال ومحمد بن يزيد الخرامي ومقسم بن بجره وذكر في تهذيب التهذيب[(٢)] بترجمة علي بن عاصم. أن أبا خيثمة قال: قلت لابن معين أن أحمد يقول: ليس بكذاب فقال: لا والله ما كان عنده قط ثقة ولاحدث عنه بشيء فكيف صار اليوم عنده ثقة[(٣)].

وكذا بالنسبة لأبي داود كذب نعيم بن حماد الخراعى والوليد بن مسلم مولى

---

(١) زاد المعاد ١: ٢٧.

(٢) تهذيب التهذيب ٧: ٣٠٤. تهذيب الكمال ٢٠: ٥١٧، والخطيب بسند آخر ١١: ٤٥٥.

(٣) تهذيب التهذيب ٥: ٧٠٨.

بني أمية وهشام بن عمار السلمى وروى عنهم في سننه وقال في حق صالح بن بشير: لا يكتب حديثه وكذا في حق عاصم بن عبيد الله وروى عنهما.

مع أنه يزعم أن لا يروي إلا عن ثقة كما ذكره في تهذيب التهذيب بترجمة داود بن أمية ومثلهما النسائي قال في حق كل من عبد الرحمن بن يزيد بن تميم وعبد الرحمن بن أبي المخارق وعبد الوهاب بن عطاء الخفاف متروك وروى عنهم في سننه.

ومثلهم الترمذي قال في حق سليمان بن ارقم ابن معاذ البصري وعاصم بن عمر بن حفص متروك وروى عنهما في سننه[١].

وفي ترجمة عامر بن صالح بن عبد الله الزبيري وكذبه جماعة وضعفه آخرون... الخ.

ومع هذا كله فقد روى عنه أحمد بن حنبل ووثقه فقال الذهبي لعل ما روى أحمد عن أحدا وهي من هذا ثم أنه سئل عنه فقال: ثقة لم يكن يكذب[٢]

على أن الترمذي أيضاً لم يتجنب الرواية عن النواصب والخوارج وقد أحصى عليه جملة منهم كما أن في رجاله كثير من الضعفاء والكذابين[٣].

وذكر في تهذيب التهذيب بترجمة محمد بن إسحاق صاحب السيرة: أن مالكا قال في حقه: دجال من الدجاجلة ثم ذكر في الجواب عنه قول محمد بن فليح:

---

(١) تهذيب التهذيب ٧: ٣٠٤. وتهذيب الكمال ٢: ٥١٧. وذكره الخطيب بسند آخر في تاريخ بغداد ١١: ٤٥٥.

(٢) ميزان الاعتدال ٢: ٣٦٠، رقم [٤٠٨١].

(٣) الإمام الصادق والمذاهب الأربعة ٢: ٥٥٩.

نهاني مالك عن شيخين من قريش وقد أكثر عنهما في الموطأ وهما مما يحتج بهما[١] ـ وحاصلـه أن قدح مالك لا عبرة به لأن فعلـه ينقض قولـه.

وقد روى ابن أبي داود حديثاً موضوعا في فضائل السور وهو يعلم أنه موضوع قال: ابن الجوزي بعد أن ذكره وبين كونه موضوعا: انما عجبت من أبي بكر ابن أبي داود كيف فرقه ـ يعني هذا الحديث ـ على كتابه الذي صنفه في فضائل القرآن وهو يعلم أن حديث محال[٢].

ولكن شره بذلك جمهور المحدثين فإن من عادتهم تنفيق حديثهم ولو بالبواطيل وهذا قبيح منهم لأنه قد صح عن رسول الله ﷺ انه قال: من روى عني حديثاً وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكذابين [٣].

ومثلـه ذكر السيوطي انما عجبت من أبي بكر ابن أبي داود كيف اورده في كتابه وهو يعلم أنه حديث محال مصنوع بلا شك ولكن انما حمله على ذلك الشره[٤].

ونقلـه في سير أعلام النبلاء: ولم ينج كثير من الناس من كلام بعض الناس فيهم نحو ما يذكر عن إبراهيم من كلامه في الشعبي وكلام الشعبي في عكرمة وفيمن كان قبلـهم وتناول بعضهم في العرض والنفس...[٥] الخ.

---

(١) تهذيب التهذيب ٩: ٣٦ ـ ٣٧.

(٢) الموضوعات لابن الجوزي ١: ٢٤٠.

(٣) مسند أحمد ٤: ٢٥٠. المعجم الكبير ٢٠: ٤٢٢. نصب الراية ٢: ١٥٢. تاريخ بغداد ٤: ٣٨٣. تاريخ ابن عساكر ٣٦: ٧٧. الموضوعات ١: ٣٦.

(٤) اللئاليء المصنوعة ١: ٢٢٧.

(٥) سير أعلام النبلاء ٧: ٤٠.

وقيل عن صحيح مسلم ومع هذا فقد اشتمل كتابه على أحاديث اختلفوا في اسنادها أو متنها لصحتها عنده وفي ذلك ذهول منه عن هذا الشرط وسبب آخر وقد استدركت وعللت...[1] الخ.

الحقد والحسد بين علماء الجرح والتعديل:

ان من الواضح أن الحسد والحقد والتناخر بين العلماء ورجال الجرح والتعديل مما ينقد الثقة بهم وبمروياتهم خاصة إذا كان الحقد لـهوى النفوس أو تقرباً للسلطة أو تنافسا على المناصب ويقلل من الاعتبار وربما الطعن بهم.

وتقدم ما ذكره السبكي في طبقاته ومما ينبغي أن ينفقد عند الجرح حال العقائد واختلافها بالنسبة إلى الجارح والمجروح فربما خالف الجارح المجروح في العقيدة فجرحه بذلك واليه أشار الرافعي بقولـه وينبغي أن يكون المزكون براء من الشحناء والعصبية في المذهب خوفا أن يحملـهم ذلك على جرح عدل أو تزكية فاسق وقد وقع في هذا الكثير من الأئمة جرحوا بناءا على معتقدهم وهم المخطئون والمجروح مصيب ولـه أقوال أخرى ذكرناها عند أهل الجرح والتعديل.

وذكر في ميزان الاعتدال بترجمه الحافظ أبي نعيم (أحمد بن عبد الله) قال: كلام الاقران بعضهم في بعض لا يعبأ به لاسيما إذا لاح لك أنه لعداوة أو لمذهب أو لحسد ما ينجو منه إلا من عصم الله وما علمت أن عصرا من الاعصار سلم اهلـه من ذلك سوى الأنبياء والصديقين ولو شئت لسردت من ذلك كراريس[2]

---

(١) شرح مسلم ١: ١٦.

(٢) ميزان الاعتدال ١: ١١١.

ثم قال في ترجمه أبي نعيم: هو أحد الاعلام صدوق تكلم فيه بلا حجة ولكن هذه عقوبة من الله لكلامه في ابن مندة بهوى ثم قال: وكلام ابن مندة في أبي نعيم فظيع لا احب حكايته[١].

أقول: إذا فأين الثقة المطلوبة في النقل والاعتبار في موازين الصدق والعدل وما هي الحجة في اتباع هؤلاء في أمور الدنيا والدين.

وفي تهذيب التهذيب بترجمه عبد الله بن سعد السرخسى قال: قال: الحاكم روى عنه محمد بن يحيي ثم ضرب على حديثه وسبب ذلك أن محمداً دخل عليه فلم يقم لـه. فإن من هذا فعلـه كيف يعتمد عليه في التوثيق والتضعيف ويجعل عدم روايته عن شخص دليل الضعف وقريب منه ما ذكره في ترجمة النسائي.

وقد وقع ليحيي بن حماد الحماني فقد وقع بينهم حولـه كلام كثير وخلاف شديد جداً كما في سير اعلام النبلاء فقد جاء توثيقه عن جماعة منهم يحيي بن معين وأحمد بن أبي يحيي وعبد الله بن الدورقي وغيرهم حتى قال محمد بن أبي هارون: سألته عنه، فقال: ثقة وأبوه ثقة، فقلت: يقولون فيه، قال: يحسدونه هو والله الذي لا إلـه إلاّ هو ثقة... [٢] ولقد أكد يحيي بن معين وغيره وذلك لأنه ألف المسند الكبير وقد ذكر الحماني السبب نفسه فقد حكى العقيلي عن علي بن عبد العزيز قال: سمعت يحيي الحماني يقول لقوم غرباء في مجلسه: من أين أنتم فأخبروه ببلدهم فقال: سمعتم ببلدكم أحد يتكلم فيّ ويقول اني ضعيف في الحديث لا

(١) ميزان الاعتدال ١: ١١١، رقم [٤٣٨].

(٢) سير أعلام النبلاء ١٠: ٥٢٦.

تسمعوا كلام أهل الكوفة فانهم يحسدوني لأني أول من جمع المسند الخ... [١] وجاء عن سليمان بن حرب، قال: جاء عمر بن مرزوق بما ليس عندهم فحسدوه[٢].

وذكر في ترجمة عبد الله بن مسلم بن قتيبة، قال الخطيب: كان ثقة ديناً فاضلاً[٣]، وقال الحاكم: أجمعت الأمة على القتيبي كذاب، قلت: هذا مجازفة قبيحة وكلام من لم يخف الله[٤].

وقيل فيه أيضاً: هذه مجازفة وقلة ورع فما علمت أحدا اتهمه بالكذب قبل هذه المقولة بل قال الخطيب: أنه ثقة...، وأنكروا على الحاكم قولـه: لا تجوز الرواية عن ابن قتيبة...، ثم قال: لكن الحاكم قصده لاجل المذهب[٥].

وفي تهذيب التهذيب بترجمة عبدالله بن سعد السرخي قال قال الحاكم : روى عنه محمد بن يحيى ثم ضرب على حديثه وسبب ذلك ان محمد أدخل عليه فلم يقم له.

فان من هذا فعله كيف يعتمد عليه في التوثيق والتضعيف ويجعل عدم روايته عن شخص دليل الضعف وفريب منه ما ذكره في ترجمة النسائي.

وذكر الذهبي: قال مكي بن عبدان وافى داود بن علي الاصبهاني فقصدوا

---

(١) تاريخ بغداد ١٤: ١٧٥. تهذيب الكمال ٣١: ٤٣٢ ـ ٤٣٣. سير أعلام النبلاء ١٠٢: ٤٣٦.

(٢) تهذيب التهذيب ٨: ٨٨. ميزان الاعتدال ٣: ٢٨٧، ح٦٤٤٥. سير اعلام النبلاء ١٠: ٤١٨. الجرح والتعديل ٦: ٢٦٤.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٣: ٢٩٧.

(٤) ميزان الاعتدال ٢: ٥٠٣، رقم [٤٦٠١]. لسان الميزان ٣: ٣٥٧، رقم [١٤٤٩].

(٥) سير أعلام النبلاء ١٣: ٢٩٩.

مجلس للنظر وحضر مجلسه يحيى بن الذهلي ومسلم بن الحجاج فجرت مسألة تكلم فيها يحيى فزبره داود وقال اسكت يا صبي ولم ينصره مسلم فرجع إلى أبيه وشكى إليه داود فقال أبوه من كان ثم قال مسلم لم ينصرني قال: قد رجعت عن كل ما حدثته به فبلغ ذلك مسلم فجمع ما كتب عنه في زنبيل وبعث به إليه وقال لا أروي عنك أبداً(١).

وذكر في ميزان الاعتدال بترجمة عبدالله بن ذكوان قال: وقال ربيعة فيه ليس بثقة ولا رضى قلت: لا يسمع قول ربيعة فيه فإنه كان بينهما عداوة ظاهرة(٢).

وذكر ابن عقيل (٣) عن المقبلي في العلم الشامخ أن أحمدا لما تكلم في مسألة خلق القرآن وابتلي بسببها جعلها عدل التوحيد أو زاد ثم ذكرا المقبلى أن أحمد كان يرد رواية كل من خالفه في هذه المسئله تعصبا منه. قال: في ذلك خيانة لسنده الخ...

والكثير من هذا في تهذيب التهذيب وميزان الاعتدال.

وذكر ابن حجر في التهذيب بترجمة شجاع بن الوليد قال: أحمد بن حنبل لقى ابن معين شجاعا، فقال له: يا كذاب، فقال له شجاع: إن كنت كذابا والا فهتكك الله قال أبو عبدالله: أظن أن دعوة الشيخ ادركته(٤) ونحوه في ميزان الاعتدال.

ذكر ابن حجر في التهذيب والذهبي في الميزان بترجمة ابن المديني وقال: ابن

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٢: ٥٧٠ ـ ٥٧١. تاريخ ابن عساكر ٥٨: ٩٣.

(٢) ميزان الاعتدال ٢: ٤١٨.

(٣) العتب الجميل: ١٠٢. امان الأمة من الاختلاف: ٦٨. أضواء على السيرة المحمدية: ٣٤٦.

(٤) تهذيب التهذيب ٤: ٢٧٦.

حجر قيل لإبراهيم الحربي اكان أبي المديني يتهم بالكذب قال: لا انما حدث بحديث فزاده في خبره كلمة ليرضى بها ابن أبي داود قيل لـه فهل كان علي يتكلم في أحمد قال: لا انما كان إذا رأى في كتبه حديثاً عن أحمد قال: اضرب عليه ليرضى ابن أبي داود[1].

أقول: كيف لا يتهم بالكذب وقد زاد في الحديث ارضاء لصاحبه وقد فعل ما هو أشد من الكلام وهو الضرب على حديثه ومن الواضح أن من يزيد في الحديث أو يضرب على ما هو معتبر وصحيح بزعمه أو يبطل المقبول عندهم طلبا لامور الدنيا وارضاءا لاهلـها فحقيق أن لا يؤمن ان ان يوافق الـهوى في توثيق الرجال وتضعيفهم.

أن الإمام مالك بن أنس امام المذهب روى عن حميد بن قيس الاعرج ووثقه إلا أنه لما تحامل عمر بن قيس أخو حميد على مالك وبلغ مالك ذلك قال مالك: لو علمت أن حميد بن قيس أخوه ما رويت عنه[2].

وقال ابن المديني: ذكر مالك حميد الأعرج موثقاً ثم قال: أخوه أخوه وضعفه[3]، كما ذكر ابن حجر توثيق حميد عن جماعة في تهذيب التهذيب (٧: ٤٣٦) ولكن السؤال ما ذنب حميد حتي يتحامل عليه مالك ويضعفه بعد أن روى عنه ووثقه ولكن من أجل أخوه وانفعالات عاطفية تحكمت في جرحه وليست في ميزان الانصاف والايمان.

---

(١) تهذيب التهذيب ٧: ٣١٠.

(٢) الكامل في القضاء ٥: ٩. تهذيب التهذيب ٧: ٤٣٢.

(٣) تهذيب التهذيب ٧: ٤٣٢.

وعن يحيى بن سعيد القطان حين جرح همام بن يحيى أبي دينار قال: فيه أحمد بن حنبل شهد يحيى بن سعيد في حداثته شهادة فلم يعدلـه همام فنقم عليه[١].

وفي تهذيب التهذيب بترجمة سعد بن إبراهيم قال: أن مالكا لم يكتب عنه قال: الساجي يقال: أنه وعظ مالكا فوجد عليه فلم يروى عنه.

وذكر أيضاً في التهذيب عن ابن معين أن سعدا تكلم في نسب مالك فترك الرواية عنه[٢].

---

(١) تهذيب التهذيب ١١: ٦١.

(٢) تهذيب التهذيب ٣: ٤٠٤. التعديل والتجريح ٣: ١٢٤٦.

ان قضية الإمام مالك بن أنس زعيم المذهب المالكي وبقائه في بطن أمه قيل سنتين وقيل أربعة، قال ابن سعد: اخبر الواقدي قال سمعت مالك بن أنس يقول قد يكون الحمل ثلاث وقد حمل ببعض الناس ثلاث سنين يعني نفسه.

وقال معن والواقدي ومحمد بن الضحاك: حملت أم مالك بمالك ثلاث سنين، وعن الواقدي قال: حملت به سنتين. (سير اعلام النبلاء ٨: ١٣٢).

وقال القاضي عياض في كتابه فضائل مالك ونقل عن جماعة فقال ابن نافع الصائغ والواقدي ومعن والضحاك: حملت به أمه ثلاث سنين وقال نحوه بكار بن عبدالله الزبيري وقال الزبيري وقال انضجته والله الرحم وانشد الطرماح:

تظـــن بحملـــنا الأرحـــام حـــتى تنضـــجنا بطـــون الحـــاملات

وقال ان المنذر المعروف وروى عن الواقدي ايضا ان حمل أمه سنتان قاله عطاف بن خالد. (ترتيب المدارك ١: ١١١).

وقال معن القزاز وجماعة حملت بمالك أمه ثلاث سنين. (العبر في خبر من غبر ١: ٢١٠).

وقال ابن عبدالبر وقد ذكر غير الواقدي ان أم مالك حملت به ثلاث سنين. (الانتقاء : ١٢وفيات الأعيان في أحوال مالك ، وابن قتيبة في المعارف: ١٧٠. مناقب مالك للسيوطي: ٦).

وقد حسبها البعض مكرمة لمالك وجرت محاورة بين المالكية والحنفية كما في شرح لامية العجم. (شرح لامية العجم ١: ١٦٥).

أحمد بن صالح المصري: ـ أحد رجال البخاري وابن داود قال: (س) ليس بثقة ولا مأمون تركه محمد بن يحيي ورماه ابن معين بالكذب... وكان النسائي سيء الرأي فيه، وانكر عليه أحاديث... فسمعت محمد بن هارون البرقي يقول: هذا الخراسانى يتكلم في أحمد بن صالح لقد حضرت مجلس أحمد فطرده من مجلسه فحمله ذلك على أن يتكلم فيه[1]، قال الخطيب: احتج بأحمد جميع الأئمة إلا (س) ويقال: كان آفة أحمد الكبر، ونال النسائي منه جفاء في مجلسه فذلك السبب الذي افسد الحال بينهما[2].

ومثلـه مع البخاري ومسلم مع الذهلى وسيأتي تفصيله في ذكر البخاري.

ومثله في ترجمة عمر بن مرزوق[3].

ويظهر أن هذا يعود إلى ضعف دين وقلة ورع والا كيف يوثق بطعنه أو توثيقه ولم يردعه ورع وانصاف واحتمل أنه لم يختص بالاقران بل تعداهم إلى من قبلـهم من العصور السابقة كما يأتي لمن بعدهم.

ومثلهم الضحاك بن مزاحم المفسر... وفي تهذيب كان شعبة لا يحدث عنه وفي الميزان أن أمه حملت به عامين.

ومثل عبد الرحمن ابن ادم البصري المعروف بصاحب السقاية مولى أم برثن وفي التهذيب: قال الدارقطني: نسب إلى ادم أبي البشر ولم يكن لـه أب يعرف وقال المدائني استعملـه عبيد الله بن زياد ثم عزلـه ومن شأنه أن أم برثن اصابت غلاما لقطة فربته حتى ادرك وسمته عبد الرحمن فكان يقال: له ابن أم برثن.

أقول: وهذا من رجال صحيح مسلم وأبي داود وهكذا!! فلتكن الرواة الثقات الامناء على أحاديث الشريعة طيبة الاعراف.

(١) تهذيب الكمال ١: ٣٤٦ ـ ٣٤٧.

(٢) تهذيب التهذيب ١: ٣٦. تاريخ بغداد ٤: ٤٢٢. تهذيب الكمال ١: ٣٤٨.

(٣) راجع الدلائل : ٣٠٧.

آراء في البخاري

واتماما للفائدة نعرض لواحد من رجال الصحاح واكتفي به عن غيره وان تقدم ذكر الكثير عن مسلم واخص الآن البخاري[١] لما نالـه من الشهرة وبلغ شوطا بعيدا ولقى قبولا دون غيره من رجال الصحاح فاصبحت لـه منزلة لا يشاركه بها غيره ومن العسير مؤاخذته بشيء لان ذلك يدعو إلى الرمي بالبدعة والخروج عن سبيل المؤمنين[٢] عند مقلديه واتباعه ولـهذا تهيب اكثر الحفاظ نقده... حتى قال الذهبي في ذكره لبعض الاحاديث ولولا هيبة الصحيح لقلت انها موضوعة.

وذهب ابن حزم إلى تكذيب بعض احاديثه[٣] كما نسب لـه التدليس في بعض الاحاديث كما سيأتي في ذكر التدليس فعنف ابن حزم على ذلك لان التسليم بجميع ما في كتاب البخاري اصبح سنة فلا يمكن لاحد ان يعمل بحرية الراي ومع هذا فان بعض الحفاظ وكبار المحدثين تناولوه بالنقد بصراحة كل حسب رأيه وذكرنا بعضها في ذكر الصحيحين وبعضها سيأتي فمثلا احمد أمين[٤] ذكر ما يلي: ـ

---

(١) أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن ابراهيم بن (بردزيه) ومعناه بالعربية الزراع وكان جده المغيرة مجوسياً كأبيه أسلم على يد اليمان البخاري الجعفي لذلك قيل للبخاري جعفي لانه مولى يمان الجعفي ولد سنة ١٩٤، وتوفي سنة ٢٥٦ نقلا عن الامام الصادق والمذاهب الأربعة ١: ٧٧.

(٢) قواعد التحديث: ٢٤١.

(٣) تهذيب التهذيب ٨: ١٤٦.

(٤) ضحى الاسلام ٢: ١١٦.

١ ـ ترتيب الكتاب والعلاقة بينه وبين الترجمة وما تحتها.

٢ـ ان يقطع الحديث فيذكر بعضه في باب وبعضه في آخر وقد تختلف الرواية في الاجزاء المختلفة وقد يذكر بعضها متصل السند وبعضها منقطعة[١] وقد اخذ عليه في هذا الباب بعض مآخذ لم يستطع المنتصرون لـه ان يجيبوا عليها.

٣ـ انتقده الحفاظ في بعض احاديث بلغت ١١٠ منها ٣٢ حديثا اتفق فيها هو ومسلم ومنها ما انفرد بتخريجه وهو ٧٨.

٤ـ ان بعض الرجال الذين روى لـهم غير ثقات وقد ضعف الحفاظ من رجال البخاري نحو الثمانين.

وقال ايضا في فجر الاسلام ٢١٧ في معرض حديث حتى قال نرى البخاري نفسه على جليل قدره ودقيق بحثه يثبت احاديث دلت الحوادث الزمنية والمشاهد التجريبية على انها غير صحيحة لاقتصاره على نقد الرجال. كما ان لاحمد أمين في ظهر الاسلام ملاحظات أخرى[٢]، ومثله ابن خلدون في مقدمته[٣].

والحاصل: ان صحيح البخاري قد احيط بهالة من التقديس والاكبار وزعم اتباعه انه عدل القران وهو اصح كتاب على وجه الارض عندهم.

ولا نريد ان نقسوا على البخاري بالحكم ونقول بمقالة جمال الدين الحنفي وغيره في قولـه: من نظر في كتاب البخاري تزندق[٤] ولا بقول ابن الجوزي كما

---

(١) وللمثال لتقطيع البخاري للاحاديث راجع نفحات الازهار ١٢: ١٠٥.

(٢) ظهر الإسلام ٢: ٤٨٥.

(٣) مقدمة ابن خلدون: ٩.

(٤) شذرات الذهب ٧: ٤٠.

نقلـه عنه الذهبي[١]. انه كان كذابا ثم دافع عنه حتى قال ولا عبرة بترك ابن زرعة وابن ابي حاتم لـه من اجل اللفظ[٢].

ومثلـه قال الحافظ الذهبي قال عبدالرحمن بن ابي حاتم في الجرح والتعديل قدم محمد بن إسماعيل الري سنة خمسين ومأتين وسمع منه ابن زرعة وتركا حديثه عندما كتب اليهما بن يحيي انه اظهر عندهم بنيسابور ان لفظة بالقرآن مخلوق[٣]

ثم قال الاعتقاد باللفظية في أمور كثيرة لا مجال لذكرها.

ثم قال ومن ذهب بعد هذا إلى محمد بن البخاري فاتهموه فانه لا يحضر مجلسه إلاّ من كان على مثل مذهبه[٤].

واورد ابن حجر هذا وغيره من الكلام في مقدمة شرح البخاري في هدى الساري[٥].

وقال الذهبي قال الحاكم حدثنا... سمعت محمد بن يحيي يقول قد اظهر هذا البخاري قول اللفظية واللفظية عندي شر من الجهمية[٦].

---

(١) المغني في الضعفاء ٢: ٥٥٧.

(٢) سير أعلام النبلاء ١٢: ٣٩١.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٢: ٣٩١.

(٤) سير أعلام النبلاء ١٢: ٤٥٥.

(٥) هدى الساري ٢: ٢٦٣.

(٦) سير أعلام النبلاء ٢: ٤٥٥. والجهمية نسبة إلى جهم بن صفوان أبو محمد السمرقندي الضال المبتدع راس الجهمية هالك في زمن صغار التابعين وعلمته روى شيئاً ولكنه زرع شرا عظيما. ميزان الاعتدال ١: ٤٢٦.

وذكر الذهبي ايضا لما استوطن البخاري نيسابور ووقع بين الذهلي والبخاري ما وقع ونادى عليه ومنع الناس عنه وانقطع اكثر الناس عنه الخ في احاديث عديدة حتى قال فخشى البخاري وسافر[1].

والخلاصة: فلا تذهب بعيدا عن الواقع فنقول ان كل ما في صحيح البخاري يلزم الاعتقاد به والتصديق لـه وان عدم التصديق بدعة كما ذهب إلى ذلك كثير من المقلدين الذين لا يعقلون فان كتاب البخاري لا يخلو من احاديث لا تتصف بالصحة كما لا يخلو من احاديث عليها علامة الوضع كحديث (ان النبي كان مسحورا...) وغيرها من الاحاديث التي لا يمكن القول بصحتها لتناقضها او تعارضها مع غيرها مما يصعب الجمع بنيهما.

وان العلماء الذين انكروا صحة بعض احاديثه لم ينكروها إلاّ بادلة قامت عندهم كما انتقدوا رجالـه وطعنوا في كثير منهم لانهم اناس لا قيمة لـهم في ميزان الصدق والعدالة ومنهم ضعفاء وغيرهم كما سيأتي.

كما وقد اخرج البخاري احاديث لاناس لم يسلموا من الطعن سواء في العقيدة او العدالة او الوثاقة وان القول بان تخريج البخاري هو دليل الوثاقة وشاهد العدالة وان من يروي لـه البخاري فقد جاز القنطرة كما يقول بعضهم فهذا مجرد افتراض لايدعمه دليل وتخالفه القرائن والشواهد فليس قولـه في الشخص هو الحكم العدل والقول الفصل فالخلاف في الجرح والتعديل لم ينته إلى أحد او يقف عند قول أحد على انهم قد احصوا على البخاري اخطاء في معرفة الرجال واسمائهم كجعلـه اسم الرجل الواحد اسمين او ثلاث كالوليد بن ابي الوليد مولى

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٢: ٤٥٦.

عبدالله بن عمر وهارون بن سعيد مولى قريش وكثير بن خنيس وغيرهم فقد جعل اسمين لكل واحد منهم وكذلك جعل محمد بن ايوب اليماني ثلاثة اسماء وهو واحد كما نسب عبدالملك بن اخي القعقاع إلى القعقاع وذكر في باب النون اسم ناسخ الحضرمي وهو عبدالله بن ناسخ الذي يروي عنه شرحبيل بن شعبة إلى غير ذلك.

ثم ان البخاري قد يقع لـه الغلط في أهل الشام وذلك انه اخذ كتبهم فربما ذكر الواحد منهم بكنيته ويذكره في موضع آخر باسمه ويتوهم انهما اثنان[١].

وقد كان البخاري يروي بالمعنى كما حدث الخطيب البغدادي ان البخاري قال يوما رب حديث سمعته بالبصرة كتبه بالشام ورب حديث سمعت بالشام كتبته بمصر فقيل لـه يا اباعبدالله بكماله؟ فسكت[٢].

ورحل إلى البلاد في طلب الحديث ووضع كتابه وخطا فيه خطوه جديدة في جمع الحديث اذ لم يقتصر على رواية بلد واحد كغيره من علماء الحديث والذي يظهر ان تلك الخطوة اخذها عن علي بن المديني وذلك ان ابن المديني راغبه بالمال على ان يرى الكتاب يوما واحد فاعطاه لـه فدفعه إلى النساخ فكتبوه ورده إليه ولما علم ابن المديني اغتم لذلك حتى مات بعد يسير واستغنى البخاري عنه بذلك الكتاب وخرج إلى خراسان ووضع كتابه الصحيح[٣].

واضافة إلى ذلك فقد نقل العلماء ان صحيح البخاري لم يسلم من عبث

---

(١) تاريخ بغداد ١٣: ١٠٢ ـ ١٠٣.

(٢) مناقب الشافعي للرازي ٢: ١١.

(٣) تهذيب التهذيب ٩: ٤٦. شرح معاني الآثار ١: ٥٠.

العابثين وزيادة المتأولين واضافات كثيرة عليه من بعده كما صرح ابن حجر وغيره واللفظ لـه عن ابراهيم بن احمد المستملي قال اانتسخت كتاب البخاري من اصلـه الذي كان ثم صاحبه محمد يوسف الفريري فرأيت فيه أشياء لم تتم وأشياء مبيضة منها تراجم لم يثبت بعدها شيئا ومنها احاديث لم يترجم لـها فاضفنا بعض ذلك إلى بعض. وقال ابو الوليد الباجي ومما يدل على صحة هذا القول ان رواية ابن الـهيثم الكشمهيني ورواية ابي زيد المروزي مختلفة بالتقدم والتأخير مع انهم جرارا من اصل واحد وانما ذلك بحسب ما قدر كل واحد منهم فيما كان من طرة او رقعة مضافة انه من موضع ما اضافه اليه[١] وهذا يوضح لنا ان النساخ قد اضافوا وحذفوا منه كل حسب مرامه وتقدم أمثال هذا في ذكر الصحيحين.

بغض البخاري:

ليس من القصد ان نعرض لعقيدتة البخاري مهما كانت ولكن لامر ذا اهمية ان نتعرف على السبب لتخريج البخاري احاديث اناس عرفوا بالنصب والعداء لامير المؤمنين عليه السلام واشتهروا بلعنه وسبه من خوارج وغيرهم فان من الحق واجب العلم ان نستنكر على البخاري ذلك.

ولعل هناك امور لم تخفى على المتتبع لسيرة البخاري وهو الداعي لـه على اقدامه لروايته عنهم واحتجاجه بهم وتصحيح اقوالـهم وقد تناسى الثابت الصحيح المتواتر قولـه صلى الله عليه وآله وسلم لا يحبك إلاّ مؤمن ولا يبغضك إلاّ منافق وكان حبه عليه السلام

(١) التعديل والتجريح ١: ٣١١. مقدمة فتح الباري ١: ٦.

المقياس الذي اشتهر بين الصحابة بمعرفة المنافقين وجاء عن ابي سعيد الخدري وغيره (كنا في عهد رسول الله ﷺ نعرف المنافقين ببغضهم عليا وتركهم الصلاة) من ذكر الحديث.

ولا يحتمل ترك البخاري للاحاديث الصحيحة في فضائل امير المؤمنين وأهل البيت لم يكن لعدم وثوقه في صحتها او توثقه عن ذكرها كما اثبتها الصحاح الاخرى ولم تكن عن قلة في عددها حتى لم يتسنى لـه الاطلاع عليها وهي التي لاتعد ولا تحصى وذكر في شراح صحيحة كما في فتح الباري في شرح صحيح البخاري ٧: ٧٥.

وقال الامام احمد بن حنبل وإسماعيل القاضي والنيسابوري وابو علي النيسابوري وغيرهم في قولـهم لم يرد في حق أحد من الصحابة بالاسانيد الجياد بمثل ماجاء في علي بن أبي طالب وتقدم ذكره والمعاجم بلا استثناء ومن هذا العدد الذي لا يحد فان البخاري لم يخرج منه إلاّ ثلاثة احاديث من فضائلـه مع الاسف يظهر عليه التكلف وكأنما يتجرع الحنظل ويترك الكم الـهائل من الاحاديث عامدا مقتصدا غير مبال ولم يخشى العاقبة.

وقد تجنب رواية حديث الغدير في صحيحه واهمالـه راسا وهو الحديث المستفيض المتواتر افلا يعترينا الشك بعد هذا بانحرافه عن امير المؤمنين وأهل البيت عليهم السلام والشواهد على ذلك كثيرة وقد اعترف به بعض علمائهم كما لا يخفى على من طالع كتاب استقصاء الافحام وسنعرض لبعضها خلال الاحاديث القادمة.

واضافة لذلك نجدالبخاري يذكر الاحاديث الكثيرة لاناس ليس بمستوى امير المؤمنين في منزلته فلا بجهاد عرفوا ولا بعلم وصفوا ولا في شرفه نسبوا

ولا في فضيلة ذكروا وربما يصحح الحديث المنكر والضعيف فيهم او يبتر ويحذف ما يشينهم وهو كثير.

كما تقدم قبل قليل ان البخاري تجنب الرواية عن الامام جفعر بن محمد الصادق في حين يذكر تلامذته ولكنه يترك بترك الروايات التي يرونها عنه.

ويروي في صحيحه عن بعض الخوارج والنواصب وغيرهم كما سيأتي في حين يروي عن ابي سفيان وابنه معاوية وعمرو بن العاص ومروان بن الحكم والمغيرة بن شعبة وسمرة بن جندب واضرابهم ولم يروي عن الامام سيد شباب الجنة وسبط الرسول الامام الحسن حديثا قط وعن سيد النساء بضعة الرسول فاطمة الزهراء إلاّ حديثا واحدا ولم يروي عن امير المؤمنين علي بن ابي طالب إلاّ تسعة وعشرين حديثا في الامور العامة بينما يرى عن أبي هريرة اربعمائة وستة واربعين حديثا وعن عبدالله بن عمر بن العاص مائتين وسبعين حديثا وعن عائشة اربعمائة واثنين واربعين حديثا.

فما أدري لماذا قلت نسبة الامام علي عن هؤلاء؟! اكانوا اكثر منه صحبة لرسول الله ام اعلم منه ام كان من الذين وصفهم ابو هريرة بكثرة الصفق بالاسواق ام ماذا؟

فحتما قد تأثر البخاري بما وصل إليه من الفترة المظلمة التي سادت بها الفوضى والانحراف بما سنه معاوية واتباعه وفرضه على الامة بديلاً عن السنة في كافة الاقطار من السب والشتم لامير المؤمنين والزمهم بلعنه على المنابر واوجبه في صلاة الجمعة وامر الخطباء بتنقيصه وثلبه وهدد لمن يذكر لـه فضيلة هدمت عليه داره واودع في السجون الرهيبة وتقدم تفصيل الحديث في رسائل معاوية.

فلا نستغرب بعد هذا ان احتملنا ان الشيخ البخاري قد استولى ذاك الانحراف اورث تلك النزعة من بعض الشيوخ والاساتذة الذين وصفهم الامام الغزالي بقولـه ومن نتائج ذلك ان نهض لطلب العلم رجال طلبو لاجل الدنيا يتقربون به إلى الحكام لينالوا لديهم الحضوة والجاه وينالوا من دنياهم فاصبح الفقهاء بعد ان كانوا مطلوبين طالبين وبعد ان كانوا اعزة بالاعراض عن السلاطين اذلةً بالاقبال عليهم إلاّ من وفقه الله[1] وقليل ماهم.

---

(١) نقلاً عن الدهلوي في حجة الله البالغة ١: ٣٣٢. والانصاف: ٨٧.



الفصل الخامس عشر

رجال الصحاح الستة



ومن نتائج تلك الفتره المظلمه التي سادت بها الفوضى ووضع الأحاديث والانحراف بما سنة معاوية واتباعه وفرضه على الأمة بديلا عن السنة النبوية الصحيحة وعممه في كافة الاقطار.

واخطر ما في هذا الإنحراف أن يقع فيه رجال من الصحابة وبعض التابعين كما حصل لعمرو بن العاص وابي هريرة والمغيرة بن شعبة وسمرة بن جندب وغيرهم... وتقدم ذكرهم وما رووا.

وان حال هؤلاء في بيع اخرتهم بالدنيا وشهواتها مشهور ومعروف ويكاد لا يخلو منه مصدر من مصادر التاريخ ولم يتردد في رواية ذلك حتى أشد الناس تعصبا لـهم وذبا عنهم من مؤرخين وأصحاب السير[1] وقد واصل معاوية سيرته تلك مع بعض التابعين من هواة المناصب والتقرب للسلطة أن يشتري منهم دينهم بالثمن البخس وحتى سخر من بعضهم وقال: لقد هان عليهم دينهم[2] وهكذا تجري الأمور وسار عليها من سار في ذلك العهد الذي أصبح فيه البغي طريقا إلى تولى الخلافة الإسلامية ويحل فيها السيف والقهر والاغراء والرشوه والمكر والخداع.

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٢٣٧، وص٢٥٣. تاريخ ابن خلدون ٣: ١٣، ص١٩. تاريخ اليعقوبي ٢: ٢١٩ ـ ٢٣٠. المعارف لابن قتيبة: ١٥٨. سير أعلام النبلاء ٢: ١٠٩.البداية والنهاية ٨: ١١٧. الكامل في التاريخ ٣: ٤٦٢.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٢٤٣. الكامل في التاريخ ٣: ٥٠٤. كما مر مع وفد الكوفة الى معاوية.

ثم جاء اللاحقون من أهل الجرح والتعديل وتدوين الحديث والتاريخ فاعتمدوا على ما ثبت في ذلك العهد من أحاديث وأخبار وسيرة مدونة وطريقة مرسومة فمن وثقه المأذون وارتضى سلوكه في ذلك العهد فهو الثقة المأذون والصادق المأمون... ومن طعنه اولئك فهو المطعون وحديثه المتروك... ولا شك أن ما يقرب من مئتي عام قبل مجيء الشيخين واستمر هذا الإنحراف والتغيير بتدوين اوسع دواوين الحديث والسيرة وقد قضاها خصوم علي وبنيه في كفاح متواصل لاقصاء ما لا يروق لـهم ونشر ما رسمته السياسة لذلك العهد بكل ما عرفوه من فنون الاقصاء والشر.

والافضع من ذلك أن تعصب لـهذا العهد اقوام من أهل الحديث والتاريخ وأصحاب الجرح والتعديل والماضين على اثرهم بما تورثوه من اسلافهم وظنوا أنه الحق دون أن يلتفتوا إلى اصلـه وحقيقته.

وبعد هذا فلا شك أن يدخل من هذه الأحاديث إلى الصحاح وخاصة بالاعتماد على هؤلاء الرجال وبمروياتهم بالرغم مما زعمه أصحابها أنهم اختاروها من الالاف واثبتوا ما صح عندهم. ولكن قرائن الحال والشواهد الكثير تثبت لنا عكس المزاعم والادعاءات وبنظرة سريعة على جدول رجال الصحاح وما ظهر فيها من النواصب والخوارج وأصحاب البدع والفرق الضالة وغيرهم سوف يوافقنا بالشك بما تسرب منها إلى أحاديث الصحاح ورجالـها من تلكم الأحاديث.

ولا يسع عرض كل الأقوال فيهم ولا في كل المعاجم وأصحاب التراجم الكثيرة من أصحاب الجرح والتعديل بل اختصره على نماذج ونقتطفه من جدول

رتب حسب الحروف الـهجائية للمرحوم الشيخ المظفري في مقدمة كتابه دلائل الصدق وقد اختصره من كتابه المسمى (الافصاح عن احوال رجال الصحاح) وهو يشتمل على جل المجروحين منهم وجل المطاعن فيهم وخشية التطويل نذكر من الجدول قدر الحاجة والبيان لتجلي الأمر لمعرفة رجال الصحاح والاعتبار بأحاديثها وكما قيل بمعرفة الراوي تقدر الرواية وقيمتها السندية والاعتبار أو الاحتجاج بها.

وقد اختصر في النقل على كتابي ميزان الاعتدال للذهبي ورمز إليه (ن) وتهذيب التهذيب لابن حجر ورمز إليه (يب) دون غيرهما فإن اتفقا في النقل ذكره بعد اسم صاحب الترجمة بلا نسبة لاحدهما وأن اختص أحدهما بالنقل ذكره بعد الرمز..وكما رمز للصحاح.

(خ) إلى صحيح البخاري.

(م) لصحيح مسلم.

(س) للنسائي.

(د) لأبي داود.

(ت) للترمذي.

(ق) لابن ماجة القزويني.

(ع) لـهم جميعا.

(٤) لـهم جميعا عدا مسلم والبخاري. وللاختصار أيضاً لم يذكر الصفحة أو الجزء واعتمد على اسم صاحب الترجمة في الكتاب.

أصحاب البدع في رجال الصحاح

ذهب جمع من علماء أهل السنة السلف والخلف إلى قبول رواية المبتدع كما نص عليه البعض من محققيهم.

فقال ابن الصلاح: اختلفوا في قبول رواية المبتدع الذي لا يكفر ببدعته فمنهم من رد روايته مطلقا لأنه فاسق ببدعته وكما استوى في الكفر المتأول وغير المتأول يستوى في الفسق المتأول وغير المتأول وذكر أقوالاً... (١).

وذكر النووي بعد ايراد الأقوال المذكوره.. في الصحيحين وغيرهما من كتب أئمة الحديث والاحتجاج بكثير من المبتدعين غير الدعاة ولم يزل السلف والخلف على قبول الرواية منهم والاحتجاج بها والسماع منهم واسماعهم من غير انكار منهم والله اعلم (٢).

وقال السيوطي: فائدة أردت أن اسرد اسماء من رمى ببدعة ممن أخرج لهم البخاري ومسلم أو أحدهما... فذكر اسماء طائفه ممن رمى بالارجاء وهو تأخير القول في الحكم على متركب الكبائر بالنار وممن رمى بالنصب وهو بغض علي عليه السلام وتقديم غيره عليه وممن رمى بالتشيع وهو تقديم علي على الصحابة وممن رمي بالقدر وهو زعم أن الشر من خلق العبد وممن رمى برأي ابن أبي الجهم وهو نفي صفات الله والقول بخلق القرآن والاباضية وهم الخوارج وممن رمى بالوقف في مسألة خلق القرآن ومن الذين يرون الخروج على الأئمة ولا يباشرون ذلك قال:

---

(١) علوم الحديث: ٢٣٠.

(٢) شرح مسلم ١: ٦١.

فهؤلاء المبتدعة ممن أخرج لـهم الشيخان أو احدهما [١].

بل نص جماعة منهم على قبول رواية المبتدع الداعي[٢] وقد دافع ابن الوزير في (الروض الباسم) عن هذا القول وهو ظاهر كلام الشافعي المتقدم نقلـه فإنه لم يفرق بين الداعية وغيره بل نصوا على اخراج الشيخين عن بعض الدعاة فاحتج البخاري بعمران بن حطان وهو من الدعاة واحتجا بعبد الحميد بن عبد الرحمن الحماني وكان داعيا إلى الارجاء بل عن أبي داود ليس في أهل الاهواء اصح حديثاً من الخوارج[٣] أي من رجال (الصحاح الستة) قتادة بن دعامة السدوسي (يب) قال ابن المديني: قلت ليحيى بن سعيد: أن عبد الرحمن يقول: اترك كل من كان راسا في بدعة ويدعوا إليها قال: كيف تصنع بقتادة وابن أبي داود وعمر بن ذر وذكر قوماً وقال ابن حيان: كان مدلسا على قدر فيه.

وذكر في مقدمة فتح الباري[٤] طعن رجال بسبب معتقدهم في رجال صحيح البخاري.

---

(١) تدريب الراوي ١: ٣٢٨.

(٢) كما في الكفاية في علم الرواية: ١٢٦و١٣٠ وذكر الأقوال عن أئمة أصحاب الحديث في جواز الرواية عن أهل البدع والأهواء ومثلـه السيوطي في مفتاح النجا: ٣٨ وسير أعلام النبلاء ٤: ٢١٤، وفي ترجمة عمران بن حطان كما في ميزان الاعتدال ٥: ٢٨٥ وتهذيب التهذيب ٨: ١١٣، وتهذيب الكمال ٢٢: ٣٢٣، وتدريب الراوي ١: ٣٢٦ حتى أفرط بعضهم في توثيقهم فعن أبي داوود: ليس في أصحاب الأهواء أصح حديثاً من الخوارج ثم ذكر عمران بن حطان وحسان الاعرج. الكفاية في علم الرواية: ١٣٠.

(٣) مقدمة فتح الباري: ٤٣٢. سؤالات الآجري لأبي داود ٢: ١١٧. تاريخ ابن عساكر ٤٣: ٤٨٩. تهذيب الكمال ٢٢: ٣٢٣. ميزان الاعتدال ٣: ٢٣٦. سير أعلام النبلاء ٤: ٢١٤. تهذيب التهذيب ٨: ١١٣.

(٤) مقدمة فتح الباري: ٣٨٢.

الخوارج في رجال الصحاح

إسماعيل بن سميع الكوفي،

(م د س) أي من رجال مسلم وأبي داود والنسائي.

إسماعيل بن سميع الكوفي بياع السابري قال ابن حجر: كان يرى رأي الخوارج تركته، وقال أبو نعيم: جار المسجد أربعين سنة لم يرى في جمعة ولا جماعة [١].

وقال عيينة كان بيهسا فلم اذهب إليه ولم اقربه وتركه زائدة لمذهبه (يب) قال محمد بن يحيي: كان بيهسيا ممن يبغض علياً عليه السلام والبيهسية طائفة من الخوارج ينسبون إلى راسهم ابن بيهس [٢].

وقال الازدي كان مذموم مرضي المذهب يرى رأي الخوارج.

ثم وصفوه انه صاحب بدعة وقالوا صدوق تكلم فيه لبدعة الخوارج. وعن أنس وجماعة وعنه شعبة وعلي بن عاصم ثقة فيه بدعة... الخ [٣].

ومع استفاضة الأخبار وربما تواتر نقلـه بأن الخوارج مارقون عن الإسلام والدين كما تقدم ذكرهم فهو خارجون عن الإسلام حقيقة ومنافقون.

---

(١) تهذيب الكمال ٣: ١٠٧. ضعفاء العقيلي ١: ٧٨. ميزان الاعتدال ١: ٣٩٠.

(٢) وقال الازدي كان مذموم مرضي المذهب يرى رأي الخوارج ثم وصفوه انه صاحب بدعة وقالوا صدوق تلكم فيه لبعدة الخوارج وعن انس وجماعة وعنه شعبة وعلي بن عاصم ثقة فيه بدعة.... الخ. من لـه رواية في كتب السنة / الذهبي ١: ٢٤٦.

(٣) تقريب التهذيب ١: ٨. الكاشف ١: ٢٤٦.

فما بال القوم أئتمنوه واشباهه على دينهم بقبول الرواية به عنهم ووصفوه بالصلاح ولم ارى من ينسب إليه الخلاف وترك الرواية عنه غير زائدة وأبي عيينة وابن جرير.

أقول: وبعد ان وصفوه انه صاحب بدعة فماذا نصنع بقول احمد حيث يقول انه لا يصلي على الخوارج ثم قال أهل البدع ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تصلوا عليهم.

وقال مالك لا يصلى على الاباضية ولا القدرية وسائر اصحاب الاهواء ولا تتبع جنائزهم ولا تعاد مرضاهم والاباضية صنف من الخوارج الخ.

ثم اعود واسئل لو ان تارك صلاة الجمعة والجماعة اربعين يوما او نال من معاوية أحد من رجال الشيعة لنهالوا عليه بالتفسيسق والتكفير وتركوا حديثه ولكن هون عليهم ذلك انه خرج على امام زمانه امير المؤمنين واعلن بغضه فتسامحوا عن سيئاته وبرروا بغضه ووثقوه حتى احتجت به صحاحهم اضافة إلى توثيق جماعة منهم كما في ترجمته ومع استفاضة الأخبار بان الخوارج مارقون عن الاسلام والدين كما تقدم فهم خارجون عن الاسلام حقيقة ومنافقون فما بال القوم ائتمنوهم على دينهم بقبول الرواية عنهم ووصفوهم بالصلاح.

عمران بن حطان،

(خ د س) (من رجال البخاري وأبي داود والنسائي).

عمران بن حطان لعنه الله وضاعف عذابه (يب) قال الدارقطني متروك لسوء اعتقاده وخبث مذهبه وقال المبرد في الكامل: كان رأس القعد من الصفرية... أقول فأي عذر للبخاري وغيره الاحتجاج بحديثه وهو من الدعاة إلى النفاق ومذهب

السوء وعنده أن الداعية لغير مذهبهم غير معتبر الرواية وأن زعم (د) أن الخوارج اصح ذوي الاهواء حديثاً.

وقال ابن حجر في الاصابة وكان من رؤوس الخوارج من القعدية وهكذا كل من ترجم لـه نص على ذلك.

وذكر أبو الفرج الاصفهاني: انما صار قعدياً لما عجز عن الحرب[1].

على أنه قد رده في (يب) فقال: ليس على اطلاقه فقد حكى ابن أبي حاتم عن القاضي عبدالله بن عقبة وهو ابن لـهيعة عن بعض الخوارج ممن تاب أنهم كانوا إذا هووا أمراً صيروه حديثاً [2].

وهذا مروقهم عن الدين كما جاء عن سيد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم في أحاديث كثيرة تقدمت وبعد هذا فهل يرجى لمن لا يحترم دماء المسلمين وأموالـهم ولا يرعى لاخى النبي ونفسه وامام زمانه أن يكون صادقا في قولـه ثقة في نقلـه وقد ذكر في (يب) أن بعضهم اعتذر للبخاري بأنه أخرج عنه الحديث من قبل أن يرى ما رأى فقال: (فيه نظر) لأنه أخرج لـه من رواية يحيى بن كثير عنه وإنما سمع منه في حال هربه من الحجاج... فهل يبقى للبخاري عذر إلا أنه ربما كان يعظمه ويشكر لـه قولـه في مدح ابن ملجم قاتل أمير المؤمنين بابياته: (يا ضربة من تقي ما أراد بها) إلى الابيات وتقدمت.

---

(١) تهذيب التهذيب ٨: ١١٤. الاصابة ٥: ٢٣٢، رقم [٦٨٩١].

(٢) تهذيب التهذيب ٨: ١١٤. ونقله ابن الأثير في جامع الأصول في الفرع الثالث.

عكرمة البربري

عكرمة روت لـه عامة الصحاح والمسانيد وقد يطول الحديث عنه فاقتطف من بعض كتب الجرح والتعديل ومعاجم التراجم لنتعرف بنبذة عن شخصيته وقيمه رواياته وبعض فتاواه.

(ع) أي اشارة إلى الصحاح الستة

عكرمة البربري مولى ابن عباس وقد كذبه ابن المسيب وابن عمر ويحيي بن سعيد[1].

وفي (ن) قال محمد بن سيرين: كذاب وفي (يب) قال ابن ابي ذئيب غير ثقة ويروى عن ابن المسيب انه كذب عكرمة والخصيب بن ناصح.

وقال ابن المديني انه يرى راي الاباضية ومرة قال بلفظ يرى راي نجدة الحروري وعن عطاء بن ابي رباح ان عكرمة كان اباضياً.

وقال الشافعي قال مالك لا ارى لاحد ان يقبل حديثه[2].

وقال عبدالله بن الحارث دخلت على علي بن عبدالله بن العباس وعكرمة مقيد على باب الحش[3].

فقلت لـه: ألا تتقي الله؟

فقال ان هذا الخبيث يكذب على أبي[4].

---

(١) الضعفاء لابن الجوزي ٢: ١٨٢. والذهبي فيمن تكلم فيه ١: ٣٦. المغني في الضعفاء ٢: ٤٣٨.

(٢) ولمالك أقوال عديدة في عكرمة.

(٣) الكنيف.

(٤) ضعفاء العقيلي ٣: ٣٧٣ ـ ٣٧٤، ميزان الاعتدال ٣: ٩٤. سير أعلام النبلاء ٥: ٢٣. الضعفاء والمتروكين ٢: ١٨٢.

وذكر ابن الجوزي[١] قال ابن عمر لنافع: لا تكذب علي كما كذب عكرمة على ابن عباس وكذلك قال سعيد بن المسيب لمولاه برد وقد كذبه.

وسئل محمد بن سيرين عن عكرمة فقال ماسؤني ان يكون من أهل الجنة ولكنه كذاب [٢].

قال الذهبي: وذكر عند أيوب عكرمة أنه لا يحسن الصلاة، فقال أيوب: وكان يصلي؟![٣]

وقال أيضا عن الفضل السنائي قال رايت عكرمة قد اقيم قائما في لعب النرد وقدم عكرمة البصرة فأتاه ايوب ويونس وسليمان التميمي غناه فقال اسكتوا ثم قال قاتلـه الله لقد اجاد فاما يونس وسليمان فما عاد اليه.

وعن مطرف قال سمعت مالكا يكره ان يذكر عكرمة ولا راى ان يروي عنه.

وقال احمد بن حنبل ما علمت ان مالكا حدث بشيء لعكرمة...

وقال ابو بكر: سمعت يحيي ابن معين يقول انما لم يذكر مالك عكرمة لانه كان ينتحل راي الصفرية وكذلك قال احمد يرى راي الخوارج الصفرية[٤].

وقال مصعب بن عبدالله: كان عكرمة يرى راي الخوارج وادعى على ابن عباس انه كان يراه[٥].

---

(١) ميزان الاعتدال ٣: ٩٦. تهذيب التهذيب ٧: ٢٢٣٧. تاريخ ابن عساكر ٤١: ١٠٧. الضعفاء والمتروكين ٢: ١٨٢.

(٢) ميزان الاعتدال ٣: ٩٤. سير أعلام النبلاء ٥: ٢٥. تهذيب الكمال ٢٠: ٢٨٢.

(٣) ميزان الاعتدال ٣: ٩٥.

(٤) ميزان الاعتدال ٣: ٩٦. فيمن تكلم فيه ١: ١٣٦.

(٥) التعديل والتجريح ٣: ١١٥٠.

وقال عطاء بن أبي رباح كان اباضيا وقال مصعب الزبيري يرى راي الخوارج وقال يحيي بن بكير الخوارج الذين بالمغرب عنه اخذوا[(١)].

وعن أبي الأسود قال كنت اول من سبب لعكرمة الخروج إلى المغرب وذلك اني قدمت من مصر إلى المدينة فلقيني عكرمة وسألني عن أهل المغرب فاخبرته بفضلهم قال فخرج إليهم فكان اول ماحدث فيهم رأي الصفرية[(٢)].

وعن أبي طالب سمعت احمد بن حنبل يقول ان عكرمة من اعلم الناس ولكنه كان يرى راي الصفرية ولم يدع موضعا إلاّ خرج إليه خراسان والشام واليمن ومصر وافريقية كان يأتي الامراء فيطلب جوائزهم[(٣)].

أقول: فتبين ان الرجل يجوب الاقطار يدعو إلى مذهب السوء والضلال ومن كان كذلك قالوا لا يقبل قوله ولا يأخذ برأيه فما يقول اصحاب الصحاح والمسانيد الذين احتجوا به وصححوا روايته واخذوا دينهم منه وهو لا دين له.

ثم ذهب إلى الأمراء يطلب جوائزهم ويفتيهم بما يوافق هواهم.

بعض فتاواه:

عن حماد بن زيد سمعت ايوب يحدث عن عكرمة قال: انما أنزل متشابه القرآن ليضل به[(٤)].

---

(١) ميزان الاعتدال ٣: ٩٦. تاريخ ابن عساكر ٤١: ١٢٠. ميزان الاعتدال، وتهذيب التهذيب، وتهذيب الكمال ١٣: ١٧٢.

(٢) الكامل في الضعفاء ج٥.

(٣) ميزان الاعتدال ٣: ٩٦.

(٤) ضعفاء العقيلي ٣: ٣٧٣.

وعن خالد بن عمران قال: كنا بالمغرب وعندنا عكرمة في وقت الموسم فقال وددت ان بيدي حربه فاعترض بها من شهد الموسم يمينا وشمالا[١].

وعن ابن المديني عن يعقوب الحضرمي عن جده قال وقف عكرمة على باب المسجد فقال ما فيه إلاّ كافر وكان يرى راي الاباضية[٢].

وعن عكرمة في الرجل يذبح ولا يسمي قال لا بأس به[٣].

وعن عكرمة انه كره اجارة الارض فذكرت ذلك لسعيد بن جبير فقال كذب عكرمة سمعت ابن عباس.... المصدر السابق.

وسئل عكرمة ايحتجم الصائم قال يخرء الصائم

وسئل أيضاً عن الصلاة في ثوب واحد قال: ما يحمله على ان يقيم ايره كأنه وتد في الصف.

وقيل لسعيد بن المسيب ان عكرمة يقول ان رسول الله تزوج وهو محرم فقال: كذب مخبثان[٤].

وأمثال هذه الفتاوى كثيرة وكذبه بعض الصحابة حتى عن طاووس قال لو ان عبد عبدالله بن عباس (يعني عكرمة) اتقى وكف عن حديثه لشددت إليه المطايا.

وقيل أيضاً المسكين لو اقتصر على ما سمع كان قد سمع علما

---

(١) ميزان الاعتدال ٣: ٩٥.

(٢) ميزان الاعتدال ٣: ٩٥.

(٣) ضعفاء الرجال ٥: ١٢٦٦.

(٤) تهذيب الكمال ٢٠: ٢٨٠. سير أعلام النبلاء ٥: ٢٣.

وقيل لمحمد بن سيرين ان عكرمة يؤذينا ويسمعنا ما يكره قال فقال لي كلا مافيه لئن اسال الله ان يميته ويرحنا منه[(١)].

وقال مصعب الزبيري كان عكرمة يرى راي الخوارج فطلبه متولي المدينة فتغيب واختفى عند داوود بن الحصين حتى مات عنده.

ويرى ان عكرمة وكثير ماتا في يوم واحد فشهد الناس جنازة كثير وتركوا جنازة عكرمة[(٢)].

وسيأتي الحديث عن عكرمة في ذكر الآية: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[(٣)].

ولم اذكر كل الاقوال في عكرمة خشية التطويل ومن اراد المزيد فليراجع ميزان الاعتدال وتهذيب التهذيب وتهذيب الكمال والضعفاء لابن الجوزي والكامل في الضعفاء.

زيد بن أبي أنيسة:

ذكر ابن منجويه حيث اعتمده مسلم وروى عنه في صحيحه وغيره من الصحاح وقال احمد في حديثه بعض النكارة[(٤)].

وذكر ابن حجر زيد بن ابي انيسه من رؤوس الخوارج ذكره ابن حزم في

---

(١) ضعفاء الرجال ٥: ٢٦٦.

(٢) ميزان الاعتدال ٣: ٩٥.

(٣) الأحزاب: ٣٣.

(٤) الرواة الثقات ١: ٩٦. الضعفاء لابن الجوزي ١: ٣٠٣.

الملل والنحل وقال زيد بن ابي انيسه المحدث المشهور ومن قول هذا الخارجي ان في هذه الامة شاهدين عليها ولابد العيسوية من اليهود والنصارى مؤمنون وان دين الاسلام سينسخ على يد نبي من العجم يأتي بقرآن ينزل عليه جملة واحدة.

أقول: فكيف نقول لاحمد للذي يقول ان في حديثه بعض النكارة وهو على ذلك حسن الحديث.

وما نقول للذي وثقوه واعتمدوا على رواياته حتى وصفوه امام ثقة او كان ثقة كثير الحديث فقيها راوية للعلم(١).

معمر بن المثنى أبو عبيدة النحوي

اخرج روايته واعتمده البخاري في صحيحه والبيهقي وغيرهم كما ذكرهم السيد احمد الماجد في كتابه وذكر ابن حجر قال وقد اكثر البخاري في جامعه لنقل منه وكما بينت ذلك في الشرح(٢).

وذكره ابن حبان في الثقات(٣) وسئل عنه يحيي بن معين فقال ليس به بأس(٤).

وذكر ابن قتيبة كان الغريب وايام العرب اغلب عليه وكان لا يقيم البيت (وزنا). إذا انشده ويخطأ إذا قرء القران نظرا وكان يبغض العرب والف في مثالبها

---

(١) تهذيب الكمال ١٠: ١٨، ٢٢. الكاشف ١: ٤١٥.

(٢) تهذيب التهذيب ١٠: ٢٢٢، رقم [٤٤٤]. الرواة الثقات ١: ٩٦. الضعفاء لابن الجوزي ١: ٣٠٣.

(٣) الثقات ٩: ١٩٦.

(٤) الجرح والتعديل ٨: ٢٥٩.

كتبا وكان يرى راي الخوارج[١] وقال الدار قطني[٢] لا بأس به إلاّ انه يتهم بشيء من راي الخوارج ويتهم بالاحداث.

وقال الاجري عن ابي داود كان من اثبت الناس وقال ابو حاتم السجستاني كان يميل الي لانه كان يضنني من خوارج سجستان.

وذكر ابن حجر[٣] مثل قول ابن قتيبة عن ثعلب ثم قال وعمل كتاب المثالب الذي يطعن فيه على بعض اتباع النبي ﷺ إلى ان يقول وكان مع ذلك كله مدخول النسب وذكر المزني[٤] قال رجل لابي عبيدة يا ابا عبيدة قد ذكرت الناس وطعنت في انسابهم فبالله إلاّ ما عرفتني ما كان ابوك ما اصله قال حدثني ابي ان اباه كان يهوديا بباجروان.

أقول: ما هي الصفة الحميدة في هذا الرجل حتى ان البخاري ومن تبعه يثقوا بقوله ويعتمدوا على رايه وياخذوا أمر دينهم من هذا واشباهه.

وبهذا اكتفى من ذكر الخوارج في رجال الصحاح واصحاب البدع والضلال ومن راجع معاجم رجال الجرح والتعديل وجد أضعاف ما ذكرنا واختصرت على هذا العدد للتدليل.

---

(١) سير أعلام النبلاء ٩: ٤٤٥، رقم [١٦٨].. تهذيب التهذيب ١٠: ٢٢٢.

(٢) ميزان الاعتدال ٤: ١٥٥. تهذيب التهذيب ١٠: ٢٢٢.

(٣) تهذيب التهذيب ١٠: ٢٢٢.

(٤) تهذيب الكمال ٢٨: ٣١٧. فهرست ابن النديم: ٥٩.

النواصب في رجال الصحاح

من المعلوم أن الناصب هو الذي ينصب العداء لأهل البيت عليهم السلام وانه فاسق منافق في الأحاديث الكثيرة وفي صحيح مسلم وغيره أن مبغض علي منافق وكما وصف في الصدر الأول: كان حبه وبغضه علامة النفاق في أحاديث كثيرة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ستأتي في حب علي عليه السلام.

ولا ريب أن النفاق أعظم من الفسق كما جاء في قوله تعالى: ﴿إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا﴾[1] الآية.

والنفاق نوع من الكفر وربما اشد منه؛ وذلك أن النصب أعظم العيوب لأن الناصب منافق كما عرفت والمنافق كافر لأنه يسر الكفر ويظهر الإيمان فيكون اضر على الإسلام من الكافر الصريح وقد ذم الله تعالى المنافقين واعد لهم الدرك الاسفل من النار كما أخبر في كتابه العزيز ولعنهم في عدة مواطن من الكتاب وكذلك لعنهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما لا يحصى من المواطن ومن المعلوم أن الكافر لا تقبل روايته اصلا في الأحكام وغيرها حتى لو وثقه جماعة كما لا يقبل قول مثله في الرجال وشهادته فيهم مردودة وتوثيقه وتضعيفه غير مسموع.

وجاء عن ابن معين كما حكاه عنه ابن حجر في تهذيب التهذيب[2] من أن كل من شتم عثمان أو طلحة أو أحد من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم دجال لا يكتب عنه وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. كما نقل أيضاً في ترجمة اسد بن

---

(١) الحجرات: ٦.

(٢) تهذيب التهذيب ١: ٥٠٩.

وداعة قال: من سب الصحابة فليس بثقة ولا مأمون[1].

ومن المؤسف ان نجد العكس لمن نصب العداء لأمير المؤمنين فقوله مسموع ورأيه مقبول ويعتذر عنه ويأول حديثه كما نجده واضحاً في تراجم جماعة منهم في الصحاح ونعرض لنبذة يسيرة من هذا النمط من النواصب والمنحرفين فزادها وهنا على وهن[2].

أزهر بن عبد الله الحمصي:

(د ت س) ازهر بن عبد الله الحرازي ميزان الاعتدال ناصبي ينال من علي وفي التهذيب قال ابن الجارود: كان يسب علياً وساق (د) باسناده إلى ازهر قال: كنت في الخيل الذي سبوا أنس بن مالك فأتينا به الحجاج أقول وثقه العجلي وهو من رجال أبي داود والترمذي والنسائي[3].

ونقل عن يحيى يقول ازهر الحرازي واسد بن وداعة كانوا يجلسون ويسبون علي بن أبي طالب وكان ثور بن يزيد لا يسب علي فاذا لم يسب جروا برجله[4].

بسر بن أرطاة:

(د ت س) بسر بن ارطاة قال: أبي معين كان رجل سوء (يب) قال ابن يونس: كان من شيعة معاوية وكان معاوية وجهه إلى اليمن والحجاز وامره أن

---

(١) لسان الميزان ١: ٣٨٥.

(٢) وذكر في دليل المتحرين عشرة من النواصب: ٣٦١.

(٣) تهذيب التهذيب ١: ١٧٩.

(٤) تهذيب التهذيب ٢: ٣١. تهذيب الكمال ٤: ٤٢٧.

يتقرى من كان في طاعته علي عليه السلام فيوقع بهم ففعل بمكة والمدينة افعال قبيحة وحكى المسعودي في مروج الذهب أن علياً دعا عليه بذهاب عقلـه.

وقد فعل بمكة والمدينة وفي اليمن من قتل ونهب في كل قرية يمر بها وحتى الاطفال وتقدم ذكره وفضائعه في عمال معاوية. وفي وقعة صفين عندما فر من مبارزة علي عليه السلام.

حريز بن عثمان الرحبي الحمصي:

(خ ٤) (إلى البخاري والأربعة) حريز بن عثمان الحمصي كان من المشهورين بالنصب والمعلنين بالعداء لأمير المؤمنين وكان ينال منه ويقول: لا احب علياً قتل ابائي واجدادي ويقول لنا امامنا (يعني معاوية) ولكم امامكم (يعني علياً) وذكروا فيه أنه داعية لمذهبه السوء وانه كذب على رسول الله في أحاديث ينتقص بها أمير المؤمنين عليه السلام حتى قيل ليحيى بن صالح لِمَ لا تكتب عن حريز فقال: كيف أكتب عن رجل صليت معه الفجر سبع سنين فكان لا يخرج من المسجد حتى يلعن علياً سبعين مرة وقال ابن حبان: كان يلعن علياً بالغداة سبعين مرة وبالعشي سبعين مرة[1].

وقال إسماعيل بن عياش: رافقت حريز من مصر إلى مكة فجعل يسب علياً ويلعنه وقال لي: هذا الذي يرويه الناس أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: أنت مني بمنزلة هارون من موسى ولكن اخطأ السامع قلت فما هو قال: انما أنت مني بمكان قارون من موسى ! قلت عمن ترويه قال: سمعت الوليد بن عبد الملك يقولـه على

(١) تهذيب التهذيب ٢: ٢١٠. تاريخ ابن عساكر ١٢: ٣٤٩.

المنبر [١] وغير هذا كثير!

ومن لاحظ كتب التراجم وكتب الرجال كتهذيب وتاريخ بغداد وتاريخ دمشق لابن عساكر وبغية الطالب في تاريخ حلب وتاريخ الذهبي وغيرها تجدها كلها تحكي عن حريز بأنه كان ناصبا مبغضا لأمير المؤمنين يسبه ويلعنه كل صباح ومساء تجدها أيضاً تحكي أن أحمد بن حنبل قال: ثقة ثقة ليس بالشام كلها اثبت منه واستمر ابن حجر ينقل كلمات الاطراء والتوثيق وتصحيح حديثه [٢].

فما أدري باى ميزان يوثق هذا الناصبي الخبيث وهكذا تلاعبوا بالدين وبحديث سيد المرسلين بأمثال هؤلاء واحتج به البخاري والأربعة الصحاح ومن المضحك كما في الرياض [٣] ثقة ولكن يبغض علياً ابغضه الله عزوجل.

خالد بن سلمة بن العاص:

(م ٤) (أي من رجال مسلم والأربعة الصحاح).

خالد بن سلمة بن العاص المخزومي المعروف بالفأفاء قال: ابن جرير كان مرجئا ويبغض علياً عليه السلام [٤] (يب) قال: ابن عائشة كان ينشد بني مروان الاشعار التي كان يهجو المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم [٥].

---

(١) تاريخ بغداد ٨: ٢٦٢. تهذيب الكمال ٥: ٥٧٧. تاريخ ابن عساكر ١٢: ٣٤٩.

(٢) حتى قال ان المدائني لم يزل من ادركنا ومن أصحابنا يوثقونه وكان يلعن أمير المؤمنين وينتقصه وينال منه وقال ان حبان: كان يلعن علياً بالغداة سبعين مرة وبالعشي سبعين مرة . (تهذيب التهذيب ٢: ٢٠٧).

(٣) الرياض النضرة ٢: ٢١٦.

(٤) تهذيب التهذيب ٣: ٨٤.

(٥) تهذيب التهذيب ٣: ٨٣. الكامل ٣: ٢١. تاريخ ابن عاسكر ١٦: ٩٢.

فقل لي بربك أن أحد من الناس يبغض الشيخين ويسبهما أو رأس الفئة الباغية معاوية وينشد اشعار الـهجاء فيهم فهل توثقه الصحاح وتثني عليه كما فعلوا مع هذا الرجس المنافق والاعجب من ذلك احتجاجهم بروايته وتوثيقه واستئناس أئمتهم وخلفائهم بهجاء سيد المرسلين فدليل على أنهم في البغض والعداء كلـهم سواء.

والافضع أن اتخذوا من هذا المنافق حجة في دينهم فقد وثقه الإمام أحمد ويحيى وابن معين، وقال: شيخ يكتب حديثه، وقال ابن عدي: هو في عداد من يجمع حديثه وحديثه قليل ولا ارى برواياته بأساً وكان رأسا في المرجئة ويبغض علياً [1] (خ د س ت).

الحصين بن نمير الواسطي:

الحصين بن نمير الواسطي (يب) قال ابن خثيمة: اتيته فإذا هو يحمل على علي عليه السلام فلم اعد إليه[2] وروى لـه مسلم وابو داود والنسائي ووثقه أحمد وابن معين والقطان وابو حاتم والنسائي وغيرهم وكان يحمل على علي عليه السلام. وروي لـه الكثير وصححوا أقوالـه مع أنه ناصبي كما نص عليه ابن حجر بقولـه لا يأتين به رمي بالنصب[3].

---

(١) الكامل ٣: ٢١، ٢٣.

(٢) مقدمة فتح الباري: ٣٩٦.

(٣) تقريب التهذيب ١: ١٧١. مقدمة فتح الباري ١: ٤٥٩.

خالد بن عرفطة:

(د س) خالد بن عرفطة أو ابن عرفجة (ن) لا يعرف قال أبو حاتم والبزاز مجهول وزاد أبو حاتم لا اعرف أحدا اسمه خالد بن عرفطة سوى الصحابي ومهما كان فقد خرج على سيد شباب أهل الجنه بكربلا تحت راية ابن زياد ويزيد وقال: في (يب) قتلـه المختار بعد موت يزيد وهو من رواة (ت س)-

خالد بن عبد الله القسري:

خالد بن عبد الله القسري (د) اشار إلى اخراج حديثه إلى أبي داود ونسب في التهذيب قولـه: وأخرج لـه البخاري وأبو داود، وعن يحيى الحماني أنه قال: قيل لسيار تروي عن خالد قال: أنه كان اشرف من أن يكذب[١] كما ذكره ابن حبان في الثقات[٢] وقال عنه الذهبي: صدوق[٣] وروى عنه إسماعيل بن أبي خالد وحبيب بن أبي خالد الجرمي وحميد الطويل وإسماعيل بن أوسط بن إسماعيل البجلي وغيرهم كما في تهذيب التهذيب[٤] والغريب المخجل والمؤسف أن يروي عنه هؤلاء ويصححون حديثه مع ثبوت نصبه لأمير المؤمنين وفسقه وكفره ومجونه وذكر لـه في التهذيب قول ابن معين كان واليا لبني أمية وكان رجل سوء وكان يقع في علي بن أبي طالب ووصفه العقيلي قال: لـه أخبار شهيرة وأقوال فضيعة ذكر ابن جرير وأبو الفرج والمبرد وغيرهم ومثلـه الذهبي في ميزان الاعتدال[٥] قال

---

(١) تهذيب التهذيب ٣: ٨٨. سير أعلام النبلاء ٥: ٤٢٦. تاريخ ابن عساكر ١٦: ١٣٨.

(٢) الثقات ٦: ٢٥٦.

(٣) ميزان الاعتدال ٢: ٤١٥.

(٤) تهذيب التهذيب ٣: ٨٧.

(٥) ميزان الاعتدال ٢: ٤١٥.

عنه: ناصبي يغيظ ظلوم. وبلغ من نصبه أنه لما كان أمير العراق كان يلعن أمير المؤمنين فيقول: (اللهم ألعن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب أبي هاشم صهر رسول الله على ابنته وأبا الحسن والحسين ثم يقبل على الناس فيقول: هل كنيت؟).

كما في شرح النهج[١] نقل عن المبرد، والبلاذري في أنساب الاشراف، ومثله في الاغاني وذكر لـه في الاغاني أموراً مخجلة كثيرة منها: ـ

قال أبو جعفر الاصفهاني: قال المدائني في خبره، وأخبرني أبي شهاب بن عبد الله، قال لي خالد القسري: أكتب لي النسب... واكتب لي السيرة فقلت لـه فانه يمر بي الشيء من سيرة علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: إلا أن تراه في قعر الجحيم[٢] ودخل عليه فراس ابن جعدة بن هبيرة وبين يديه نبق فقال لـه: العن علي بن أبي طالب ولك بكل دينار ففعل فاعطاه بكل نبقة دينار وذكر أيضاً وكان لـه عامل يقال لـه: خالد بن امي فكان يقول لخالد بن أبي أفضل أمانة من علي بن أبي طالب وبلغ من استهتاره ما ذكره نافع مولى بني مخزوم قال: سمعت خالد يقول على منبر مكة وهو يخطب: أيها الناس أيهما أعظم أخليفة الرجل على أهلـه أم رسولـه إليهم والله لو لم تعلموا فضل الخليفة ألا أن إبراهيم خليل الرحمن استسقى فسقاه ملحا اجاجا واستسقاه الخليفة فسقاه عذبا فراتا[٣].

وقولـه: أيما أكرم عندكم على الرجل رسولـه في حاجته أو خليفة في أهلـه يعرض بأن هشاماً خير من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكان يقول: والله لأمير المؤمنين أكرم

---

(١) شرح النهج ٤: ٥٧. نقلاً عن المبرد والبلاذري وأنساب الأشراف ٩: ٥٩، ومثله الاغاني ٢٢: ٢٥.
(٢) الاغاني ٢٢: ٢٢.
(٣) تاريخ الطبري ٥: ٢٢٥.البداية والنهاية ٩: ٩٢. أخبار مكة ٣: ٦٠.

على الله من أنبياءه[١].

كما ذكر لـه في الاغاني أقوالاً عديدة فكان يسمي ماء زمزم أم الجعلان أو أم الخنافس وكذلك البلاذري: والله لو كتب لي أمير المؤمنين أن انفضها حجراً حجراً لفعلت يعني الكعبة كما ذكر البلاذري أيضاً والاغاني وأمر خالد ببناء بيعة لامه فكلم في ذلك فقال: نعم يبنونها فلعنهم الله أن كان دينها شرا من دينكم واتخذ كنيسة لامه في قصر الامارة وكانت امتنعت من القدوم عليه فلم يزل بها حتى قدمت الكوفة وأمر المؤذنين أن لا يؤذنوا حتى يضرب النصارى بنوافيسهم وقال: هشام بن الكلبي لما بني خالد البيعة بالكوفة لامه كتب نصارى البصرة إلى من كلم أمه فكتبت إليه أن يبني لـهم بالبصرة بيعة فكتب إلى بلال أن أهل البصرة لا يقاروني على ذلك فكتب إليه ابنها لـهم...[٢] وقيل في ذلك أشعار... الخ.

شبث بن ربعي:

(د س) شبث بن ربعي التميمي قال: شبث أنا أول من حزب الحروريه (يب) قال العجلي: كان أول من اعان على عثمان واعان على قتل الحسين وقال الدارقطني يقال: أنه كان مؤذن سجاح وقال ابن الكلبي: كان من أصحاب علي ثم صار مع الخوارج ثم تاب ورجع ثم حضر قتل الحسين ثم تولى سبي حريمه وأطفالـه من بلد إلى بلد[٣].

---

(١) البداية والنهاية ٩: ٧٦. البدء والتاريخ ٦: ٤١.

(٢) والتكملة والاشعار في ذلك في رحاب العقيدة: ٩٧.

(٣) تهذيب ٤: ٢٦٦. الاصابة ٣: ٣٠٣. تقريب التهذيب ١: ٤١١.

الصلت بن دينار

(ت ف) الصلت بن دينار الازدى أبو شعيب المجنون قال أحمد: متروك وقال يحيى بن سعيد: ذهبت أنا وعوف نعوده فذكر علياً فنال منه (يب) وقال (س)... وقال عبد الله بن أحمد نهاني أبي أن أكتب عنه وقال ابن حبان: كان الثوري إذا حدث عنه يقول: حدثنا أبو سعيب ولا يسميه وكان ينتقص علياً وينال منه[١].

عبد الله بن زيد بن أسلم العدوي

(ع) عبد الله بن زيد بن أسلم العدوي (ن) مدلس كان لـه صحف يحدث منه ويدلس (يب) قال أبو معين اولاد زيد ثلاثتهم حديثهم ليس بشيء وقال: وقال العجلي كان يحمل على علي عليه السلام.

أقول: ولربما لـهذا قال البخاري: رجل صالح وأخرج حديثه وقال ابن سيرين: ذاك اخي حقاً كما في (يب).

عبد الله بن شقيق

(م ٤) عبد الله بن شفيق العقيلي، قال القطان كان سليمان التميمي سيء الرأي فيه وقال ابن خراش: كان ثقة وكان عثمانيا يبغض علياً (يب) قال ابن سعد: كان عثمانيا ثقة قال العقيلي: ثقة وكان يحمل على علي عليه السلام وقد وثقه جماعة كما في معرفة الثقات[٢] وتهذيب التهذيب ونقل عن أحمد قوله ثقة وكان

(١) تهذيب التهذيب ٤: ٣٨١، رقم [٧٦٢].

(٢) معرفة الثقات ٢: ٣٧.

يحمل على علي ومثله ابن معين وعند الذهبي ثقة لكن فيه نصب، والغريب توثيقه مع أنه منافق بل زادوا لـه بعض الكرامات كما في (يب).

عمر بن سعيد بن العاص:

(م ت س ق) عمر بن سعيد بن العاص الأموي المعروف بالاشدق (يب) ولي المدينة لمعاوية ويزيد ثم طلب الخلافة وغلب على دمشق ثم قتلـه عبد الملك بعد ما اعطاه الامان ثم نقل عن الطبري أنه كان واليا ليزيد على المدينة وتقدم ذكر هذا الفاسق الملقب بلطيم الشيطان المخاطب لرسول الله ﷺ عندما جاء بنبأ قتل الحسين وهو على المنبر فقال: (ثار بثارات بدر يا رسول الله). فيا عجباً من أصحاب الصحاح كيف يحتجون بروايته ويثقون به في دينهم وهو لا دين لـه.

لمازه بن زياد:

(د ت ق) لمازه بن زياد الازدي (ن) قال: حضر وقعة الجمل وكان ناصبيا ينال من علي عليه السلام ويمدح يزيد (يب) قال ابن معين كان شتاما يشتم علياً عليه السلام وقال لبيد: قلت لـه لِمَ تسب علياً، قال: ألا اسب رجلاً قتل منا خمسمائة والفين والشمس هاهنا. وقال ابن سعد: ثقة وقال حرب عن أبيه: كان صالح الحديث واثنى عليه ثناء حسناً وقال في (يب): كنت استشكل توثيقهم الناصبي غالبا وتوهينهم الشيعة مطلقا ولا سيما أن علياً ورد في حقه: لا يحبه إلا من مؤمن ولا يبغضه إلا منافق ثم ظهر لي في الجواب من ذلك أن البغض ههنا مقيد بسبب وهو كونه نصر النبي ﷺ لان الطبع البشري يغض من وقعت منه اساءة في حق المبغض والحب بعكسه وذلك ما يرجع إلى أمور الدنيا غالبا والخبر في حب علي وبغضه ليس على العموم ثم اعتذر ابن حجر بأقوال تافهة وتأول النصب لعلي

وأهل بيته.

واجابه شيخنا المظفري في مقدمة كتابه ومثلـه السيد بن عقيل في النصائح الكافية مفصلا وغيرهما بما لا يسع المقام ذكره.

والخلاصة: أن مقصود ابن حجر أن نفس البغض لعلي والنصب لـه وسبه ليس نقصا ولا عيبا تبرئته لأصحابه من ذلك وأن ورد مستفيضا أو متواتر: أن من سب علياً وابغضه فقد سب رسول الله وابغضه وفي لفظ فقد سب الله ورسولـه وسيأتي الحديث عنه.

ويظهر أن هذا السب والاعتذار عنه عند ابن حجر خاصة لمن نصب العداء والسب لأمير المؤمنين دون غيره وبخلاف من أبغض أو سب أحد الخلفاء أو طغاة الأمويين فليس كذاك فهو ذنب لا يغفر ولا يعذر صاحبه ولا يمكن تأويلـه أو ليس هذا نصب من ابن حجر أو ليس هذا التعصب المقيت والضلال المردي ولم يكتفي بهذا حتى قال: (أن أكثر من وصف بالنصب مشهور بصدق اللهجة) أو ليس هذا مخالف للحقيقه وتستر على نصب اشياخه واقوامه ثم أن قولـه (مشهور) فكيف اشتهر الباطل وما قيمة اشتهاره وعند مَن؟ أوليس أنه مخالف لما ذكره سابقا بترجمة عمران بن حطان كما تقدم قولـه (أن الخوارج إذا هووا أمراً صيروه حديثاً) إذن فلا حجة باقوالـهم مهما تكلف ولا اعتبار لأحاديثهم مهما تأول اعتذر فما لـهؤلاء لا يفقهون حديثاً.

محمد بن زياد الألـهاني،

(خ ٤) أي البخاري والصحاح الأربعة)

محمد بن زياد الالـهاني أبو سفيان الحمصى (يب) قال فيه الحاكم: اشتهر عنه

النصب كحريز بن عثمان[١] (ن) ووثقه أحمد والناس[٢] وما علمت فيه مقالة سوى قول الحاكم الشيعي: وأخرج البخاري محمد بن زياد وحريز بن عثمان وهما مما اشتهر عنه النصب[٣].

ولـهذا ثارت حمية الذهبي وتعصبه المشهور فأراد الانتقام من الحاكم واتهمه بالتشيع حتى لا يقبل قولـه في الرجال. وهذا آخر ما في جعبته من الاتهامات الرخيصة ليخرج تبعه النصب من اسياده. ومن لاحظ الحاكم ومستدركه على الصحيحين تبين لـه كذب الذهبي وافترائه وما ذنب الحاكم إلا أنه أخرج أحاديث في أمير المؤمنين صحيحة السند على شرط الشيخين ولم يخرجاها.

ثم انكر نصب الالـهاني فقال: ما علمت هذا من محمد بلى غالب الشاميين فيهم توقف عن أمير المؤمنين من يوم صفين.

وتقدمت الأحاديث في قتال أمير المؤمنين للفئة الباغيه في صفين.

وما أدري ما معنى التوقف عن أمير المؤمنين وقد اعلنوا سبه ولعنه على المنابر طيلة حكمهم حتى علموه أبنائهم وخدمهم وحشمهم واستمر الحال إلى خلافة عمر بن عبد العزيز ثم عاد من بعده.

وقد أوصى به معاوية وكتب به إلى جميع الاقطار وألزمه على جميع عمالـه وتقدم ذكره.

---

(١) تهذيب التهذيب ٩: ١٥٠، رقم [٢٥٢].

(٢) كما وثقه ابن معين وقال: ثقة مأمون ذكره ابن حبان في الثقات وقال: لا يعتد بروايته إلا ما كان من رواية الثقات عنه. نقلاً عن الغدير ١١: ٨٧.

(٣) ميزان الاعتدال ٣: ٥٥١، رقم [٧٥٤٤].

وهل باستطاعة الذهبي أن يرفع الاشكال عن سيده البخاري بانكار نصب الالـهاني أو تأويلـه فما قولـه عنه وهو أيضاً يروي عن حريز الذي لا مجال لانكار نصبه وتقدم أيضاً قبل قليل وبهذا القدر من النواصب اكتفي عن ذكر الكثير منهم خشية التطويل.

والذي يظهر أنهم عدوا هؤلاء مجتهدين متأولين لـهم اجر واحد في سب علي عليه السلام ولعنه لانهم إذا حكموا بأن من حاربوا علياً مجتهدون مأجورون ومن قتلـه متأول فمن سبه ولعنه وعاداه أولى بهذا العذر ممن قاتلـه أو شرك في دمه. ولكن الغريب أنهم لم ينسبوا لمن سب أبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية وغيرهم عذرا يعذر به أو محملا يحمل عليه مما يمنع من التهجم عليه أو الوقيعة فيه وتقدم القول في قتلة عثمان.

وقد ثبت عندهم أن مجرد من سب غيره من الخلفاء كاف في سقوط العدالة واختلال الوثاقة بل منهم من حكم بلزوم قتلـه حدا [(١)] وكذا الذهبي في تقسيم البدعة حتى قال: والحط على أبي بكر وعمر (رض) والدعاء إلى ذلك فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامة وحتى قال الفريابي: من شتم أبا بكر فهو كافر لا اصلي عليه [(٢)].

---

(١) مثل السبكي كما في خاتمة الصواعق المحرقة: ٢٨٨.

(٢) المغني ٢: ٤١٩ عن الفاريابي. الشرح الكبير ٢: ٣٥٦. ميزان الاعتدال ١: ٥ ـ ٦.

المرجئة في رجال الصحاح

بشر بن المهاجر

(م ٤) بشر بن المهاجر العنوي قال أحمد: منكر الحديث يجيء بالعجب وقال ابن حبان: دلس عن أنس وقال العجلي: مرجئي متهم متكلم فيه.

سلام بن عجلان

(خ د س ق) سلام بن عجلان الافطس الأموي قال ابن حبان: ينفرد بالمعضلات عن الثقاة ويقلب الأخبار اتهم بامر سوء فقتل صبرا (يب) قال السعدي: كان يخاصم في الارجاء داعية (ن) قال النسوي مرجئي معاند.

شبانة بن سوار

(ع) شبانة بن سوار المدائني قيل اسمه مروان قال أحمد: تركته للارجاء وكان داعية لـه.

محمد بن حازم

(ع) محمد بن حازم أبو معاوية الضرير (يب) قال أبو زرعة: يدعوا إلى الارجاء وقال (د): كان رئيس المرجئة بالكوفة وقال ابن سعيد: يدلس

وذكر في تهذيب التهذيب[1] وقال الآجري عن ابن ابي داود مرجئا وكان لين

---

(١) تهذيب التهذيب ٩: ١٢١.

القول وقال مرة كان رئيس المرجئة بالكوفية وذكره ابن حبان في الثقات وقال كان حافظا متقنا ولكن كان مرجئا خبيثا...

وقال ابو زرعة كان يرى الارجاء قيل لـه كان يدعو إليه قال نعم. ثم وصفوه بالتدليس تارة واخرى انه يروي عن عبدالله بن عمر مناكير[1].

يونس بن بكير:

(م د ت ق) يونس بن بكير بن واصل الشيباني الحمال قال (د) يأخذ كلام أبي إسحاق فيوصلـه بالأحاديث (ن) قال ابن المديني: لا احدث عنه وقال الحجاج: لا استحل الرواية عنه وقال ابن معين: مرجئي يتبع السلطان...

خالد بن سلمة:

(م ٤) خالد بن سلمة المعروف بالفافاء، كان مرجئا ويبغض علياً مر ذكره في النواصب.

شعيب بن إسحاق:

(خ م د س ق) شعيب بن إسحاق بن عبد الرحمن الدمشقي الأموي مولى رملة بنت عثمان روى عن أبيه وابن حنيفة وتمذهب لـه...قال أبو طالب عن أحمد: ثقة ما اصح حديثه ووثقه قال أبو داود: ثقة وهو مرجئي وقال ابن معين ودحيم والنسائي: ثقة وقال الوليد بن مسلم: رأيت الاوزاعي يقربه ويدنيه قلت وفي سنة ١٨٩ ارخه ابن حبان في الثقات ونقل أبو الوليد الباجي عن أبي حاتم

---

(١) التعديل والتجريح ٢: ٦٨٥، رقم [٥٨١]. بحر الدم ١: ٣٦٨.

قال: شعيب ثقة مأمون وقال أيضاً: صدوق الخ[١] وعن الذهبي في (الكاشف ٢: ١١) شعيب بن إسحاق الدمشقي قال أبو داود: ثقة مرجئي الخ.

مذهب الشراة[٢]

(ع) داود بن الحصين الأموي مولاهم قال ابن عيينة كنا نتقي حديثه وقال أبو حاتم: لولا أن مالكا روى عنه لترك حديثه وقال ابن حبان: كان يذهب مذهب الشراة. واعتذر لـه ابن حبان من قول لو ترك حديثه وجب ترك عكرمة لانه كان يذهب مذهب الشراة مثلـه[٣].

وكان ابن حبان تحفظ على شبيهه عكرمة الذي ثبت دعواه إلى الارجاء ولم يضعفوه.

---

(١) تهذيب التهذيب ٤: ٣٠٤ ـ ٣٠٥، رقم [٥٩٣].

(٢) مذهب الشراة: سموا بذلك لقولـهم شرينا أنفسنا في طاعة الله.

(٣) الثقات ٦: ٢٨٤.

المجسمة في رجال الصحاح

مجاهد بن جبير المفسر:

(ع) مجاهد بن جبير المقري المكي (ن) قال أبو بكر بن عباس للاعمش ما بال تفسير مجاهد مخالف أو شيء نحوه قال: أخذ من أهل الكتاب وفي (يب) ما بالـهم يقولون في تفسير مجاهد قال: كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب وفي (ن) من انكر ما جاء عن مجاهد في التفسير في قولـه تعالى: ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ قال: يجلسه معه على العرش وليس بغريب أن يستنكر هذا التجسيم عن مجاهد فقد رووا عن غيره ما هو اخزى مثل أن الله سبحانه خلق ادم على صورته ومثل أن يدخل رجلـه سبحانه في النار فتقول قط قط وغيره كثير ولو اردنا تفصيل تلك الأقوال والقائلين بها لطال الحديث وقال في (يب) قال القطب الحلبي في شرح البخاري: مجاهد معلوم التدليس فعنعنته لا تفيد الوصل.

القدرية في رجال الصحاح

الحسن بن ذكوان:

(خ) الحسن بن ذكوان فقد كان قدريا يدلس وعرف بالخطأ وضعفه أحمد وابن معين والنسائي والترمذي وابن المديني [1].

---

(١) ميزان الاعتدال ١: ٤٨٩ ـ ٤٩٠، رقم [١٨٤٤].

ثور بن يزيد،

(خ ٤) ثور بن يزيد بن زياد الحمصي كان ابن أبي داود إذا اتاه من يريد الشام قال: ان بها ثورا فاحذر لا ينطحك بقرنيه وقال الوليد: قلت للاوزاعي حدثنا ثور فقال لي: فعلتها وسلمه المعيار كان الاوزاعي سيء القول في ثور (يب) لما قدم المدينة فنهى مالك الخ قال أحمد: نهي مالك عن مجالسته وليس لمالك عنه رواية في الموطأ ولا في الكتب الستة ولا في غرائب مالك للدارقطني. وقال ابن سعد كان جده قتل بصفين مع معاوية فكان إذا ذكر علياً قال لا أحب رجلاً قتل جدي[1].

وقال الذهبي بترجمته: قال أحمد بن حنبل: كان ثور يرى القدر وكان أهل حمص نفوه واخرجوه وقال أبو مسهر عن عبد الله بن سالم: ادرك أهل حمص وقد اخرجوا ثور واحرقوا داره لكلامه في القدر ونقلـه ابن حجر في التهذيب واضاف وقال ابن معين: كان مكحولا قدريا ثم رجع ثور بن يزيد قدري.

وقد نصوا على أنه قدري كما في عمدة القارئ، وخلاصة تهذيب التهذيب[2]. فكل من ترجم لـه نص على ذلك وقبلوا روايته.

(١) الطبقات الكبرى ٧: ٣٦٧. تاريخ ابن عساكر ١١: ١٨٦.

(٢) عمدة القارئ ١١: ١٨٧. خلاصة تهذيب التهذيب ١: ١٥٤.

الأباضية في رجال الصحاح

حاجب بن عمر:

(م د ن) حاجب بن عمر الثقفي أبو خشينة (يب) حكى الساجي عن ابن عينية أنه كان أباضيا[١].

الوليد بن كثير:

(ع) الوليد بن كثير المخزومي مولاهم قال (د): اباضي (يب) قال الساجي: كان اباضيا. ومثلـه عكرمه وتقدم ذكره[٢].

وقال في ميزان الاعتدال ثقة صدوق وحديثه في الصحاح وقال ابو داود ثقة إلاّ انه باضي ومثلـه قيل انه قدري اباضي[٣].

(١) وهم فرقة من الخوارج.

(٢) ميزان الاعتدال ٤: ٣٤٥، رقم [٩٣٩٧].

(٣) الضعفاء للعقيلي ٤: ٣٢٠، رقم [١٩٢١]. الرواة الثقات المتكلم بهم ١: ١٨٤.ميزان الاعتدال ٤: ٣٤٥، رقم [٩٣٩٧].

الزنادقة في رجال الصحاح

محمد بن سعيد المصلوب:

(ت ق) محمد بن سعيد المصلوب الشامي قال (س): الكذابون المعروفون بوضع الحديث أربعة وذكره منهم وقال أبو أحمد الحاكم يضع الحديث وقال أحمد: يضع الحديث عمدا وصلبه أبو جعفر على الزندقة (يب) قال ابن نمير: كذاب يضع الحديث وقال أبو مسهر: من كذابي الاردن وقال أحمد بن صالح المصري: زنديق ضربت عنقه وضع أربعة آلاف حديث عند هؤلاء الحمقى وقال ابن حبان: يضع الحديث لا يحل ذكره... وقال خالد بن يزيد الازرق قال محمد بن سعيد: لم ابال إذا كان الكلام حسناً أن اجعل لـه اسنادا إلى كثير مما قيل فيه.

أقول: وبعد أن ثبت كذب الرجل وزندقته فمن المؤسف أن يروي عنه كبار رواتهم ويحتالوا بالتدليس فقد ذكر (ن) روى عنه ابن عجلان والثوري ومروان الفزاري وابو معاوية والمحاربي وآخرون وقد غيروا اسمه على وجوه سترا على ما ثبت من زندقته وتدليسا لضعفه ـ إلى أن قال ـ: قال عبد الله بن أحمد بن سواد: قلبوا اسمه على مائة اسم وزيادة قد جمعتها في كتاب ومثلـه في (يب) كما ذكر جماعة كثيرة من اكابر رواتهم الذين رووا عنه وقال في (ن) وقد أخرجه البخاري في مواضع، وضنه جماعة فما أدري هل يخفى أمر الرجل على البخاري أن لم نقل أنه قد دلسه كما دلس عبد الله بن صالح وغيره وعلى فرض الخفاء عليه فهذا جهل كبير من البخاري وعيب عظيم في صحيحه فإذا كان هذا واشباهه ممن

اشتهر بالكذب والزندقة وقد دلسه عضماوئهم واشتملت على روايته صحاحهم فكيف تعتبر أخبارهم وتلحظ بعين الصحة والثقة بها.

وذكر الذهبي قال: وروى البخاري أيضاً عن محمد بن سعيد المصلوب الشامي الكذاب الشهير [١] الذي كان يضع الحديث ويدلسه [٢] وقتل بسبب الزندقة[٣] كما روى عنه الترمذي وابن ماجة وغيرهم كثير.

وقال ابن الجوزي في ترجمته وهذا الرجل كان كذاباً يضع الحديث ويفسد أحاديث الناس صلب على الزندقة وقد قلب خلق من الرواة اسمه وبهرجوا في ذكره والعتب عليهم في ذلك شديد والاثم لـهم لازم لأن من دلس كذاباً فقد آثر ان يؤخذ في الشريعة بقول باطل[٤].

---

(١) ميزان الاعتدال ٦: ٥٦١، رقم [٧٥٩٢]. تهذيب التهذيب ٩: ١٦٣، [٢٧٩].

(٢) المقتنى في سرد الكنى ١: ٣٥٣. الجرح والتعديل ٧: ٢٦٢، [١٤٣٦]. ميزان الاعتدال٦: ١٦٤.

(٣) الجرح والتعديل ٧: ٢٦٢. ميزان الاعتدال ٦: ١٦٤. تهذيب التهذيب ٩: ١٦٣.

(٤) الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ٣: ٦٥ ومثلـه تهذيب التهذيب ٩: ٦٥.

المدلسون في رجال الصحاح

التدليس هو الكذب الخفي وقال ابن الجوزي هذا خيانة منهم على الشرع[١]

.

وقال أيضاً: هو من الخيانات على الشريعة [٢].

وذكر النووي: التدليس أنواع ثم حرمها جميعا [٣].

وبمثال ذلك لو كانت الرواية عن شخص مقبول بواسطة آخر غير مرض فيزكون الواسطة ويروونها عن المقبول ابتداء أو يروونها عن ضعيف ويأتون باللفظ المشترك بين الضعيف أو الثقة ليوهم بالراوي على القاريء أن المراد الثقة حتى يظهر أنه لا يروي إلا عن ثقة إلى غير ذلك من أنواع التدليس ولا يكاد يسلم أحد من رواتهم إلا من عصم الله.

وقال الخطيب: وكان الأعمش وسفيان الثوري يفعلون مثل هذا قال العلائي: وبالجملة فهذا النوع افحش أنواع التدليس مطلقا وشرها وقال العراقي: وهو قادح فمن تعمد فعلــه.

وذكر السيوطي عن شيخ الإسلام في التدليس ثم قال: لا اشك أنه جرح وأن وصف به الثوري والاعمش فلا اعتذر انهما لا يفعلانه [٤] ثم اعتذر عنهما وعلله

---

(١) تلبيس إبليس: ٣٤.

(٢) الموضوعات ١: ٥٢.

(٣) المنهاج في شرح صحيح مسلم ١: ٣٣.

(٤) تدريب الراوي ١: ١٨٦.

وقال: على القاريء في نزهة النظر، قال الشيخ شمس الدين الجزري.... وعن شعبة قال: التدليس آخر الكذب وقال أيضاً: التدليس في الحديث أشد من الزنا الخ [(١)].

وربما لم يسقط المدلس شيخه ولكن يسقط من بعده رجلاً ضعيفا وصغير السن يحسن الحديث بذلك وكان الأعمش والثوري وابن عيينة وابن إسحاق وغيرهم يفعلون هذا النوع.

وقال شعبة: ما رأيت من لا يدلس من أصحاب الحديث إلا عمرو بن مرة وابن عون كما نقلـه عنه في ميزان الاعتدال وتهذيب التهذيب بترجمة عمرو بن مرة الجملي[(٢)] وذكره ابن الجوزي.

وروى الذهبي في تذكرة الحفاظ بترجمة سفياني عن الفرياني قال: سمعت سفيان يقول: لو اردنا أن نحدثكم بالحديث كما سمعناه ما حدثناكم بحديث واحد. وقال الذهبي في الميزان بترجمة عبد الله بن صالح الجهني: روى عنه البخاري في الصحيح ولكنه يدلسه فيقول: حدثني عبد الله ولا ينسبه وبمعناه في التهذيب بترجمة عبد الله أيضاً.

كما نسب التدليس للبخاري نفسه في صحيحه عن محمد بن سعيد المصلوب الكذاب الشهير لكن الذهبي حملـه على الخطأ فقال في ترجمة أبي سعيد (أخرجه البخاري في مواضع وظنه جماعة).

---

(١) الكفاية في علم الرواية: ٣٩٣.

(٢) ميزان الاعتدال ٣: ٢٨٨، رقم [٦٤٤٧]. تهذيب التهذيب ٨: ٩٠، رقم [١٦٣].

وهذا حمل بعيد وأن الظن لا يغني عن الحق ولو سلمنا لقول الذهبي فهو يقتضي عيبا آخر في صحيح البخاري إذ شرط المعرفة والثقة في الراوي كما زعمه.

وذكر العلائي في كتاب المراسيل ولا ريب في تضعيف من اكثر من هذا النوع وقد وقع فيه جماعة من الائمة الكبار ولكن يسيرا كالاعمش والثوري حكاه عنهما الخطيب وممن نقل عنه فعل ذلك بقية بن الوليد والوليد بن مسلم والحسن بن ذكوان.

ونقل الذهبي عن ابن القطان في بقية انه يدلس عن الضعفاء ويستبيح ذلك إلى ان قال وقال الذهبي في الميزان قلت نعم والله صحح هذا عنه ان يفعله وصح عن الوليد يفعله وعن جماعة كبار فعله هذه بلية منهم.

ونقل ابن حجر[1] عن ابن مندة أنه قال: يسمع في كلام له أخرج البخاري قال: فلان وقال لنا فلان: وهو تدليس ثم قال ابن حجر.

ونقل ابن حجر أيضاً قال محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري الإمام وصفه بذلك (أي التدليس) أبو عبد الله ابن مندة في كلام له فقال فيه: أخرج البخاري قال فلان وقال لنا فلان وهو: تدليس ولم يوافق ابن مندة على ذلك والذي يظهر أنه يقول فيما لم يسمع، وفيما سمع لكن لا يكون على شرطه أو موقوفا قال لي أو قال لنا وقد عرفت ذلك بالاستقراء من صنيعه [2].

---

(١) طبقات المدلسين: ٢٤. تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس: ٦. ط. مصر.

(٢) طبقات المدلسين: ٢٤.

ونقل ابن حجر أيضاً [١] عن ابن مندة أنه قال في حق مسلم كان يقول: فيما لم يسمعه من مشايخه قال لنا فلان وهو تدليس.

وقال ابن حجر في لسان الميزان[٢] عن ابن الجوزي في الموضوعات في حديث دلسه المفضل بن محمد الجندي حتى قال : فكأنهم كانوا يدلسون اسمه على ألوان لشدة ضعفه.

والخلاصة: أن التدليس طريقة شائعة عند الكثير من طبقاتهم في كتب الحديث والمسانيد واختصرت القول بنبذة مما جاء في الصحاح الستة ورواتها دون غيرهم خشية التطويل كما اختصر بالنقل على كتابي الميزان للذهبي وتهذيب التهذيب لابن حجر دون كتب الجرح والتعديل الاخرى.

وقد ألف جماعة كتباً ورسائل خاصة في المدلسين كحسين بن علي الكرابيسي وعلي بن المديني والنسائي والدار قطني وأبي الوفاء الحلبي وابن حجر والسيوطي عن الفهرست لابن النديم وكشف الظنون.

حجاج بن ارطاة بن ثور:

(م ٤) حجاج بن ارطاة بن ثور... قال: أحمد في حديثه زيادة على حديث الناس وقال ابن حبان تركه ابن المبارك ويحيى القطان وابن مهدي وابن معين وأحمد وكان لا يحضر الجماعة فقيل لـه في ذلك فقال: أحضر مسجدكم حتى يزاحمني فيه الحمالون والبقالون (ن) قال أحمد: يدلس عن الزهري ولم يره وقال

(١) طبقات المدلسين: ٢٦، رقم [٢٨].
(٢) لسان الميزان ٤: ١٩٧.

الأصمعي: هو أول من ارتشى من القضاة وقال (س): وذكر المدلسين حجاج بن ارطاة والحسن ـ أي البصري ـ وقتادة وحميد ويونس بن عبيد وسليمان التميمي ويحيى بن كثير وابو إسحاق والحكم وإسماعيل بن أبي خالد والمغيرة وابو الزبير وابن أبي نجيع وأبي جريح وسعيد بن أبي عروة وهشيم وابن عيينة قال في (ن) قلت والاعمش وبقية والوليد بن مسلم وآخرون (يب) الخ...

الحسن البصري:

(ع) الحسن أبو سعيد بن يسار بن الحسن البصري فذكر (ن) كثير التدليس وفي (يب) قال: ابن حيان يدلس.

سفيان الثوري:

(ع) سفيان بن سعيد الثوري (ن) متفق عليه مع أنه كان يدلس عن الضعفاء ولا عبرة بقول من قال: يدلس ويكتب عن الكذابين (يب) وقال ابن المبارك حدث سفيان بحديث فجئته وهو يدلس فلما رآني استحى وقال: نرويه عنك وقال ابن معين: مرسلات سفيان شبه الريح وكان يدلس عن الضعفاء كما ذكره الذهبي في ميزان الاعتدال، وابن حجر في تقريب التهذيب[١]. بل اشتهر بتدليس التسوية الذي قالوا عنه بأنه افحش أنواع التدليس مطلقا وشرها[٢].

وروى الذهبي في تذكرة الحفاظ بترجمته عن الفرياني قال: سمعت سفيان يقول: لو اردنا أن نحدثكم بالحديث كما سمعنا ما حدثناكم بحديث واحد [٣].

---

(١) ميزان الاعتدال٢: ١٦٩. تقريب التهذيب ١: ٣١١.

(٢) تدريب الراوي ١: ١٨٦.

(٣) تذكرة الحفاظ ١: ٢٠٥، رقم [١٩٨]. الكفاية في علم الرواية: ٢٤٥.

وبهذا يتضح لك بما وصفوه أنه أمير المؤمنين في الحديث وقالوا أيضاً ذكر الذهبي في تذكرته أن القطان قال في حقه أن سفيان فوق مالك في كل شيء وأن الاوزاعي قال: لم يبقى من تجتمع عليه الأمة بالرضا والصحة إلا سفيان.

وقد سمعت قول هذا المدلس الذي لم يحدث بحديث كما سمعه وقد وصفوه بكل عظمه ووثقوه إذن فما حال سائر الرواة.

سليمان بن طرخان:

(ع) سليمان بن طرخان (يب) قال ابن معين: يدلس وقال يحيي بن سعيد مرسلاته شبه لا شيء وقال: ما روى عن الحسن وابن سيرين وقال ابن المبارك لم يسمع من أبي الغالية وقال أبو زرعة: لم يسمع من عكرمة وقال النهدي: لم يسمع من نافع ولا عطا (ن) قيل أنه كان يدلس عن الحسن وغيره ما لم يسمع.

سويد بن سعيد:

(م ن) سويد بن سعيد الـهروي قال أبو حاتم كثير التدليس وفي (ن) و(يب) قال ابن أبي طالب لمسلم: كيف استجزت الرواية عنه فقال: ومن أين أتى بنسخة حفص بن ميسرة[1].

عبد المجيد بن جريح الأموي:

(م ٤) عبد المجيد بن عبد العزيز بن جريح الأموي مولاهم (ن) يدلس (يب) قال يحيي بن سعيد: إذا قال قال فهو شبه الريح وقال أيضاً: حديثه عن عطاء لا

---

(١) ومثلـه عن يحيي بن سعيد القطان قال لو لم أروي إلاّ عمن أرضى ما رويت إلاّ عن خمسة كما نقلـه عنه في ميزان الاعتدال ١: ٢٠٩، بترجمة إسرائيل بن يونس.

شيء كلـه وقال ابن حبان: يدلس، وقال الدارقطني: تجنب تدليسه فهو قبيح لا يدلس إلا فيما سمعه من مجروح.

(ع) مجاهد بن جبير،

مر ذكره في المجسمة.

محمد بن يزيد الرفاعي،

(م ن ق) محمد بن يزيد الرفاعي قاضي بغداد (يب) قال الحسن بن إدريس سألت عثمان بن أبي شيبة عنه فقال: يسرق حديث غير فيرويه قلت أعلى وجه التدليس أو الكذب؟ قال: كيف يكون تدليساً وهو يقول حديثاً.

هشيم بن بشير،

(ع) هشيم بن بشير (يب) قيل لأبي معين في تساهل هشيم فقال: ما ادراه ما يخرج من راسه قال ابن قطان لـهشيم صنعته محذوره في التدليس فإن الحاكم أبا عبد الله ذكر أن جماعة من أصحابه اتفقوا على أن لا يأخذوا عنه تدليسا ففطن لذلك فجعل يقول: في كل حديث يذكره حدثنا حصين ومغيرة عن إبراهيم فلما فرغ قال لـهم هل دلست اليوم قالوا: لا، فقال: لم أسمع من مغيره مما ذكرته حرفا انما قلت حدثني حصين ومغيره غير مسموع لي (يب)...

يحيى ابن أبي كثير،

(ع) يحي ابن أبي كثير أبو نصر اليمامي قال العقيلي يذكر بالتدليس وقال يحي القطان مرسلاته شبه الريح وقال همام كنا نحدثه بالغداة فإذا جاء العشى قلبه

علينا (يب) قال ابن حبان: يدلس مكلما روى عن أنس فقد دلس عنه ولم يسمع من أنس ولا من صحابي.

عبد الله بن صالح.

(خ د ت ق) عبد الله بن صالح بن محمد كاتب الليث قال صالح جزرة: هو عندي يكذب (يب) عن أحمد: ليس بشيء وذمه وكرهه (ن) قال ابن المديني: لا اروي عنه شيئاً، وروى عنه: البخاري في الصحيح على الصحيح ولكنه يدلسه فيقول: حدثني عبد الله ولا ينسبه وفي (يب) ما يستلزم ذلك وفيه أيضاً أن البخاري صرح في البيوع من صحيحه الخ...

الكذابون في رجال الصحاح

لا شك أن الفترة المظلمة في عهد معاوية ومن اخلفه من الأمويين التي سادت بها الفوضى وعمم الفساد ودب داء الحسد والتنافس على السلطة فجمع معاوية من ذوي الضمائر الرخيصة ومن دجالين من علماء السوء ووعاظ السلاطين وغيرهم لمؤازرته في نشر الأحاديث المفتعلة على رسول الله ﷺ لتثبيت سلطانه واضفاء الشرعية عليه فانقلبت الموازين الصحيحة في عامة الأمور السياسية والدينية والاجتماعية فاصبح الكذب فاشياً ووضع الأحاديث منتشرا وصارت البدعة سنة والمنكر معروفا والجاهلية إسلاما حتى عمت البليه إلى من سموا بحماة السنة وحفاظها ودخل من هؤلاء الرواة العدد الكثير إلى اهم المصادر من كتب الحديث والتاريخ والسير وتسرب منهم إلى رواة الصحاح بقصد أو بغفلة أو لرغبة وخشية عن طريق رواة ذلك العهد ورجالـه فجاء اللاحقون وحاولوا تفسير الكذب مثل ابن الوزير الصنعاني كما تقدم وتأولوا لفاعلـه واعتذروا عنه وبرروا كذبه وسمحوا بالقليل منه فانتشر الكذب عن رسول الله وصار وسيلة للاهداف المتنوعة والاغراض المختلفة فمنه التعصب المذهبي أو تقوية للسنة أو لترفيق قلوب العامة أو حسبة لله أو ما كذبت عليه بل كذبت لـه وغيرها مما تقدم ذكره.

وبالرغم مما حاولوا جادين ومدافعين بكل قوة وجهد كبيرين لحفظ منزلة الصحاح من هؤلاء الرواة وخاصة لكتابي مسلم والبخاري وبطبيعة الحال وطول الفترة وتعاقب السلطات فقد دخل فيهما الشيء الكثير من هؤلاء الرواة ممن ثبت كذبهم ونص عليه كبار علمائهم وأئمة حفاظهم ووصموهم رجال الجرح والتعديل بكلمات الطعن المتداولة عندهم. مثل يروي عن الثقات ما لا اصل لـه، وعن

الضعفاء ما لا يعرف واجمعوا على ترك حديثه ليس بثقة لا يكتب حديثه يأتي بالمناكير وبضع الحديث وغيرها وكلـهم من رجال الصحاح واحتجوا باقوالـهم ووثقوا باقوالـهم ورووا عنهم ولولا خشية التطويل لذكرت كتاباً خاصا بهم واكتفي بنظرة سريعة لعرض نماذج من الكذابين في رجال الصحاح كما اختصر عن كل ما قيل في تراجمهم بنبذ قصيرة للتدليل والاعتبار.

أحمد بن عيسى المصري:

(خ م س ق) أحمد بن عيسى المصري حلف ابن معين أنه كذاب (يب) قال أبو حاتم تكلم الناس فيه، وقال سعيد اليربوعي: انكر أبو زرعة على مسلم روايته عنه في الصحيح.

اسحاق بن عبد الله:

(د ت ق) إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة (يب) (وس) و... وقال ابن معين مرة ليس بثقة ومرة لا يكتب حديثه ومرة كذاب... وقال محمد بن عاصم: لم ارى أهل المدينة يشكون في أنه متهم قيل فبماذا قال في الإسلام وفي رواية أخرى (على الدين).

اسحاق بن محمد:

(خ ت ق) إسحاق بن محمد بن إسماعيل وهاه (د) جدا وروى عنه (خ) ويوبخونه على هذا.

إسماعيل بن عبد الله بن أويس:

(خ م د ت ق) إسماعيل بن عبد الله بن اويس وهو ابن اخت مالك قال ابن

معين: لا يساوي فلسين وقال أيضاً: هو وأبوه يسرقان الحديث (يب) قال ابن معين: مرة مخلط يكذب ليس بشيء... وقال سلمة بن شبيب: سمعته يقول: ربما كنت اضع الحديث لأهل المدينة إذا اختلفوا في شيء.

وقال النسائي: إسماعيل ضعيف(١).

وقال الذهبي: وذكر أقوال ابن معين... حتى قال عن ابن عدي.. ثم قال: روى عن خالـه مالك غرائب لا يتابعه عليها أحد(٢).

وذكر ابن حجر العسقلاني اقوالاً عديدة في كذبة حتى قال: وحكى ابن أبي خثيمة عنة عبد الله بن عبيد الله العباسي صاحب اليمن أن إسماعيل ارتشى من تاجر عشرين دينار حتى باع لـه على الأمير ثوبا يساوي خمسين بمائة وذكره الإسماعيلي في المدخل فقال: كان ينسب في الخفة والطيش إلى ما اكره ذكره وعن ابن حزم في المحلى...

وذكر قول ابن شبيب المتقدم غير ابن حجر دافع عنه وعن البخاري ومسلم لرواياتهم عنه وهذا الذي بان للنسائي منه حتى تجنب حديثه واطلق القول فيه بانه ليس بثقة ولعل هذا كان من إسماعيل في شبيبه ثم انصلح وأما الشيخان فلا يظن بهما انهما اخرجا عنه إلا الصحيح من حديثه الذي شارك فيه الثقات وقد اوضحت ذلك في مقدمة الشرح على البخاري... (٣) فإن ما ذكره ابن حجر في قولـه لعل كان هذا من إسماعيل في شبيبته ثم انصلح فاحتمال لو قبل لم يبق مجالا

---

(١) الضعفاء والمجروحين: ٥٤.

(٢) ميزان الاعتدال ١: ٢٢٣.

(٣) تهذيب التهذيب ١: ٢٧٣.

للطعن في راوٍ من الرواة أبداً وقولـه أما الشيخان فلا يظن بهما انهما اخرجا عنه إلا الصحيح من حديثه الذي شارك فيه الثقات فهذا ظن ولا يغني عن الحق، ولا يغير من الواقع والحقيقة شيئاً وأما قولـه وقد اوضحت ذلك في شرحي فهذا مختصر قولـه، قال إسماعيل بن أبي اويس ابن اخت مالك بن أنس احتج به الشيخان إلا انهما لم يكثرا من تخريج حديثه ولا أخرج لـه البخاري مما ينفرد به سوى حديثين وأما مسلم فأخرج لـه اقل مما أخرج لـه البخاري وذكر أقوالاً...[1] ولم يذكر كلمات الجرح فيه التي اوردها هو بنفسه في التهذيب واجمل في القول حماية للبخاري ومسلم وذبا عنهما وكتابيهما وأما قولـه أن ما أخرجه البخاري عنه ومن صحيح حديثه. فهذه دعوى منه وغير ثابتة ولا تقبل لأن الرجل بالاضافة إلا ما جرجه أهل الفن وتقدمت أقوالـهم أنه ضعيف عقلـه وتخليطه وكذبه وقد اعترف بنفسه بالوضع فلا معنى لـهذا الاعتذار عنه والدفاع وكيف يطمئن باقوالـه ويوثق أحاديثه ثم يتنبه ابن حجر فيقول: وبالتالي فلا يحتج بشيء من حديثه غير ما في الصحيح ومن أين علم أن هذا ليس من ذاك.

بقية بن الوليد:

(م ٤) بقية بن الوليد بن صائد (ن)...إلى أن يقول: قال وكيع: ما سمعت أحدا اجرأ على أن يقول: قال رسول الله ﷺ من بقية وقال القطان يدلس عن الضعفاء ويستبيحه.

وذكر ابن الجوزي قال: وقد ذكرنا أن بقية كان يروى عن المجهولين والضعفاء

(١) مقدمة فتح الباري: ٣٨٨.

وربما اسقط ذكرهم وذكر من رووا عنه، وقال ابن حبان: لا يحتج ببقية[١].

وقال الذهبي بترجمته: غير واحد: كان مدلسا فإذا قال عن فليس بحجة ثم ذكر الأقوال السابقة وقال أبو مسهر: أحاديث بقية ليست نقية فكن منها على تقية، وقال أبو إسحاق الجوزجاني: رحم الله بقية ما كان يبالي إذا وجد خرافة عمن يأخذه فإن حدث عن الثقات فلا بأس به[٢].

وقال أبو الحسن ابن القطان: بقية يدلس عن الضعفاء ويستبيح ذلك وهذا أن صح مفسد لعدالته.

ثم اعتذر عنه الذهبي بقولـه: قلت نعم والله صح هذا عنه أنه فعلـه وصح عن الوليد بن مسلم وعن جماعة كبار فعلـه وهذه بلية منهم ولكنهم فعلوا ذلك باجتهاد وما جوزوا على ذلك الشخص الذي يسقطون ذكره بالتدليس أنه تعمد الكذب هذا امثل ما يعتذر به عنهم[٣].

أقول: وهذا تدليس من الذهبي وما قيمة هذا الإجتهاد الذي نسبه لبقية بعد أن تقدم قول... ما سمعت أحدا اجرأ على أن يقول، قال رسول الله من بقية وجاء عن الزبيدي ونسبه للذهبي في الميزان وقال في ذيلـه قال: هو صدوق في نفسه لكنه يروي عمن دب ودرج فكثرت المناكير والعجائب في حديثه.

---

(١) الموضوعات ١: ١٥١.

(٢) ميزان الاعتدال ١: ٣٣٢. سير أعلام النبلاء ٨: ٥٢٣. وذكر الذهبي أيضاً بعد كلام ابن القطان، قلت: نعم، تيقنا أنه كان يفعلـه، وكذلك رفيقه الوليد بن مسلم وغير واحد ولكنهم ما يظن بهم أنهم اتهموا من حدثهم بالوضع لذلك. (سير أعلام النبلاء ٨: ٥٢٨).

(٣) ميزان الاعتدال ١: ٣٣٩.

وقال ابن خزيمة: لا احتج ببقية، وقال أحمد: لـه مناكير عن الثقات... الخ[١].

الوليد بن مسلم:

(ع) الوليد بن مسلم مولى بني أمية عالم دمشق قال (د): روى عن مالك عشرة أحاديث لا اصل لـها وقال أبو مسهر: كان يأخذ من أبي السفر حديث الاوزاعي وكان أبو السفر كذابا وزاد في (ن) وهو يقول فيها قال الاوزاعي... وفي (يب) قال عبدالله بن احمد سئل عنه أبي فقال كان رفاعاً، وقال: اختلطت عليه أحاديث ما سمع وما لم يسمع وكانت لـه منكرات الخ.. وفي تهذيب التهذيب[٢] أقوال كثيرة في التدليس.

هشام بن حسان:

(ع) هشام بن حسان الفردوسي البصري قال وهب: قال لي الثوري افدني عن هشام فقلت لا استحل وقال ابن عيينة: لقد أتى هشام أمراً عظيماً بروايته عن الحسن وقال عباد بن منصور: ما رايته عند الحسن قط وقال جرير بن حازم فاعدت الحسن سبع سنين ما رايته عنده قط... ويب) قال (د) كانوا يرون أنه أخذ كتب حوشب وقال سفيان بن حبيب: ربما سمعته يقول: سمعت عطاء واجئ بعد ذلك فيقول: حدثني الثوري وقيس عن عطا هو ذاك بعينه قلت لـه اثبت على أحدهما فصاح بي.

---

(١) تاج العروس ١٠: ٤١ـ مادة بقى. تهذيب التهذيب ١: ٤١٨. سير أعلام النبلاء ٨: ٥٢٣. ميزان الاعتدال ١: ٣٣٢.

(٢) تهذيب التهذيب ١: ١٣٦.

الجراح بن مليح:

(م د ت ق) الجراح بن مليح والد وكيع (يب) حكى الاد ريسي أن ابن معين كذبه وقال: كان وضاعا للحديث وقال ابن حبان: يقلب الاسانيد ويرفع المراسيل وزعم ابن معين أنه كان وضاعا وقال الدوري: دخل وكيع البصرة فاجتمع عليه الناس فحدثهم حتى قال: حدثني أبي وسفيان فصاح الناس من كل جانب لا نريد اباك فاعادوا واعادوا.

سهيل بن أبي صالح:

(ع) سهيل بن أبي صالح ذكره الحاكم فيمن عيب على مسلم اخراج حديثه... الخ.

عمارة بن جوين:

(ت ق) عمارة بن جوين العبدي قال أحمد: ليس بشيء (يب) قال حماد بن زيد: كذاب بالعشيي شيء وبالغداة شيء... الخ.

محمد بن حميد الرازي:

(د ت ق) محمد بن حميد بن حيان الرازي قال (س): ليس بثقة... وقال صالح جزرة: ما رأيت احذق بالكذب منه ومن سليمان الشاذكوني وقال أيضاً: ما رأيت اجرأ على الله منه وقال ابن خراش: كان والله يكذب... وقال (س): قال انو نعيم بن عدي: سمعت أبا حاتم وعنده ابن خراش وجماعة من مشايخ أهل الري وحفاظهم فذكروا ابن حميد فاجمعوا على أنه ضعيف جدا وانه يحدث بما لم يسمع وانه يأخذ أحاديث أهل البصرة والكوفة فيحدث بها عن الرازيين.

محمد بن طلحة البامي:

(خ م د ت ق) محمد بن طلحة بن مصرفي البامي... (يب) قال عفان: كان يروي عن أبيه وأبوه قديم الموت وكان الناس كأنهم يكذبونه ولكن من يجتريء أن يقول لـه: أنت تكذب كان من فضلـه وكان.

نجيح بن عبد الرحمن السندي:

نجيح بن عبد الرحمن السندي (يب) قال ابن المديني: كان ضعيفا ضعيفا وقال ابن معين: ليس بشيء وقال نصر بن ظريف: اكذب من في السماء والارض وقال أبو نعيم: روى الموضوعات لا شيء.

وهذه نبذة ذكرنا للإختصار ومن أراد المزيد فعليه بمراجعة الميزان والتهذيب فيجد أضعاف ما ذكرنا من هؤلاء وقد نصوا على كذبهم وهم من رجال الصحاح الذين وثقوهم واحتجوا برواياتهم تلك.

المجاهيل في رجال الصحاح

وهم الذين لا يعرف حالـهم من الصحة والثقة وغيرهما فهو مخل بالراوي وما يرويه إذ الشرط اللازم معرفة حال الراوي كما هو معلوم لدى الجميع من أصحاب الفن وبغيره فلا عبرة في نقلـه ولا ثقة في قولـه، ويلزم تركه ومع هذا نجد مجاميع من هذا النمط في رجال الصحاح ممن ثبتت جهالة حالـه أو ضعف نقلـه واخرجوا لـهم أحاديث واحتجوا باقوالـهم وعلى الاختصار نعرض لنماذج منهم ومن أراد التوسع فبمراجعة كتابي الميزان للذهبي والتهذيب لابن حجر وغيرهما من كتب الجرح والتعديل يجد أضعاف ما اشرنا إليه.

اسباط أبو اليسع:

(خ م د ت) اسباط أبو اليسع قال ابن حبان: يروي عن شعبة كأنه شعبة آخر وقال أبو حاتم: مجهول (يب): كذبه ابن معين.

(د ق) أيوب ابن قطن

قال الدارقطني: مجهول (يب) قالـه أبو زرعة لا يعرف وقال الازدي وغيره: مجهول.

ثعلبة بن عباد:

ثعلبه بن عباد العبدي، قال ابن هرم: مجهول (يب) ذكره ابن المديني (خ) المجاهيل وقال ابن حزم: مجهول وتبعه ابن القطان وكذا عن العجلي.

حماد بن حميد:

(خ) حماد بن حميد عن عبيد الله بن معاذ (يب) لم يعرف إلا بهذا الحديث وقال ابن عدي: لا يعرف (ن) لا يدري من هو.

سعيد بن حبان:

سعيد بن حبان النمي (ن) لا يكاد يعرف (يب) قال ابن القطان: مجهول.

سمرة بن اسهم:

(س ن) سمرة بن اسهم، قال ابن المديني: مجهول (ن): لا يعرف فلا حجة فيمن ليس بمعروف العدالة ولا انتفت عنة الجهالة.

عباد بن زياد:

(م د س) عباد بن زياد بن أبيه ولي لمعاوية سجستان قال ابن المديني: مجهول.

عطاء أبو الحسن السوائي:

(خ د س) عطاء أبو الحسن السوائي (يب) ما وجدت له راويا غير الشيباني ولم اقف فيه على تعديل ولا تجريح وروايته عندهم عن ابن عباس غير مجزوم بها وقرئت بخط الذهبي: لا يعرف.

عطاء العامري:

(د ت س) عطاء العامرى والد يعلى (ن) لا يعرف إلا بابنه (يب) قال ابن القطان: مجهول ما روى عنه غير ابنه.

عمرو بن بجدان:

عمرو بن بجدان (يب) قال أحمد وابن القطان: لا يعرف (ن) وقد وثق عمرو مع جهالته.

أقول: وهذا من الجمع بين الضدين كالتحسين لـه مع الجهل بحالـه ففي (ن) بعد ذكر حديث لـه قال: حسنه (ن) ولم يرقه إلى الصحة للجهل بحال عمرو.

عيسى بن عبد الاعلى:

(د ق) عيسى بن عبد الاعلى (ن) لا يكاد يعرف وحديثه فرد منكر وقال ابن القطان: لا اعلمه مذكورا في شيء من كتب الرجال ولا في غير هذا الحديث الخ.

الضعفاء في رجال الصحاح

ونقل الذهبي في المغني في الضعفاء: وكذا لم اعنن بمن ضعف من الشيوخ ممن كان في المائة الرابعة وبعدها ولو فتحت هذا الباب لما سلم أحد إلا النادر من رواة الكتب والاجزاء، وقال أيضاً: ثم من المعلوم أنه لابد من صون الراوي وستره فالحد الفاصل بين المتقدم والمتأخر هو رأس سنة ٣٠٠ ولو فتحت على نفسي تلين هذا الباب لما سلم معي إلا القليل... [1] الخ.

إذن: كيف يسلم لنا الحديث النبوي بعد هذا التستر وكيف يحل لنا قبول روايته أليس هذا هو التدليس الصريح؟!

(١) ميزان الاعتدال ١: ٤. لسان الميزان ١: ٨.

أشعث بن سعيد،

(م ت ق) اشعث بن سعيد البصري قال هشيم: كان يكذب وقال ابن معين: ليس بشيء... (يب) قال الفلاس وابن الجنيد: متروك وقال ابن عبدالبر: اجمعوا على ضعفه.

زهير بن محمد التميمي،

(ع) زهير بن محمد التميمي (ن) قال ابن عبد البر: ضعيف عند الجميع وقال ابن حبان: يخطأ ويخالف.

سعيد بن زيد بن درهم،

(م د ت ق) سعيد بن زيد بن درهم اخو حماد قال السعدي: يضعفون حديثه (يب) قال يحي بن سعيد: ضعيف جدا، وقال أيضاً: ليس بشيء.

طلحة بن النعمان،

(خ م د س ق) طلحة بن النعمان الرزقي قال يعقوب بن شيبة: ضعيف جدا ومنهم من قال: لا يكتب حديثه.

عبد الله بن مسلم،

(ن ق) عبد الله بن مسلم بن هرمز المكي (ن) قال ابن المديني: ضعيف ضعيف (يب) قال يحي: ليس بشيء.

عثمان بن عمير،

(د ت ق) عثمان بن عمير الاعمى (يب) قال الدارقطني: متروك وقال ابن عبد البر: كلهم ضعفه.

علي ابن أبي هاشم:

(خ) علي ابن أبي هاشم عبيد الله (يب) قال أبو هاشم: ترك الناس حديثه وقال الازدي: ضعيف جدا.

المثنى بن الصباح:

(د ت ق) المثنى بن الصباح (يب) قال ابن عدي: ضعفه الأئمة المتقدمون، وقال الساجي: ضعيف جدا.

(٤) نجيح بن عبد الرحمن:

نجيح بن عبد الرحمن السندي أبو معشر كان يحيي بن سعيد يضحك إذا ذكره (يب) قال ابن المديني: كان ضعيفا ضعيفا... وقال نصر بن ضريف: اكذب من في السماء والارض.

السراق في رجال الحديث

(خ م د ت ق) إسماعيل بن عبد الله بن أبي اويس قال أبن معين لا يساوي فلسين، وقال أيضاً: هو وأبوه يسرقان الحديث (يب) وقال سلمة بن شبيب: سمعته يقول: ربما كنت اضع الحديث لأهل المدينة إذا اختلفوا فيما بينهم (ومر ذكره).

أيوب بن سويد،

(د ق ت) أيوب بن سويد الرملي (يب) قال ابن معين: يسرق الحديث وقال الساجي: ارم به.

شهر بن حوشب،

(م ٤) شهر بن حوشب (يب)... وقال ابن حزم: ساقط، وقال الساجي: كان شعبة يشهد عليه أنه رافق رجلا فخانه وقال عباد بن منصور: سرق عيبتي وفي (ن) و(يب): كان على بيت المال فأخذ خريطة فيها دراهم وقد هجي ببيت...

أسد بن زيد،

أسد بن زيد كذبه ابن معين وقال: (س) متروك وقال ابن حبان: يروي عن الثقات المناكير ويسرق الحديث.

إسرائيل بن يونس،

(ع) اسرائيل بن يونس... السبعي (يب) قال عبد الرحمن: لص يسرق الحديث (ن) كان القطان لا يحدث عنه ولا عن شريك وقال: لو لم ارو إلا عمن ارضى ما رويت إلا عن خمسة.

السكارى في رجال الصحاح

لا احسب لانسان أن يصدق بالاقوال العادية من السكارى وبياعي الخمور والسراق والمجانين ولابد من الاستقامة واحراز العدالة والثقة بالراوي حتى يتم الاحتجاج بقوله والاعتماد بنقله وهو الواسطة بينه وبين ما يدين به ربه من أحاديث السنة ولا زلت في حيرة وذهول بما مر علينا من هولاء وقد وثقتهم الصحاح ونقلت أقوالهم معتمدة عليها وهم الذين اشترطوا الصحة والثقة والمعرفة بالراوي كما زعموا والله العالم بالنيات وقد جاء عن خلف بن هشام كان يشرب الخمر ووثقه أحمد امام الحنابلة فقيل: يا أبا عبد الله أنه يشرب، فقال: انتهى الينا علم هذا عنه ولكن هو والله عندنا الثقة الأمين يشرب أو لم يشرب [1] وبهذا القول يفتح الباب لغيره ويتساهل في نقل أحاديثهم.

عمرو بن عبد الله الاسوار اليماني:

سرق كتاباً من عكرمة فنسخه، وقال هشام بن يوسف القاضي: ليس بثقة وقال ابن معين: كان سيء الاخذ في حال تحمله من عكرمة كان يشرب فيقول عكرمة: اطلبوه فيجده، فيقوم وهو سكران الخ...

عبد الملك الشيباني:

(س) عبد الملك بن نافع الشيباني (يب) قال أبو حاتم: لا يكتب حديثه وقال ابن معين: لا شيء، وكان خماراً.

---

(١) تاريخ بغداد ٨: ٣٢٠ ـ ٣٢١.

عمر بن عبد الله بن يعلى:

(د ن) عمر بن عبد الله بن يعلى بن مرة (يب) قال ابن معين: ليس بشيء، وقال أبو حاتم: متروك وقال جرير بن عبد الحميد: كان يشرب الخمر.

محمد بن فضاء الازدي:

(ت د ق) محمد بن قضاء الازدي، قال ابن معين: ليس بشيء وقال (خ): كان سليمان بن حرب يقول: كان يبيع الخمر.

المخلط بعقله في رجال الصحاح

إسماعيل بن مسلم:

(د ق) إسماعيل بن مسلم البصري قال القطان: لم يزل مخلطا كان يحدثنا بالحديث الواحد على ثلاثة اضراب...

حماد بن أبي سليمان:

(م ٤) حماد بن أبي سليمان الفقيه الكوفي (يب) قال أحمد عند حماد بن سلمة عنه تخليط كثير وقال حبيب بن ثابت: كان حماد يقول: قال إبراهيم: فقلت: والله انك لتكذب على إبراهيم وأن إبراهيم ليخطأ.

حنظلة بن عبد الله السدوسي:

(ت ق) حنظلة بن عبد الله السدوسي... (يب) وقال ابن حبان: اختلط بآخره حتى كان لا يدري ما يحدث به فاختلط حديثه القديم بحديثه الأخير.

سفيان بن عيينة الهلالي:

(ع) سفيان بن عيينة الـهلالي قال يحي بن سعيد: أشهد أنه اختلط سنة ٩٧ فمن سمع منه فيها فسماعه لا شيء وقال في (ن): سمع منه فيها محمد بن عاصم ويغلب على ظني أن سائر شيوخ الأئمة الستة سمعوا منه قبلها ـ والظن لا يغني عن الحق شيئاً ـ وفي (يب): اورد أبو سعيد السمعاني بسند لـه قوي إلى عبد الرحمن بن بشر قال: سمعت يحي بن سعيد يقول: قلت لأبي عيينة: كنتَ تكتب الحديث وتحدث اليوم وتزيد في اسناده وتنقص منه؟ فقال: عليك بالسماع الأول فاني قد سمنت.

عبد الملك بن عمير :

(ع) عبد الملك بن عمير اللخمي قاضي الكوفة ضعفه أحمد جدا وقال ابن معين: مخلط... وقد نص على عبد الملك بن عمير قال أحمد: مضطرب الحديث جدا مع قلة روايته ما ارى لـه خمسمائة حديث وقد غلط في كثير منها(١)، وقال ابن معين: مخلط(٢).

وذكر ابن حجر فقال: اختلف فيه على عبد الملك واعلـه أبو حاتم وقال الهزار: كان ابن حزم لا يصح لأن عبد الملك لم يسمعه (أي الحديث) من ربعي وربعي لم يسمع من حذيفة لكن لـه شاهد... (٣) الخ.

وعلى أي حال فقد جاء في مصادر اتباع أهل البيت أن عبد الملك هذا هو الذي ذبح عبد الله بن يقطر أو قيس بن مسهر الصيداوي وهو رسول الحسين عليه السلام إلى أهل الكوفة فإنه لما رمى بامر ابن زياد من فوق القصر وبقى به رمق اتاه عبد الملك بن عمير فذبحه فلما عيب ذلك عليه قال: انما أردت أن اريحه(٤).

---

(١) تهذيب التهذيب ٦: ٣٦٥، [٧٦٥]. سير أعلام النبلاء ٥: ٤٣٩. ميزان الاعتدال ٢: ٦٦.
(٢) ميزان الاعتدال ٦: ٦٦. المغني ٢: ٤٠٧. تهذيب التهذيب ٦: ٤١٢.
(٣) فيض القدير ٢: ٧٣.
(٤) تلخيص الشافي ٣: ٣٥.



الفصل السادس عشر

أصحاب الجرح والتعديل





من الغريب على المأتمن على أحاديث الشريعة ونصوصها او السيرة وتاريخها فيتنكر للحقائق ويبرزها على غير صورتها الحقيقية ويغمض عينيه عن واقع الأمور ومحاسن الأشياء فيذم حيث لا موجب للذم ويمدح حيث لا موقع للمدح وما هذا أو ذاك الا لتعصب شائن وتحامل بغيض يبتلي به كثير من الناس وبهذا فقد اساؤوا لأنفسهم ولمجتمعهم ثم راحوا يلتمسون الحجج الواهية للضعة بمن يتعصبون عليه ولرفعة من يتعصبون لـه والاغرب من ذلك وأنهم يجعلون أنفسهم حكام عدل ورواد حقيقة وامناء على أحاديث السنة ورواة أحاديثها.

وفيهم من تغلب عليه الجمود الفكري فقلد غيره في النقل الذي رسمته السلطة يوم ذاك فصار ينقل بما يروق لـهم ويوافق رغباتهم.

وفيهم من غرتهم الحياة الدنيا ونزلوا لأرادة السلطات المتعاقبة فارضوهم بما كتبوا تزلفا لـهم وطمعا في المناصب ولذات الدنيا وحب المال والجاه. ومن الواضح الذي لا جدال فيه أن السياسة حكمت على نصوص الشريعة ونسخت أحكام وطعنت بأحاديث صحيحة وحرفت أخرى لا تتماشى واغراضها وبذلك قضت على الأمة بكبت الشعور وكم الافواه وسلب الافراد حرية الرأي والتدبر لأن الجمود الفكري هو الذي يخدم مصالحهم واناطة الآراء بما تراه السلطة لا غير.

ومن أهم المشاكل التي تعاني منها الأمة مهمة معرفة الرجال من رواة الحديث وانيطت تلك المهمة بأصحاب الجرح والتعديل واشترطوا فيهم العدالة

والثقة في النقل والصدق في القول وغيرها كثير لا مجال لذكرها ونعرض لبعضها باختصار لنتعرف على مدى العدالة والثقة أو التعصب والانحراف بالتشاتم والسباب بينهم والحقد والحسد والتنافس لا مور دنيوية وهذا مما يفقد الثقة بهم وبمروياتهم ويقلل من الاعتبار وربما الطعن بهما فذكر السبكي في طبقاته ومما ينبغي أن يتفقد عند الجرح حال العقائد واختلافها بالنسبة إلى الجارح والمجروح فربما خالف الجارح المجروح في العقيدة فجرحه بذلك واليه أشار الرافعي بقولــه:

وينبغي أن يكون المزكون براء من الشحناء والعصبية في المذهب خوفا من أن يحملــهم ذلك على جرح عدل أو تزكية فاسق وقد وقع هذا لكثير من الأئمة جرحوا بناءا على معتقدهم وهم المخطئون والمجروح مصيب.

وذكر الحافظ بن حجر فصل وممن ينبغي أن يتوقف في قبول قوله في الجرح من كان بينه وبين من جرحه عداوة سببها الإختلاف في الاعتقاد فإن الحاذق إذا تأمل ثلب أبي إسحاق الجوزجاني لأهل الكوفة رأى العجب وذلك لشدة انحرافه في النصب وشهرة أهلها بالتشيع فتراه لا يتوقف في جرح من ذكره منهم بلسان ذلق وعبارة طلق حتى أنه أخذ يلين مثل الأعمش وأبي نعيم وعبيد الله بن موسى وأساطين الحديث وأركان الرواية فهذا إذا عارضه مثله أو أكبر منه فوثق رجلاً ضعفه قبل التوثيق[1] وذكر صاحب العلم الشامخ[2] قوله: الواجب على المتدين إطراح التحزب والتكلم بما يعلم نصيحة لله ورسوله وللمسلمين وتراهم سووا بين الثريا والثرى.

---

(١) لسان الميزان ١: ١٦.

(٢) العلم الشامخ: ٢٢.

وذكر الاستاذ أحمد أمين في (فجر الإسلام: ٢١٧) وقد وضع علماء الجرح والتعديل قواعد ليس هنا محل ذكرها ولكنهم والحق يقال عنوا بنقد الاسناد من نقل أن تظفر منهم بنقد من ناحية أن ما نسب إلى النبي ﷺ لا يتفق والظروف التي قيلت فيه أو ان الحوادث التاريخية الثابتة تناقضه أو ان عبارة الحديث نوع التعبير الفلسفي يخالف المألوف في تعبير النبي أو أن الحديث أشبه في شروطه وقيوده بمتون الفقه وهكذا ولم يظفر منهم في هذا الباب بعشر معشار ما عملوا ماعنوا به من جرح الرجال وتعديلهم حتى نرى البخاري نفسه على جليل قدره ودقيق بحثه يثبت أحاديث دلت الحوادث الزمنية والمشاهد التجريبية على أنها غير صحيحة لاقتصارها على نقد الرجال.

وذكر في (ظهر الإسلام ٢: ٤٨) كما يؤخذ عليهم أنهم عنوا بالسند أكثر من عنايتهم بالمتن فقد يكون السند مدلسا تدليسا متقنا فيقبلونه مع أن الواقع يأبيانه بل قد يعده بعض المحدثين صحيحا لانهم لم يجدوا فيه جرحا ولم يسلم البخاري ومسلم من ذلك وربما لو امتحن الحديث بمحك أصول الإسلام لم يتفق معها وأن صح سنده.

وقد لخص الدكتور صلاح الدين الادلبي لأقوال أحمد أمين في (ضحى الإسلام) بقوله:... وأنهم كذلك لم يتعرضوا كثير البحث الأسباب التي قد تحمل على الوضع فلم ترهم شكوا كثيراً في أحاديث لأنها تدعم الدولة الأموية أو العباسية أو العلوية ولا درسوا دراسة وافية البيئة الاجتماعية في عهد النبي والخلفاء الراشدين والأمويين والعباسيين وما طرأ عليها من خلاف ليعرفوا لعل الحديث يتمشى مع البيئة التي حكي أنه قيل فيها أو لا؟ ولم يدرسوا كثيراً بيئة الراوي الشخصية وما قد يحمله منها على الوضع وهكذا.

ثم بين الدكتور أنهم لو اتجهوا كثيراً إلى نقد المتن وأوغلوا فيه ايغالـهم في النوع الأول لانكشف لـهم أحاديث كثيرة وتبين وضعها مثل كثير من أحاديث الفضائل وهي أحاديث رويت في مدح الأشخاص والقبائل والامم والأماكن تسابق لـها إلى الوضع فيها وشغلت حيزا كبيرا من كتب الحديث ثم نقل الدكتور قول ابن خلدون: (وكثيراً ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا وسمينا ولم يعرضوها على أصولـها ولا قاسوها بأشباهها ولا سبروها بمعيار والوقوف على طبائع الكائنات ويحكم النظر والبصيرة في الأخبار فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط) (١).

وقرنوا الطلقاء بالسابقين الاولين والعجب من المحدثين تراهم يجرحون بمثل قول شريك القاضي وقد ذُكر عنده معاوية حليم فقال: ليس بحليم من سفه الحق وحارب علياً. وبقولـه: وقد قيل لـه ألا تزور أخاك فلانا فقال: ليس بأخ لي من ازرأ على علي وعمار. فليت شعري كيف الجمع بالنقم بهذين الأمرين ثم لم ترهم يبالون بلعن علي فوق المنابر وبمعاداة من عاداهم وتراهم يتكلمون في وكيع واضرابه من تلك الدرجة الرفيعة دينا وورعا يقولون يتشيع وتشيعه انما هو بمثل ما ذكرنا من شريك فإن كان التشيع انما هو ذلك القدر فلعمري ما يسع منصفا الخروج عنه...

وذكر السبكي بترجمة أحمد بن صالح، قاعدة في المؤرخين نافعة جدا فإن أهل التاريخ قد وضعوا من اناس ورفعوا اناسا أما لتعصب أو لجهل أو لمجرد اعتماد

---

(١) منهج نقد المتن: ١٢، عن ضحى الإسلام. تاريخ ابن خلدون ١: ٩.

على من لا يثق به أو غير ذلك من الأسباب والجهل في المؤرخين أكثر منه في أهل الجرح والتعديل وكذلك التعصب قل أن رأيت تاريخا خاليا من ذلك.

أبو عبدالله شمس الدين الذهبي:

وذكر ان تاريخ شيخنا الذهبي غفر الله لـه فإنه على جمعه وحسنه مشحون بالتعصب المفرط لا يؤاخذه الله فلقد أكثر الوقيعة في أهل الدين اعني الفقراء الذين هم صفوة الخلق واستطال بلسانه على كثير من أئمة الشافعيين والحنفيين ومال فافرط على الاشاعرة ومدح فزاد في المجسمة هذا وهو الحافظ المدرة والإمام المبجل فما ضنك بعوام المؤرخين(1).

وشمس الدين الذهبي صاحب المؤلفات الكثيرة... فقد حكم على كثير من الأحاديث الصحيحة بالوضع وطعن في كثير من الرجال واسقط رواياتهم عن درجة الاعتبار وقد فعل ذلك بالنسبة إلى كثير من أئمة أهل السنة ومحدثيهم المشاهير في كتابيه ميزان الاعتدال والمغني في الضعفاء وحتى أدرج في الثاني (البخاري) صاحب الصحيح وأمورا أخرى حتى قال: والحال في شيخنا الذهبي ازيد مما وصف هو شيخنا ومعلمنا غير أن الحق أحق أن يتبع وقد وصل من التعصب المفرط إلى حد يسخر منه وأنا اخشى عليه يوم القيامة من غالب علماء المسلمين وأئمتهم الذين حملوا لنا الشريعة النبوية فإن غالبهم اشاعرة وهو إذا وقع باشعري لا يبقى ولا يذر والذي اعتقده أنهم خصماؤه يوم القيامة عند من ادناهم

---

(١) لسان الميزان ١: ١٦. طبقات الشافعيه ٢: ٢٢، وذكر أقوال صلاح الدين العلائي حول الذهبي ووصف تعصبه وانحرافه.

عنده اوجه منه فالله المسؤول أن يخفف عنه...

والذي أدركنا عليه المشايخ النهي عن النظر في كلامه وعدم اعتبار قولـه فلينظر كلامه من شاء ثم يبصر هل الرجل متحر عند غضبه أو غير متحر واعنى بغضبه وقت ترجمته لواحد من علماء المذاهب الثلاثة المشهورين من الحنفية والمالكية والشافعية فاني اعتقد أن الرجل كان إذا مد القلم لترجمة احدهم غضب غضبا مفرطا ثم فرط الكلام ومزقه وفعل من التعصب ما لا يخفى على ذي بصيرة.

ثم هو مع ذلك غير خبير بمدلولات الالفاظ كما ينبغي فربما ذكر لفظة من الذم لو عقل معناها لما نطق بها.

ثم ذكر تعرضه للفخر الرازي والآمدي ثم نقل عن الذهبي أنه حلف في آخر الكتاب أنه لم يتعمد فيه هوى نفس فأي هوى نفس أعظم من هذا ـ إلى أن قال:... وإذا وصل إلى هذا الحد والعياذ بالله فهو مطبوع على قلبه(١).

وقد نبهوا على تعصبه وطعنوا فيه طعونا شديد تمنع من التعويل عليه في الجرح والتعديل فذكر السبكي من حديث قال: صنف كتاب التاريخ وما أحسنه لولا تعصب فيه(٢).

وقال أيضاً: وعنده على أهل السنة تحمل مفرط فلا يجوز أن يعتمد عليه ومثلـه قول العلامة وغيره(٣).

---

(١) طبقات الشافعية ٢: ١٢.

(٢) طبقات الشافعية ٩: ١٠٣. سير أعلام النبلاء ١: ١٢٨.

(٣) سير أعلام النبلاء ١: ١٢٨.

كما ذكر في ترجمة الحسين الكرابيس امورا عديدة معترضا على الذهبي ومفنداً أقوالـه فليته درى ما يقول الله يغفر لنا ولـه ويتجاوز عمن كان السبب في خوض مثل الذهبي في مسائل هذا الكلام وانه ليعز على الكلام في ذلك ولكن كيف يسعنا السكوت وقد ملأ شيخنا تاريخه بهذه العظائم التي لو وقف عليها العامي لاضلته ضلالا مبيناً.

وذكر بترجمة الخبوشاني... عن ابن الكيزاني: أن الذهبي متعصب جدا... ولا ينبغي أن يسمع كلامه في حنفي ولا شافعي ولا تؤخذ تراجمهم من كتبه فإنه يتعصب عليهم كثيراً[1].

وهذا نموذج مختصر لواحد من أصحاب الجرح والتعديل وهو الذهبي وتعرفنا حالـه بشدة تعصبه حتى يفقد احساسه ولم يخشى عواقب التحقيق بما لفقه من كذب، وافترى على من خالفه في المذهب من أهل السنة فما ضنك بحالـه بالنسبة إلى علماء الإمامية وما ضنك بالنسبة إلى الأئمة من العترة الطاهرة وما عرف عنه من النصب والعداء لـهم فطغى وتعنت وتجاوز الحد في تراجمهم في ميزان عدلـه عند ذكر الإمام جعفر الصادق والإمام موسى الكاظم والإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام والعدد الكبير من أبنائهم ولا تسئل عمن روى لـهم حديثاً أو فضيلة فلا بد لـه أن ان يطعن بسند الرواية تحكما منه أو يتعرض لمتنها ودلالتها

(١) طبقات الشافعية ٧: ١٤. هامش سير أعلام النبلاء ٢١: ٤٠٦. قال السبكي: والذي أدركنا عليه المشايخ النهي عن النظر في كلامه وعدم اعتبار قوله ولم يكن يستجرئ أن يظهر كتبه التاريخيه إلا لمن يغلب على ظنه أنه لا ينقل عنه ما يعاب عليه. سير أعلام النبلاء ١: ١٢٩. السيف الصقيل: ٢٠٣.

بالتحريف والتلفيق مما يقلل من شأنها حتى إذا كان الرواة من اسياد قومه وكبارهم والشواهد كثيرة وسنعرض لبعض ذلك من خلال البحث عن فضائل أمير المؤمنين عليه السلام وهذا ديدن الكثير منه.

الجوزجاني:

هو إبراهيم بن يعقوب السعدي الجوزجاني المتوفي سنة ٢٥٦ كان حروري المذهب شديد العداء لعلي عليه السلام وهو أحد أئمة الجرح والتعديل وفي تهذيب التهذيب قال ابن حبان في الثقات: كان حروري المذهب وكان صلب في السنة إلا أنه من صلابته ربما يتعدى طوره وقال ابن عدي: كان شديد الميل إلى مذهب أهل دمشق في الميل على علي عليه السلام وقال الدارقطني: فيه انحراف عن علي.

والغريب كيف كان اماما لـهم في الجرح والتعديل وهو منافق وكيف تقبل شهادته في تقييم الرجال ومن لاحظ أقوالـه في الرواية التي فيها فضيلة لأمير المؤمنين إلا وطعن فيها وجرح راويها بقولـه هذا رافضي، خبيث، زائغ، مائل عن الحق، لا يقبل قولـه الخ فكان شديد التحامل على رجال الشيعة فلا يصفهم إلا بسوء القول وبذيء العبارة لسوء عقيدته وانحرافه ونصبه ومع هذا فقد روى لـه الترمذي والنسائي وابن داود كما في الرمز في ذكر النواصب وخير شاهد ما وصفه ابن حجر وعرفنا الرجل ووصف تعصبه في الرواية وقولـه في جرح الثقة وتوثيق المطعون فيه.

اقول: ابن حجر فصّل وممن ينبغي أن يتوقف في قبول قولـه في الجرح من كان بينه وبين من جرحه عدواة سببها الإختلاف في الاعتقاد فإن الحاذق إذا تأمل ثلب أبي إسحاق الجوزجاني لأهل الكوفة رأى العجب وذلك لشدة انحرافه

في النصب وشهرة أهلها بالتشيع فتراه لا يتوقف في جرح من ذكره منهم بلسان ذلق وعبارة طلق حتى أنه أخذ يلين مثل الأعمش وأبي نعيم وعبيد الله بن موسى واساطين الحديث واركان الرواية فهذا إذا عارضه مثله أو اكبر منه فوثق رجلاً ضعفه قبل التوثيق[1]. وقول ابن عدي: وكان شديد الميل إلى مذهب أهل دمشق في التحامل على علي فقوله في إسماعيل بن أبان مائل عن الحق يريد به ما عليه الكوفيون من التشيع[2].

وذكر عن أبي حاتم وانه متعنتا في الرجال قد قال في طائفة من رجال الصحاح ليس بحجة ليس بقوي أو نحو ذلك[3].

ابن الجوزي

ذكر ابن كثير في حوادث سنة ٥٩٧ من الكامل... وقال: كان كثير الوقيعة في الناس لا سيما العلماء المخالفين لمذهبه والموافقين له ومثله في المختصر في أخبار البشر في حوادث تلك السنة وقال اليافعي في مرآة الجنان في حوادث سنة ٥٩٥: وفيها أخرج ابن الجوزي من سجن واسط وتلقاه الناس وبقي في المطمورة خمس سنين...

وذكر الذهبي في ترجمة أبان بن يزيد العطار... وقد اورده أبو الفرج ابن الجوزي في الضعفاء ولم يذكر فيه أقوال من وثقه وهذا من عيوب كتابه يسرد

---

(١) لسان الميزان ١: ١٦.

(٢) ميزان الاعتدال ١: ٢٦.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٣: ٣٦٠.

الجرح ويسكت عن التوثيق[١].

وقال أيضاً في تذكرة الحفاظ:... وكان كثير الغلط فيما يصنفه فإنه كان يفرغ من الكتاب ولا يعتبره قلت ولـه وهم كثير في تؤاليفه يدخل عليه الداخل من العجلة والتحول إلى مصنف آخر وأن جل علمه من كتب وصحف ما مارس فيه أرباب العلم كما ينبغي[٢].

وقال الذهبي في التاريخ الكبير: لا يوصف ابن الجوزي بالحفظ عندنا باعتبار الصنعة بل اعتبار كثرة اطلاعه وجمعه [٣].

وذكر ابن حجر بترجمة ثمامة بن الاشرس في قصة ذكرها ابن الجوزي فقال: ودلت هذه القصة على أن ابن الجوزي حاطب ليل لا ينتقد ما يحدث به[٤].

كلمات العلماء في موضوعات ابن الجوزي

قال ابن صلاح ولقد أكثر الذي جمع في هذا العصر الموضوعات في نحو مجلدين فاودع فيها كثيراً مما لا دليل على وضعه وإنما حقه أن يذكر في مطلق الأحاديث الضعيفة[٥].

وذكر الكناني في المنهل الروي في علم أصول الحديث النبي وصنف ابن الجوزي كتابه في الموضوعات فذكر كثيراً من الضعيف الذي لا دليل على ضعفه.

---

(١) ميزان الاعتدال ١: ١٦.

(٢) تذكرة الحفاظ ٤: ١٣٤٧.

(٣) طبقات الحفاظ: ٤٧٨. طبقات المفسرين ١: ٢٧٤.

(٤) لسان الميزان ٢: ٨٤.

(٥) علوم الحديث: ٢١٢.

وقال ابن كثير وقد صنف أبو الفخر كتاباً حافلا في الموضوعات غير أنه ادخل فيه ما ليس منه وأخرج عنه ما كان يلزمه ذكره فسقط عليه ولم يهتدي إليه[1].

وذكر السيوطي وقد أكثر جامع الموضوعات نحو مجلدين اعنى أبا الفرج فذكر في كتابه كثير مما لا دليل على وضعه بل هو ضعيف وفيه الحسن بل والصحيح... [2].

ومثله الشامي في سبل الهدى والرشاد وأن شئت المزيد من كلماتهم فراجع صدر مختصر تنزيه الشريعة وتذكرة الموضوعات واسماء رجال المشكاة لعبد الحق وكشف الظنون والمسلك الوسط الداني إلى الدر الملتقط للصنعاني وشرح المواهب اللدنية ونيل الأوطار والقول المستحسن في فخر الحسن والفوائد المجموعة.

طعن ابن الجوزي في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام:

ذكر ابن حجر العسقلاني بعد اثبات أحاديث (سد الأبواب إلا باب علي) وقد اورد ابن الجوزي هذا الحديث في الموضوعات وأخرجه من حديث سعد بن أبي وقاص وزيد بن ارقم وابن عمر متقصرا على بعض طرقه عنهم واعله ببعض من تكلم فيه من رواته وليس بقادح لما ذكرت من كثرة الطرق عنهم واعله أيضاً بانه للأحاديث الصحيحة الثابتة في باب أبي بكر وزعم أنه من وضع الرافضة قابلوا به الحديث الصحيح في باب أبي بكر.

---

(1) الباعث الحثيث: 75.

(2) تدريب الراوي 1: 235.

واخطأ في ذلك خطأ شنيعا فإنه سلك رد الأحاديث الصحيحة بتوهمه المعارضة مع أن الجمع بين القصتين ممكن... وقال أيضاً: وطريق الورع في مثل هذا أن لا يحكم على الحديث بالبطلان بل يتوقف فيه إلى أن يظهر لغيره ما لم يظهر لـه.

وهذا الحديث من هذا الباب هو حديث مشهور لـه طرق متعددة كل طريق منها على انفراد لا تقتصر عن رتبة الحسن ومجموعها مما يقطع بصحته على طريقة كثير من أهل الحديث[1].

* ذكر السيوطي حول حديث: أولكم ورودا على الحوض اولكم اسلاما علي بن أبي طالب والعجب من المصنف أنه قال في العلل باب فضل علي بن أبي طالب: قد وضعوا أحاديث خارجة عن الحد ذكرت جمهورها في كتاب الموضوعات وإنما اذكرها ههنا ما دون ذلك ثم اورد هذا الحديث وهذا يدل على أن متنه عنده ليس بموضوع فكيف يورده في الموضوعات ويحكم بوضعه ثم يورده في العلل وموضوعه الأحاديث الواهية التي لم تنتبه إلى أن يحكم عليها بالوضع وهذا تناقض[2].

وقد اورد ابن الجوزي في كتابه العلل المتناهية الحديث المشهور: (أني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي) واعترض عليه كبار المحدثين ومنهم السخاوي قولـه وتعجبت من إيراد ابن الجوزي لـه في (العلل المتناهية بل اعجب من ذلك قولـه أنه حديث لا يصح مع ما سيأتي من طرقه التي بعضها في صحيح مسلم [3].

---

(١) القول المسدد في الذب عن مسند أحمد: ١٦.

(٢) اللئاليء المصنوعة ١: ٣٢٦.

(٣) استجلاء ارتقاء الغرف (مخطوط).

وقال المناوي: ووهم من زعم ضعفه كابن الجوزي[1].

كما أن الحفاظ والعلماء قد ابطلوا دعوى ابن الجوزي وانتقدوه بذكر حديث: (أنا مدينة العلم) في كتابه الموضوعات مثل صلاح الدين العلائي والزركشي والعسقلاني والسخاوي والسيوطي وابن حجر المكي ومجد الدين الفيروزابادي والمتقي الـهندي والقاري والمنادي والزرقاني والشوكاني وغيرهم.

وغير ذلك من الأحاديث في فضائل أمير المؤمنين وجوبه بالرد والنقد من العلماء على ذلك التهور بالطعن للأحاديث الصحيحة الثابتة، ونص المحققون منهم على تسرع ابن الجوزي في الحكم على الأحاديث عامة وأن جماعة منهم ردوا كلامه في خصوص (أنا مدينة العلم) واشتهر بينهم بذلك وعلى هذا الاساس اعرضوا عن أقوالـه في هذا الفن وتوقفوا عن قبولـها وانبرى جماعة من العلماء والمحدثين للرد عليه وبيان فساد أقوالـه وبطلانها في أحاديث أخرى وأن لم تتعلق بالفضائل على سبيل المثال.

فذكر السيوطي بعد حديث أن طالت بك هذه.... وذكر قدح ابن الجوزي قلت لا والله ما هو بباطل بل صحيح في نهاية الصحة أخرجه مسلم في صحيحه... ثم نقل عن ابن حجر في القول المسدد هذا حديث صحيح خرجه مسلم عن جماعة من مشايخه وقد اخطأ ابن الجوزي... وهذا من عجائبه وفيه بعد حديث: (إذا اتاكم كريم قوم فاكرموه) قلت واعجب من المؤلف كيف يحتم على رد الأحاديث الثابتة من غير تثبت ولا تتبع فإن الحديث ورد من رواية أكثر من عشرة من الصحابة فهو متواتر على رأى من يكتفي في التواتر بعشره.

---

(١) الفيض القدير ٣: ١٤.

وذكر العلائي في تعقيبه على الحديث ولم يأتِ أبو الفرج ولا غيره بعلة قادحة في حديث شريك سوى دعوى الوضع دفعاً بالمصدر، واللئالي المصنوعة، كما عقب صلاح الدين العسقلاني على الذهبي بقولـه قد قال ببطلانه أيضاً الذهبي في الميزان وغيره ولم يأتوا في ذلك بعلة قادحه سوى عوي الوضع دفعا بالمصدر...الخ.

وقال السيوطي في صدر النكت البديعات على الموضوعات وبعد فإن كتاب الموضوعات جمع ابن الجوزي وقد نبه الحفاظ قديما وحديثا على أن فيه تساهلا كثيراً وأحاديث ليست بموضوعة بل هي من وادي الضعيف وفيه أحاديث حسان واخرى صحاح بل وفيه حديث من صحيح مسلم نبه عليه الحافظ ابن حجر ووجدت فيه حديثاً من صحيح البخاري رواية حماد بن شاكر وآخر متنه في البخاري من رواية صحابي غير الذي اورده عنه.

وقال في خاتمته هذا آخر ما اوردته في هذا الكتاب من الأحاديث المتعقبة التي لا سبيل إلى ادراجها في سلك الموضوعات وعدتها نحو ثلاثمائة حديث منها في صحيح مسلم حديث وفي صحيح البخاري حديث وفي مسند أحمد ثمانية وثلاثون حديثاً وسنن ابن داود تسعة أحاديث وفي جامع الترمذي ثلاثون حديثاً وفي سنن النسائي عشرة أحاديث وفي سنن ابن ماجة ثلاثون حديثاً وفي مستدرك الحاكم ستون حديثاً وعد من الصحاح الاخرى والمسانيد.

وقال السخاوي:... ولو انتدب شخص لتهذيب الكتاب ثم لالحاق ما فاته لكان حسناً والا فيما تقرر عدم الانتفاع به إلا للناقد إذ ما من حديث الاء يمكن أن لا يكون موضوعا [١].

---

(١) فتح المغيث في شرح ألفية الحديث ١: ٢٣٦.

وذكر السيوطي: وقد جمع في ذلك الحافظ ابن الجوزي كتاباً حافلا فاكثر فيه من اخراج الضعيف الذي لم ينحط إلى رتبة الوضع بل ومن الحسن ومن الصحيح كما نبه على ذلك الأئمة الحفاظ ومنهم ابن الصلاح في علوم الحديث (اللئالي ١: ٢٠) وذكر فيه: واعلم أنه جرت عادة الحفاظ كالحاكم وابن حبان والعقيلي وغيره أنهم يحكمون على حديث بالبطلان من حيث سند مخصوص لكون راويه اختلق ذلك السند لذلك المتن ويكون ذلك المتن معروفا من وجه آخر ويذكرون ذلك في ترجمة ذلك الراوي يجرحونه به فيغتر ابن الجوزي بذلك ويحكم على المتن بالوضع مطلقا ويورده في كتاب الموضوعات وليس هذا بلائق وقد عاب عليه الناس ذلك اخرهم الحافظ ابن حجر.

وقال الذهبي في تاريخه، عن أبي المجد قال: صنف ابن الجوزي كتاب الموضوعات فاصاب في ذكره أحاديث مخالفة للنقل والعقل ومما لم يصب فيه اطلاقه الوضع على أحاديث بكلام بعض الناس في أحد رواتها كقوله فلان ضعيف أو ليس بالقوي او لين وليس ذلك الحديث مما يشهد القلب ببطلانه ولا فيه مخالفة ولا معارضة لكتاب ولا لسنة ولا اجماع ولا حجة بأنه موضوع سوى كلام ذلك الرجل في رواية وهذا عدوان ومجازفة ثم ذكر له شواهد...[1]

وقال ابن عراق: وللامام ابن الجوزي فيها كتاب جامع إلا أن عليه مؤاخذات ومناقشات[2].

---

(١) تدريب الراوي ١: ٢٣٥.

(٢) تنزيه الشريعة ١: ٣.

ابن حزم:

وان لم يكن ابن حزم من أصحاب الجرح والتعديل بمفهومه الخاص إلا أن تقول وافتعل وتهجم على جميع المسلمين ونسب لكثير منهم أقوالاً مكذوبة وآراء مفتعلة وكان يتحامل على الشيعة بصورة خاصة وينسب إليهم أقوالاً لا قائل بها ويلحق بها فرقا لا وجود لـها كل ذلك تعصبا منه لأنه كان أموي النزعة ومعروفا بموالاته لبني أمية وتعرض لفضائل أمير المؤمنين وطعن بالكثير منها وجرح رواتها تحكما وزورا وأخذ عنه ابن تيمية في منهاجه واستدل بها واعتمد عليها وأن كان شقيقه في النزعة لامويه والنصب والعداء فكلاهما على حد سواء فلـهذا اقتضى عرض نموذج لـه ومن لاحظ كتبه التي ملأها بالجهل والـهذيان عرف ذلك [1].

قال ابن حبان: وكان ابن حزم مما يزيد شنئانه تشيعه لامراء بني أمية ماضيهم وباقيهم واعتقاده بصحة امامتهم حتى نسب إلى النصب.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي وزعم ابن حزم أنه امام الأئمة يضع ويرفع ويحكم ويشرع وينسب إلى دين الله ما ليس فيه ويقول عن العلماء ما لم يقولوا تنفير القلوب عنهم [2].

وقال أبو العباس ابن العريف: كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين [3].

---

(١) وقد رده في فصل خاص الشيخ الأميني في الغدير، ج٣.

(٢) تذكرة الحفاظ ٣: ١١٥٢. سير أعلام النبلاء ١٨: ٢٠١. الشافعية للسبكي ٣: ٧٩.

(٣) تذكرة الحفاظ ٣: ١١٥٤. سير أعلام النبلاء ١٨: ١٩٩. لسان الميزان ٤: ٢٠١. الأعلام ٤: ٢٥٤. اعجاز القرآن (الباقلاني): ٦٢. شذرات الذهب ٣: ٢٠٠.

وقال ابن العماد: وكان ابن حزم كثير الوقوع في العلماء المتقدمين لا يكاد يسلم أحد من لسانه فنفرت منه القلوب [١].

وقد اجمع فقهاء عصره على تضليله والتشنيع عليه ونهى العوام عن الاقتراب منه وحكموا باحراق تآليفه ومدوناته مهما وجدوا الضلال في طياتها[٢] ويعرفه الآلوسي عند ذكره بقوله: الضال المضل، كما في تفسيره[٣].

وذكر ابن خلكان [٤] كان كثير الوقوع في العلماء المتقدمين لا يكاد يسلم من لسانه وذكر قول ابن العريف... قاله لكثرة وقوعه في الأئمة فنفرت منه القلوب واستهدف لفقهاء وقته فتمالؤا على بغضه وردوا قوله واجتمعوا على تضليله وشنعوا عليه وحذروا سلاطينهم من فتنته ونهوا عوامهم من الدنو إليه والاخذ عنه... الخ.

والخلاصة: ان هذه صورة موجزة لبعضهم وتعرفنا على حالاتهم وسلوكهم

---

(١) إعجاز القرآن (الباقلاني): ٦٢. شذرات الذهب ٣: ٢٠٠.

(٢) لسان الميزان ٤: ٢٠٠.

(٣) تفسير الآلوسي ٢١: ٧٦.

(٤) المصدر ١: ٣٧٠، وعنه اعجاز القرآن (الباقلاني): ٦٢.

وان الطعن عندهم منشأه النصب والعناد فهل يمكن والحالة هذه الاعتبار باقوالهم في مقام الجرح والتعديل حتى مع اختلاف العصر لارتفاع الثقة بهم وبمروياتهم.

ومن المؤسف أن يأتي بعدهم ويأخذ من هذا المتعصب العنود أو ذاك الناصبي الحقود ويعتبر قوله ويسير على خطأه ويرسله إرسال المسلمات دون ان يتعرف لحال هذا وذاك وهذه من إحدى الأسباب التي طمست فضائل أمير المؤمنين عليه السلام.

تهمة الزندقة

لا احسب لمن تعرف على سيرة السلطات المتعاقبة ولو بمعرفة سطحية إلا ويعرف ما لـها من الاثر الكبير في إخفاء فضائل أمير المؤمنين وجدير لمن يريد الانصاف أن يتدبر أقوال بعض رجال الجرح والتعديل الذين ساروا في ركاب الدولة ونفخوا ببوقها.

وعلى أي حال فانهم لم يجدوا حلا لـهذه المشكلة إلا أن يلصقوا تهما لرواة الأحاديث التي تتعارض وسياسة الدولة ويتلقاها المجتمع بالقبول فتوسعوا في التهم واتخذوا مرتزقة لتحقيق ذلك الغرض فوضعوا قاعدة قررها علماء السوء وهي إذا رأيت الرجل ينتقص أحد من أصحاب محمد ﷺ فاعلم أنه زنديق وأن الاتهام بالزندقة كان لاسباب سياسيه عندما اتخذها بعض الخلفاء وسيلـه للقضاء على معارضيهم حتى كان هناك من الوزراء من يتخذ الاتهام بالزندقة سبيلا للكيد والوقيعة بنظرائهم الذين يحقدون عليهم لذلك أصبح لفظ الزنديق مشتركا غامضا فاطلق على معان مختلفة بعد أن كان يطلق على من يؤمن بالمانوية... ثم اتسع حتى أطلق على كل صاحب بدعة وكل ملحد وانتهى به الأمر اخيرا إلى أن يطلق على من يكون مذهبه مخالفا لمذهب أهل السنة.

وان المهدي كان يطلق كلمة زنديق على من لم يعترف بخلافته أو عدالته[١] وكذلك أطلق لفظ الزنديق على من يناقش أحاديث الصحابة أو يردها لعدم صحتها[٢].

وقد سجل لنا التاريخ كثيراً من تلك الحوادث التي كان مبعثها الحقد والانتقام والتشفي.

وهذا ما حمل الكثير من الكتاب إلى ايجاد رابطة بين الزندقة وبين التحرر الفكري والنقد للاوضاع... والتي جعلت الإنتساب إلى التشيع دليلا على الزندقة ولا شيء هناك إلا عدم ارتباط العقائد بالدولة وأن انفصالـهم الروحي وعدم امتزاجهم بالسلطان واعوانه لاكبر دليل على الاستهانة بتوجيه التهمة إليهم كما واصبح من لا يؤمن بشرعية السلطان العباسي زنديقا وتعرف بالزندقة السياسية التي وسم بها كثير من الناس الذين استنكروا على العباسيين سوء سيرتهم.

---

(١) تاريخ ابن كثير ١٠: ١٥٣.
(٢) تاريخ بغداد ١٤: ٧.

تهمة التشيع أو الرفض

لا اريد في هذه العجالة أن نخوض في علم الحديث وتدوينه ولا الدفاع عن الشيعة أو تدوينهم للحديث فإن اهتمامهم بحفظ الحديث وتدوينه كان أكثر من غيرهم رغم تلك المعارضات والشكوك التي تغذيها السياسة وتقف ورائها في اتهام الشيعة وتقبلـها كثير من أصحاب الجرح والتعديل عندما يترجمون لشيعي حيث أن تلك الأقوال والتهم لا تستند على اسس واقعية فقد اضطربت أقوال علماء الرجال في قبول رواية الشيعي أو عدمها ومن الذي تقبل روايته ومن ترد روايته وما هي البدعة التي ابتدعها الشيعة فاستوجبوا ذلك.

ومع كل الحملات العنيفه على رواية الشيعي فإن لـها الاثر المقبول والمنزلة العالية لدى المنصفين وقليل ما هم ولانهم يحملون من الاثار النبوية في الأحكام الشرعية ما لا يمكن الاستغناء عنه ولم يجد العلماء بديلا عنه رغم كل محاولات السلطة واعوانها.

حتى قال علي المديني: لو تركت أهل الكوفة لذلك الرأي (يعني التشيع) خربت الكتب،

وقال الخطيب (قولـه: خربت الكتب) يعني لذهب الحديث[١].

وروى أيضاً... قال: سمعت أبا عبد الله محمد بن يعقوب وسئل عن الفضل بن محمد الشعراني فقال: صدوق في الرواية إلا أنه كان من الغالين في التشيع قيل لـه فقد حدثت عنه في الصحيح فقال: لأن كتاب استاذى ملأن من حديث الشيعة يعني مسلم بن الحجاج[٢].

ولو لحضنا أئمة المذاهب الأربعة لعرفنا قيمة تلك الأقوال المكذوبة فإن أبا حنيفة كان من تلامذة الإمام الباقر وولده الإمام الصادق عليهما السلام كما تقدم ومالك من تلامذة الإمام الصادق والشافعي تلميذ لمالك وأحمد تلميذ للشافعي والكل قد رووا عن رجال الشيعة وخرجوا أحاديثهم.

ثم نلحظ إلى رواة الحديث وأهل الصحاح فنجد كتبهم مليئة برواية الشيعة وأحاديثهم مثل البخاري وكان شيوخه من الشيعة يربو عددهم على العشرين رجلاً[٣]، وكذلك مسلم والترمذي وغيرهم من رواة الحديث وذكر منهم سيدنا شرف الدين في المراجعات ما يقرب من مائة وذكر الأستاذ أسد حيدر في كتابه اضعافهم، وذكر الذهبي في ترجمة أبان بن تغلب وانه كوفي شيعي جلد لكنه صدوق فلنا صدقه وعليه بدعته وقد وثقه أحمد بن حنبل وابن معين وابو حاتم واورده ابن عدي وقال: كان غاليا في التشيع وقال السعدي: (الجوزجاني) زائغ مجاهر (كما هي عادته في رجال الشيعة) فلقائل أن يقول: كيف ساغ توثيق مبتدع

---

(١) الكفاية في علم الرواية: ١٥٧.

(٢) الكفاية في علم الرواية: ١٥٩.

(٣) كما نقلـه الاستاذ أسد حيدر في الامام الصادق والمذاهب الأربعة: ٤١١.

وحد الثقة العدالة والاتقان فكيف يكون عدلاً من هو صاحب بدعة.

وجوابه أن البدعة على ضربين فبدعة صغرى كغلو التشيع أو كالتشيع بلا غلو ولا تحرف فهذا كثير في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق فلو رد حديث هؤلاء لذهب جملة الاثار النبوية وهذه مفسدة بينة.

ثم بدعة كبرى كالرفض الكامل والغلو فيه والحط على أبي بكر وعمر والدعاء إلى ذلك فهذا النوع لا يحتج بهم ولا كرامة....

فالشيعي الغالي في زمان السلف وعرفهم هو من تكلم في عثمان والزبير وطلحة ومعاوية وطائفة ممن حارب علياً وتعرض لسبهم والغالي في زماننا وعرفنا هو الذي يكفر هؤلاء السادة... [1].

ومن هذا ظهر أن قول الذهبي أن مطلق التشيع هو بدعة ولكنها تختلف شدة وضعفا وأن البدعة الصغرى غلو التشيع أو التشيع بلا غلو بمعنى مطلق الحب لعلي ومشايعته.

فلو سئلنا الذهبي هل يبقى بعد هذا التقسيم لاحد من المسلمين ولم تشمله هذه البدعة اللهم إلا المنافقون الذين وصفهم الحديث النبوي بقوله ﷺ (يا علي لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق) [2] خاصة بعد أن ذكر أن هذه البدعة (وهي التشيع مع الغلو) ومعناه حب علي كانت كثيرة في التابعين وتابييعهم مع أنهم من أهل الورع والدين فكيف يوسمون بالبدع ونعرض لتقسيم آخر كما

---

(١) ميزان الاعتدال ١: ٦.

(٢) مسند أحمد ١: ٩٥. سنن الترمذي ٥: ٣٠٦. سنن النسائي ٨: ١١٦. مجمع الزوائد ٩: ١٣٣. فتح الباري ١: ٦٠. السنن الكبرى ٥: ١٣٧.مسند أبي يعلى ١: ٢٥١. المعجم الأوسط ٢: ٣٣٧.

جاء عن أبي قيس الاودي [١] قولـه ادركت الناس وهم ثلاث طبقات: ـ

ـ **أهل دين يحبون علياً،**

ـ **واهل دنيا يحبون معاوية،**

ـ **والخوارج** [٢].

ونستنتج مما تقدم: ما لتلك السياسة التي انتهجتها السلطة لاغراضها وما لتلك النظم من التأثير في روح البعض من العداء للشيعة فلا غرابة بتغييرهم عن التشيع بكونه بدعة كما هو في كثير من عبارات أهل الحديث فالبدعة هنا في مقابلة سنة السياسة لا سنة الشريعة والا فما هي بدعة التشيع وهم مجمعون على أن الشيعة هم الذين شايعوا علياً وتابعوه.

ولو تساءلنا مع الذهبي من أين جاء بهذا التحديد واختص به الشيخين دون أصحاب الرسول ﷺ وهل تشمل هذه البدعة من شتم علياً ولعنه وكيف تقبل روايته أمثال حريز والحصين بن نمير وعمران بن حطان وغيرهم ـ وتقدم ذكرهم في النواصب ـ بل نجـد العكس بقبول روايتهم ومن رجال الصحاح الثقات وبرروا لـهم تلك الجرائم بالاجتهاد والتأويل ومنحوهم الاجر والثواب ولله المشتكى.

وما أكثر الشواهد على تأثر المجتمع بتلك النزعة السياسية فلا نستغرب تلك الأقوال التي كان يتخذها خصوم علي وشيعته وسيلة للارتزاق وطريقا لاستحالة قلوب ولاة الأمر ارضاءا لـهم وأن غضب الله عليه بما يفترون.

---

(١) أبو قيس الاودي المتوفى سنة ١٢٠، وهو من رجال صحيح البخاري ومسلم والترمذي وابن داود والنسائي.

(٢) الجوهرة في نسب الامام علي: ٩٣. العدد القوية: ٢٥٠. النصائح الكافية: ٢١٨. تقوية الايمان: ٢٤٠. وذكره في الاستيعاب ٣: ٥. عن سفيان الثوري.

وقالوا: ـ

لا تحل الرواية عنهم وهم في نظر طائفة من السلف كفار لا يجوز الاخذ عنهم[1].

وقالوا: ـ

أن من قدم علياً على عثمان فهو من أهل البدع مع أن الكثير من هؤلاء من رجال الصحاح وعرفه أصحاب الجرح والتعديل هذا شيعي مبتدع أو صاحب بدعة وذاك زنديق مائل عن الحق أو زائغ أما قولهم كذاب ووضاع فلا عدله ولا حصر ولان السلطة الغاشمة قررت نظام الكفر أو الزندقة على المعارضين لسياستها ومن الثابت أن الشيعة لم تسير في ركب تلك الحكومات الظالمة في كل ادوارها وعلى مدى العصور وأن السلطة تعد من لا يوازرها ويتعاون معها هو خصم يجب القضاء عليه لأن عدم التعاون مع الدولة هو عدم الاعتراف باهليتها للحكم ومعارض لسياستها.

وقد اتخذ خصوم الشيعة ذريعة الوقوع فيهم والطعن في عقائدهم واصبحوا بتقديم علياً عليه السلام مبتدعة فقالوا: لا تحل الرواية عنهم الخ.

وحيث لا يمكنهم القضاء على المعارضين إلا بذرائع شتى ومنها الاحتيال والاتهام بسب الصحابة أو الشيخين.

حتى قيل فكانت الحكومة إذا أرادت أن تعاقب شيعيا لمذهبه لم تذكر اسم علياً بل يجعل سبب العقوبة أنه شتم أبا بكر وعمر قاله في المنتظم ومثله ابن الأثير في حوادث سنة ٤٠٧.

---

(١) الكفاية في علم الرواية: ٤٨.

ومن هذا نعرف عظيم الخطر الذي تلاقيه الشيعة أو الروافض كما يقولون لأنه أصبح نظام تلك العصور أن من يروى منقبة لعلي وأهل بيته يعد رافضيا وصاحب بدعة إلى غير ذلك.

وكم اتهم بذلك من العلماء حتى من كبار حفاظهم وأئمة الحديث واصبحوا عرضه للبلاء ومحلا للنقمة وقتل بعضهم وطرد من التدريس أو الإمامة في الصلاة كما طعنوا بمؤلفاته وكتبهم عندما يذكر فضيلة لأمير المؤمنين ولنعرض لبعضهم باختصار.

الحاكم أبو عبد الله النيسابوري اتهم بالتشيع لأنه ذكر في كتابه (المستدرك على الصحيحين) أحاديث في فضائل علي عليه السلام منها حديث الطائر المشوى وحديث (من كنت مولاه) [١] وزاد الذهبي أنه كان منحرفا عن معاوية [٢].

وذكر الذهبي قول ابن طاهر عن الحاكم صاحب المستدرك قولـه كان شديد التعصب للشيعة في الباطن وكان يظهر التسنن في التقديم والخلافة وكان منحرفا غاليا عن معاوية وأهل بيته[٣]، ويقصد بهم أبو سفيان وأمه هند وابنه يزيد.

كما تجد اتهامه بالتشيع في تاريخ بغداد والانساب للسمعاني[٤] ومثلـه في المنتظم والعبر وشذرات الذهب وسير اعلام النبلاء وتذكرة الحفاظ وطبقات الشافعية[٥].

---

(١) المستدرك ٣: ١٠٩، وص١١٠، وص١١٦، وص١٣٤، وص٣٧١، ص٥٣٣.

(٢) تذكرة الحفاظ ٣: ١٠٤٥. سير أعلام النبلاء ١٧: ١٧٤ ــ ١٧٥.

(٣) تذكرة الحفاظ ٣: ١٠٤٥.

(٤) تاريخ بغداد ٥: ٤٧٤. أنساب السمعاني ١: ٤٣٣.

(٥) المنتظم ٩: ١٤١. العبر ٢: ٢١١. شذرات الذهب ٣: ١٧٧. سير اعلام النبلاء ١٧: ١٦٥، ١٦٨،

خثيمة بن سليمان العابد ألف في فضائل الصحابة وذكر فضائل علي عليه السلام فاتهم بالتشيع لذلك وشهد الخطيب البغدادي بأنه ثقة وانه ألف في مناقب الصحابة ولم يخص علياً [(١)].

عبد الرزاق بن همام ت سنة ٢١١ الحافظ الكبير ومن رجال الصحاح قال الذهبي: أنه صاحب تصانيف وثقه غير واحد وحديثه مخرج في الصحاح ولـه ما ينفرد به ونقموا عليه التشيع وما كان يغلو به بل كان يحب علياً ويبغض من قاتلـه [(٢)] ويقول في ترجمة جعفر بن سليمان الضبعي: هو من ثقات الشيعة حدّث عنه سيار بن حاتم وعبد الرزاق بن همام وعنه أخذ بدعة التشيع [(٣)].

فانظر لـهذ بعين الانصاف الذي نقموا عليه التشيع وهو حب علي وبغض قاتلـه وجعلوه بدعة.

محمد بن طلحة بن عثمان أبو الحسن النعالي اتهم بالتشيع وتعرض للخطر لأن أبا القاسم نقل عنه أن شتم معاوية [(٤)].

قال القضاة محي الدين الأموي يرجع نسبه إلى عثمان قال ابن عماد في ترجمته: وكان شيعيا يفضل علياً على عثمان مع كونه عثماني النسب وهو القائل:

⮌

١٧٤. تذكرة الحفاظ ٣: ١٠٤٢. ميزان الاعتدال ٦: ٢١٦. طبقات الشافعية للسبكي ٤: ١٦١. لسان الميزان ٥: ٣٣.

(١) تاريخ ابن عساكر ١٧: ٧٢. لسان الميزان ٢: ٤١١.

(٢) تذكرة الحفاظ ١: ٣٦٤.

(٣) تذكرة الحفاظ ١: ٢٤١.

(٤) تاريخ بغداد ٢: ٣٥٩.

ادين بما دان الوصي ولا ارى سواه وأن كانت أمية محتدى
ولو شهدت صفين خيلي لاعذرت وساء بني حرب هنالك مشهدي[(١)]

محمد بن جرير الطبري المؤرخ الشهير:

قال ابن الأثير في حوادث سنة ٣١٠ أنه دفن ليلا بداره لأن العامة اجتمعت ومنعت من دفنه نهارا وادعوا عليه الرفض والالحاد وقال علي بن عيسى: لو سئل هؤلاء عن معنى الرفض والالحاد ما عرفوه ولا فهموه...[(٢)].

ابن حبون أبو عبد الله من علماء الاندلس وعظمائهم قال ابن سعيد: لوكان الصدق انسانا لكان ابن حبون وكان عير (يزن) أي يتهم في التشيع لشيء كان يظهر منه في معاوية.

وجاء في أصحاب المغازي واتهموا بالتشيع لذكرهم بعض الأمور العامة ونقل عن الحموي كان أصحاب المغازي يتشيعون كابن إسحاق وابو معشر ويحيى بن سعيد الأموي وغيرهم[(٣)].

ومن الغريب أن ابن عبد البر قد اتهم بالتشيع على ما عرف عنه من العداء

(١) البداية والنهاية ١٣: ٣٠٠. شذرات الذهب ٥: ٣٢٦. مرآة الجنات ٤: ١٦٩.

(٢) الكامل ٨: ٤٩.

(٣) معجم الأدباء ١٨: ٧.

وذكر ابن الجوزي في المنتظم ١٣: ٤١٧ كان ابن جرير يرى جواز المسح على القدمين ولا يوجب غسلهما فلهذا أنسب إلى الرفض... الخ. أو لكتابته لحديث الغدير وجمع طرقه كما في البداية والنهاية ١١: ١٦٧. ومثله ابن الجوزي في المنتظم ١٣: ٢١٧، وأبو الفرج الاصبهاني أيضاً نسب إلى التشيع كما في المنتظم ٨: ٣٤٩، ووفيات الأعيان ٣: ٣٠٧، وميزان الاعتدال ٥: ١٥١، ولسان الميزان ٤: ٢٢١، وشذرات الذهب ٣: ١٩ ومثله أبو حاتم الرازي كما في تهذيب التهذيب ٧: ٣٠، وغيره كما في دلائل الصدق ١: ٢٤.

لأهل البيت غير أن ابن كثير في تاريخه قال: بأنه شيعي لروايه نقلـها تمس بكرامة الأمويين والاغرب ما جاء عن ابن كثير في تاريخه [١] وهو أن ابن عبد ربه مؤلف العقد الفريد كان من الشيعة بل أن فيه تشيع شنيع لما روى في أخبار خالد القسري وما هو عليه من سوء الحال.

فيقول: وقد نسب إليه ـ أي لخالد ـ أشياء لا تصح لأن صاحب العقد الفريد كان فيه تشيع شنيع ومغالاة في أهل البيت وربما لا يفهم أحد كلامه ما فيه من التشيع وقد اغتر به شيخنا الذهبي فمدحه بالحفظ وغيره.

ومن طالع كتابه العقد الفريد عرف نسبة هذه التهمة وقد عرف عنه النصب وطعن في كتابه للشيعة ونسب لـهم أمورا حتى تصدى لرد أقوالـه واكاذيبه شيخنا الأميني في كتابه (الغدير)، ولأبي الفرج الاصبهاني صاحب الاغاني نسب إلى التشيع [٢].

وعلى هذا تستمر تجري التعسفات وتجري نسبة التشيع إلى اناس ليسوا من الشيعة وتخبطوا بذلك واصبح الأمر غير منوط بقاعدة ولا مسند بدليل غير أن قوة السلطة وبطشها وتأثر الجماعات بتلك السياسة أما رغبة أو رهبة فاتهموا كل من يروي فضيلة لأمير المؤمنين في كتابه أو في قول يرويه أو حديث يذكره فينسب الكتاب وصاحبه إلى التشيع أو الرفض أو يطعن بالراوي وما روى ويجرح في سند الحديث أو يضعف متنه بالتاويل أو التحريف وقد تجاوزوا الحد فتوسعوا بنسبة التشيع إلى أئمة المذاهب.

حتى أن أبا حنيفة نسبوه إلى التشيع لأنه كان يذهب إلى تفضيل علي على

---

(١) تاريخ ابن كثير ١٠: ٢١.

(٢) المنتظم لابن الجوزي ٨: ٣٤٩، ووفيات الأعيان ٣: ٣٠٧.

عثمان ولما كان الإمام الشافعي يتظاهر بحب أهل البيت ومدحهم بأبيات كثيرة لا مجال لذكرها:

آل النبي ذريعتي ... وهو إليه وسيلتي
ارجو بأن اعطى غدا ... بيدي اليمين صحيفتي

كما اشتهر عنه:

يا آل بيت رسول الله حبكموا ... فرض من الله في القرآن انزله
كفاكموا من عظيم الذكر انكموا ... من لم يصل عليكم لا صلاة له

كما شعر هو بذلك فدافع بقوله:

قالوا ترفضت قلت كلا ... ما الرفض ديني ولا اعتقادي
لكن توليت دون شك ... خير امام وخير هادي

ثم اشتهر عنه قوله بحب على وآل البيت ولم يكترث بما نسب إليه من الرفض الذي كان من أعظم التهم في عصره.

يا راكبا قف بالمحصب من مني ... واهتف بساكن خيفها والناهض
سحرا إذا فاض الحجيج إلى مني ... فيضا كملتطم الفرات الفائض
ان كان رفضا حب آل محمد ... فليشهد الثقلان أني رافضي

ولما اتهم بالرفض لشدة تظاهره بحب على فقد هجاه بعضهم بقوله المشهور:

يموت الشافعي وليس يدري ... علي ربه أم ربه الله

وله أبيات كثيرة في هذا الخصوص.

ولقد نص على تهمة تشيع للشافعي جماعة من المؤرخين والمحدثين مثل يحيى بن معين فقال الفخر الرازي [1] وأما طعن يحيى ابن معين فالجواب عنه ما روى

---

(١) مناقب الشافعي للرازي: ٥١.

البيهقي عن أبي داود السجستاني أنه قيل لاحمد بن حنبل أن يحيى بن معين ينسب الشافعي إلى الشيعة فقال أحمد: كيف عرفت ذلك فقال يحيى: نظرت (في كتابه) في قتال أهل البغي فرايته قد احتج من اوله إلى آخره بعلي بن أبي طالب.

فقال أحمد: يا عجباً لك فيمن كان يحتج الشافعي في قتال أهل البغي فإن أول من ابتلى من هذه الأمة بقتال أهل البغي هو علي بن أبي طالب قال: فخجل يحيى من كلامه.

وقال ابن النديم: وكان الشافعي شديدا في التشيع واستدل على ذلك بما يلي:

ذكر له رجل يوماً مسألة فاجاب فيها فقال له الرجل: خالفت علي بن أبي طالب ﵁ فقال الشافعي: أثبت لي هذا عن علي بن أبي طالب حتى اضع خدي على التراب وأقول: قد اخطأت.

حضر الشافعي مجلسا فيه بعض الطالبيين فقال: لا اتكلم في مجلس اجدهم ـ أي الطالبين ـ أحق بالكلام ولهم الرئاسة والفضل [1].

واتهموا النسائي بالتشيع كما ذكره في (وفيات الأعيان ١: ٧٧)، وسير اعلام النبلاء ٤: ١٣٣. وما ذلك الا لتأليفه كتاب الخصائص في فضائل أمير المؤمنين وقوله لا أعرف لمعاوية فضيلة إلا (لا أشبع الله بطنه)، مع ان الحديث رواه مسلم في (صحيحه ٨: ٢٧).

---

(١) فهرست ابن النديم: ٢٩٥.

الطعن بالرواة من أجل تشيعهم

(أخطر آفة على العلم)

ولما كان لوضاع الحديث اخطر آفة على العلم فقد اهتم علماء الحديث من الشيعة وبذلوا جهودا كثيرة في عناية تامة بالبحث والتحقيق لمعرفة رجال الحديث وترتيب طبقات رجالهم والتثبت من احوالهم وبيان عدالتهم والثقة باقوالهم وغيرها...

ولا يخفى على المتتبع المنصف معارضة الأمويين والعباسيين لاظهار ذكر آل محمد ﷺ ونشر مآثرهم فانهم يرون ذلك معارضا لسياستهم وقد منعوا جميع المحدثين أن لا يذكروا علياً وأهل بيته بخير ولا يروون حديثهم فكان العلماء إذا أرادوا أن يحدثوا عن علي كنوه بأبي زينب.

ورأينا بعض رجال الحديث تركوا الرواية الصحيحة عن أهل البيت أما خوفا على أنفسهم أو تقرباً للسلطة.

وخلاصة القول: أن الأمويين كان اتجاههم للسياسة فحسب وقد ابتعدوا عن شؤون الدين فكان من سياستهم أن يقبلوا قول كل أحد ممن دب ودرج ولا يسمعون لقول أهل البيت وشيعتهم ويعاقبون من يذكر في ذلك.

وجندوا لذلك مرتزقة لتثبيت كيانهم ممن يوافق اغراضهم ورواينا كيف

استطاعوا تشويه الحقائق وحمل الناس على مخالفة الواقع وتدخلوا باشكال مختلفة مما افسد على المجتمع ما صلح فبدلوا لـهم حرفوا وطعنوا ببعض الأحاديث التي لا تسير بذلك الاتجاه وجرحوا رواة الحديث حتى من كان منهم من كبار التابعين وتابعيهم والعلماء الثقات والمحدثين الاثبات واحتجت بهم الصحاح الستة واخرجت لـهم ووثقتهم وروت عنهم وصفتهم بالعدالة والثقة وحيث لم يرق هذا الأصحاب الجرح والتعديل ممن استولى عليه عمى البصيرة وتغلب عليه العناد والتعصب الارعن أو قلدوا الاسلاف بما اوحت لـهم تلك السياسة الظالمه فتلقوه دون تثبت في الحكم وتدبر في الأمر فصار الطعن بهذا الراوي ويكيلون لـه التهم هذا شيعي أو فيه شيعية شديدة وهذا مائل عن الحق أو زائغ وهذا الحديث منكر إلى غير ذلك ويصبح غرضا ترشقه سهام التهم والخيال كل ذلك من أجل حديث يرويه في فضل أمير المؤمنين لا غير[1] ويأتي آخر فيكذب الحديث ويزعم أنه من وضع الرافضة لعلي بن أبي طالب ولم ينتبه إلى أن الحديث مشهور أو متواتر في مسانيد قومه وكتب حديثهم ويأتي اخرويتهم الراوي أنه شيعي وهو متهم بحب علي ولم يلتفت أن الحديث روى عن غيره وبطرق عديدة وصححها حفاظهم وبكلمات أخرى مشوشة ومتضاربة لتعداد اغراضهم وتهم واهيه لم يدعموها بحجة مقبولة ولا مسندة بادلة منقولة وهكذا تسير الأمور طبقا للسياسة المناوئة لأهل البيت وتختفي فضائل أمير المؤمنين ويطعن رواتها .

وباختصار أعرض لأربعة وعشرين راويا كنماذج للتدليل من هؤلاء الرجال

---

(١) ولان ابن حجر قال: واما التشيع في عرف المتأخرين فهو الرفض المخطيء فلا تقبل رواية الرافض الغالي ولا كرامة.

الثقات الذين احتج بهم أصحاب الصحاح ووثقوهم ورووا عنهم كما اختصر ذكر الأسباب التي ضعفتهم ونالت منهم من أهل الجرح والتعديل ومن لا حظ مصنفاتهم الرجالية يجد أضعاف ما عرضناه وقد عرض لبعضهم سيدنا شرف الدين في المراجعات ومثله المرحوم الشيخ أسد حيدر في كتابه الإمام الصادق، والمرحوم الشيخ المظفر في دلائل الصدق وغيرهم.

١ـ أبان بن تغلب الحريري ت ١٤١،

خرج حديثه مسلم والترمذي وأبو داود والنسائي وابن ماجة وروى عنه جماعة وذكرهم... قال ابن عدي أبان له نسخ عامتها مستقيمة وان كان مذهبه التشيع وهو في الرواية صالح لا بأس به.

وقال ياقوت الحموي: كان قارئاً لغوياً فقيهاً نامياً ثقةً عظيم المنزلة جليل القدر...

وقال أبو نعيم في تاريخه: وكان غاية من الغايات.

وقال العقيلي: سمعت أبا عبد الله يذكر عنه عقلا وادبا وصحة حديث إلا أنه كان غاليا في التشيع.

ومثلـه الازدي: كان غاليا في التشيع وما اعلم به في الحديث باسا.

غير أن الذهبي والجوزجاني قالا: أبان زائغ مذموم المذهب.

فقال ابن حجر وأما الجوزجاني: فلا عبرة بحطه على الكوفيين فالتشيع في عرف المتقدمين هو اعتقاد تفضيل علي على عثمان وأن علياً مصيبا في حروبه وأن مخالفه مخطيء وربما اعتقد بعضهم أن علياً افضل الخلق بعد رسول الله وإذا كان معتقد ذلك وربما دينا صادقا مجتهدا فلا ترد روايته.

وأقول: بعد أن خرج حديثه أصحاب الصحاح وقال بقبول روايته وصدقه واعترفوا بعلو منزلـه فلا يضر به قول الجوزجاني وباختصار فإن بدعة أبان هي مولاته لعلي عليه السلام وصلابة الجوزجاني في السنة هي بغضه لعلي [١].

وقال الذهبي: أبان بن تغلب شيعي جلد لكنه صدوق لنا صدقه وعليه بدعته[٢].

٢ـ الاجلح:

الاجلح بن عبدالله الكندي خرج حديثه البخاري في الأدب المفرد ومسلم في صحيحه والأربعة وروى عنه جماعة...

قال ابن حجر: اجلح صدوق شيعي مستقيم الحديث من الطبقة السابعة مات سنة ١٤٥ وقال ابن معين: اجلح صالح ثقة وليس به بأس وقال ابن عدي: اجلح لـه أحاديث صالحة ويروي عنه الكوفيون وغيرهم ولم ارى لـه حديثاً منكرا مجاوزا للحد لا اسنادا ولا متنا إلا أنه من شيعة الكوفة وهو عندي صدوق[٣] ومستقيم الحديث كما في تهذيب الكمال[٤].

---

(١) ترجمته في تهذيب التهذيب ١: ٩٣. طبقات ابن سعد ٦: ٢٥٠. فهرست ابن النديم: ٣٠٨. معجم الأدباء ١: ١١٧. سير أعلام النبلاء ١: ٥٩. بغية الوعاة: ١٧٦. ميزان الاعتدال ١: ٥، خلاصة تهذيب الكمال: ١٣، شذرات الذهب ١: ٢١٠. طبقات القراء ١: ٨٦. مرآة الجنات ١: ٢٩٣ وقال ابن أبي حاتم: سئل أبي عن أبان فقال: ثقة، وقال أحمد بن حنبل وابن معين: أبان ثقة....

(٢) ميزان الاعتدال ١: ٥.

(٣) تهذيب التهذيب ١: ١٦٦.

(٤) تهذيب الكمال ٢: ٢٧٨.

ولما روى بعض الأحاديث في فضائل أمير المؤمنين فذكر الحاكم قولـه قد أعرض الشيخان عن الاجلح وليس في رواياته بالمتروك فإن الذي نقم عليه مذهبه[1] ولاجل هذا.

قال الجوزجاني: اجلح مفتر وقال النسائي: لـه رأي سوء. [2].

٣ـ إسماعيل بن أبان الازدي ت ٢١٦:

خرج حديثه البخاري والترمذي في الصحيح وابو داود في مراسيلـه وكان من شيوخ البخاري روى عنه جماعة... [3].

وقال ابن حجر: كوفي ثقة تكلم فيه للتشيع [4].

وقال الذهبي: شيخ البخاري حدث عنه يحيي وأحمد وقال البخاري: صدوق وقال غيره: كان يتشيع [5] وقال الجوزجاني: كان مائلا عن الحق ولم يكن يكذب قال ابن عدي حول قول الجوزجاني: (مائل عن الحق) يريد به ما عليه الكوفيون من التشيع [6].

وقال ابن حجر: الجوزجاني كان ناصبيا منحرفا عن علي فهو ضد الشيعي المنحرف عن عثمان والصواب موالاتهما جميعا ولا ينبغي أن يسمع قول مبتدع في

---

(١) المستدرك ٤: ٩٦.

(٢) ميزان الاعتدال ١: ٧٩.

(٣) تهذيب التهذيب ١: ٢٣٦. الجرح والتعديل ١: ١٦٠.

(٤) تقريب التهذيب ١: ٨٩.

(٥) ميزان الاعتدال ١: ٢١٢.

(٦) ميزان الاعتدال ١: ٧٦.

مبتدع[١] وقال البزار: انما كان عيبه ـ أي إسماعيل ـ شدة تشيعه لعلي وانه عير (او عيب) عليه في السماع. إلى آخر ما جاء حول إسماعيل شيخ البخاري واحمد وغيرهما وقد وصفوه بالصدق والأمانة والثقة إلا أن عيبه حبه لعلي عليه السلام.

٤ـ إسماعيل بن سلمان الازرق:

خرج حديثه ابن ماجة والبخاري في الأدب المفرد وروى عنه جماعة[٢]... وقد تحامل بعض الحفاظ على إسماعيل هذا لأنه أحد رواة حديث الطائر المشوي الذي أخرجه الترمذي والبغوي في المصابيح الحسان وجمع كثير وحديث الطائر مشهور وأحد رواته إسماعيل وهو السبب في طعنه وجرحه ولم ينفرد في نقلـه فقد روى بطرق متعددة ـ سيأتي ذكرها انشاء الله ـ حتى أن الذهبي صححه وجعل فيه جزءا منفردا.

٥ـ إسماعيل بن موسى الفزاري ت سنة ٢٤٥ :

روى لـه البخاري في (خلق افعال العباد) وخرج حديثه أبو داود والترمذي وابن ماجة وروى عنه جماعة ذكرهم... [٣].

قال ابن أبي حاتم: سألت أبي عنه فقال: صدوق وقال ابن حجر: صدوق يخطأ ورمى بالرفض [٤].

---

(١) هدى الساري: ٨٨. مقدمة فتح الباري: ٣٨٨. وعنه فتح الملك العلى: ١١١.

(٢) مقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل: ٣٢٥.

(٣) تهذيب التهذيب ١: ٢٩٢.

(٤) تقريب التهذيب ١: ٧٥.

وقال الذهبي: روى عنه أبو داود وابو عروة وابن خزيمة وخلائق... وقال النسائي ليس به بأس وقال ابن عدي: انكروا عليه غلوه في التشيع [١].

وقال مطين:... كان صدوقا وقال أبو داود: صدوق في الحديث وكان يتشيع[٢] وقد اتهموه بشتم السلف وكان هناد ينهى عن الحضور عند إسماعيل لأنه يشتم السلف وشتم السلف في عرفهم يدخل فيه نقل كل رواية فيها حط على واحد منهم حتى لو قال أحد أن معاوية خالف الكتاب والسنة بالحاقه زياد بن سمية بابي سفيان أو يقال: بانه سلط بسر ابن ارطاة على المسلمين فقتل الاطفال والشيوخ والنساء [٣] أو يقال: أن المغيرة بن شعبة زنى بام جميل[٤] وخالد بن الوليد قتل مالك بن نويرة ظلما ونزى على امرأته في ليلته[٥] إلى أمثال هذا الظاهر الثابت فيرمى الناقل لـها بالفسق وشتم السلف.

ونقل الذهبي عن ابن أبي شيبة أو هناد أنه قال لمن يذهب لسماع الحديث من إسماعيل هذا: (إيش عملتم عند ذاك الفاسق الذي يشتم السلف)[٦].

---

(١) سير أعلام النبلاء ١١: ١٧٧.

(٢) تهذيب التهذيب ١: ٢٩٣.

(٣) كما تقدم في غارات معاوية على اليمن والحجاز وبعض مناطق العراق.

(٤) وذكر تفصيلـه الأميني في الغدير ٦: ١٤١، نقلا عن ابن أبي الحديد وغيره والنص والاجتهاد: ٥١١ ، وص: ٣٥٤.

(٥) النص والاجتهاد ذكر تفصيلـها عن جماعة من أنوار الحسين: ١٢٢.

(٦) ميزان الاعتدال ١: ٢٥٢.

٦ـ الاصبغ بن نباتة التميمي [(١)]:

خرج حديثه ابن ماجة وروى عنه جماعة...

كان من خواص الإمام علي عليه السلام وكان على شرطته قال ابن حبان: اصبغ فتن بحب علي فأتى بالطامات.

وقال ابن عدي: عامة ما يرويه عن علي عليه السلام لا يتابعه عليه أحد وهو بين الضعف ثم قال: وإذا حدث عنه ثقة فهو عندي لا بأس بروايته وقال العجلي: اصبغ كوفي تابعه ثقة وقال ابن سعد: اصبغ كان شيعيا وكان يضعف في روايته وكان على شرطة علي عليه السلام وقال أبو أحمد الحاكم: ليس بالقوي عندهم، وقال الجوزجاني: زائغ.

ومما يبدو ومن كلمة ابن عدي بأن الاصبغ ثقة ولكنه مكذوب عليه وهذا ليس ببعيد أن يضع المغرضون عنه أخبارا غير صحيحة لتنسب إلى شيعة علي عليه السلام حتى يكون طريق للوقيعة فيهم وهذا كثير في تلك العصور.

والغرض أن الاصبغ من الثقات ومن خواص أمير المؤمنين ولكن تحاملهم عليه لشدة حبه لعلي ولو لم يكن ثقة لما سلمه زمام الأمور ولولا اعتماده عليه لما ارسله إلى معاوية أوان حرب صفين مفاوضا ومحتجا حتى اغضب معاوية وابو هريرة كما ذكر ابن الجوزي في التذكرة وغيره ومواقف الاصبغ مع الحجاج تثبت حبه لعلي وتمسكه بولائه ومن أجل هذا قال عنه الجوزجاني: زائغ.

---

(١) ترجمته في تهذيب التهذيب ١: ٣٦٢. ميزان الاعتدال ١: ٢٥٢، رقم [٩٥٨]. الخلاصة للخزرجي: ٣٣. تقريب التقريب ١: ٨١. وغيرهم.

٧ـ تليد بن سليمان المحاربي ت سنة ١٩٠ [(١)]:

خرج حديثه الترمذي في صحيحه وروى عنه جماعة...

قال أحمد بن حنبل: تليد كان مذهبه التشيع وقال البخاري: تليد تكلم فيه يحيى بن معين ورماه وقال العجلي: تليد كوفي روى عنه أحمد بن حنبل لا باس به كان يتشيع ويدلس وقال أحمد بن حنبل: كتبت عنه حديثاً كثيراً وقال يعقوب بن سفيان: تليد رافضي خبيث.

وأخرج الخطيب البغدادي عن تليد عن... عن أبي هريرة قال: نظر رسول الله ﷺ إلى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال: ((أنا حرب لمن حاربكم سلم لمن سالمكم)) [(٢)].

وقد اتهم تليد بأنه شتم عثمان ولـهذا حملوا عليه فكذبوه يقول عباس بن محمد: سمعت يحيى ابن معين يقول: تليد كذاب كان يشتم عثمانا وكل من شتم عثمان أو طلحة أو أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ دجال لا يكتب عنه ولعنة الله والملائكة والناس اجمعين [(٣)].

فلو قلنا أن هذا الشتم لم يكن ذريعة لطعن تليد فهل قول ابن معين عام لكل من شتم أحدا من أصحاب محمد ﷺ ام خاص بالبعض دون البعض فإن كان على وجه العموم فباى وجه وبأي عذر يصدق من يحمل على اول الصحابة

---

(١) ترجمته في تاريخ بغداد ٧: ١٣٦. الجرح والتعديل ١: ٤٧١. تهذيب التهذيب ١: ٥٠٩. ميزان الاعتدال ١: ١٦٦.

(٢) تقدمت مصادر الحديث.

(٣) تاريخ بغداد ٧: ١٤٥.

اسلاما واعلمهم بأحكام القرآن واقضاهم بالحكم واعدلـهم في الرعية واقربهم من رسول الله بل هو نفسه وهو الإمام علي عليه السلام.

فانا نجد كتب الحديث مملوءة من روايات من نصب العداء لعلي وولديه أمثال الخوارج كعمران بن حطان وثور بن زيد الديلمي والجوزجاني وغيرهم فقد وثقوهم واخذوا عنهم.

وكذا النواصب وتقدم فما يقول ابن معين في الرواية عمن اتخذ شتم أهل البيت سنة فهل تركوه أم اخرجوا أحاديثه وانه صلب في السنة وانه ثقة في الحديث وأن كان هذا يخص جماعة دون آخرين فنترك تقديره للقراء..

٨ـ ثوير بن أبي فاختة:

ثوير بن أبي فاختة؛ سعيد بن علاقة الـهاشمي مولى أم هاني وقيل مولى زوجها جعدة خرج حديثه الترمذي في صحيحه وروى عنه جماعة...

قال يونس بن أبي إسحاق: كان رافضيا وقال ابن معين: ليس بشيء وقال أبو حاتم: وغيره ضعيف [(١)].

ونقموا على ثوير هذا تشيعه لعلي عليه السلام وروايته عن أبيه أبي فاختة وكان أبوه من كبار التابعين ووثقه جماعة.

وقد روى ثوير عن أبيه كما حدث عنه أبو مريم الأنصاري أنه سمع علياً عليه السلام يقول: لا يحبني كافر ولا ولد زنا [(٢)].

---

(١) ميزان الاعتدال ١: ٣٧٥، رقم [١٤٠٨].

(٢) ميزان الاعتدال ١: ٣٧٦، رقم [١٤٠٨].

٩ـ جعفر بن زياد:

جعفر بن زياد الاحمر الكوفي ت سنة ١٦٧.

خرج حديثه أبو داود والترمذي والنسائي وروى عنه جماعة... [(١)].

قال ابن حجر: صدوق يتشيع [(٢)].

ووثقه أحمد بن حنبل وابن معين وأبو زرعة [(٣)] وقال أبو داود: صدوق شيعي وقال ابن أبي شيبة: صدوق ثقة، وقال العجلي: كوفي ثقة [(٤)].

ويقول الجوزجاني: جعفر بن زياد مائل عن الطريق، قال الخطيب البغدادي بعد نقل كلمة الجوزجاني: قلت يعني في مذهبه وما نسب إليه من التشيع ولقد تحمل جعفر بن زياد في سبيل حبه لآل محمد وتشيعه لهم جور السلطة وعنف الولاة لأنه كان من رؤساء الشيعة في خراسان فقد كتب المنصور إلى هراة باشخاصة مع جماعة من الشيعة فحبسوا في المطبق دهرا طويلا وكان اشخاصة بصورة الاهانة والتحقير وذلك أنهم اشخصوه في ساجور وهو خشبة تعلق في الكلب أو قلادة تجعل في عنقه والمراد هنا أنهم اشخصوه وفي عنقه حبل يجر به [(٥)] وقد كان لا يصلي مع الولاة ولا يميل إليهم.

وكان الحسن بن صالح يصلي الجمعة مع الأمراء وكان الحسن من الشيعة فمنعه جعفر عن صلاة الجمعة معهم فقال له: الحسن اصلي معهم ثم اعيدها.

---

(١) تاريخ بغداد ٧: ١٥٩. تهذيب التهذيب ٢: ٩٢.

(٢) التقريب ١: ١٦١، رقم [٩٤٢].

(٣) الجرح والتعديل ١: ١٨٠.

(٤) تهذيب التهذيب ٢: ٩٣.

(٥) تاريخ بغداد ٧: ١٥٠.

فقال لـه جعفر: يراك انسان فيقتدي بك [١] فلـهذا فقد وصفوه بالغلو مع توثيقهم لـه.

١٠ـ جعفر بن سليمان:

جعفر بن سليمان الصبعي ت ١٧٨ من تلامذة الإمام الصادق عليه السلام.

خرج حديثه البخاري في الأدب المفرد ومسلم والترمذي وابو داود والنسائي وابن ماجة وروى عنه... [٢].

قال أحمد بن حنبل: جعفر لا بأس به، فقيل: أن سليمان بن حرب يقول: لا يكتب حديثه فقال أحمد: انما كان جعفر يتشيع وأهل البصرة يغلون في علي عليه السلام [٣].

وقد وثقه ابن معين وأحمد بن حنبل وابن سعد وغيرهم وحمل بعضهم عليه لتشيعه أو ميلـه لأهل البيت عليهم السلام.

قال ابن حبان: كان جعفر من الثقات في الروايات غير أنه ينحل الميل إلى أهل البيت ولم يكن بداعية إلى مذهبه وليس بين أهل الحديث من أئمتنا خلاف أن الصدوق المتقن إذا كانت فيه بدعة ولم يكن يدعو إليها الاحتجاج بخبره جائز [٤].

لقد تقدم القول بمفهوم البدعة ومما يظهر أنه وسموا الشيعة بالبدعة لانهم مع أهل البيت كما في كلمة ابن حبان فعلى هذا أن مطلق الميل إلى أمير المؤمنين وأهل بيته بدعة ومفهومه أن عدم الميل إليهم يكون سنة كما جاء عن الذهبي في

---

(١) تهذيب التهذيب ٢: ٩٣.

(٢) تهذيب التهذيب ٢: ٩٥. الجرح والتعديل ١: ٤٨١.

(٣) تهذيب التهذيب ٢: ٩٥.

(٤) تهذيب التهذيب ٢: ٨٣.

ترجمة جعفر بن سليمان روى عنه سيار بن حاتم وعبد الرزاق وعنه أخذ بدعة التشيع [(١)].

وعلى أي حال فإن جعفر بن سليمان انما جرحه البعض لأنه ممن يحب أهل البيت وهو أحد رواة حديث الطير المشهور الذي رواه جماعة من الحفاظ.

١١ ـ الحارث الهمداني:

الحارث بن عبد الله الـهمداني الكوفي ٦٥.

خرج حديثه الترمذي والنسائي وابو داود وابن ماجة وروى عنه الشعبي... [(٢)].

كان الحارث من أصحاب الإمام علي عليه السلام ومن رجال الشيعة وقد وثقه ابن معين والنسائي وأحمد بن صالح وابن أبي داود وغيرهم.

وكان يحيى بن سعيد القطان يحدث من حديث الحارث وكان أبو إسحاق يصلي خلف الحارث وكان امام قومه وكان أبو إسحاق السبيعي يقول: ليس بالكوفة اعلم بفريضة من عبيدة والحارث [(٣)].

وقال محمد بن سيرين: كان من أصحاب ابن مسعود خمسة يؤخذ عنهم فادركت أربعة وفاتني الحارث وكان يفضل عليهم.

وغيرهم كثير ممن وصفه بالعلم والتقوى والثقة في النقل.

---

(١) تذكرة الحفاظ ١: ٢٤١.

(٢) الجرح والتعديل ١: ٧٨. تهذيب التهذيب ٢: ١٤٥.

(٣) طبقات ابن سعد ٦: ١٦٨.

غير أن الشعبي حمل عليه فكذبه بدون حجة إلا أنه شيعي كما أشار إلى ذلك ابن عبدالبر[١] إذ يقول: واظن الشعبي عوقب لقوله في الحارث الـهمداني أحد الكذابين ولم يبن من الحرث كذبه وإنما نقمه افراطه في حب علي وتفضيله له على غيره وإلى هنا والله اعلم كذبه الشعبي لأن الشعبي يذهب إلى تفضيل أبي بكر وانه أول من أسلم.

والشعبي كذبه إبراهيم النخعى عندما ذكر عنده فقال إبراهيم: الشعبي ذاك الكذاب ولم يسمع من مسروق [٢].

من هذا وما سيأتي يظهر أن الطعون على رجال الشيعة لم تكن مفسرة للجرح فيهم وإنما جرحوهم للتشيع فقط.

١٢ ـ الحسن بن صالح بن حي الكوفي الفقيه العابد ت ١٦٧:

خرج حديثه مسلم وابو داود والترمذي والنسائي وابن ماجة وروى عنه جماعة... [٣].

قال العجلي: كان الحسن حسن الفقه من اسنان الثوري أو افقه منه ثقة ثبتا متعبدا وكان يتشيع إلا ان ابن المبارك كان يحمل عليه بعض الحمل لمحال التشيع [٤].

وقال ابن حبان: كان الحسن فقيها ورعا من المتقشفة الخشن وممن تجرد

---

(١) ذكر قول ابن عبدالبر في تهذيب التهذيب ٢: ١٢٧. ومثله القرطبي في تفسيره ١: ٥.

(٢) جامع الاحاديث ١: ١٥٤.

(٣) تذكرة الحفاظ ١: ٢١٦، رقم [٢٠٣]. تهذيب التهذيب ٢: ٢٤٨.

(٤) تهذيب التهذيب ٢: ٢٥١.

للعبادة ورفض الرئاسة على تشيع فيه[(١)].

وقال ابن سعد: كان الحسن ثقة صحيح الحديث كثيرة وكان متشيعا [(٢)].

وقال أبو نعيم: ما كان الحسن بدون الثوري في الورع والقوة ما رأيت إلا من غلط في شيء إلا الحسن بن صالح [(٣)].

وهكذا يتوال المدح والثناء على المترجم إلا أنهم وسموه بالتشيع.

١٣ ـ شريك بن عبد الله النخعي الكوفي ت ١٧٧ :

خرج حديثه مسلم والترمذي وابو داود والنسائي وابن ماجة والبخاري تعليقا وروى عنه جماعة وخلق كثير... [(٤)] وذكر لـه الخطيب عدداً آخر ممن روى عنه وكذلك ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل.

وقد وثقه غير واحد قال يحيى بن معين: شريك ثقة، وقال العجلي: شريك كوفي ثقة وكان حسن الحديث وكان اروى الناس عنه: إسحاق الازرق وقال الطبري: كان فقيها عالما وقال أبو داود: ثقة وغيرهم... كما في التهذيب.

وقال ابن المبارك: شريك اعلم بحديث أهل الكوفة من سفيان ومثلـه عن إسحاق بن اسرائيل.

وقال محمد بن عيسى: رأيت شريكا وقد اثر السجود في جبهته وقال

---

(١) تهذيب التهذيب ٢: ٢٥١. الثقات ٦: ١٦٥. الانساب ٥: ٦٤٨.

(٢) الطبقات الكبرى ٦: ٣٧٥.

(٣) تذكرة الحفاظ ١: ٢٠١. وكذا في المعارف: ٢٢٢.

(٤) تهذيب التهذيب ٤: ٣٣٢. تاريخ بغداد ٩: ٢٧٩.

الساجي: كان ينسب إلى التشيع المفرط [١].

ووصفه الجوزجاني: بأنه مائل وهذا تعبيره عن رجالات الشيعة ولا جدال بأن شريكا كان يروي فضائل علي عليه السلام ويراه افضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذكر قوم معاوية عند شريك فقال: كان معاوية حليما فقال: ليس بحليم من سفه الحق [٢].

وتولى شريك القضاء بواسط سنة ١٥٥ وعزلـه المهدي العباسي كما ذكر الخطيب[٣]: ما عرف عنه التشيع والقول بالإمامة وتقدم ذكرها.

١٤ـ سليمان بن مهران الأعمش الكوفي ت ١٤٨:

خرج حديثه البخاري ومسلم والترمذي وابو داود والنسائي وابن ماجة وروى عنه جماعة كثيرة [٤].

وهو من تلامذة الإمام الصادق عليه السلام وهو من اقرء الناس بالقرآن واعرفهم بالفرائض واحفظهم للحديث ووثقه ابن معين والنسائي وقال العجلي: سليمان الأعمش ثقة ثبتا في الحديث وكان محدث أهل الكوفة في زمانه... وكان فيه تشيع[٥] كما وصفه بالتشيع في الملل والنحل وابن قتيبة[٦]، وكان يقال: لـه علاقة الإسلام

---

(١) تهذيب التهذيب ٤: ٢٩٦.

(٢) البداية والنهاية ٨: ١٣٩. ميزان الاعتدال ١: ٤٤٦.

(٣) تاريخ بغداد ٢٩: ٣٩.

(٤) تاريخ بغداد ٩: ٣.

(٥) تهذيب التهذيب ٤: ٢٢٣. تاريخ بغداد ٩: ٥.

(٦) الملل والنحل ١: ٣٧٥. المعارف: ٢٦٨.

وكان يسمى المصحف لصدقه [١].

ولكن الجوزجاني كما ذكر في ترجمة زبيد اليامي أن الجوزجاني قال: كان من أهل الكوفة قوم لا تحمد مذاهبهم وهم رؤوس محدثي الكوفة مثل زبيد وابن اسحاق ومنصور والاعمش وغيرهم... [٢] والجوزجاني يقصد بسوء المذهب هو التشيع لما ظهر لـه من امتحان هشام بن عبد الملك للاعمش في تشيعه فكتب إليه أكتب لي فضائل عثمان ومساويء علي.

فاخذ الأعمش الكتاب ولقمه لشاة عنده وقال للرسول هذا جوابك فألح عليه الرسول فكتب بعد البسملـه أما بعد فلو كان لعثمان مناقب أهل الأرض ما نفعتك ولو كانت لعلي مساويء أهل الأرض ما ضرتك فعليك بخويصة نفسك [٣].

١٥ ـ عباد بن يعقوب الروجيني ت سنة ٢٥٠ :

خرج حديثه البخاري والترمذي وابن ماجة وروى عنه جماعة... [٤] وقال ابن حجر: عباد الرواجيني رافضي مشهور إلا أنه كان صدوقا، وثقه أبو حاتم[٥] وقال الدارقطني: شيعي صدوق[٦]، وقال ابن العماد: عباد الحافظ الحجة قال ابن

---

(١) تهذيب التهذيب ٤: ٢٢٣.

(٢) ميزان الاعتدال ١: ٣٤٥.

(٣) شذرات الذهب ١: ٢٢١.

(٤) تهذيب التهذيب ٥: ١٠٩.

(٥) هدى الساري: ١٤٠.

(٦) تهذيب التهذيب ٥: ٩٥ ـ ٩٦، رقم [١٨٣]. مقدمة فتح الباري: ٤١٠.

حبان: كان داعية للرفض [١] وقال الذهبي في الميزان: عباد.. من غلاة الشيعة ورؤوس البدع صادق في الحديث وقال ابن عدي: عباد فيه غلو في التشيع... ثم قال: وسمعته يقول: الله اعدل أن يدخل طلحة والزبير الجنة لانهما بايعا علياً ثم قاتلاه [٢] وكان ابن خزيمة إذا حدث عنه يقول: حدثنا الثقة في روايته المتهم في رأيه [٣] واياً كان فإن عباد كان من الثقات وأهل الصدق إلا أنه شيعي أو رافضي. وجاء أن عباد كان من شيوخ البخاري[٤].

والتشيع محبة علي وتقديمه على الصحابة كما تقدم وبدون شك أن عبادا كان كذلك ولذا نسب لـه الرفض أو المغالات واضاف ابن حبان إلى أنه يروي المناكير عن المشاهير وليس لـه حجة في هذه الدعوى إلا ما رواه عباد عن شريك... عن عبد الله عن النبي ﷺ انه قال: ((إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه))[٥] ولم ينفرد عباد بهذه الرواية فقد رواها غيره وتقدم الحديث عنها وبسبب هذه الرواية قالوا: أنه يستحق الترك وأن كان ثقة صدوقا وذكر في العبقات[٦] أسباب أخر لتهمة الطعن لا مجال لذكرها.

---

(١) شذرات الذهب ٢: ١٢١.

(٢) تهذيب التهذيب ٥: ٩٦.

(٣) هدى الساري: ٤١١.

(٤) نقلاً عن السمعاني، كما في العبقات ١٣: ١١٨.

(٥) تهذيب التهذيب ٥: ٩٦.

(٦) العبقات ١٣: ١١٨.

١٦ــ عبد الله بن لهيعة:

عبد الله بن لهيعة الحضرمي قاضي مصر وعالمها ت سنة ١٧٠ أو ١٧٤. خرج حديثه مسلم وابو داود والترمذي وابن ماجة وروى عنه جماعة... ذكر ابن حجر منهم أكثر من خمسة وعشرين من الحفاظ وثقه أحمد بن صالح وكان ابن وهب يقول: حدثني الصادق البار عبد الله بن لهيعة وقال سفيان: عند ابن لهيعة الأصول وعندنا الفروع [١] وقال ابن عدي: أنه مفرط في التشيع وقال: الجوزجاني لا ينبغي أن يحتج به ولا يغتر بروايته ولعل الجوزجاني يشير إلى ما رواه ابن لهيعة بسند عن ابن عمر أن رسول الله قال في مرضه: ادعوا لي اخي فدعى له أبو بكر فأعرض عنه ثم قال: ادعو لي اخي فدعى عثمان... فاعرض عنه ثم دعى له علي فستره بثوبه واكب عليه فلما خرج عليه‌السلام قيل له: ما قال لك علي؟ قال: علمني ألف باب يفتح لي ألف باب[٢].

وقد روى له مالك في الموطأ ولم يذكر اسمه بل قال: عن الثقة، قال ابن عبد البر: هو ابن لهيعة وكذلك البخاري روى له ولم يصرح باسمه [٣].

١٧ــ عبيد الله بن موسى:

عبيد الله بن موسى العبسي ت سنة ٢١٣

خرج حديثه البخاري ومسلم في الصحيح والأربعة وروى عنه البخاري وهو

---

(١) تهذيب التهذيب ٥: ٣٢٩. شذرات الذهب ١: ٢٨٤.

(٢) ميزان الاعتدال ٢: ٦٧.

(٣) تهذيب التهذيب ٥: ٣٥٠.

من كبار شيوخه واسحاق الحنظلي وابن أبي شيبة وغيرهم ذكر منهم في تهذيب التهذيب أكثر من أربعين من الحفاظ.

قال الذهبي: عبيد الله الحافظ الثبت المقري العابد من كبار علماء الشيعة(١) وقال اليافعي: عبيد الله كان امام في الفقه والقرآن موصوفا بالعبادة والصلاح لكنه من رؤوس الشيعة (٢).

وقال ابن حجر: عبيد الله من كبار شيوخ البخاري وثقه ابن معين وابو حاتم والعجلي وابن أبي شيبه وآخرون (٣).

وقال الحاكم: سمعت قاسم بن قاسم السياري سمعت أبا مسلم البغدادي الحافظ يقول: عبيد الله بن موسى من المتروكين تركه أحمد لتشيعه وقد عوتب أحمد على روايته عن عبد الرزاق (٤).

وعلى أي حال هذا عبيد الله بن موسى ومكانته عند أصحاب الصحاح الستة ومحلـه عند أئمة الجرح والتعديل فقد اجمع اولئك على الرواية عنه وهؤلاء على توثيقه ووصفه بالحفظ والثناء عليه مع ما عرفت من زهده وورعه وفقهه وعلمه ولكن تركه أحمد بن حنبل وامر بتركه لماذا لتشيعه وماذا يعني من تشيعه أنه يوالي علياً دون معاوية.

---

(١) تذكرة الحفاظ ١: ٣٥٣ ـ ٣٥٤.

(٢) مرآة الجنان.

(٣) هدى الساري: ٤٢٣.

(٤) تهذيب التهذيب ٧: ٤٨.

ومن الغريب ما في مراسلة ذكرها الخطيب [1] بين يحيى بن معين وأحمد بن حنبل وأن عبيد الله بن موسى يتناول معاوية فليزم تركه باختصار ولما لزم ترك عبيد الله وتركه أحمد لأنه يتناول معاوية ثم اقرء واعجب في ترجمه إسحاق ابن سويد العدوي [2] تجد أحمد بن حنبل قد وثقه على تحامله الشديد على علي عليه السلام واقرء ترجمة حريز بن عثمان الحمصي فيما شئت من الكتب الرجالية وموسوعات التراجم تجدها كلها تحكي عن حريز بانه ناصبا مبغضا لأمير المؤمنين عليه السلام يسبه ويلعنه كل صباح ومساء وتجدها كلما تحكى أن أحمد بن حنبل وثقه وقال: ثقة ثقة ليس بالشام كلها اثبت منه. هكذا نقله ابن حجر.

١٨ـ عبد الرزاق بن همام:

عبد الرزاق بن همام الحميري الصنعاني ت ٢١١.

خرج حديثه البخاري ومسلم والجماعة وروى عنه جماعة... وذكر منهم ابن حجر [3] أكثر من ثلاثين رجلاً وهو من كبار شيوخ أحمد بن حنبل واسحاق بن راهويه وابن المديني وابن معين.

وقال ابن عدي: رحل إليه أئمة المسلمين وثقاتهم ولم نر بحديثه بأسا إلا أنهم نسبوه للتشيع وهو أعظم ما ذموه به.

وقال ابن حجر: عبد الرزاق أحد الحفاظ الاثبات صاحب التصانيف وثقه

---

(١) تاريخ بغداد ١٤: ٤٢٧.

(٢) تهذيب التهذيب ١: ٢٠٦.

(٣) تهذيب التهذيب ٦: ٢٧٨، رقم [٦١١].

الأئمة كلـهم [١].

وقال الذهبي: وثقه غير واحد وحديثه مخرج في الصحاح ولـه ما ينفرد به ونقموا عليه التشيع وما كان يغلو بل كان يحب علياً ﷺ ويبغض من قاتلـه[٢] وقال ابن ناصر: وثقه غير واحد ولكن نقموا عليه التشيع وذكره ابن حبان في الثقات وعلى أي حال فإن عبد الرزاق كان من أئمة الحديث واوعية العلم ورحل إليه العلماء ووثقوه ولكن كان شيعيا يحب علياً ويبغض من قاتلـه وبهذا استحق أن يطعن به العباس العنبري ولم يوافقه أحد على ذلك.

١٩ـ علي بن الجعد:

علي بن الجعد بن عبيد البغدادي ت سنة ٢٣٠.

خرج حديثه البخاري وابو داود وروى عنه جماعة... ذكر منهم الخطيب في تاريخه ما يقرب العشرين من الحفاظ وزاد ابن حجر في التهذيب باكثر من ذلك وهو من كبار شيوخ البخاري وأحمد بن حنبل ويحيي ابن معين قال عبد الخالق بن منصور: سمعت يحيي بن معين يقول: كتبت عن علي بن الجعد أكثر من ثلاثين سنة[٣] قال ابن حجر: علي بن الجعد ثقة ثبت رمي بالتشيع [٤] وقال أبو حاتم: لم ار من المحدثين من يحدث بالحديث على لفظ واحد لا يغيره سوى على بن الجعد[٥].

---

(١) هدى الساري: ٤١٨. مقدمة فتح الباري ٤١٨.

(٢) تذكرة الحفاظ ١: ٣٦٤، رقم [٣٥٧].

(٣) تاريخ بغداد ١١: ٣٦٢. تهذيب الكمال ٢٠: ٣٤٥. سير أعلام النبلاء ١٠: ٤٦٢.

(٤) تقريب التهذيب ١: ٦٨٩.

(٥) هدى الساري: ٤٢٩. مقدمة فتح الباري: ٤٢٩.

وقال الذهبي: قال ابن معين: هو اثبت البغداديين في شعبه وهو صدوق وقيل أنه مكث ستين سنة يصوم يوماً ويفطر يوماً، وكان عالما نبيلا متمولا، فيه ابتداع نال من بعض السلف [(١)].

وذلك أنه ذكر عنده حديث ابن عمر: كنا نفاضل على عهد رسول الله ﷺ فنقول: خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر وعمر وعثمان، فقال علي بن الجعد: أنظروا إلى هذا الصبي هو لم يحسن أن يطلق امرأته [(٢)] يقول كنا نفاضل [(٣)] ومن أجل هذا نسبه الذهبي: ينال من بعض السلف.

٢٠ ـ علي بن غراب:

علي بن غراب الفزاري الكوفي ت ١٨٤.

خرج حديثه النسائي وابن ماجة وروى عنه جماعة...

قال المروزي عن أحمد كان حديث علي بن غراب حديث أهل الصدق وقال ابن معين: هو المسكين صدوق لم يكن به بأس ولكنه كان يتشيع وقال: أنه ثقة، وقال ابن أبي حاتم عن أبيه: لا بأس به، وقال أبو زرعة: علي بن غراب هو صدوق عندي وأحب إلي من علي بن عاصم [(٤)].

وقال الجوزجاني: قلت احسب أن إبراهيم (الجوزجاني) طعن عليه لأجل

---

(١) تذكرة الحفاظ ١: ٤٠٠.

(٢) يشير إلى حديث ابن عمر انه طلق امرأته في الحيض فأمر النبي ﷺ أن يأمره ان يراجعها. أخرجه البخاري.

(٣) تاريخ بغداد ١١: ٣٦٣.

(٤) الجرح والتعديل ٦: ٢٠٠، رقم [١٠٩٩]. تهذيب التهذيب ٧: ٣٢٥.

مذهبه فإنه كان يتشيع وأما روايته فقد وصفوه بالصدق [١].

٢١ ـ عطية بن سعد:

عطية بن سعد بن جنادة العوفي ت ١١١.

خرج حديثه أبو داود والترمذي وابن ماجة وروى عنه جماعة...

وثقه ابن سعد وقال ابن معين: صالح الحديث وقال أبو داود: وليس بالذي يعتمد عليه وقال أبو بكر البزاز: كان يعده في التشيع وقال الساجي: ليس بحجة وكان يقدم علياً على الكل ولـهذا قال الجوزجاني: مائل وقد امتحن عطية في حبه لعلي عليه السلام فان الحجاج كتب إلى محمد بن القاسم الثقفي أن أدع عطية فإن لعن علي بن أبي طالب وإلا فاضربه أربعمائة سوط وأحلق رأسه ولحيته فلم يفعل عطية فضربه أربعمائة سوط [٢].

٢٢ ـ عمارة بن جوين العبدي البصري ت ١٣٤:

خرج حديثه الترمذي وابن ماجة والبخاري تعليقا وروى عنه... [٣] قال ابن حجر: عمارة بن جوين أبو هارون العبدي مشهور بكنيته متروك ومنهم من كذبه [٤] وقد أوضح ابن عبد البر أسباب تكذيبهم لعمارة بقولـه: وقد تحامل بعضهم فنسبه إلى الكذب روى ذلك عن حماد ابن زيد وكان فيه تشيع وأهل البصرة يفرطون فيمن يتشيع بين أظهرهم لانهم عثمانيون.

---

(١) تاريخ بغداد ١٢: ٤٦.

(٢) طبقات ابن سعد ٦: ٣٠٤.

(٣) تهذيب التهذيب ٧: ٣٦١، رقم [٦٧١].

(٤) تقريب التهذيب ١: ٧٠٩.

٢٣ـ عمارة بن معاوية البجلي ت ١٣٣:

خرج حديثه مسلم والأربعة وروى عنه...[١].

وثقه أحمد بن حنبل وابن معين وابو حاتم وقال ابن حجر: صدوق يتشيع[٢].

وكان عمارة من تلامذة الإمام الباقر عليه السلام وولده الإمام الصادق عليه السلام وقد عذب لتشيعه نقل ابن المديني عن سفيان: أن عمارة قطع بشر بن مروان عرقوبه في التشيع .

٢٤ـ يونس بن خباب:

يونس ابن خباب الاسدي ويقال: أبو الجهم

خرج حديثه الترمذي وابو داود والنسائي وابن ماجة والبخاري في الأدب المفرد وروى عنه....

قال الساجي: تكلموا فيه من جهة رأيه السوء ووثقه ابن معين وابن أبي شيبة[٣].

وقال الدارقطني: رجل سوء فيه شيعية مفرطة، وقال العجلي: شيعي غال، وقال الجوزجاني: كذاب مفتر، وقال أبو داود: ليس في حديثه نكارة إلا أنه زاد في حديثه عذاب القبر وعلي عليه السلام ولي[٤].

---

(١) الجرح والتعديل ٦: ٣٦٣، رقم [٢٠٠٥].

(٢) تهذيب التهذيب ٧: ٣٠٦.

(٣) تهذيب التهذيب ١١: ٣٨٥، رقم [٧٤٩].

(٤) تهذيب التهذيب ١١: ٣٨٥.

الفهرست




الغدير
للطباعة والنشر والتوزيع
+ ٩٨ ٩١٢ ٥٥١ ٤٤٢٦

مراكز التوزيع

- قم - الغدير للنشر والتوزيع - تليفون :٠٩١٢٥٥١٤٤٢٦
- البصرة - العشار- مكتبة الامام الهادي ﷺ - تليفون : ٦٢٤٩٣٢/٦٢٢٥٦٢
- النجف الاشرف - شارع الرسول - المعرض الدائم للانتاج الثقافي -تليفون : ٣٧١٠٥٤
- بغداد - الكاظمية - شارع باب القبلة - مكتبة الامام الرضا ﷺ تليفون : ٠٧٩٠١٩٩١٦٠٤

